(من هو ا ؟)

المؤلف

فؤاد هاشم الأجهوري

هذا الكتاب موجود على الإنترنت بعدة لغات منها الإ ليزيه و الأسبانية و

الفرنسية ت عنوان : www.islam-message.com

ا كتبة الالكترونية الشاملة

www.fiseb.com

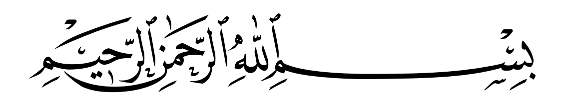
ا ركز العا ي للملفات

www.upgiga.com

مركز ميل مور جيجا الا

www.moregiga.com





الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير الورى محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

(مقدمة الكتاب)

★ إن الدين عند الله الإسلام .. فليس عند الله ديانة يهودية ولا ديانة مسيحية ، إنما هي مسميات أطلقها أتباع موسىٰ وأتباع عيسىٰ عليهما السلام .. أطلقوا تلك المسميات بعد وفاة موسىٰ ورفع عيسىٰ ولم يُقرّها لهم أحد منهما أثناء حياته بينهم .. وقد سمىٰ الله عز وجل هاتين الأمتين سّماهما باليهود والنصارىٰ، قال تعالىٰ :

{ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ } ١١٣-البقرة .

★ إن الدين عند الله الإسلام .. ذلك منذ أنزل الله تعالىٰ أبونا آدم إلىٰ الأرض ومن جاء بعده من الرسل وحتىٰ آخرهم وخاتمهم محمد صلىٰ الله عليه وسلم .. كان دينهم جميعهم الإسلام ، قال تعالىٰ : { مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلاَ نَصْرَانِيّاً وَلَكِن كَانَ حَنِيفاً مُّسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } ٦٧- آل عمران، كان جميعهم دينهم الإسلام: لماذا ؟.. رب سائل يسأل لماذا دينهم كلهم الإسلام ؟ .. فنجيبه بكل بساطة : لأن الله تعالىٰ واحد فالدين عنده واحد .. فما من إلهٰ واحد خالق كل أولئك الخلق من السابقين والحاضرين والقادمين فيجعل بينهم عدة أديان مختلفة وهم جميعهم يدينون إلىٰ إلهٰ واحد.. فالله واحد لذا الدين عنده واحد .

★ إن الدين عند الله الإسلام .. وقال تعالىٰ :{ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ

دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنه وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ } ٨٥ - آل عمران ..

أما اليهودية والنصرانية فما هما إلا رسالات سماوية أنزلها ربنا جلّت قدرته ، أنزلها علىٰ رسله لِيُبَيِّنُوا للناس أمور دينهم الإسلام.. فكانت التوراة رسالة موسىٰ عليه السلام ، وكان الزبور رسالة داوود عليه السلام ، وكان الإنجيل رسالة عيسىٰ ابن مريم عليهما السلام، وأخيراً وإلىٰ يوم يبعثون كان القرآن الكريم رسالة محمد صلىٰ ا عليه وسلم .

★ إن الدين عند ا الإسلام .. فنحن في هذا المُؤلف وعندما نخاطب أهل الكتاب من اليهود والنصارىٰ .. فإننا لا ندعوهم إلىٰ دين جديد عليهم ، كما أننا لا نشكك في كتبهم المقدسة التوراة والإنجيل .. ذلك لأن ديننا ودينهم واحد ، وإلهنا وإلههم واحد ، أو كما أخبرنا ربنا عز وجل في كتابه الكريم : { قُولُوا آمَنَا بِالذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ } ٤٦ - العنكبوت .. وكقوله تعالىٰ في سورة البقرة بالآيتين ١٣٩/١٤٠ : { قُلْ أَتُحَاجونَنَا فِي اللهِ وَهُوَ رَبنَا وَرَبكُمْ وَلنَا أَعْمَالنَا وَلكُمْ أَعْمَالكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ- أَمْ تَقُولُونَ إن إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطَ كَانُوا هُوداً أَوْ نَصَارَىٰ قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللهِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَما تَعْمَلُونَ } .. إنما نسألهم : أين هما التوراة والإنجيل تماماً كما أُنزلا علىٰ موسىٰ وعيسىٰ ابن مريم ؟ .. فهذه الكتب التي يتداولونها بين أيديهم سواء من العهد القديم أو العهد الجديد ومع تعدد مؤلفيها واختلاف آرائهم ومعتقداتهم ، وتناقضهم بعضهم البعض ما هي إلاّ مُصنّفات قراطيس كتبوها بأيديهم ، وروايات صادرة أصلاً عن أقوال أشخاص من البشر من بنات أفكارهم الخاطئة وليس لها أي سند صحيح من التوراة والإنجيل الأصليين.. وأيضاً نسألهم من أين أتوا بها ؟ .

وقد أخبر عنهم ربنا وربهم ا عز وجل في كتابه الكريم بقوله تعالىٰ :

{ فَوَيْلٌ للذِينَ يَكْتُبُونَ الكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُم يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللهِ لِيَشْتَرُوا به ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لهُم مما كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لهُم مما

يَكْسِبُونَ} ٧٩ - البقرة .

وفي هذا الصدد أيضاً يقول العلامة الشيخ أحمد ديدات : (لقد قال بعضكم أن نبي الإسلام قد أمرنا باحترام الإنجيل .. وهذا صحيح .. ولكن .. أي إنجيل ؟ .. إن الإنجيل الذي أمرنا نبي الإسلام أن نحترمه .. هو إنجيل عيسىٰ .. فأين هو إنجيـل عيسىٰ ؟ .. إن الإنجيل أو الأناجيل الموجودة اليوم هي ليس واحد منها هو إنجيـل عيسىٰ ! .. لقد أمرنا نبينا صلىٰ ا عليه وسلم أن نحـترم ما أنزل ا تعالىٰ علىٰ عيسىٰ .. لا إنجيل متىٰ ، ولا إنجيل مرقس ، ولا إنجيل لوقا ، ولا إنجيل يوحنا) .

حقيقة مستمرة لا يستطيع إنكارها مسيحيوا العالم كله .. وهي أن عشرات الألوف منهم يتخلون عن عقيدة الصليب والتثليث ويعتنقون الإسلام كل شهر .. بينما لم يتخل مسلم واحد عن دينه ويدخل في عقيدة النصارىٰ.

ولقد قرأت عدة مئات من قصص النصارىٰ رجالاً ونساء الذين أسلموا ، يروون ضمن اعترافاتهم كيف ولماذا اعتنقوا الإسلام ؟ .. اتفقوا جميعهم في رواياتهم علىٰ قول واحد : (كنا نذهب إلىٰ الكنيسة للصلاة يوم الأحد ونحن نفقد أدنىٰ قناعة بما يتلوه علينا القس بكلام غير مفهوم من الكتاب المقدس .. كما إن زعم أن عيسىٰ هو ابن ا وأن ا مُرَكبٌ من ثلاثة أشخاص لم يحظ هذا الاعتقاد منا بأي قبول في أذهاننا وتصوّراتنا .. فكانت كل تلك المعتقدات مرفوضة منا جملةً وتفصيلاً .. وكان غير مسموح لنا توجيه أي أسئلة أو استفسارات إلىٰ رؤساء الكنائس والقساوسة عن مثل هذه التصوّرات الغامضة .. ولكن إذا تجرأ أحدنا وأساء الأدب مع راعي الكنيسة وتوجه بالأسئلة المحظورة فلا يجد إجابة واحدة واضحة ومقنعة ، بل يجد إجابات تزيد المسألة إبهاماً وغموضاً .. أو أن يكون ردهم علينا : أن مثل هذه الأسئلة لا ينبغي لأي مؤمن أن يحوم حولها وإلاّ فقد فضيلة الغفران التي يمنحها الإلهٰ الأب للخطائين من البشر.. وبهذه الطريقة فإنهم كانوا يزيدوننا حيرة وتشككاً وكرهاً في هذا الدين .

وقد قرأت أيضاً تصريحات بعض القساوسة المبشرين أو رؤساء بعض البعثات التبشيرية الذين أسلموا .. كانوا يقولون : كنا ندعوا الناس في إفريقيا ودول

جنوب شرقي آسيا .. ندعوهم إلىٰ الدخول في المسيحية ونحن في داخلنا غير مقتنعين بما نقوله لهم عن المسيح ابن ا وعن عقيدة التثليث وكنا نعتبره خرافات لا يرتاح إليها الحس السليم .. { فَلِلهِ الحُجةُ البَالِغَةُ } ١٤٩ - الأنعام .

لذا فإنني أطلب من كل واحد من النصارىٰ أن يراجع ضميره ووجدانه ، ويجلس مع نفسه جلسة مصارحة بصدق وإخلاص وعقلانية بعيدة عن العاطفة والتعصب الأجوف .. ويتساءل بينه وبين نفسه : هل هو مقتنع تمام الاقتناع بعقيدة الصلب والتثليث ؟ .. أو بأن المسيح عيسىٰ هو إلهٰ كان جنيناً خرج من رحم مريم ؟ .. أو أنه ابن الإلهٰ الأب ؟ .. ولكنني أنصح كل واحد منهم وقبل أن يجلس جلسة المصارحة مع النفس أن يقرأ نسخة من ترجمة معاني القرآن الكريم باللغة التي يتقنها .. فإن هذا الكتاب (القرآن الكريم) كان ولا يزال وإلىٰ الأبد خير قائد يقود الخلق إلىٰ الحق وإلىٰ طريق الهدىٰ، طريق السلام .. وطريق الإسلام .

إن عصب انتقادات وهجوم النصارىٰ علىٰ الإسلام ، خاصة في هذه الأيام وبعد أحداث (١١) سبتمبر في نيويورك وواشنطن ، والحرب في أفغانستان ، وتصاعد العنف في فلسطين المحتلة يتركز حول ثلاثة محاور : الجهاد ، ودعوىٰ الإرهاب ، ووضع المرأة في الإسلام .. وأحب أن أوضح الرد علىٰ هذه النقاط في شكل مختصر .

أولاً : الجهاد في الإسلام ليس كما هو في المفهوم الخاطئ للغرب المسيحي بأن يخرج المسلم من بيته لكي يقاتل ويقتل الكفار والمشركين أينما وحيثما وجدوا إذا لم يدخلوا في الإسلام! .. بل أن الجهاد في الإسلام قائم علىٰ مبدأ أساسي وهو أنه (لا إكراه في الدين) .. وحسب قوله تعالىٰ : { لا إِكْرَاهَ فِي الدين قَد تَبينَ الرشْدُ مِنَ الغَي فَمَن يَكْفُرْ بِالطاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الوُثْقَىٰ لا انفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } ٢٥٦- البقرة ... وأيضاً قوله تعالىٰ: {وَلَوْ شَاءَ رَبكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْض كُلهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ الناسَ حَتىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ- وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلا بِإِذْنِ اللهِ وَيَجْعَلُ الرجْسَ عَلَىٰ الذِينَ لا يَعْقِلُونَ } ٩٩/١٠٠ - يونس .. كما أنه ليس مفهوم

الجهاد محصور في معنى القتال .. فالجهاد يشمل مجاهدة النفس عن المعاصي ، ومجاهدة النفس بالصبر على الابتلاء، ومجاهدة النفس لأداء العبادات والطاعات وحسن التعامل مع ا ثم مع الناس، والمجاهدة في الخروج للدعوة في سبيل ا ، وهذه بالذات قيدها ربنا جل وعلا بأسس وشروط للقيام بها فقال عز من قائل : { ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ } ١٢٥- النحل .. ثم أخيراً المجاهدة في قتال المعتدين سواءً كانوا من الكافرين والمشركين أو من المنافقين والمفسدين في الأرض .. وقد فصل لنا ربنا جل وعلا في آيات بينات محور الجهاد في القتال على أسس محددة بتجنب الاعتداء، وذلك في بضع آيات مفصلات لا تحتاج إلى تفسير ، ونبدأ بقوله تعالى : { وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ } ١٩٠ - البقرة .. ثم قوله تعالى : { فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ } ١٩٤- البقرة .. ثم فصل ربنا عز وجل أسباب الجهاد بالقتال في سبيل ا في حالات الاعتداء من الكافرين الذين يخرجوننا من ديارنا ويحتلوا أرضنا كما يصنع بنوا إسرائيل اليوم في فلسطين ، فقال تعالى : { أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ - الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ } ٣٩ /٤٠- الحج .. ثم فصل لنا عز وجل كيف نبر الذين لم يقاتلوننا ويعتدوا علينا ويخرجوننا من ديارنا من أهل الكتاب اليهود والنصارى ، فقال تعالى: { لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ } ٨ - الممتحنة.. وقال تعالى أيضاً : { وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } ٦١- الأنفال .

ثم حدد لنا عز وجل متى نقاتل المشركين كافة يعني من يعتدوا علينا ويخرجوننا من ديارنا بشكل مباشر وأيضاً الذين يساعدونهم ويدعمونهم على قتالنا وإخراجنا من ديارنا بشكل غير مباشر .. كما نرى اليوم مساعدة أمريكا لإسرائيل

ضد المسلمين بلا تحفظ فقال عز وجل: { وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً } ٣٦- التوبة.

وأخيراً أعلمنا ربنا أننا لا نضطر إلىٰ القتال إلا ونحن مكرهين بسبب من الاعتداء علينا .. وأن دعوة الجهاد والقتال ليست صفة ملازمة تتصف بها أمة الإسلام.. ولكن نمارسها إذا أُكرهنا عليها فقال تعالىٰ : { كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ } ٢١٦ - البقرة .

ثانياً : دعوىٰ الإرهاب .. الإسلام ليس دين قتال ولا إرهاب كما يدعي الغرب ضده.. بل هو دين يحمل دعوة المحبة والسلام والتسامح في الأرض ، ولقد اخطأ من فسر الآية القرآنية رقم (٦٠) من سورة الأنفال والتي دعانا فيها ربنـا إلىٰ : { وَأَعِدوا لَهُم ما اسْتَطَعْتُم من قُوةٍ وَمِن رِبَاطِ الخَيْل تُرْهِبُونَ به عَدُو اللهِ وَعَدُوكُمْ } .. إنها ليست دعوة إلىٰ الإرهاب ، بل هي في الحقيقة دعوة إلىٰ السلام وفك الاشتباكات التي تؤدي إلىٰ القتال والحروب الدامية .. فعندما يأمرنا عز وجل بالإعداد والاستعداد فهو ليس الإعداد للقتال الفعلي ، ولكن لِنُعِد جيوشنا وندربها ونؤمن لها أحدث أنواع الأسلحة ثم نقيم لها استعراضاً عسكرياً فيسمع به ويشاهده العدو المتربص بنا الذي يريد أن يعتدي علىٰ أرضنا وأرواحنا وعرضنا ، فتأخذه الرهبة ويتردد في الإقدام علىٰ الاعتداء علينا .. فلا يكون هناك قتال .. فهل هذه دعوة إلىٰ السلام أم هي دعوة إلىٰ الإرهاب والقتل ؟ .. تفكروا يا أولىٰ الألباب .

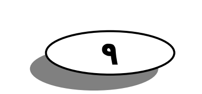
ثالثاً : وضع المرأة في الإسلام .. شرحنا في كتابنا هذا كيف أن الإسلام عند ظهوره قبـل (١٤٠٠) سنة وحتىٰ اليوم رفع من شأن المرأة وكرّمها بعد أن كانت مُهانة لا ترث بل تُورّث ، وكانوا يأدونها في مهدها خشية العار ، فجاء الإسلام فضمن لها كافة حقوقها أمام الرجل وحفظها من العبث والانحراف ، وقد عاشت المرأة بعد ذلك قروناً عديدة مُصانة مُكرمة في ظل الإسلام وتشريعات القرآن .. عاشت مطمئنة في بيتها راضية سعيدة بزوجها وأولادها .. ترىٰ قمة سعادتها في تربية أطفالها ونظافة بيتها وإعداد الطعام لزوجها وأبنائها .. عاشت محتشمة

الملبس، آمنة علىٰ شرفها وعرضها وعورتها من تلصص المتلصصين ومن تطلع العابثين .. واستمر هذا الوضع بخير حتىٰ حلت الحضارة الغربية ، حضارة (التكنولوجيا) وطمس المبادئ الأخلاقية والسلوكية وطغيان الحياة المادية علىٰ الجانب الروحي .. فجاءوا إلىٰ المرأة بدعوىٰ (الحرية .. والمساواة) حرية المرأة وتمردها علىٰ الحياء والعفة والشرف ، ومساواتها قالوا (بالرجل)؟!. (رغم أن هذا الافتراض يعتبر مستحيلاً لما فطر ا عليه الخالق وميّز به سبحانه بين الذكر والأنثىٰ من فوارق (فيزيائية) و (سيكولوجية) لكي يؤدي كل واحد منهما في الحياة الدور الذي هو مؤهل له من قبل الخالق العظيم) .

وخدعوها وقالوا لها : ما الفرق بينك وبين الرجل اخرجي وطالبي بالحرية والمساواة.. تمردي علىٰ هذا السجن الذي أنت فيه .. أخرجي من بيتك للعمل .. وتخلصي من هذا الحجاب، وانشري شعرك .. وتخلي عن هذا الرداء الطويل ، واكشفي الستر عن ساقيك وفخذيك ، وأظهري مفاتن صدرك وأبرزيه للناظرين ، وتحرري من كل تلك القيود الأخلاقية البالية .. وقالوا لها : اخرجي واختلطي بالرجال وتعلمي كل العلوم لتحسني تربية أولادك ، ولتجيدي إدارة شئون بيتك .. فخرجت وتعلمت كل شيء إلا كيف أن تربي أولادها ، ولا كيف تعد الطعام لزوجها وأطفالها ، ولا كيف تدير شئون بيتها .. فتهدم البيت علىٰ ساكنيه ، وتحطمت أواصر العائلة ، وضاع الأولاد والبنات ، وتعالت الزوجة علىٰ زوجها ، واستغنت عنه .. فهي تعمل كما هو يعمل ، وهي تصرف علىٰ البيت من دخلها كما يصرف هو من دخله .. فاختلف الطرفان وانتهيا إلىٰ الانفصال .. وعاشت المرأة باقي عمرها وحدها دون زوج .. فمن يكون البديل ؟؟ .. وهذا هو الحال الحاصل اليوم في دول الغرب بعامة .. فأين هي كرامة المرأة لدىٰ الغرب ؟ .

أدعوكم إلىٰ مواصلة قراءة فصول كتابي هذا فهو يبين لكم الأبيض والأسود ، الغث والسمين ، الضلال والهداية فيما بين مبادئ الإسلام السمحة ومبادئ الغرب الفاسدة .

وبما أن هذا الكتاب خصص ليكون كتاباً دعوياً في سبيل ا تعالىٰ .. فإنني أسمح لأي جهة أو أشخاص يرغبون في المزيد من نشره وتوزيعه بأي لغة



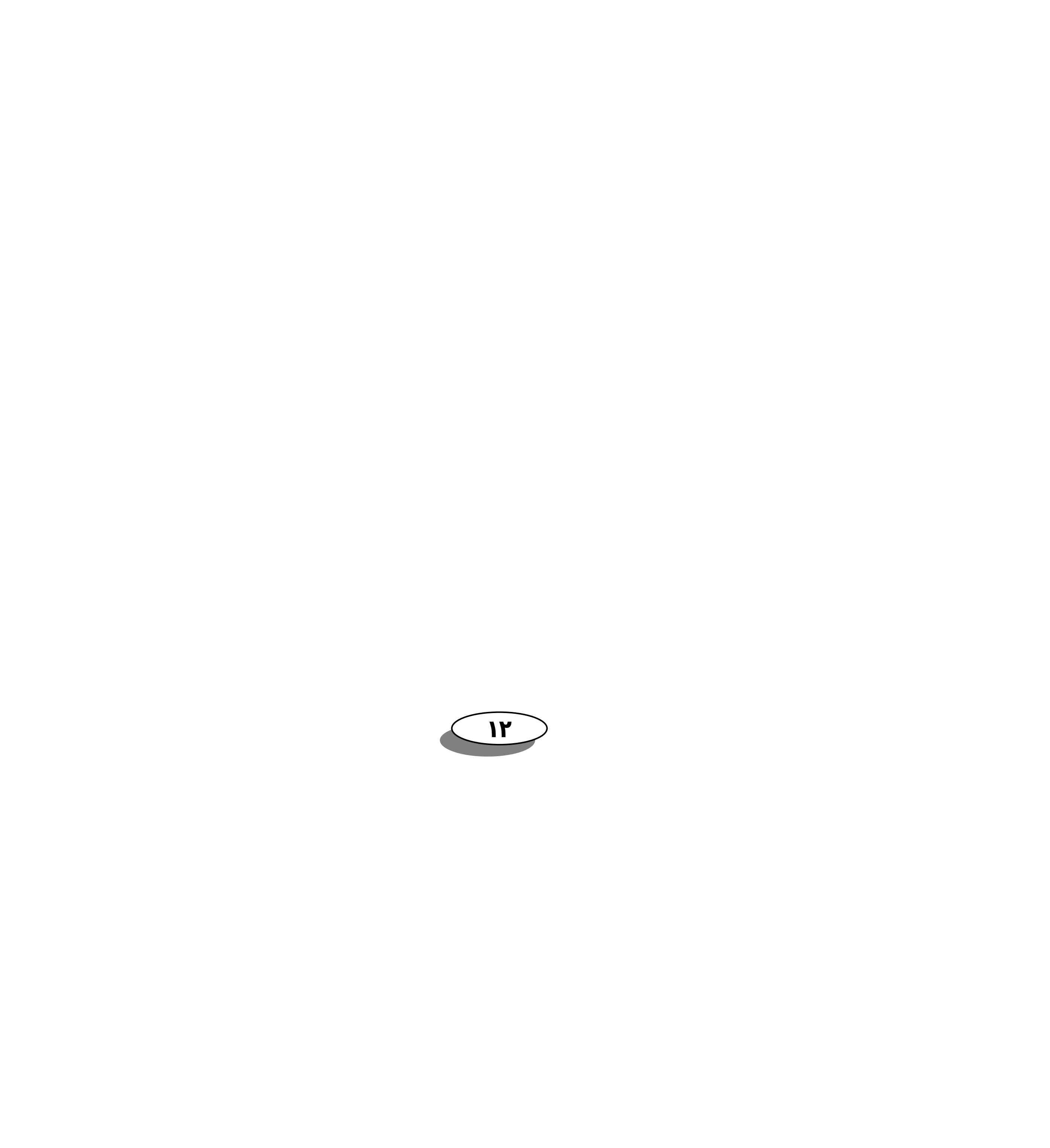
أن يعيدوا طبعه وتوزيعه مجاناً أو عرضه بأي لغة علىٰ شاشات شبكة (الإنترنت) .. مع الاحتفاظ بكل عناصره كاملة دون زيادة أو حذف أو تبديل .. وا تعالىٰ ولي التوفيق ..

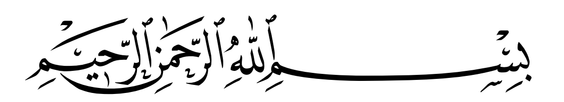
والحمد رب العالمين والصلاة والسلام علىٰ خير البرية الحبيب محمد وعلىٰ إلهٰ وصحبه أجمعين ...

المؤلف



(من هو ا ؟)





الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير الورى محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

((من هو الله ؟))

أحبتي في الله .. إلى كل من أراد الله تعالى له أن يهتدي إليه ويخرجه من الظلمات إلى النور.. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

تعالوا معي نلج برفق في شعاع من أشعة هذا النور الرباني الذي قال المولى عز وجل في كتابه الكريم { **اللهُ نُورُ السمَوَاتِ وَالأرْض مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ المِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزجَاجَةُ كَأَنها كَوْكَبٌ دُري يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيةٍ وَلاَ غَرْبِيةٍ يَكَادُ زَيْتها يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلناسِ وَاللهُ بِكُل شَيْءٍ عَلِيمٌ**} النور : ٣٥ .

تعالوا معي ندلف برفق نتعرف على الله .. على هذا الإله العظيم القدر .. الفائق القدرات.. وفي محاولتنا هذه المتواضعة لكي نتعرف على الله . فمهما قلنا ومهما وصفنا .. ومهما حاولنا .. فلن نوفيه حقه تعالى وهو سبحانه القائل: { **وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَق قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبضَته يَوْمَ القِيَامَةِ وَالسمَوَاتُ مَطْوِياتٌ بِيَمِينه سُبْحَانه وَتَعَالَى عَما يُشْرِكُونَ**} الزمر : ٦٧ .

تعالوا معي نقترب برفق نتعرف على خالقنا العظيم ولا نجادل .. لأنه سبحانه شديد المحَال.. وهو سبحانه القائل : { **هُوَ الذِي يُرِيكُمُ البَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً وَيُنشِئُ السحَابَ الثقَالَ- وَيُسَبحُ الرعْدُ بِحَمْدِهِ وَالمَلائِكَةُ مِنْ خِيفَته وَيُرْسِلُ الصوَاعِقَ فَيُصِيبُ بها مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللهِ**

وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ} الرعد:١٢.

ولكي لا نجادل في محاولتنا هذه للتعرف علىٰ ا .. نتعرف أولاً علىٰ خلق ا في السمٰوات والأرض وفي أنفسنا .. فنعرف من هو ا الخالق العظيم .. أو كما قال جل وعلا : { إِن فِي خَلْقِ السمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَيْلِ وَالنهارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ الذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكرُونَ فِي خَلْقِ السمَوَاتِ وَالأَرْضِ} آل عمران : ١٩٠ - ١٩١ .. ثم نقول كما علّمنا سبحانه : { رَبنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النارِ} .. ولكن البعض منا لا يحاول التعرف عليه سبحانه ولا يوفيه حقه .. وَلا يُقَدِرَه حَقَ قَدْرَهَ .. ويظنه شيء بسيط أمر ربنا .. وما هو بالشيء البسيط أمر ربنا .. فما أعظم ربنا وما أجل قدره .. ويحصل من البعض منا إذا دخل علىٰ ملك من ملوك الأرض أو رئيس دولة من دولها .. دخل وهو تتجلىٰ عليه كل مظاهر الأدب والسكينة .. وتغمره رهبةً عند مواجهة ذلك الملك أو المسئول الكبير من الخلق .. فتراه خافضاً بصره إلىٰ الأرض .. يسير إليه في هدوء .. وبخطوات محسوبة لكي لا تُقربه خطواته مسافة لا ينبغي عليه أن يتجاوزها بينه وبين ذلك المسئول .. حتىٰ إذا وقف أمامه مباشرة أو كما يقولون بين يديه ، تجده يكاد تصطك ركبتيه ترجف رهبة وخوفاً .

أما إذا وقف ذلك الشخص في الصلاة قائماً بين يدي الإلهٰ الخالق العظيم عز وجل وهو سبحانه مالك الملك الذي بيده ملكوت كل شيء .. مُبدع الكون الذي يسجد له كل ملوك الأرض وملائكة السماء وجميع الخلق من الجن والإنس والحيوان والنبات والجماد يسجدون جميعهم له تعالىٰ خاضعين خاشعين مُسَلمين { أَلَمْ تَرَ أَن اللهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ وَالشمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشجَرُ وَالدوَاب وَكَثِيرٌ منَ الناسِ وَكَثِيرٌ حَق عَلَيْهِ العَذَابُ وَمَن يُهِن اللهُ فَمَا لَهُ مِن مكْرِمٍ إِن اللهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ } الحج : ١٨.. إذا وقف ذلك الشخص في الصلاة بين يدي ا وقف بغير خشوع ولا

رهبة ولا سكينة .. تجده كثير الحركة يطلق بصره إلىٰ الأعلىٰ أو إلىٰ الأمام ويتلفت يميناً ويساراً .. يعبث بردائه تارة أو يُطقطق أصابع يديه تارة أخرىٰ .. وإذا انتابه تثاؤب فتح فاه إلىٰ أقصاه ولم يضع كفه عليه تأدباً وخشوعاً وهو قائم بين يدي الخالق العظيم .. وإذا ما انتهت الصلاة انفلت منها مُسرعاً كأنه لم يُصدّق أنه تخلص منها .. فذلك كله يحدث منه لأنه لم يعرف قدر ربه .. وما أجهل ابن آدم بجلال ا وعظمته وقدرته وكبريائه وجبروته .. فما بالنا لا نُبالي عظمة ربنا .. لاهون غير مُكترثين لعظمته تعالىٰ ولا نرجوا له سبحانه وقاراً .. حتىٰ يلومنا المولىٰ عز وجل في كتابه الكريم فيقول لنا : { مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلهِ وَقَاراً } نوح : ١٣ .

نريد أن نستهل رحلتنا هذه سويا في التعرف علىٰ ا بسرد بعض الظواهر الإيمانية الدالة عليه وعلىٰ عظيم سلطانه وعلو مكانه :

★ إن أي واحد منا جرّب تربية الأغنام في مزرعته أو في فناء داره فقد مر به مشهد النعجة الحامل عندما تضع وليدها وحال نزوله من بطن أُمه إلىٰ الأرض وهو أعمىٰ لا يرىٰ بعد شيئاً .. وبمجرد أن يقف علىٰ أرجله ويقوىٰ علىٰ السير وهو يتمايل في مشيه وتتشابك أرجله في بعضها البعض فيسير في غير توازن ..

: إلىٰ أين يتجه ؟

: يتجه إلىٰ ثدي أمه ويناطح بفمه في ثديها باحثاً عن الحلمة حتىٰ إذا وقع عليها عض فيها ورضع من لبن أمه في نهم ونشوة .

ثم تتداعىٰ الأسئلة في أذهاننا لمن أراد أن يتبصر ..

: من الذي دل وليد النعجة وهو أعمىٰ بعد نزوله بدقائق من بطن أمه دله طريقه إلىٰ ثديها؟.

: كيف أدرك أن هذا الثدي إنما هو يخصه وحده وفيه طعامه من لبن أمه ؟

: هل تعلم وتدرب علىٰ ذلك وهو في ظلمات ثلاث داخل رحم أمه ؟ .

: ثم تأتي الإجابة .. إنما هي عظمة الخالق وفطرته التي فطر الخلق عليها .

★ مشهد آخر .. هذه النحلة : منذ أن تخرج من يرقتها ويقوي جناحيها على الطيران فإنها تُبادر إلى العمل مع جماعات النحل بجد وهمةٍ ومُثابرة ونشاط لتبني أولاً قرص الشمع في أشكال سُداسية هندسية دقيقة الصنع والمقاييس غاية في الدقة .. ثم تبدأ في الطيران جماعات مئات الأميال كل يوم تجمع الرحيق من آلاف الزهور .. وفي طريق العودة إلى قرص الشمع يبدأ المعمل الكيميائي في داخل بطنها لتحويل رحيق الزهور إلى عسل مصفى مُختلف ألوانه .. فما أن تصل النحلة إلى قرص الشمع حتى يكون الإنتاج قد بلغ ذروته من العسل المصفى الذي تقوم بإفراغه داخل الفجوات السداسية الشكل .. وما أن تنتهي من إفراغ حمولتها حتى تعود أدراجها إلى مشوار آخر لإحضار المزيد .. وهي تفعل كل ذلك تسخيراً من المولى العليم الحكيم لأنها بالطبع غير مستفيدة من هذا العسل الذي تفني عمرها كله في إنتاجه .. وإنما هي خرجت من يرقتها وهي تَحِسُ أنها خُلقت مُسخَّرةً من خالقها العظيم الذي فطرها لهذا العمل لكي يستمتع الإنسان الجاحد نعمة ربه يستمتع بهذا الطعام الشهي اللذيذ الذي فيه شفاء له .. ومصداق قوله تعالى .. { وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَىٰ النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ - ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ } النحل : ٦٨ - ٦٩ .

: كيف تعلمت النحلة بناء قرص الشمع في هذه الأشكال الهندسية الدقيقة الصنع ؟ .

: من ذا الذي دل النحلة إلى أنها بعد جمع الرحيق من الزهور تعود وتُفرغه عسلا شهياً في داخل فجوات الشمع السُداسية الشكل ؟؟ .

: إنما هي عظمة الخالق الذي أوحى إليها والذي أبدع كل شيء خلقه وفطرته التي فطر الخلق عليها .

★ مشهد آخر .. ومن آيات الجمال الرباني في هذا الكون الذي أبدعه صانع الجمال .. جمال الشكل .. جمال اللون .. جمال المنظر في لوحات رائعة رسمتها

وشكلتها في أروع ألوانها يد الفن الإلهي .. انظر إلىٰ الورود والأزهار علىٰ مختلف أشكالها وألوانها من بديع صنع الخالق .. ترىٰ لوحات رائعة مصداق قوله تعالىٰ :

{ أَمَنْ خَلَقَ السمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم منَ السمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا به حَدَائِقَ ذَاتَ بهجَةٍ ما كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا } النمل : ٦٠ .. انظر إلىٰ طائر الطاووس وعندما يفرد ريش ذيله في دائرة مروحية الشكل ترىٰ أجمل لوحات الفن الإلهي في أجمل وأرق الألوان المتناسقة تناسقاً بديعاً .. لوحة تتمنىٰ أن يظل الطاووس يعرضها أمامك لأطول وقت ممكن لكي تستمتع بالنظر إليها من جمالها .. انظر إلىٰ الفراشات الكبيرة الحجم وإلىٰ اللوحات الفنية المرسومة علىٰ أجنحتها والغنية بأروع وأجمل الأشكال والألوان في تناسق بديع .. فإنك ترىٰ لوحات فنية رسمتها يد الخالق العظيم التي يعجز عن رسم أمثالها أشهر وأعظم فناني ورسامي العصور السابقة واللاحقة ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا .. (قرأنا في الصحف منذ سنوات عن لوحة قديمة اسمها .. أزهار السوسن .. رسمها الرسام الهولندي الشهير (فان جوخ) بيعت في المزاد بلندن بمبلغ (٥٣) مليون جنيه إسترليني أي ما يعادل (٨٩) مليون دولار أمريكي في ذلك الوقت .. وهذه اللوحة رسمها جوخ وهو جالس في حقل مزروع بهذه الزهور .. هذا ما نقله جوخ بريشته علىٰ القماش فأخذت لوحته كل تلك الشهرة .. فكيف باللوحة الطبيعية التي أبدعتها يد الخالق العظيم والتي نقل عنها جوخ لرسم لوحته ؟) .. ضربنا مثلا فقط بلوحة جوخ ولكن ديننا الإسلامي لا يُقر مثل هذه التصرفات بأن يشتري شخص ما لوحة مرسومة علىٰ قماش بمثل ذلك المبلغ الباهظ لأن ذلك من باب السرف والسفه والتبذير .. والمبذرين كانوا إخوان الشياطين .. ولأن مثل هذا المبلغ كان بالإمكان أن يُنشئ منه صاحبه عشرة مصانع يعمل فيها عدة آلاف من العمال ينتجوا أشياءً صالحة ومُباحة ثم يُنفقوا من دخولها علىٰ عشرات الآلاف من العوائل والأطفال .. .

★ ومشهد آخر { وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ للْمُوقِنِينَ - وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ } ؟ .. الذاريات : ٢٠ - ٢١ .

.. ومن آيات عظمة الخالق التي تدل علىٰ وجوده وهيمنته وسيطرته علىٰ دقائق هذا الكون الفسيح الذي يحتوي السمٰوات والأرض بما فيهن من مجرات

مُتباعِدة - وكل مجرة تحتوي على ملايين من المجموعات الشمسية المشابهة لمجموعتنا الشمسية من شمس وكواكب وأقمار .. ورغم أنه تعالى أخبرنا في كتابه الكريم بأن خلق السموات والأرض أكبر من خلق أنفسنا إلا أنه تعالى جَدُّ ربنا دلنا على أن أقرب طريقة لنتيقن من معرفته وعظمته وجلاله وإبداعه في خلقه بأن ننظر في خلق أنفسنا ونتبصر .. فإذا توصلنا إلى دقائق صُنعِهِ في خلقنا وَجِلتْ قلوبنا لجلال ا وخشعت أنفسنا لعظمته تعالى .. ويقول المولى القدير : { يَا أَيُّهَا الإنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الكَرِيمِ - الذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ - فِي أَيِّ صُورَةٍ ما شَاءَ رَكَّبَكَ } الانفطار : ٦ - ٨ .. فننظر ونتبصر في خلق أنفسنا وفي أهمية ووظيفة كل عضو وجزء من أجسامنا التي عليهم تسير حياتنا منذ ولادتنا وحتى اليوم فسنرى عجباً .. ونتعجب أكثر عندما نتساءل كيف تَخلَّقت فينا كل هذه الأعضاء والأجزاء ونحن كنا أجنة في بطون أمهاتنا في ظلمات ثلاث مصداق قوله تعالى : { يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمهَاتِكُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لَهُ المُلْكُ لا إلهَ إلا هُوَ فَأَنىٰ تُصْرَفُونَ }
الزمر:٦ .. وهذه الظلمات الثلاث كما اكتشفها العلم الحديث .. الأولى هي ظلمة الغشاء الذي يحتوي منذ البداية النطفة ثم العلقة ثم المضغة ثم العظام ثم تطور الجنين في كل مراحله حتى الولادة وهي (المشيمة) .. والثانية هي ظلمة جدار الرحم .. والثالثة هي ظلمة الطبقة الخارجية لبطن الأم؟ ..

: كيف تخلقت الخلايا من النطفة ثم استمرت عملية انقسامها وتكاثرها في هذه الظلمات لكي يتخلق منها الهيكل العظمي والرأس والأذنين والعينين والأنف والفم واللسان .. والمخ .. والقلب .. والمعدة .. والرئتين .. والكبد .. والكليتين .. واليدين .. والرجلين؟..

وتعالوا معي ننظر في كيفية تركيب وعمل بعض هذه الأعضاء والأجزاء التي ذكرناها .. فإذا نظرنا إلى العينين بكل ما فيهما من تعقيدات وكيف تشكلّت وتخلقّت داخل ظلام الرحم متكونة من دم الأم الذي تغذي به الجنين فتكونت من هذه الدماء حِزَمٌ بصرية دقيقة داخل شبكية تتألف من ملايين المخاريط البصرية المتصلة بالمخ لتحقيق وترجمة ما يقع أمام عدسة العين من أضواء تُبيِّنْ الأشكال والأبعاد

والألوان إلىٰ صور واضحة إلىٰ المخ بشكل يفوق أعظم الكاميرات التليفزيونية بدون أدنىٰ مقارنة علىٰ الإطلاق .. مما يعني أنه لو اجتمع علماء البصريات كلهم في العالم واستخدموا أحدث مخترعاتهم في مجال صناعة الكاميرات والبصريات من الأجهزة العلمية الحديثة والمتطورة لهذه الصناعة ما استطاعوا إنتاج كاميرا تلفزيونية واحدة تضاهي ربع ما للعين البشرية التي خلقها الله من إمكانات فائقة وتعقيدات مُعجزة ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا .. بينما خلق الله تعالىٰ هذه العين بكل تركيباتها المعقدة داخل ظلمات حالكة عالما سبحانه بما سيئول إليه أمر هاتين العينين بعد خروجهما إلىٰ الضوء وقوانينه وأبعاده .. وكيف ستتسع البؤبؤة تلقائياً عندما تواجه ضوءاً خافتاً .. وكيف ستضيق وتصغر عندما تواجه ضوءاً حاداً وباهراً .. فلا نملك إلا أن نقول سبحان ربنا الخالق العظيم .

وهكذا خلق الله تعالىٰ الرئتين والجهاز التنفسي لدىٰ الجنين في رحم أمه.. وهو في تلك المرحلة من التخلّق لم يكن يحتاج إلىٰ التنفس ولم يتدرب عليه .. ولكن الخالق العظيم يعلم أن ذلك الجنين سيحتاج إلىٰ ذلك الجهاز التنفسي بإلحاح فور خروجه إلىٰ الحياة حين يكون الهواء مُحيط به من كل جانب فيتنفس وإلا أصيب بالاختناق فيموت .. بينما لم يكن يتنفس بواسطته وهو داخل رحم أمه ولم يُصب بالاختناق .. مُعجزة من المعجزات الكثيرة للخالق العظيم سبحانه .. وكذلك البصر حينما سيجد الأضواء مواجهة له فيرىٰ .. وكذلك الأذنين حينما تتردد ذبذبات وأمواج الأصوات من حوله فيسمع .. ويعلم المولىٰ عز وجل أن هذا الجنين وهو في رحم أمه أنه سيكون في أمس الحاجة إلىٰ كل تلك الأجهزة المعقدة التركيب البالغة الدقة والاتزان في أداء وظائفها حال خروجه من هذا الرحم ومواجهة الحياة فجهزه بها وهو يتخلق في رحم أمه لا يعلم شيئاً .. وهكذا قال المولىٰ عز وجل في كتابه الكريم { **هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ** } النجم : ٣٢ .

وإذا نظرنا إلىٰ قلب الإنسان نتعجب من عمله الدؤوب .. ولا نتعجب من أمر الله القادر علىٰ كل شيء .. فهذا القلب أو هذه المضخة العجيبة التي تضخ الدم إلىٰ سائر الجسم بمعدل (٧٠) دفقة في الدقيقة وبشكل مستمر من غير توقف ولا

ملل ولا كلل مدىٰ حياة الإنسان ، فإذا حسبنا افتراضاً شخص عمره سبعون عاماً فهذا معناه أن القلب يكون قد نبض خلالها (2,475,440,000) ألفين وأربعمائة وخمسة وسبعون مليون وأربعمائة وأربعون ألف نبضه .. وذلك في شكل مستمر ليضخ الدم عبر أوردة وشرايين وشعيرات دموية في الجسم تبلغ أطوالها آلاف الأميال .. ولو اخترع علماء الأرض اليوم مضخة بديلة حتىٰ وإن عملت بالطاقة النووية لكي تنبض وتضخ بشكل مستمر سبعون عاماً لا يمكنها الاستمرار في العمل دون أن يُصيبها خلل أو عطب فيقوموا بإصلاحه .. فنقول سبحان الله ربنا الخالق العظيم في لطيف إبداعه.

وإذا نظرنا إلىٰ تكوين ووظائف مخ الإنسان نرىٰ عجباً ونذهل ولا نفيق من ذهولنا لهذه المعجزة الكبرىٰ من خلق الله تعالىٰ .. ففي هذا الموقع من رأس الإنسان خلق الله المخ مكون من عدة أقسام - قسم للذاكرة - وقسم للتبصر والتفكير واتخاذ القرارات - وقسم للتحكم وتنظيم عمل أعضاء وأجهزة الجسم كاملة - وقسم لترجمة كل ما يصل إلىٰ المخ من الحواس الخمس ، السمع من الأذنين ، والبصر من العينين ، والشم من الأنف ، والتذوق من اللسان ، واللمس من كافة بشرة الجسم الخارجية .. ويحتوي مخ الإنسان علىٰ مليارات من الخلايا الثابتة التي لا تموت ولا تتغير ولا تتبخر مثل باقي خلايا أعضاء وأقسام جسم الإنسان التي تتجدد باستمرار بدوام التغذية المكتملة العناصر .. وهذه الخلايا الثابتة في مخ الإنسان لا تتلف ولا تموت إلا إذا مات الإنسان أو إذا أصابها مرض يتلف الخلايا .. أو أنها تَبْلىٰ تلقائياً مع تقدم العمر في الطاعنين بالسن مثلما يحدث في القسم الخاص بالذاكرة التي يكثر تلفها مع تقدم العمر فيبدأ الإنسان بضعف الذاكرة ويستمر هكذا حتىٰ يفقدها كلية وهو ما يسمونه حالياً بمرض (الزهايمر) لدىٰ كبار السن .. وقد أوضحها لنا خالقنا العظيم في موقعين من القرآن في قوله تعالىٰ من سورتي النحل والحج : { **وَاللهُ خَلَقَكُمْ ثُم يَتَوَفاكُمْ وَمِنكُم من يُرَد إِلىٰ أَرْذَلِ العُمُرِ لِكَيْ لا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً إِن اللهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ** } النحل:٧٠ .. وفي قوله تعالىٰ : { **يَا أَيهَا الناسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ منَ البَعْثِ فَإِنا خَلَقْنَاكُم من تُرَابٍ ثُمّ مِن نطْفَةٍ ثُم مِنْ عَلَقَةٍ ثُمّ مِن مضْغَةٍ مخَلقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلقَةٍ لنُبَينَ لَكُمْ وَنُقِر فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلىٰ أَجَلٍ مسَمىٰ ثُم نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُم**

لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً } الحج:٥ .. وهكذا مَنْ تبدأ خلايا الذاكرة لديه في التلف يرجع لا يعلم من بعد علم شيئا .. أي يفقد كل ما خزنته ذاكرته من علوم ومعارف وذكريات .. وقد اعترف أحد مصممي العقول الإليكترونية (الكمبيوتر) حينما اكتشف بالدراسة والبحث الدقيق في كيفية عمل ذاكرة الإنسان وعمل مقارنة بين قدراتها وقدرات ذاكرة أضخم جهاز كمبيوتر في العالم من حيث الإمكانيات والتقنيات التي تمكنه من إنجاز ملايين العمليات الحسابية في الدقيقة الواحدة وهو الجهاز المركب في (البنتاجون) أي وزارة الدفاع الأمريكية فوجد أنه لا يساوي في قدراته التقنية ربع ما لذاكرة مخ إنسان واحد متوسط الذكاء من قدرات وإمكانيات .. فإنك وبقدرة وإبداع الخالق العظيم وأنت في سن الأربعين تستطيع في لحظة واحدة أن تستدعي من ذاكرتك صورة حادثة وقعت لك أو أمام عينيك منذ الطفولة فستحضر ذاكرتك في مخيلتك مشهد الحادثة بالصوت والصورة وكأنك ترىٰ أشخاصها بألوان ملابسهم وتسمع أصواتهم في مُخَيّلتك تماماً كما حدثت قبل ثلاثين عاماً .. وَلنُقرب مثلاً أكثر تفصيلاً عن ذلك .. إنني الآن وعند كتابة هذه الرسالة أبلغ من العمر الستين عاماً وأُريد وفي هذه اللحظة أن اسْتَدْعي من ذاكرتي مشهد حادثة وقعت لي منذ أيام طفولتي عندما كنت في حوالي الثانية عشر .. وها أنذا أصف المشهد كما أتخيله سريعاً :- .. (كنت أمتطي دراجة هوائية من عجلتين وأهبط بها سريعا علىٰ شارع مسفلت ينحدر من جبل وأحببت أن أمارس لعبة حفظ توازني علىٰ الدراجة بحيث أرفع يداي من علىٰ مقود الدراجة وأجلس علىٰ مقعدي متربعاً رافعاً رجلاي من علىٰ البدالات حيث أن الدراجة كانت تنحدر وحدها مسرعة من الأعلىٰ إلىٰ الأسفل بدون تشغيل البدالات.. وبسطت يداي كجناحي الطير مستمتعاً وكأنني أطير في الهواء وفجأة اختل توازني وماجت بي الدراجة ومالت وهي مسرعة ولم أستدرك السيطرة عليها فسقطت بي علىٰ الإسفلت وسحبتني معها عدة أمتار فتخدش وجهي وذراعاي علىٰ الأسفلت وسالت منهم الدماء وأصيبت رجلاي وقدماي برضوض ولم أستطيع القيام حتىٰ جاءت سيارة مارة بالصدفة بداخلها ثلاث من الشباب توقفوا واطمأنوا عليّ وطيبوا خاطري بكلمات مواساة ثم حملوني معهم في سيارتهم إلىٰ المستشفىٰ لعمل الإسعافات الأولية .. تذكرت تلك الحادثة فجأة عندما استدعيتها من الذاكرة فَاسْتَحْضَرتها إليّ في نفس اللحظة وتخيلت الحادثة وكأنني أشاهدها تواً أمام عيني

وأسمع أصوات من اشتركوا فيها معي .. أتذكر لون دراجتي الحمراء .. وأتذكر لون ونُوع السيارة التي توقفت لإسعافي وأتذكر وجوه الشباب الثلاثة الذين أسعفوني .. وأتذكر كلمات المواساة التي طمأنوني بها علىٰ سلامتي وهم يقولون لي : لا تخف ولا تجزع فأنت والحمد بخير وكأنني أسمع للتو أصواتهم) .

: فهل يوجد حتىٰ اليوم جهاز كمبيوتر يُخَزن في ذاكرته معلومات وأحداث مصورة بالفيديو .. ملايين الأحداث والمشاهد منذ عشرات السنين ثم في لحظة واحدة تستدعي منه أن يعرض أمامك علىٰ شاشته حادثة خُزِنَتْ في ذاكرته منذ أربعين عاماً ، وقد تراكمت عليها من بعدها مئات الآلاف من التسجيلات من الأحداث والمشاهد ؟ .. لا .. ولم يوجد حتىٰ اليوم مثل هذا العقل الإليكتروني الذي يستحضرها لك في لحظة . ، ذلك لأنه يحتاج منك أولاً أن تُزَوِدُهُ بالرموز الكافية ومفتاح الدخول علىٰ الذاكرة .. فيقوم بعملية البحث التي تستغرق منه عدة ثوان حتىٰ يستحضرها لك ، كما لا يستطيع أن ينتقل بك من مشهد إلىٰ ثان وقع في زمن آخر بنفس السرعة التي يعمل بها العقل البشري .. كما أنه لا يستطيع أن يُفكر لك ويُعطيك القرارات الصحيحة بنفس السرعة التي يفكر بها عقلك ، ولا يستطيع في نفس الوقت أن يخترع لك جهازاً آلياً أو إليكترونياً بينما العقل البشري هو الذي اخترعه (أي جهاز الكمبيوتر نفسه) وهذا مما يدل علىٰ تفوقه عليه .. كما لا يستطيع أن يستشعر لك حواسك من حولك ، فإذا برد جو المكان فيُسرع ويقول لك : ارتدي ملابس ثقيلة لأن الجو بارد قبل أن تخرج إلىٰ الشارع .. بينما العقل أو المخ البشري يقوم في وقت واحد بكل هذه الوظائف في سرعة عجيبة وكما شرحنا عبر أقسامه التي سبق وعددناها وهم : قسم الذاكرة ، وقسم التفكير واتخاذ القرارات ، وقسم تنظيـم عمل أعضاء الجسم ، وقسم ترجمة ما يصل إليه من الحواس الخمسة .. فلا نملك إلا أن نُسلمَ بقدرة وعظمة الخالق العظيم والمبدع والمعجز في خلقه ربنا جل وعلا شأنه ونقول : سبحانك ربنا جلَّتْ عظمتُكَ وقدرتك عما يشركون .. ولو أننا أردنا استعراض معجزات وقدرات وإمكانيات ووظائف وفوائد باقي أعضاء الجسم البشري فإن ذلك لن يسعه مجلدات ضخمة ولا تفي أو كما قال المولىٰ عز وجل : { وَإِن تَعُدوا نِعْمَتَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا إِن الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفارٌ } إبراهيم : ٣٤ .

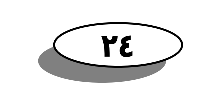
ونستعرض هنا مسألة أخرىٰ توضح مدىٰ التحدي في إعجاز خالق ا تعالىٰ أمام محاولات إبداعات البشر مما علمهم ا .. البشر الذين ظنوا في العصور الأخيرة وبالاكتشافات الحديثة التي اكتشفوها والاختراعات العديدة التي اخترعوها وصعودهم إلىٰ الفضاء فظنوا أنهم قد بلغوا الشيء الكثير من العلم ، وبعضهم لا يُرجع الفضل في هذه العلوم والاكتشافات والاختراعات إلىٰ العليم القدير الذي علم الإنسان ما لم يعلم بل يُرجع الفضل فيها إلىٰ ذكائه المظلم وغطرسته .. ورغم ذلك فقد أخبرهم الحكيم العليم في كتابه الكريم قائلاً لهم .. : { **وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلا قَلِيلاً** } .

ونستعرض الآن هذه المسألة الأخرىٰ .. إن أحدث تقنيات العلوم الحديثة التي اخترعوها وزوّدوا بها الطائرات الحربية المقاتلة وآخر ما توصلت إليه إبداعاتهم هو تزويد هذه الطائرات بجهاز رادار مزدوج يجري التحكم فيه بواسطة الكمبيوتر يُمكنْ الطائرة وهي في الجو من إرسال موجات رادارية تصطدم بالموجات الصادرة من رادارات الدفاعات الجوية علىٰ الأرض فتردها وتضللها .. كما يرىٰ الطيار علىٰ شاشة رادار الطائرة أي قذائف موجهة إلىٰ طائرته من الأرض أو من طائرات معادية أخرىٰ ، فيقوم جهاز الكمبيوتر آليا بإرسال موجات رادارية مضادة تُضلل اتجاه هذه القذائف وتُغيّر من مسارها وتبعدها عن الهدف المنطلقة إليه .. كما توصلوا إلىٰ أخر تقنياتهم في هذه الطائرات إلىٰ أدق ما استطاعوا إليه من تمكين الطائرة من المناورة والالتفاف يميناً ويساراً أو إلىٰ أعلىٰ أو إلىٰ أسفل وفي كافة الاتجاهات بدائرة وزاوية حادة للإفلات من رشاشات وقذائف وصواريخ الطائرات المعادية والتي تطاردها من مسافة قريبة وبشكل مباشر وفي زمن قياسي .. واعتبروا أنفسهم بهذه التقنيات العالية الدرجات قد بلغوا منتهىٰ العلم التقني .. بينما تعالوا معي لنرىٰ بماذا تحداهم رب العالمين رداً علىٰ ظنهم بتفوقهم العلمي ومباهاتهم وتفاخرهم بإبداعاتهم ومخترعاتهم الحديثة فضرب لهم مثلاً في أحقر مخلوقاته وأهونها شأناً عليهم .. وهي الذبابة .. وسوف نستعرض مقارنة بين قدرات ومؤهلات الذبابة التقنية المبثوثة فيها علىٰ الفطرة التي فطرها ا عليها .. وبين قدرات ومؤهلات أحدث طائراتهم الحربية مع مراعاة الفارق بين الحجمين .. حجم الطائرة الضخم .. وحجم الذبابة الضئيل جداً .. ولكن قبل الدخول في شرح

هذه المقارنة لنقرأ سوياً النص الذي أورده خالقنا العظيم في القرآن الكريم حيث قال عز من قائل : { يَا أَيهَا الناسُ ضُربَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لهُ إِن الذِينَ تَدْعُونَ مِن دُون اللهِ لن يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلو اجْتَمَعُوا لهُ وَإِن يَسْلُبهمُ الذبَابُ شَيْئاً لا يَسْتَنقِذُوهُ مِنه ضَعُفَ الطالِبُ وَالمَطلُوبُ - مَا قَدَرُوا اللهَ حَق قَدْرِهِ إِن اللهَ لقَوي عَزِيزٌ } الحج : ٧٣ .. سبحان خالقنا العظيم في بلاغته الفائقة وفي أسلوب وتوجيه المثل والتحدي ببضع كلمات قليلة تحمل معانٍ كثيرة لو وضعت للشرح والتفصيل لملئت مجلدات ضخمة .. والبعض منا عندما يقرأ هذه الآيات من نهاية سورة الحج يتساءل بينه وبين نفسه : لماذا عندما أراد ا أن يتحدىٰ الناس بالخلق فإنه سبحانه يضرب لهم مثلاً بالذباب كمخلوق حقير صغير بينما يوجد من خلق ا تعالىٰ من الحشرات ما هو أصغر بكثير من حجم الذبابة ولا نكاد نراه بالعين المجردة وقد جعل ا فيها روحاً وجسماً ورأساً وأعيناً وسمعاً وأيدي وأرجل تمشي بها وبعضها لها أجنحة تطير بها ؟؟ .. إذاً فلابد أن يكون في الذبابة سراً بل أسرار من إبداعات الخالق العظيم التي تضاهي وتتفوق علىٰ أعلىٰ درجات الإبداع لدىٰ المخترعين من البشر في أشياء مماثلة مع مراعاة عدم وجود الروح التي هي من أمر ا تعالىٰ .. { وَيَسْأَلُونَكَ عَن الروح قُل الروحُ مِنْ أَمْر رَبي وَمَا أُوتِيتُم منَ العِلمِ إِلا قَلِيلاً } الإسراء : ٨٥ .. وأيضاً مراعاة الفارق الشاسع في الحجم بين الاثنين .

تحدثنا فيما سبق عن قدرات وإمكانيات الطائرة الحربية في نظامي الرادار وقُدرة الطائرة علىٰ المناورة والالتفاف حول نفسها وبزاوية حادة وبسرعة قياسية .. فلننظر الآن في قدرات وإمكانيات الذبابة في هذين المجالين مع أنها تتمتع من لدُن العليم الخبير بقدرات أخرىٰ لا تتوفر في أحدث الطائرات قاطبةً .

افترض مثلاً أنك تجلس علىٰ كرسي داخل غرفة كأنها صندوق زجاجي .. فسقفها وجميع حوائطها الأربعة من حولك مصنوع من الزجاج الشفاف الصافي .. وصادف أن ذبابة تشاركك جو هذه الغرفة الزجاجية المغلقة .. فإذا وقفت الذبابة علىٰ يدك أو علىٰ طرف ثوبك وضايقتك فإنك تنشها لتطردها .. فإنها تطير وفي لمح



البصر لتقف علىٰ أقرب جسم صلب من حولك .. ولنفترض أنها وقفت علىٰ الجدار الزجاجي الذي علىٰ يمينك فتقوم وتنشها مرة أخرىٰ فإنها تطير وفي لمح البصر تنتقل لتقف علىٰ الجدار الزجاجي المقابل .. وهكذا كلما طردتها من جانب طارت ووقفت علىٰ الجانب الآخر أو علىٰ سقف الغرفة الزجاجي أيضاً .. والذبابة عندما تنشها فإنها تطير بسرعة فائقة للغاية نحو الاتجاه الذي وجدت نفسها مضطرة إلىٰ الطيران نحوه .. وهي في طيرانها تكون متوازنة تماماً مثل توازن طيران أي طائرة آلية عادية .. فأرجلها إلىٰ أسفل كما هي عجلات الطائرة إلىٰ أسفل .. ورأسها إلىٰ الأمام كما هي مُقَدمةُ الطائرة التي تحوي قمرة القيادة إلىٰ الأمام .. وذيلها إلىٰ الخلف كما هو ذيل الطائرة إلىٰ الخلف .. وجناحيها علىٰ جانبيها متوازنين كما هما جناحي الطائرة علىٰ الجانبين .. إذن فالذبابة عندما طردتها وطارت بهذه السرعة الفائقة ورأسها إلىٰ الأمام والاتجاه الذي طارت إليه هو عبارة عن لوح زجاجي شفاف يشف من ورائه منظر السماء والشمس والأشجار والمنازل .. إذن فالذبابة ستطير وهي علىٰ تلك السرعة الفائقة متجهة إلىٰ الأشجار التي تُرىٰ من خلف الزجاج .. ولكنها فجأة ستجد نفسها مرتطمة برأسها قبل جسدها في الجدار الزجاجي فتسقط علىٰ الأرض مصابة بالدوار نتيجة الصدمة المريعة التي تلقتها في رأسها من لوح الزجاج (كما نرىٰ في أفلام الكرتون للأطفال) .. ولكن هل هذا هو الذي يحدث فعلاً للذبابة إذا تعرضت لذلك الموقف ؟ .. بالطبع لا .. لأنها فجأة وهي أسرع من لمحة أبصارنا سنجدها واقفة علىٰ اللوح الزجاجي مُلتصقة بأرجلها علىٰ سطحه ورأسها بخير .. فإذا طردتها من وقفتها هذه طارت إلىٰ الجانب الآخر ووقفت علىٰ أرجلها مثل المرة السابقة .. وهكذا دونما أي خطأ في حسابات توازنها وهي طائرة واستشعارها بكل ما حولها من أجسام ..

: ونتساءل : كيف يحدث ذلك ؟ ..

: لماذا الذبابة كلما فوجئت بجدار أو جسم صلب وهي متجهة إليه بسرعة فائقة فلا يرتطم به رأسها بل فجأة وبأقصىٰ سرعة تهبط عليه بأرجلها كما تهبط المركبة الفضائية علىٰ سطح القمر التي تطير إلىٰ اتجاه سطحه برأسها المُدَبَبْ الذي هو مُقَدمة الكبسولة الفضائية ولكن قبل أن تلامس سطح القمر بعدة أمتار ولكي لا ترتطم به فتتحطم فإنها تُخفِضُ من سرعتها وتستدير لِتُحَول قاعدتها في اتجاه سطح

القمر ثم تفرد سيقانها الآلية وتهبط عليه عمودياً ببطء وسلام .

وهذا هو عين ما تفعله الذبابة عند اقترابها من أي سطح صلب أثناء طيرانها فبدلاً من أن ترتطم به برأسها فإنها تهبط عليه علىٰ أرجلها .. ولكن شتان بين سرعة المركبة الفضائية عند هبوطها علىٰ سطح القمر وبين سرعة الذبابة عند هبوطها علىٰ أي سطح صلب ولا مقارنة البتة بين السرعتين لأن سرعة الدوران المفاجئ للذبابة من الاتجاه الرأسي إلىٰ الهبوط العمودي علىٰ أرجلها تفعله بسرعة تُقدر بجزء من خمسمائة جزء من الثانية الواحدة .. فسبحان الخالق العظيم .

ويبقىٰ التساؤل الثاني .. وهو : كيف أدركت الذبابة أن الجدار الزجاجي الذي أمامها هو جسم صلب وليس فراغاً شفافاً يؤدي إلىٰ السماء والشجر والمنازل التي تُرىٰ من خلفه فلا ترتطم به ؟؟ .. هذا هو بيت القصيد في المقارنة بين جهاز الرادار في الطائرة الحربية المقاتلة وبين الجهاز الراداري الذي أودعه الخالق العظيم في الذبابة الذي يجعلها تستشعرُ وهي بهذه السرعة الفائقة في جزء من خمسمائة جزء من الثانية أن أمامها جسم صلب فتُوقِفُ من طيرانها وقوفاً تاماً ومفاجئاً ثم تدور بجسمها لكي تهبط عليه بأرجلها وليس ترتطم به برأسها .. ولذلك لا مقارنة البتة بين قدرات جهاز الرادار لدىٰ الذبابة وبين سرعة وقدرات جهاز الرادار لدىٰ الطائرة الحربية بعد مراعاة الفارق الشاسع في الحجم بين الاثنين .

: فمن زرع هذا الجهاز الراداري العجيب الفائق السرعة الخارق المفعول في رأس هذه الحشرة الصغيرة الحقيرة القْدْر والمْهينَةُ أمرها علىٰ بني البشر ؟؟ ..

- إنه ربنا الخالق المبدع الذي أحسن كل شيء خلقه وخلق الإنسان من طين .. سبحانه وتعالىٰ عما يشركون .

والمقارنة الثانية بين الذبابة والطائرة هي إمكانيات وقدرات المناورة والالتفاف السريع .. وقد سبق وأن قلنا أنهم أي المخترعين للطائرة المقاتلة استطاعوا في آخر تقنياتهم في مجال صناعة الطائرات تمكين الطائرة من القدرة علىٰ المناورة والدوران يميناً ويساراً أو إلىٰ الأعلىٰ أو إلىٰ الأسفل وفي كافة الاتجاهات بدائرة ذات زاوية حادة للإفلات من رشاشات ومدافع وصواريخ الطائرات المعادية التي تطاردها من مسافة قريبة وبشكل مباشر وفي زمن قياسي .. وأصعب

صور هذه المناورات هي أن يكون الطيار خلفه طائرة معادية تطارده فيقوم بالانحراف يميناً أو يساراً بزاوية منقبضة حادة وهو علىٰ سرعة فائقة وخطيرة ولكي يجعل طائرته وفي ثوان قليلة تطير فجأة في الاتجاه المعاكس أي أنها كانت تطير في اتجاه الشرق فيجعلها فجأة تطير إلىٰ الاتجاه المعاكس من الشرق إلىٰ الغرب .. ولكي تتمكن الطائرة من تحقيق هذه المناورة للطيران السريع إلىٰ الاتجاه المعاكس فإنها تستغرق في أحدث الطائرات أكثر من سبعة ثوان ولا تستطيع أن تغلق زاوية انحرافها أقل من (٣٠) درجة .. بينما الذبابة تستطيع القيام بهذه المناورة في جزء من (٢٥٠) جزء من الثانية وبزاوية منقبضة لا تزيد عن (٧) درجات .. ونحن يمكننا وبالعين المجردة مشاهدة وملاحظة هذه المناورة من الذبابة بشكلها العام ونضرب علىٰ ذلك مثلاً .. فحين نطرد ذبابة كانت تقف علىٰ حافة صحن يحوي طعاماً فإنها تذهب بعيداً لمسافة مترين أو ثلاثة أمتار وفجأة نراها عائدة في الاتجاه المعاكس لكي تنقض علىٰ الصحن مرة أخرىٰ ويتم ذلك بسرعة خاطفة إلىٰ درجة أننا قد نتخيلها تطير برأسين وفي الاتجاهين في وقت واحد (مثل عربة الترام التي تسير في الاتجاهين دون الحاجة إلىٰ الدوران لأن في كل طرف منها غرفة قيادة تقودها إلىٰ الأمام).

: فهل بلغ ببني البشر وبكل ما توصلوا إليه من علم عَلّمهُم ا إياه أن يصنعوا في الطائرة من القدرات والإمكانيات التقنية التي تجعلها تنافس قدرات وإمكانيات الذبابة التي وضعها ا فيها بعلمه وقدرته ؟ ..

والإجابة بالطبع (لا) .. هذا عدا عن استحالة وجه المقارنة بين حجم الاثنتين .. فالطائرة يبلغ حجمها عدة مليارات حجم الذبابة ورغم ذلك وضع فيها العليم القدير كل هذه الأسرار والمعجزات الأمر الذي جعل سبحانه يتحدىٰ بها بني الإنسان حتىٰ ولو اجتمع كل من في الأرض من علمائها ومفكريها وكان بعضهم لبعض ظهيرا .. وإن تسلبهم الذبابة شيئاً لا يستنقذوه منها ضعف الطالب والمطلوب فما قدروا ا حق قدره وهو سبحانه القوي العزيز .

والآن ضمن مشوارنا المتواضع لنتعرف علىٰ ا .. هذا الإلهٰ الخالق المُبدع العظيم الذي لم نوفيه حقه من التقدير ولن نقدر .

نأتي إلىٰ أكبر ثم أصغر معجزاته في خلقه تعالىٰ ابتداءً من أصغر شيء في هذا الكون وكيف يكون وإلىٰ أكبر شيء في هذا الكون ولا يكون لأنه مهما كَبُرَ ومهما عَظُمَ فا أكبر وأعظم من كل شيء خلقه .. يقول المولىٰ عز وجل : { لَخَلْقُ السمَوَاتِ وَالأَرْض أَكْبَرُ مِنْ خَلْق الناس وَلَكِن أَكْثَرَ الناس لا يَعْلَمُونَ } غافر:٥٧ .. فإننا وكما أخبرنا ربنا خُلِقْنا من طين .. والطين مكون من تراب وماء .. والتراب مكون من ذرات .. والماء مكون من ذرات .. والهواء أيضاً مكون من ذرات .. وهكذا نعلم أن الكون كله مكون من ذرات .

: فما هي الذرة ؟ ..

نحن لم نَرَ الذرة حتىٰ اليوم بالعين المجردة .. ولم نرها حتىٰ تحت عدسات أكبر مجهر صنعه الإنسان (الميكروسكوب) وذلك لصغر حجمها البالغ الدقة .. ورغم ذلك وبعدما اكتشفناه ضمن أبحاث الذرة .. وبعدما توصلنا إليه من قوانين ونظريات حول تركيب الذرة الغير منظورة.. وبعدما فَجرَ الأمريكان أول قنبلة ذرية فوق مدينة هيروشيما في اليابان وأنهوا بها الحرب العالمية الثانية توصلنا وقتها إلىٰ أن الذرة التي لا تُرىٰ بأكبر مجهر هي ليست أصغر شيء في خلق ا تعالى.

: فما هو شكل الذرة وتركيبها وطريقة عملها ؟ .. وما هو الشيء الذي بداخلها وهو أصغر منها ؟ ..

الذرة هي جسم لطيف شفاف علىٰ شكل بَلّورَة صغيرة تشبه فُقاعة الصابون يدور في داخلها جُسيْمات ألطف وأصغر وأدق في محاور ومدارات فلكية مختلفة حول النواة التي تتوسط الذرة وهي شحنات كهربائية مُوجبة من عناصر سماها العلماء اليوم بالنيوترون والبروتون .. وتقع هذه النواة في وسط مركز الذرة ويدور حولها جُسَيَمات لطيفة كهربائية سالبة سموها الإليكترونات ، ويُشكَلُ الجميع في دورانه حول النواة وعلىٰ أبعاد تعتبر شاسعة بالنسبة إلىٰ حجمها مُكونة جميعها ما يشبه مجموعة شمسية مُصغرة في نظام فلكي عجيب مُنَسّقْ لا يتصادم بعضه ببعض.. ويبقىٰ مُعظم حجم فُقاعة الذرة فراغاً كما هو الحال في المجموعة الشمسية

.. وهذه الذرة والنواة التي بداخلها وهي أصغر منها بكثير والتي لم يكتشفها علماء ألمانيا وأمريكا إلا منذ خمسون عاماً فقط ، ذكرها الرسول الأمي محمد صلىٰ ا عليه وسلم الذي لا يقرأ ولا يكتب .. ذكرها منذ (١٤٠٠) عام مضت في ذلك الوقت الذي لم يكن فيه علماء ذرة ولا أجهزة قياس للذرة .. نزلت عليه في القرآن الكريم لِيُخْبِرُنَا رَبنا جل وعلا عن الذرة والأصغر منها في قوله تعالىٰ : { وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنه مِن قُرْآنٍ وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلا كُنا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن ربكَ مِن مثْقَال ذَرةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السمَاءِ وَلا أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلا فِي كِتَابٍ مبِينٍ } يونس : ٦١ .. سبحانه ربنا حقا الذي أخبرنا عن مثقال الذرة والأصغر منها ثم وجدنا ذلك الشيء الأصغر في النواة التي بداخل الذرة وفي الأجسام التي تدور حولها في نظام فلكي دقيق وعجيب (ولا تعجب من أمر ا) .. سبحانه المهيمن علىٰ دقائق هذا الكون الفسيح إلىٰ ما لا نهاية والصغير إلىٰ أبعد حدود الصغَر .. حتىٰ أننا إذا ذهبنا إلىٰ أي مختبر علمي لنشاهد تحت المجهر ما يحدث داخل قطرة ماء مأخوذة من مُستنقع راكد فسنرىٰ العجب ونُذْهَلُ ونحن نشاهد حركة سكان لعالم متكامل داخل هذه القطرة من الماء.. سنرىٰ حيوانات وخلايا بالغة الحد الأدنىٰ من الصغر عددها بالآلاف وبالملايين تتحرك وتتغذىٰ وتتوالد في انقسامات سريعة .. ونتبصر في الذرة والحركة الفلكية الدائرة بداخلها رغم صغر حجمها الذي لم يُرىٰ حتىٰ بالمجهر ثم نرفع أبصارنا إلىٰ السماء إلىٰ ذلك العالم الأكبر في تكوينه وحجمه وسعته من النجوم والمجرات والكواكب السابحة فيه بنظام غاية في الدقة والإعجاز .. فلا نملك إلا أن يغمرنا الإحساس بعظمة خالق هذه الأكوان والمُهيمن والمُسيطر عليها .

ثم ننتقل من الذرة والأصغر منها إلىٰ الأرض التي نعيش عليها .. وهي كما نعرفها كروية الشكل ويعيش عليها بلايين من الجن والإنس والأنعام والأسماك والطيور .. إن هذه الأرض التي لا نكاد نرىٰ حدوداً لها وبكل ما عليها من جبال وبحار وصحاري وسهول وجنات وأنهارا هي في حجمها بين السمٰوات السبع ما هي إلاّ وكأنها قطرة ماء في البحر المحيط .. قطرة ماء أو ربما أقل.. وإذا أردنا أن نضع تصوراً آخراً لحجم الأرض في هذا الكون الفسيح الذي يزخر ببلايين المجرات

والكواكب والنجوم .. فنتخيل مثلاً هذا الكون الفسيح هو في حجم إستاد رياضي فإن الأرض تكاد تكون داخل فراغ هذا الإستاد مثل ذرة صغيرة تسبح في فضائه لا نراها بالعين المجردة من شدة صغرها ودقة حجمها .

انظر يا ابن آدم إلىٰ حقارة حجم الأرض التي تعيش عليها بين ملكوت السمٰوات والأرض واتعظ .. وأنت تظن أن فيها نعيمك وسعادتك وملايينك وقصورك وحدائقك .. وَتَذكَّر قول المصطفىٰ صلىٰ ا عليه وسلم حين قال : (لو كانت الدنيا تساوي عند ا جناح بعوضة ما سقىٰ كافراً منها شَرْبَةَ ماء) .

والواقع أن الأرض هي كوكب يسبح في الفضاء الكوني .. وهي تدور في فلك محددٌ لها حول الشمس ضمن ثمانية كواكب أخرىٰ تُشكلُ ما يُسمىٰ بالمجموعة الشمسية .. وحجم الشمس يُعادل اكثر من مليون ضعف حجم الأرض .. والمسافة بين الأرض والشمس تزيد قليلاً عن (١٤٩) مليون كيلو مترا .. والأعجب من ذلك كله أن هذه المجموعة الشمسية ما هي إلا واحدةً من آلاف وملايين المجموعات الشمسية الأخرىٰ التي تزخر بها ما يُسمىٰ بالمجرّة .. والأكثر عجباً في عظمة خلق ا تعالىٰ جلّت قُدرته هو أن منظومة الكون في السمٰوات السبع تحتوي ملايين المجرّات المشابهة لمجرتنا التي تضم مجموعتنا الشمسية وكل مجرة تضم أيضاً آلاف وملايين المجموعات الشمسية ، ولكن لا نعلم عنها ولا ندري عن سكانها شيئاً .. ذلك لأن المسافات بين مجرتنا وبين تلك المجرات وبين كل مجرة وأخرىٰ هي مسافات شاسعة مهولة لا يُدْرِكُهَا عقل بشري في تصوره لكل تلك الأبعاد والمسافات .. وعندما حاول علماء اليوم حساب هذه المسافات اتفقوا علىٰ تعيين وحدة قياس تعارفوا عليها سموّها (السنة الضوئية) ..

: فما هي هذه السنة الضوئية ؟ .. نحن نعرف السنة الهجرية والتي هي في الأصل هي السنة القمرية ، ونعرف السنة الميلادية ، والتي هي في الأصل هي السنة الشمسية ،: فما هي هذه السنة الضوئية ؟ ..

: لكي يتوصل العلماء إلىٰ حساب عدد الكيلومترات للمسافات البعيدة والمهولة بين الكواكب والنجوم والمجرات ، ولاستحالة النطق بها أو حتىٰ كتابتها لكثرة الأرقام التي يتوجب عليهم أن يسطروها علىٰ الورق ، ولكي يذكروا لنا مثلاً مقدار المسافة

بين مجموعتنا الشمسية وأي مجموعة شمسية أخرىٰ داخل مجرتنا التي أطلقوا عليها اسم (درب اللّبانة) .. أو بين نجم ونجم آخر أو بين مجرة ومجرة أخرىٰ .. فإنهم بدأوا بقياس السرعة للمسافة التي يقطعها ضوء الشمس عندما تُشرق علىٰ طرفٍ أو جزءٍ من أطراف زوايا الأرض ، ... فوجدوا أن ضوئها يقطع مسافـة (٣٠٠) ألف كم في الثانية الواحدة ، فضربوا ذلك الرقم في (٦٠) ثانية ثم ضربوا الناتج في (٦٠) دقيقة ، ثم الناتج في (٢٤) ساعة ، ثم الناتج في (٣٠) يوماً ، ثم الناتج في (١٢) شهراً ليصلوا في النهاية إلىٰ أن السنة الضوئية يقطع الضوء خلالها ما مقداره (٩٣٣١) بليون كم .. وهذه أرقام فلكية كما قلنا تستحيل علىٰ أي عقل بشري مهما بلغ من ذكاء وفطنة .. فكيف إذا علمنا أن بعض النجوم والمجرات تبعد عنا مسافات تُعد بالآلاف والملايين من السنين الضوئية ؟؟؟ .. ولكنها لا شيء البتة في حسابات الخالق العظيم جلّت قُدرته الذي خلق هذا الكون بذلك الحجم الرهيب وبتلك المسافات المَهُولة والتي هي أبعد من الخيال بين بلايين من الكواكب والنجوم والمجرات ثم يقول الحكيم العليم { وإنّا لمُوسِعُون } .. ورغم هذا الحجم الهائل والمُتسِع المسافات إلىٰ مالا نهاية له إلاّ في علم ا تعالىٰ.. فإن ذلك كله سيكون يوم القيامة في قبضة يد ا عز وجل كما قال تعالىٰ : { وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَق قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبضَته يَوْمَ القِيَامَةِ وَالسمَوَاتُ مَطْوِياتٌ بِيَمِينه سُبْحَانه وَتَعَالىٰ عَما يُشرِكُونَ } الزمر:٦٧ .. وأيضاً قوله تعالىٰ : { يَوْمَ نَطْوِي السمَاءَ كَطَي السجِل لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَولَ خَلْقٍ نعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إنا كُنا فَاعِلِينَ } الأنبياء:١٠٤ .. أي أن كل هذا الكون الهائل الحجم يكون يوم القيامة عبارة عن لفافة ورق مطوية في يد الرحمن .. ذلك في يوم يقوم فيه الروح والملائكة صفاً لا يتكلمون إلاّ مَنّ أَذِنَ له الرحمنُ وقال صوابا .. وذلك أيضاً في يوم عَنَتْ فيه الوجوه للحي القيوم وخشعتِ الأصوات فلا تسمع إلاّ همسا : لمن الملك اليوم ؟ .. فتأتي الإجابة علىٰ كل لسان .. الواحد القهار .

ثم نأتي إلىٰ مسألة أُخرىٰ وهي من الظواهر التي يعجزُ العقلُ البشري أن يُحِيطَ بها .. وهي مُعجزة الفراغ اللانهائي بلا حدود الذي يحيط بهذا الكون من

السمٰوات والأرض وما بينهما .. هذا الفراغ اللانهائي الذي تسبح فيه كافة بلايين المجرات والنجوم والكواكب في اتجاه تَوَسْعِي وانتشاري وبسرعات مَهُولة دونما توقف مثلها مثلما إذا وضعنا (ديناميت) داخل كرة صخرية وفجرّناها وهي في السماء .. فإن هذه الكرة سوف تتحول بفعل الديناميت إلىٰ شَظِيّاتٍ صغيرة وذرات أصغر مُنبثقة من أصل الكرة الصخرية ومُتناثرة في كافة الاتجاهات المعاكسة لنواة الكرة الصخرية التي كانت محفونة بالديناميت .. فإذا تَخَيلّنا استمرار انتشار تلك الشظيات والذرات المتناثرة من تأثير انفجار الصخرة وبسرعات عالية في عملية توسيع لدائرة انتشارها إلىٰ الأبد .. فنعود ونتساءل : إلىٰ أين ؟؟ .. وإلىٰ متىٰ ؟؟ .. وإلىٰ أي حدود ينتهي عندها توقف توسع وانتشار تلك الشظايا والذرات ؟؟ ..

وهذا هو عين ما يحدث علىٰ مر الزمان منذ خلق الله السمٰوات والأرض حين كانت النجوم والمجرات والكواكب كتلة واحدة ملتصقة فأحدث الله تعالىٰ فيها انفجاراً كبيراً نتج عنه تناثر وانتشار كتل من بلايين الكواكب والنجوم في الفضاء .. ثم تشكلت منها تجمعات صغيرة وكبيرة وهي ما نُعَبر عنه بالمجرات والسدم والمجموعات الشمسية آخذة في السباحة والتوسع بسرعات هائلة إلىٰ مصيرها الذي قدره لها بعلمه العليم القدير .. وستستمر في سيرها دون توقف منذ أن انشطرت من الانفجار الأول لبدء خلق السمٰوات والأرض تسبح في بحور ظلام الفراغ الكوني حيث لا يوجد ما يحد أو يُبطئُ من تقدمها وسرعتها في الفضاء شيء علىٰ الإطلاق بعدما اكتشف رواد الفضاء مؤخراً بأن أي جسم صلب يُلقىٰ به في الفراغ الفضائي الذي لا يخضع لأي جاذبية ولا يُخالطه هواء ولا رياح فإنه يستمر في السباحة والابتعاد عن القوة الدافعة التي دفعت به إلىٰ الفضاء وبسرعة تتناسب وحسب قوة الدفعة التي تَلَقَاهَا من الدافع له ويستمر هكذا في سيره وسرعته إلىٰ الأبد دون توقف ما لم يرتطم بجرم فضائي آخر أثناء تقدمه ، أو يدخل في جاذبية فلك أحد الكواكب .. ذلك لأن الفراغ أو الفضاء الكوني ليس فيه أي هواء أو غازات أو أي مؤثرات تعيق تقدم أي جسم يسبح فيه بعكس ما هو حاصل داخل غلاف الكرة الأرضية .. وهكذا نجد تفسير ذلك جاء علىٰ لسان سيد البشر - نبينا محمد صلىٰ الله عليه وسلم أُنزلت عليه قبل (١٤٠٠) سنة في آيات قرآنية يقول فيها المولىٰ جلّت عظمته { **أَوَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً**

فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ المَاءِ كُل شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ } الأنبياء:٣٠ .
وقوله تعالىٰ : { وَالسمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنا لَمُوسِعُونَ - وَالأرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ المَاهِدُونَ } الذاريات : ٤٧ - ٤٨ . .

وفي هذه القضية التي شرحناها الآن يبقىٰ السؤال الكبير والخطير الذي تحَار فيه العقول ، وتنفطر له القلوب .. وذكاء الإنسان الذي مهما بلغ من أعلىٰ درجاته العلمية يَعْجَزُ عن أن يُدرك حكمة الخالق العظيم في الإجابة علىٰ هذا السؤال .. وأكادُ أُجْزم أنا كاتب هذه الرسالة الإيمانية بعظمة الخالق أنه لو حاول إنسان مهما بلغ ذكاءه حاول البحث عن الحكمة والإجابة علىٰ هذا السؤال أو أن يصل إلىٰ حقيقته فإنه قد ينفجر دماغه قبل أن يصل إلىٰ أي إجابة .. وكما قلنا في بداية رسالتنا بأننا لا ينبغي علينا أن نُجادِلَ في الله فهو سبحانه شَدِيدُ المِحَال .. والمِحَال مَصْدَرُهَا الاستحالة التامة أو كما يقولون تعبيراً عن ذلك (من سابع المستحيلات) .. وكما قال جل وعلا :

{ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللهِ وَهُوَ شَدِيدُ المِحَال } الرعد : ١٣ .

ولذلك نحن هنا نطرح السؤال ولا نبحث عن الإجابة لأنها مُستحيلة علينا .. إنما يكفي أنها تجعلنا نشعر بأننا نَعْجَزُ عن إدراك حكمة وعظمة الخالق الذي لا نقدر أن نُوفيه حقه من الإجلال والتعظيم ولا نقدر أن نُقدرَهُ حق قدره .. والسؤال قبل طرحه يحتاج إلىٰ مُقدمَاتْ تُسَهلُ علينا فِهْمَ مغزاه .

فقلنا أن أصغر شيء في خلق الله هي الذرة والنواة والإلكترونات التي تدور داخلها كدورة فلكية .. ثم تَحّولنَا إلىٰ الكرة الأرضية التي نعيش عليها ونتخيل أو نظن أنها كبيرة ضخمة ببحارها وجبالها وسهولها وصحاريها ومبانيها وجناتها وأنهارها .. ثم نجد أن كل ذلك الموجود علىٰ الكرة الأرضية التي لو قارّنا حجمها بحجم السمٰوات لكانت أقل من ذرة لا تُرىٰ بالعين المُجردة ولا بالمجهر ضمن كواكب ونجوم ومجرات ومسافات فضائية مهولة .. ثم نتخيل أنفسنا جدلاً وإن كان ذلك مستحيلاً ولكن لتقريب مفهوم طرح السؤال الكبير .. نتخيل أنفسنا وقد امتطينا متن صاروخ مُزوّد بوقود نووي يمكننا الانطلاق به من الأرض لنعبر كل طبقات السمٰوات

السبع ، ونعبر كل ما حَوَتْ من مجرات ونجوم وكواكب لكي نكتشف آخر حدود الفضاء الكوني .. والفضاء هو الفضاء .. فإذا كان له نهاية يجب أن تكون هذه النهاية من عنصر آخر غير عنصر الفضاء الكوني .. فاستمر الصاروخ مُنطلقاً بنا بلايين السنين الضوئية لنكتشف نهاية الكون أو نهاية الفراغ الكوني الرهيب الحجم والخيالي المسافات .. فإننا سنظل نتقدم إلىٰ الأبد لا نجد نهاية حتىٰ نيأس من أن نصل إلىٰ نهاية .. ثم نتخيل جدلاً أننا وجدنا أخيراً نهاية مُلْكِ ا .. وإذا به عبارة عن جدار حديدي يُحيط بالكون من جميع جوانبه .. ولكن قبل أن نطمئن إلىٰ هذه النتيجة ونرْكَنُ إليها إذا بنا نجد أنفسنا نتساءل من جديد : إذاً ماذا سيكون وراء ذلك الجدار الحديدي .. ؟

: هل هو فراغ فضائي آخر ؟ .. أم وراءه ماءاً يمتدُ إلىٰ مسافات ببلايين السنين الضوئية ؟ .. فإذا انتهىٰ الماء فماذا بعد الماء ؟ .. هل هو فراغ فضائيٌ آخر ؟ .. أم جدار حديديٌ آخر ؟ .. ومن ثم ماذا بعد الجدار الحديدي الآخر ، والماء الآخر ، والفراغ الفضائي الآخـر ؟ .. وهكذا دواليك تتداعىٰ الأسئلة وراء بعضها البعض دون أن نعرف لهذا الكون نهاية .. ودون أن نُجيب علىٰ السؤال .. لأنه بْدِيهيٌ وحسب القوانين الطبيعية (الفيزيائية) لابد أن يكون وراء أي شيءٍ من عنصر ما شيءٌ آخر من عنصر آخر سواء كان فضاءاً أو ماءاً أو هواءً أو حديداً .

: فهل يستطيع أحد من الخلق من الجن أو الإنس أن يتصور هذا الإعجاز الإلهي الرهيب عندما يُدرك أن هذا الكون ومُلْكِ ا لا نهاية له وليس له حدود ؟؟ ..

ورغم ذلك فإن جبريل عليه السلام وبأمر من ا تعالىٰ اصطحب سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام وأركبه علىٰ البراق وعبر به تلك البلايين من السنين الضوئية وارتقىٰ به إلىٰ السماء السابعة وإلىٰ الفردوس الأعلىٰ وتجول به في السمٰوات السبع ثم عاد به إلىٰ الأرض في أقل من ليلة واحدة (ليلة الإسراء والمعراج) .. فسبحان رب العرش العظيم .

ولكننا نقرأ أحياناً عن أن بعض المُلحدين الذين يريدون أن يُشككوا المسلمين في قرآنهم الكريم فيسألونهم : كيف إذا كانت الجنة حسب القرآن عرضُها كعرض السمٰوات والأرض ، إذاً أين سيكون موقع جهنم ؟ ...

فنرد عليهم ونقول خَسِئْتُم أيها المُلحِدُون .. فإن كون ا الفسيح الذي لا نهاية له مطلقاً يَسَع ليس جنةً واحدةً عرضُها كعرض السمٰوات والأرض .. بل يسع بلايين من الجنّات ومثل ذلك من جهنم مثوىٰ لكم ولا ينتهي .. وقد أخبرنا رسولنا الكريم محمد صلىٰ ا عليه وسلم في حديث له قال فيه : (والذي نفسي بيده ما السمٰوات السبع والأرضون السبع عند الكرسي إلا كحلقة مُلقاة بأرض فَلاة وأن فضل العرش علىٰ الكرسي كفضل الفلاة علىٰ تلك الحلقة) .. وهو صلىٰ ا عليه وسلم يعني في هذا الحديث الشريف أنه في مقارنة بين حجم السمٰوات السبع والأرضون السبع مجتمعون بالنسبة إلىٰ حجم كرسي عرش الرحمن جلّ وعلا فإنهن يَكُنّ عبارة عن حلقةٌ حديد مثل الخاتم ملقاة علىٰ أرض رملية واسعة شاسعة البُعد لا يُرىٰ آخرها .. فلا مقارنة تُذكر بين حجم الاثنين الكرسي والسمٰوات والأرضون .. كما أضاف صلىٰ ا عليه وسلم في هذا الحديث مقارنة أُخرىٰ تُبيّن حجم الكرسي إلىٰ حجم عرش الرحمن فكانت المواصفات هي نفس مواصفات الحلقة الحديدية الملقاة علىٰ أرض فلاة .. سبحانه رب العزة عما يصفون وعما يشركون .. وهو سبحانه القائل في نهاية آية الكرسي :

{ وَسِعَ كُرْسِيهُ السمَوَاتِ وَالأرْضَ وَلا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُـوَ العَلِي العَظِيمُ } البقرة: ٢٥٥ .

ونتحدث الآن عن جانب آخر من جوانب قُدرة وعظمة ربنا خالقنا العظيم جلّت قُدْرته وَحَسُنَ إبداعه في خلقه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .. نتحدث عن الهيمنة .. يقول المولىٰ عز وجل : { هُوَ اللهُ الذِي لا إلهٰ إلا هُوَ المَلِكُ القُدوسُ السلامُ المُؤْمِنُ المُهَيْمِنُ } الحشر:٢٣ .. والهيمنة اصطلاحاً هي أكثر احتواءً من السيطرة .. وتعني : (العلم والإطلاع بظاهر الشيء وباطنه ، سره وعلانيته ، والتسلط والتحكم والسيطرة والمراقبة والتحريك والتفعيل والتكوين والحفظ ، واحتواء كافة جوانب الشيء المهيمن عليه احتواءً كاملاً) .

فا سبحانه كما خالق كل شيء في الكون ابتداءً من الذرة ومروراً بالملائكة والجن والإنس والحيوانات والطيور والأسماك والحشرات والزواحف والأشجار والنباتات والأرض والجبال والبحار والأنهار والسحاب والرياح والأمطار

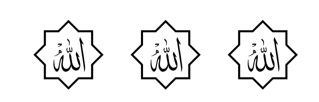
وذرات الرمال والتراب والكواكب والنجوم والمجرات .. كما خلق من كل ذلك بلايين البلايين فإنه سبحانه مُهَيْمن علىٰ كل شيء منهم ومُسيطر عليهم سيطرةً كاملة ابتداءً من حركة كل ذرة تسبح في ملكوته .. وما يجري ظاهر وباطن كل نفس خلقها ونفخ فيها من روحه في نفس اللحظة ، وفي نفس الوقت تجده سبحانه مُطَلّعٌ ومُتَابِعٌ لكل شيء خلقه .. يَرىٰ ويسمع ويعلم ويُجيب ويستجيب للمضطر إذا دعاه .. ملايين وبلايين الدعوات تتوجه إليه سبحانه وهو في نفس اللحظة يسمعها ويستجيب لها أو يَرُدَهَا { أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللطِيفُ الخَبِيرُ } الملك : ١٤ .. وكقوله تعالىٰ أيضاً { وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي البَر وَالبَحْر وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلا يَعْلَمُهَا وَلا حَبةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْض وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِس إِلا فِي كِتَابٍ مبِينٍ } الأنعام:٥٩ . وهو سبحانه مع كل واحدٍ من خلقه يعلم سره وعلانيته وهو أقرب إلينا حتىٰ من أنفسنا كما جاء في قوله تعالىٰ : { وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوسُ به نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْل الوَرِيدِ } ق : ١٦ .. وهو سبحانه تجده في وقت واحد يرىٰ ويستمع لدعاء ومناجاة كل عبد له في المسجد الحرام بمكة ويستجيب لهم كما يرىٰ ويستمع سبحانه لدعاء ومناجاة بلايين من خلقه في شتىٰ أنحاء المعمورة ويستجيب لهم كل ذلك في نفس اللحظة وذا قوله تعالىٰ : { وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَني فَإِني قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الداع إِذَا دَعَان } البقرة :١٨٦ .. وهو سبحانه معنا أينما نكون لقوله تعالىٰ : { وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ } الحديد : ٤ .. وقال لقمان الحكيم لابنه وهو يعظه كما جاء في القرآن الكريم : { يَا بُنَي إِنها إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السمَوَاتِ أَوْ فِي الأَرْض يَأْتِ بها اللهُ إِن اللهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ } لقمان : ١٦.. ثم لنسأل أنفسنا لنُدْرك إلىٰ أي قدر هو ا عظيم وأن أمر ربنا ليس بالشيء البسيط : هل في مقدور أذكىٰ وأفطن وأسرع بديهة رجل منا أن يستمع ويفكر ويُجيب مع شخصين أمامه في

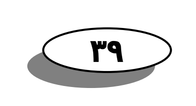
وقت واحد ؟ .. طبعاً لا يقدر أحد منا .. وكما قال المولىٰ عز وجل : { مَا جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ من قَلْبَيْن فِي جَوْفِهِ } الأحزاب:٤ .. فكيف بربنا الخالق العظيم جلّت قُدرته وهو يفعلُ ذلك ليس مع شخصين فقط وفي وقت واحد .. بل مع البلايين من خلقه وعباده بدءاً من الملائكة والجن والإنس وكل شيء خلقه ويُسبّح بحمده ولا نفقهُ تسبيحهم .. وقد شملت هيمنته وسيطرته وعلمه سبحانه عدد ما في صحاري الأرض من حَبّاتِ رملٍ .. وعدد ما في البحار كلها من قطرات ماء وعدد ما في الأشجار من ورق وعدد ما في السنابل من حب وقمح . وعدد ما في الكون كله من ذرات تسبح فيه أو تُشكلُ مادة من المواد ويعلم ما في عقول الجن والإنس وما يدور في رؤوسهم من أفكار وتخطيطات ومؤامرات وذكريات .. ويعلم ما سبق وما هو حاصل حالياً وما سيحدث مستقبلاً إلىٰ أبد الآبدين.

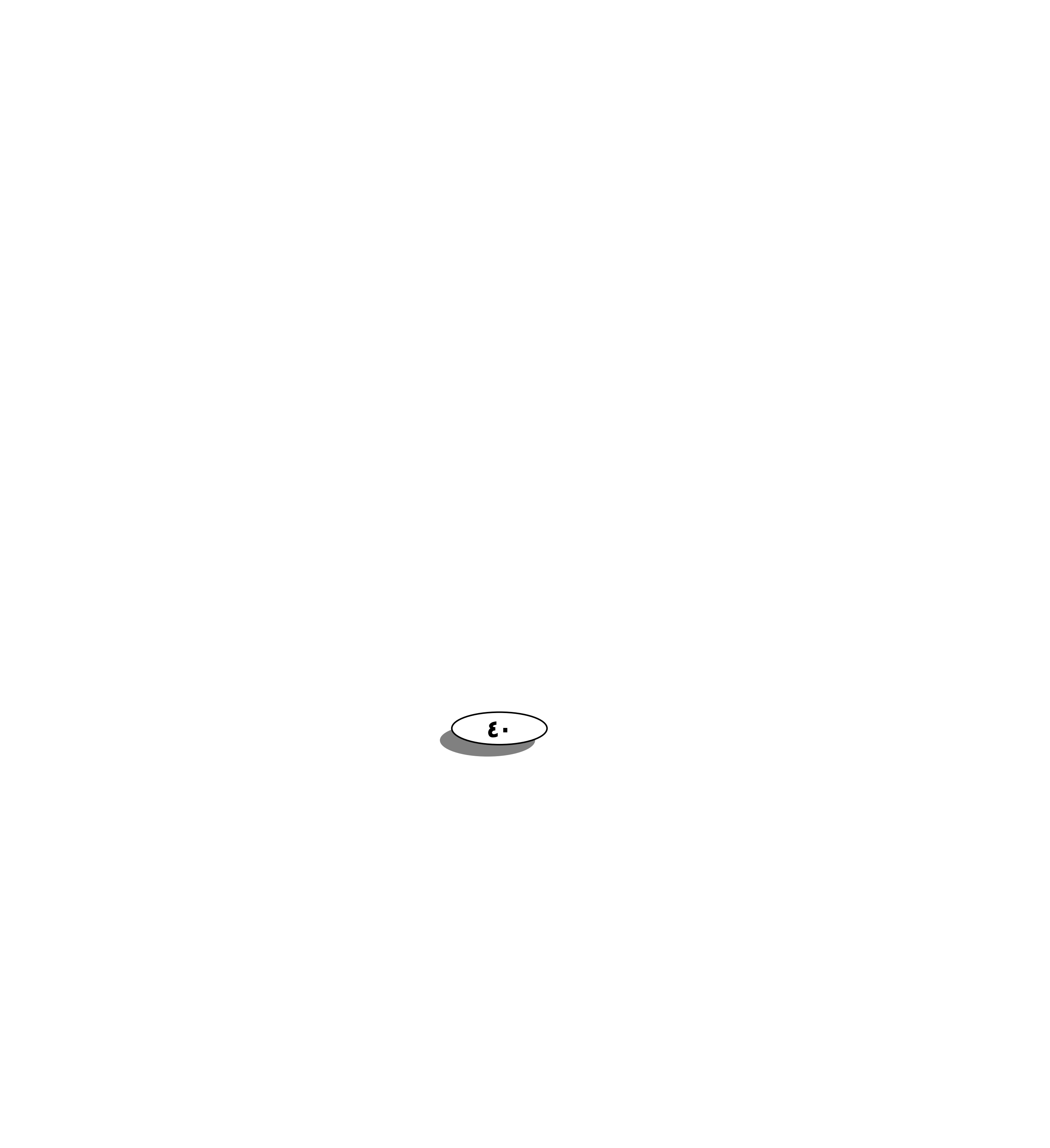
وأخيراً نقول أن اعتقادنا بقدرة وعظمة الخالق المُبدع يقوم علىٰ الإيمان .. الإيمان الصادق.. وقد آمن كثير من الناس .. فلما ذاقوا حلاوة الإيمان وجدوه في أنفسهم وفي قلوبهم وفي وجدانهم وفي كل ما هو حولهم من مخلوقات ومن ظواهر كونية غاية في الإعجاز الذي لا يَقْدِرُ أيّ عقل بشري علىٰ إدراك حكمته .. ذلك لأن هذا العالم الذي نعيش فيه والزاخر بالروائع قد بلغ من الدقة والإتقان والتوازن حداً لا يوصف من الإعجاز والتعقيد .. وسواء أردنا أم أبينا فإن جميع ما في هذا الكون يشهد بوجود الله تعالىٰ ويُدَلُّ علىٰ قُدرته وعظمته وسلطانه .. ونحن عندما نشاهد ونتابع سير هذا الكون فإننا لا نفعل أكثر من متابعة ومشاهدة آثار أيادي الخالق وعظمته وجلاله .. وقد ساعدتنا العلوم الحديثة والاكتشافات في عصرنا الحالي علىٰ زيادة فهم وتقدير بعض ظواهر هذا الكون المُعْقّدْ بما يتفق وما جاء في القرآن الكريم علىٰ لسان رسولنا محمد صلىٰ الله عليه وسلم الذي نزل عليه قبل (١٤) قرناً وهو النبي الأُميّ الذي لا يقرأ ولا يكتب .. وكما قال له المولىٰ عز وجل : { سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتىٰ يَتَبَينَ لَهُمْ أَنه الحَق أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبكَ أَنه عَلَىٰ كُل شَيْءٍ شَهيدٌ } فصلت : ٥٣ .. بلىٰ يا ربنا كفىٰ بك أنك علىٰ كل شيء شهيد .. سبحانك أنت الخالق المُبدع ما أعظم شأنك وما

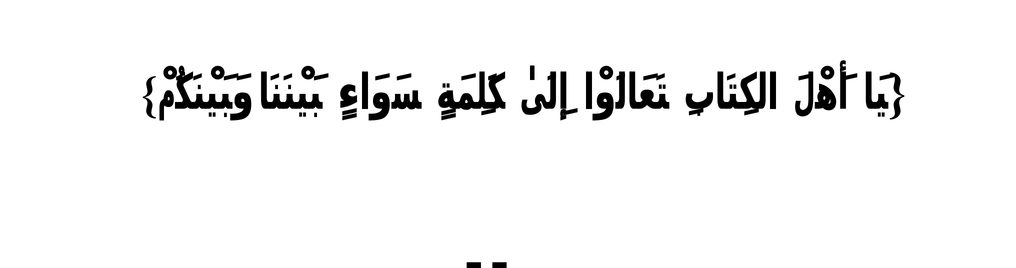
أجل قدرك.. ولكن أكثر الناس لا يُدركون ولا يعرفون مقدار عظمتك وجلالك .. وبرغم كل ذلك فيك ومنك من الجبروت والقوة والسلطان والعظمة والكبرياء فإنك سبحانك كتبت علىٰ نفسك الرحمة.. وتتقرب إلينا تُريد سعادتنا في الدارين الدنيا والآخرة .. وكلما ضللنا في الأرض خشيت علينا نارك وعذابك فأرسلت إلينا رُسُلَكَ ليهدوننا وَيرُدُونَنَا إلىٰ طريق الرشاد والفلاح .. ولكننا أحياناً نعصاك ونجحد نعمائك علينا .. فتشملنا بحلمك علينا وتُمْهلنَا لكي نتوب فتتوب علينا لأنك تشفق علينا من عذابك .. ونُخطئ ونُقَصّرُ في حقك علينا ثم نستغفرك فنجدك غفوراً رحيما .. وأنت سبحانك لا تريدُ مِنّا مالاً ولا رزقاً .. فأنت سبحانك الرزاق الكريم .. وأنت سبحانك الذي أنعمت علينا بالرزق وبالصحة والعافية وسَخرتَ لنا كل شيء في السمٰوات والأرض لخدمتنا وراحتنا وأسبغت علينا نِعمُكَ ظاهرةً وباطنةً وإن نَعد عليك نعمك لا نُحصيها لأن الإنسان منا كما وصفتنا في كتابك ظلوم كفار .. كفار بنعمك السابغة .. ورغم ذلك فإنك من واسع رحمتك علينا وعلىٰ قدر عظمتك وكبريائك وجلالك تتقّرب منا حتىٰ إذا تاب العبد منا من ذنوبه واستغفرك .. أسرعت سبحانك تفرح بتوبتنا وتغفر لنا ما كان من ذنوبنا حتىٰ وإن كانت مثل زَبد البحر وكما جاء في حديث رسولك وحبيبك محمد صلواتك وسلامك عليه : (أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان علىٰ راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه - فآيس منها - فأتىٰ شجرةً فاضطجع في ظلها وقد آيس من راحلته - فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح : اللهم أنت عبدي وأنا رَبُكَ أخطأ من شِدّةِ الفرح) .. وعنه صلىٰ ا عليه وسلم فيما يَرْويهِ عن ربه عز وجل أنه قال : (أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حيث يذكرني .. فإذا ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي .. وإذا ذكرني في ملإٍ ذكرته في ملإٍ خيراً منهم .. وإذا تقّرب إلىٰ شبراً تقرّبت إليه ذراعاً .. وإذا تقرّب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً .. وإذا أتاني يمشي أتيته هرولة) . سبحانك يا ربنا .. يا من تقرّبت منا برحمائك .. وتودّدت إلينا بحنانك .. وتَحّببت إلينا بنعمائك .. وتعرفت إلينا بآلائك .. وَجُدْتَ علينا بعطائك .. ونحن نجحد تقربك وتودّدك إلينا بعصياننا .. فما اظلمنا لأنفسنا في معرفة قدر عَلْيَائِكَ .. وما أكفرنا بنعمائك وآلائك .. وقست قلوبنا فلم

تخشع لعظمتك وجلالك .. فهي كالحجارةِ أو أشدُّ قسوةً .. وإن من الحجارة لمَا يتفجرُ منه الأنهار .. وإن منها لمَا يَشقَقُ فيخرج منه الماء .. وإن منها لمَا يهبط من خشيتك سبحانك .. ونقول في الختام : ربنا ألان قلوبنا لتخشع لجلالك .. والحمد رب العالمين ونصلي ونسلم علىٰ الهادي محمد وعلىٰ إلهٰ وصحبه أجمعين .



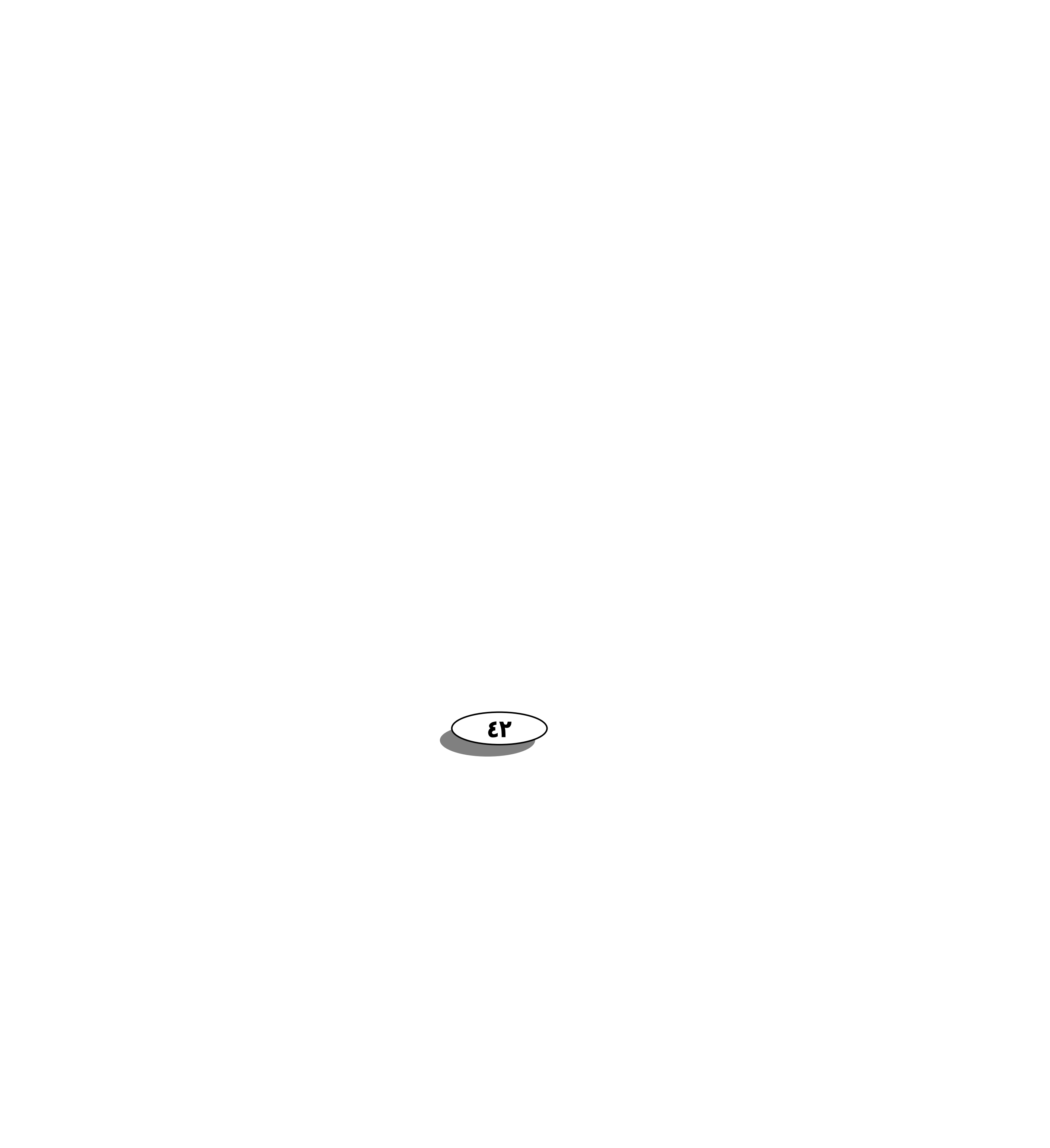


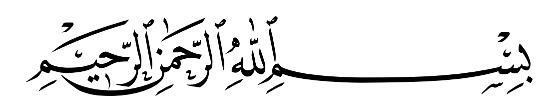




رسالة
إلىٰ أهـل الكتـاب







الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير الورى محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين

{ يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ }

ويقول ربنا وربكم الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد - يقول لنا جل وعلا في كتابه الكريم : { **وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الكِتَابِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنهمْ وَقُولُوا آمَنا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ** } العنكبوت : ٤٦ .

هذه رسالة محبة أكتبها إلى النصارى من أهل الكتاب وقد استهليتها بما بدأ به ربنا جل وعلا يخاطب نبينا محمداً صلى ا عليه وسلم في القرآن الكريم :

{ **قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلا نَعْبُدَ إِلا اللهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً** } آل عمران : ٦٤ .

....

نعم يا أهل الكتاب تعالوا نقولها لكم بإخلاص ومحبة .. نقولها لكم بصراحة ووضوح .. نقولها لكم باختصار وبساطه ، دون تعقيد ولا تحامل .. نقولها لكل واحد منكم يحمل بين حنايا رأسه عقلاً ناضجاً ، وبين ثنايا صدره قلباً مرهفاً رقيقاً معافاً من أمراض ووساوس الشيطان .

نقولها بتودد : تعالوا نحتكم إلى كلمة حق سواء بيننا وبينكم .. ونتفاهم دون بغض ولا كره ولا حقد ولا تعصب ولا تعنصر (عنصرية الجاهلية) .. فنحن كلنا أبناء آدم ، وآدم خلقه ا تعالى من تراب ... فلا تُكابروا ولا تُعاندوا على الباطل لأن مرجعنا جميعنا في النهاية إلى التراب .

تعالوا نقترب من بعضنا البعض ونتفاهم تفاهم الأصدقاء حيث كل صديق

يحب لصديقه الخير الكثير .



البداية :

البداية التي جمعت بيننا وبينكم على الحق منذ آلاف السنين كانت على الإسلام والتسليم لرب واحد لا شريك له بدعوة أبي الأنبياء والمرسلين سيدنا إبراهيم ومعه أول أبنائه إسماعيل عليهما الصلاة والتسليم إذ قالا : { رَبنَا وَاجْعَلنَا مُسْلِمَيْن لكَ وَمِن ذُريتِنَا أُمةً مسْلِمَةً لكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنكَ أَنْتَ التوابُ الرحِيمُ } البقرة : ١٢٨ .

ثم جاء التأكيد على ذلك في سياق وتتابع الآيات من سورة البقرة بما يشمل ولده الثاني إسحاق ثم ابن إسحاق يعقوب في قوله تعالى : { وَمَن يَرْغَبُ عَن ملةِ إِبْرَاهِيمَ إِلا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدنيَا وَإِنه فِي الآخِرَةِ لمِنَ الصالِحِينَ - إِذْ قَالَ لهُ رَبه أَسْلِمْ قَالَ أَسْلمْتُ لِرَب العَالمِينَ - وَوَصى بها إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِي إِن اللهَ اصْطَفَى لكُمُ الدينَ فَلا تَمُوتُن إِلا وَأَنتُم مسْلِمُونَ - أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ المَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلهَكَ وَإِلهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لهُ مُسْلِمُونَ } البقرة: ١٣٠-١٣٣.

والنهاية التي فرقت بين معتقدنا ومعتقداتكم المتعددة والمختلفة كانت دعوة إبليس اللعين ليضل بعضنا عن سبيل ا وليحرف بنا عن صراطه المستقيم .. وكما جاء في سورة الأعراف من الآية (١١) إلى (١٧) قوله تعالى : { وَلقَدْ خَلقْنَاكُمْ ثُم صَورْنَاكُمْ ثُم قُلنَا لِلمَلائِكةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلا إِبْلِيسَ لمْ يَكُن منَ الساجِدِينَ - قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ منه خَلقْتَنِي مِن نارٍ وَخَلقْته مِن طِينٍ - قَالَ فَاهْبِطْ مِنها فَمَا يَكُونُ لكَ أَن تَتَكَبرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنكَ مِنَ الصاغِرِينَ - قَالَ أَنظِرْنِي إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ- قَالَ إِنكَ مِنَ المُنظَرِينَ - قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَن لهُمْ صِرَاطَكَ

الْمُسْتَقِيمَ - ثُم لآتِيَنهم مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ }.

وتوالت الأحداث التاريخية بما أكدته الرسالات السماوية الثلاث التوراة والإنجيل والقرآن الصحيح منها وغير المحرف فكان القرآن الكريم الكتاب الذي تعهده ا تعالىٰ بحفظه غير مُحرَفٍ إلىٰ أن تقوم الساعة ، وبما سجلته أقلام المؤرخين علىٰ مدىٰ الدهور والسنين من اليهود والنصارىٰ والمسلمين .. جميعهم تحدثوا عن ذرية إبراهيم من الأنبياء والمرسلين .. فبعد أن بلغ إبراهيم من العمر عتيا أنجب إسماعيل من زوجته هاجر التي أهدتها إليه سارة وكانت قد أملكها إياها ملك مصر ، ثم أنجب إسحاق من سارة بعد أن صارت عجوز عقيم ويأست تماماً من الإنجاب فبشرها ربها بإسحاق ومن وراء إسحاق حفيدها يعقوب (إسرائيل) عليهم جميعاً الصلاة والسلام.

وبأمر من ا تعالىٰ وبسبب غيرة سارة من هاجر قبل أن يرزقها ا بإسحاق مضىٰ إبراهيم بإسماعيل وهو طفل رضيع ومعه أمه هاجر إلىٰ مكة مكان البيت العتيق وكان وادياً مهجوراً تحت هجير الشمس الحارة لا زرع فيه ولا ضرع ولا ماء ، وتركهما هناك وعاد إلىٰ الشام الأرض المقدسة ودعا دعوته المشهورة المذكورة في القرآن الكريم قال : { رَبنَا إِني أَسْكَنتُ مِن ذُريتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرمِ رَبنَا لِيُقِيمُوا الصلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً منَ الناس تَهوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم منَ الثمَرَاتِ لَعَلهُمْ يَشْكُرُونَ } إبراهيم : ٣٧ .

وهكذا استجاب ا تعالىٰ إلىٰ دعوة إبراهيم وانبثق ماء زمزم من تحت أرجل الطفل إسماعيل حين كان يبكي من الجوع والعطش ويضرب برجليه الأرض .. وهذه العين المباركة (زمزم) تتفجر ماءً طيباً صحياً فيه شفاءٌ للناس منذ آلاف السنين لا ينضب معينها ولا يقل ماؤها بل يزداد كلما ازداد عدد الشاربين والمغتسلين منها حتىٰ أننا اليوم يشرب ويغتسل منها أكثر من ثلاثة ملايين نسمة في أيام وجيزة في موسم حج كل عام وهي في ازدياد مُضطرد من فضل ا تعالىٰ وبركاته علىٰ أهل البيت وعلىٰ البيت العتيق قبلة المسلمين .

وهكذا وبجوار البيت الحرام تكّون مجتمع فاضل مسلم علىٰ ملة إبراهيم حنيفاً ، وكان نبيهم إسماعيل وتناسلت ذريته من بعده في قبيلة قريش آلاف السنين حتىٰ وُلِدَ محمد صلىٰ ا عليه وسلم في أشرف عرق من عروق قريش بمكة المكرمة من نسل إسماعيل.

أما النبي يعقوب بن إسحاق الذي كان يُلقَّبُ بإسرائيل فقد استوطن بادية سواحل الشام (فلسطين) وانجب أثنىٰ عشر ولداً آخرهم وأصغرهم سناً النبي يوسف عليه السلام الذي تآمر عليه أخوته الإحدىٰ عشر وأخذوه من أبيه بحجة أن يمرح معهم، ولكنهم كانوا قد بيتوا له وألقوه في غيابة الجب وعادوا إلىٰ أبيهم بدعوة أنه أكله الذئب ، وجاءت سيارة (قافلة متجهة من اليمن والحجاز إلىٰ مصر) لتستقي من الجب فعثروا عليه وحملوه معهم وباعوه إلىٰ عزيز مصر الذي رباه في قصره كولده حيث كان محروماً وزوجته من الإنجاب - وبعدما شب يوسف واشتد عوده في قصر العزيز بدا عليه جمال الرجولة وجمال الطلعة حتىٰ وصفنه النسوة اللاتي دعوتهن امرأة العزيز واعتدت لهن متكئاً في قصرها لمشاهدته - وصفنه بعد أن قطعن أيديهن بسكاكين الفاكهة حين رأينه أول مرة وقلن : { حَاشَ لِلهِ مَا هَذَا بَشَراً إِنْ هَذَا إِلا مَلَكٌ كَرِيمٌ } سورة يوسف: ٣١.. وباقي القصة معروفة لدىٰ المسلمين واليهود والنصارىٰ لا نختلف عليها إلا في شيء قليل .. وبعدما أصبح يوسف عزيز مصر وجاء لخوته وأمه وأباه وأقاموا عنده فيها .. هناك ومنهم تكونت اُمة بني إسرائيل (أي بني يعقوب) ومكثوا فيها سنيناً طويلة معززين طالما ظلوا علىٰ إسلامهم متمسكين بدين آبائهم إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ، يعبدون إلهاً واحداً ونحن له عابدون .

ولكن بعدما نسوا دين آبائهم ونسوا ا ربهم فنسيهم أي أبعدهم من رعايته ورحمته إلىٰ حين .. فذّلوا في مصر واستعبدهم الفراعنة والمصريون وجعلوا منهم الخدم والسخرة في الأعمال الدنيا وقتّلوا أطفالهم واستحيوا نساءهم ، وحسبما خاطبهم رب العزة والجلال في القرآن الكريم يصف حالهم المأساوي الذي كانوا يعانون منه في مصر قبل مولد موسىٰ عليه الصلاة والسلام ، فقال تعالىٰ : {وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ العَذَابِ يُذَبحُونَ أَبْنَاءَكُمْ

وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاءٌ من ربكُمْ عَظِيمٌ } البقرة : ٤٩ .

وفي تلك الحقبة من الزمان وهم في قمة معاناتهم من الذل وُلِدَ موسىٰ في ظروف عجيبة وصعبة جاء ذكرها في كل الكتب السماوية الثلاث التوراة والإنجيل والقرآن مع وجود بعض الاختلافات الهامشية بسبب التحريفات التي أحدثوها أحبار اليهود وأساقفة النصارىٰ فيما سموهما العهد القديم (التوراة) والعهد الجديد (الإنجيل) .. وهرب موسىٰ من مصر إلىٰ سيناء وتزوج هناك وأثناء عودته إلىٰ مصر وتحت جبل الطور تلقىٰ رسالة النبوة وكلمه ربه وأرسله وأخاه هارون إلىٰ فرعون مصر يدعوانه إلىٰ الإسلام ... فأبىٰ فرعون وكفر .. فخرج موسىٰ بقومه بني إسرائيل من مصر إلىٰ سيناء وكانوا أثنى عشر سِبْطاً كل فرقة منهم تُشكل ذرية سبط من أسباط أبناء يعقوب (إسرائيل) وهم يوسف وأخوته .

وفي سيناء وبعد مرحلة من الشتات والتيه لبني إسرائيل بسبب عصيانهم المتكرر لنبيهم موسىٰ عليه السلام استقروا في فلسطين وتوالت عليهم أنبياء بني إسرائيل بعضهم سماهم القرآن الكريم أمثال : داوود وسليمان وأيوب ويونس وزكريا ويحيىٰ .. وبعضهم لم يسميهم القرآن حتىٰ وُلِدَ آخر أنبياء بني إسرائيل من مريم العذراء وهو المسيح عيسىٰ عليه الصلاة والسلام .

وبعد وفاة موسىٰ انتشر بنو إسرائيل في الجزيرة العربية وكانت أكثر هجراتهم إلىٰ الحجاز واليمن .

وكانت أخطاء ومشاكل بنو إسرائيل تتمثل في الآتي :-

١- عصيانهم المتكرر لموسىٰ مما سبب لهم اللعنة وغضب الإلهٰ عليهم وكما ورد عن ذلك في العديد من المواقع من سور القرآن الكريم نذكر منهـا قولـه تعالىٰ : { وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُم اتخَذْتُمُ العِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ } البقرة :٥١.. و { وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لن نؤْمِنَ لَكَ حَتىٰ نَرَىٰ اللهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ} البقرة : ٥٥ .. و { وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِـرَدَةً خَاسِئِينَ } البقرة:٦٥ .. و{ لُعِنَ الذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَان

دَاوُودَ وَعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ - كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَن منكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ }.

٢- تحريفهم للتوراة بما يتوافق مع أهوائهم ورغباتهم وأطماعهم الخرافية في الأرض .. وقال تعالىٰ : { أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ منهمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللهِ ثُم يُحَرفُونه مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلمُونَ} البقرة : ٧٥ .. وقوله تعالىٰ : { فَوَيْلٌ للذِينَ يَكْتُبُونَ الكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُم يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللهِ لِيَشْتَرُوا به ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لهُم مما كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لهُم مما يَكْسِبُونَ } البقرة : ٧٩ .

٣- قتلهم الأنبياء وكما جاء في القرآن الكريم قوله تعالىٰ : { وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذلةُ وَالمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ ذَلِكَ بِأَنهمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَـاتِ الـلـهِ وَيَقْتُلُونَ النبِيينَ بِغَيْرِ الحَق ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ } البقرة : ٦١ .

وقوله تعالىٰ أيضاً : { وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الكِتَابَ وَقَفيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ البينَاتِ وَأَيدْنَاهُ بِرُوحِ القُدُسِ أَفَكُلمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تهوَىٰ أَنفُسُـكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ - وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لعَنهمُ اللهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً ما يُؤْمِنُونَ } البقرة : ٨٧-٨٨ .

٤- ادعائهم أنهم شعب ا المختار وأنهم أبناءُ ا وأحبائه - وأن ا ما خلق الجنة إلا لهم وللنصارىٰ من بعدهم - وحتىٰ إذا دخلوا النار بذنوبهم فلن يمكثوا فيها إلا أياماً معدودة - ونظرتهم إلىٰ باقي شعوب الأرض من بني الإنسان من غير اليهود والنصارىٰ علىٰ أنهم طبقة سفلىٰ من طبقات الخدم ولذلك يحل لهم دماءهم وأموالهم سواء كان ذلك بالسلب أو النهب أو الاحتيال .. وهكذا جاء في القرآن الكريم ربنا سبحانه وتعالىٰ يصف أحوالهم ويرد

عليهم في قوله تعالىٰ : { وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِباؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ ممنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذبُ مَن يَشَاءُ وَلِلهِ مُلْكُ السمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنهمَا وَإِلَيْهِ المَصِيرُ} المائدة : ١٨ .. وقوله تعالىٰ : { قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدارُ الآخِرَةُ عِندَ اللهِ خَالِصَةً من دُونِ الناسِ فَتَمَنوُا المَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ - وَلَن يَتَمَنوْهُ أَبَداً بِمَا قَدمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظالِمِينَ} البقرة:٩٤- ٩٥.

وهذه هي كانت نهاية جريرة بنو إسرائيل التي جلبت عليهم اللعنة وغضب الرب إلىٰ يوم الدين رغم أنهم نسل وذرية أنبياء الله ، وجدهم الأعلىٰ إبراهيم عليه الصلاة والسلام أبو الأنبياء.. إلا من تاب منهم وآمن وعمل صالحاً فإن الله تواب رحيم، وكما قال المولىٰ عز وجل في كتابه الكريم : { إِن الذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ البَينَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيناهُ لِلناسِ فِي الكِتَابِ أُوْلَئِكَ يَلعَنهمُ اللهُ وَيَلعَنهمُ اللاعِنُونَ - إِلا الذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَينُوا فَأُوْلَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التوابُ الرحِيم - إِن الذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفارٌ أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللهِ وَالمَلائِكَةِ وَالناسِ أَجْمَعِينَ - خَالِدِينَ فِيهَا لا يُخَففُ عَنهمُ العَذَابُ وَلا هُمْ يُنظَرُونَ- وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الرحْمَنُ الرحِيمُ } البقرة : ١٥٩ - ١٦٣.

إن سبب كفر بني إسرائيل الأساسي هو إنكارهم لرسالة نبي العالمين محمد صلىٰ الله عليه وسلم وعدم اعترافهم بالقرآن رغم أنه ثبت لديهم بشهود منهم أنه مُنزل من عند الله ربنا وربهم ورب النصارىٰ ورب العالمين .. أما السبب الآخر فهو شركهم بالله حين قالوا : عُزَيْر ابن الله ، أو كما قال الله جل وعلا في القرآن الكريم : { وَقَالَتِ اليَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتِ النصَارَىٰ المَسِيحُ ابْنُ اللهِ} التوبة : ٣٠ .. وزادوا النصارىٰ قولهم أن الله ثالث ثلاثة أو

أن له ولد أو أنه يشاركهما في الألوهية جبريل روح القدس أو غير ذلك من الخرافات التي ابتدعوها بعد رفع المسيح عيسىٰ ابن مريم مما لا يقبله عقل ولا منطق سليم .. وطبعاً لا يفيدهم جميعهم اليهود والنصارىٰ من ذلك شيء ما لم يؤمنوا بأن ا واحد لا شريك له وأن محمداً صلىٰ ا عليه وسلم هو رسول ا وخاتم الأنبياء والمرسلين وأن القرآن هو كتاب ا للعالمين .

فمن هو محمد ؟ .. وما هو القرآن كتاب الله الكريم ؟

ولد محمد عليه الصلاة والسلام في مكة المكرمة من أرفع نسب من سادة وأشراف قريش الذين يرجع نسبهم إلىٰ إسماعيل بن إبراهيم عليهم جميعاً صلوات ا وسلامه .. وكان مولده في عام الفيل الموافق (٥٧٠) ميلادية .. وقصة الفيل هذه تُتَرجِمْ حدثاً تاريخياً ثابتاً سطرتها أقلام المؤرخين في كل مكان ، ولها شواهد من آثار الطريق الذي سلكوه بين القبائل العربية المعروفة إلىٰ اليوم ابتداءً من اليمن ومروراً بجبال تهامة ووصولاً من الطائف إلىٰ أعالي مكة المكرمة .. وقد أوردتها كافة الموسوعات العلمية والتاريخية منذ قرون عديدة وحتىٰ اليوم مما لا يجعل لدىٰ غير المسلمين مجالاً للجدل فيها أو إنكارها - أما نحن المسلمين فقد عَلِمْنَاهَا وأكدّها لنا القرآن الكريم من كلام المولىٰ جل وعلا وهو أصدق القائلين وهو أثبت الكتب يقيناً .. ونقول ذلك لأن هذه الحادثة أو ذاك الحدث التاريخي إنما يُلقي الضوء علىٰ مدىٰ قدسية وتعظيم الكعبة المشرفة وتأكيد وجودها في هذا البلد الحرام مكة المكرمة الذي اختاره ا تعالىٰ موقعاً متميزاً في قلب المركز الجغرافي للكرة الأرضية ليكون قبلة المسلمين ، ويحج إليه كل عام ويعتمر تأسياً بنسك إبراهيم وإسماعيل وتأكيداً لرسالة ونبوة محمد صلوات ا وسلامه عليهم جميعاً .

ونورد فيما يلي ملخصاً مُبَسطاً لهذه القصة أو لذاك الحدث العجيب من قدرات ا تعالى.

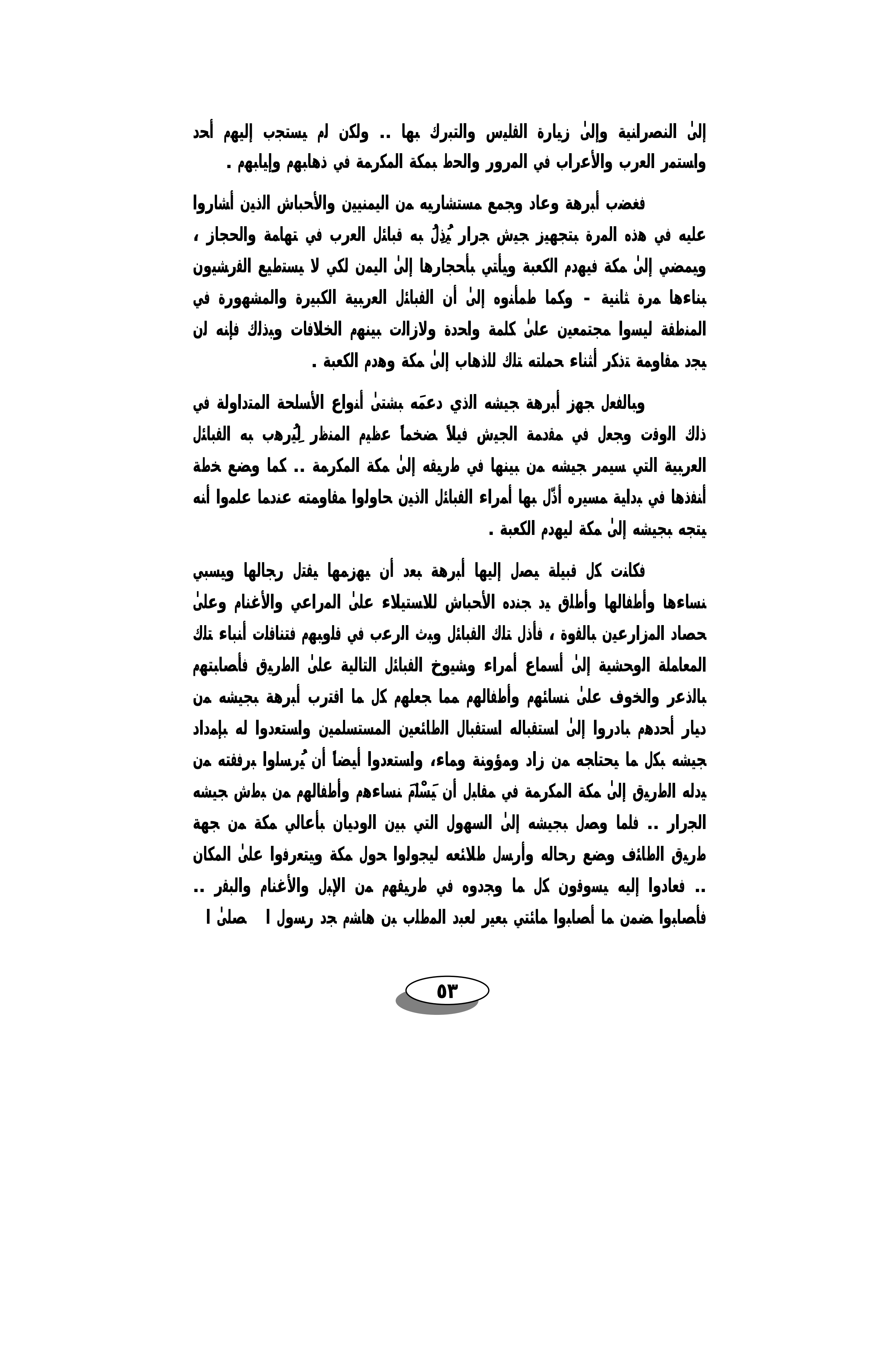
فيل أبـرهة :

ففي منتصف القرن السادس الميلادي أرسل ملك الحبشة جيشاً كبيراً لنصرة بعض المتطلعين إلىٰ السلطة من النصارىٰ في اليمن ، وأمر وزيره

ومستشاره أرياط على تلك الحملة وجعل قائده على الجيش أبرهة الأشرم .. وبعد أن أستقر الحكم للأحباش في اليمن أنقلب أبرهة على أميره أرياط واستفرد بحكم اليمن متمرداً على ملك الحبشة .. وكان الأحباش وغالبية أهل اليمن في ذلك الوقت يدينون بالمسيحية وقليل منهم من اليهود والبقية من الوثنيين عُبّاد الأصنام والأحجار والأشجار .. ثم بدأ أبرهة يتطلع إلى تنمية اليمن اقتصادياً بأن يجعل منها مناراً ومحطاً للقوافل المحملة بالبضائع التي ترد من الهند إلى شبه الجزيرة العربية والشام وتلك التي ترد من الأخيرة إلى سواحل عدن وعمان ، وأيضاً يتطلع إلى نشر النصرانية بين القبائل في الجزيرة العربية من حاضرة أو بادية .. فأشار عليه مستشاروه من عرب اليمن بأن ذلك مطلب صعب مناله بسبب أن جميع القوافل التي تتبادل البضائع ما بين الهند والشام لابد وأن تمر وتحط في مكة المكرمة لوجود كعبة يحج إليها العرب ويعظمونها ويقدسونها ويتبركون بها ويسمونها البيت الحرام كدعوة سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام عندما أحضر السيدة هاجر وطفلها إسماعيل إلى ذلك الوادي المقدس ودعا ربه قائلاً : { رَبنَا إِني أَسْكَنتُ مِن ذُريتِي بِوَادٍ غَيْر ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ المُحَرمِ رَبنَا لِيُقِيمُوا الصلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً منَ الناسِ تَهوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم منَ الثمَرَاتِ لَعَلهُمْ يَشكُرُونَ } إبراهيم : ٣٧ .

ولذلك فإن قبيلة قريش وأشرافها وسادات مكة هم أول المستفيدين اقتصادياً من تلك القوافل بسبب هذا البيت الحرام أو كما جاء في القرآن الكريم : {لإِيلافِ قُرَيْش - إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشتَاءِ وَالصيْفِ - فَلْيَعْبُدُوا رَب هَذَا البَيْتِ - الذِي أَطْعَمَهُم من جُوعٍ وَآمَنهم منْ خَوْفٍ } سورة قريش .

واقترح آخرون على أبرهة أن يبادر ويبني في اليمن كنيسة فخمة ضخمة يتحدث عن روعة بنائها الشرق والغرب .. وهكذا سوف تتحول القوافل التجارية إلى اليمن لزيارتها والتبرك بها .. فباشر أبرهة بناء تلك الكنيسة التي سماها (القليس) وسَخّر لبنائها الآلاف من العمال اليمنيين الذين كان يحتل بلادهم حتى جعل منها أعجوبة الزمان في روعة البناء .. ثم بدأ يرسل الوفود إلى أنحاء الجزيرة من العراق والشام ومن وسط نجد والحجاز وتهامة وحتى سواحل الخليج يدعون الناس



إلىٰ النصرانية وإلىٰ زيارة القليس والتبرك بها .. ولكن لم يستجب إليهم أحد واستمر العرب والأعراب في المرور والحط بمكة المكرمة في ذهابهم وإيابهم .

فغضب أبرهة وعاد وجمع مستشاريه من اليمنيين والأحباش الذين أشاروا عليه في هذه المرة بتجهيز جيش جرار يُذِلُّ به قبائل العرب في تهامة والحجاز ، ويمضي إلىٰ مكة فيهدم الكعبة ويأتي بأحجارها إلىٰ اليمن لكي لا يستطيع القرشيون بناءها مرة ثانية - وكما طمأنوه إلىٰ أن القبائل العربية الكبيرة والمشهورة في المنطقة ليسوا مجتمعين علىٰ كلمة واحدة ولازالت بينهم الخلافات وبذلك فإنه لن يجد مقاومة تذكر أثناء حملته تلك للذهاب إلىٰ مكة وهدم الكعبة .

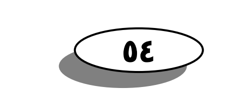
وبالفعل جهز أبرهة جيشه الذي دعمَه بشتىٰ أنواع الأسلحة المتداولة في ذلك الوقت وجعل في مقدمة الجيش فيلاً ضخماً عظيم المنظر لِيُرهب به القبائل العربية التي سيمر جيشه من بينها في طريقه إلىٰ مكة المكرمة .. كما وضع خطة أنفذها في بداية مسيره أذّل بها أمراء القبائل الذين حاولوا مقاومته عندما علموا أنه يتجه بجيشه إلىٰ مكة ليهدم الكعبة .

فكانت كل قبيلة يصل إليها أبرهة بعد أن يهزمها يقتل رجالها ويسبي نساءها وأطفالها وأطلق يد جنده الأحباش للاستيلاء علىٰ المراعي والأغنام وعلىٰ حصاد المزارعين بالقوة ، فأذل تلك القبائل وبث الرعب في قلوبهم فتناقلت أنباء تلك المعاملة الوحشية إلىٰ أسماع أمراء وشيوخ القبائل التالية علىٰ الطريق فأصابتهم بالذعر والخوف علىٰ نسائهم وأطفالهم مما جعلهم كل ما اقترب أبرهة بجيشه من ديار أحدهم بادروا إلىٰ استقباله استقبال الطائعين المستسلمين واستعدوا له بإمداد جيشه بكل ما يحتاجه من زاد ومؤونة وماء، واستعدوا أيضاً أن يُرسلوا برفقته من يدله الطريق إلىٰ مكة المكرمة في مقابل أن يَسْلَمَ نساءهم وأطفالهم من بطش جيشه الجرار .. فلما وصل بجيشه إلىٰ السهول التي بين الوديان بأعالي مكة من جهة طريق الطائف وضع رحاله وأرسل طلائعه ليجولوا حول مكة ويتعرفوا علىٰ المكان .. فعادوا إليه يسوقون كل ما وجدوه في طريقهم من الإبل والأغنام والبقر .. فأصابوا ضمن ما أصابوا مائتي بعير لعبد المطلب بن هاشم جد رسول ا صلىٰ ا

عليه وسلم وكان هو سيد قريش وكبير مكة .

فلما بلغ عبد المطلب الخبر أرسل يطلب الأذن لمقابلة أبرهة .. فظن الأخير أن عبد المطلب ما طلب لقاءه إلا لِيُحامي ويُدافع ضد رغبته في هدم الكعبة فأذن له .. فلما دخل عليه بادره أبرهة قائلاً : أنت سيد قريش وراعي مكة وأنا ما قدمت بلادكم لأحاربكم أو أُؤذيكم في أنفسكم إنما جئت لأهدم هذا البيت الذي تُحرمونه وتُقدسونه فإذا وقفتم في طريقي حاربتكم ولن يكون لكم منعة دوني .. فأجابه عبد المطلب قائلاً : يا ملك اليمن إنني ما رغبت في لقائك وجئتك إلا مطالباً أن ترد علي إبلي .. فاندهش أبرهة من جواب عبد المطلب وقال له : يا رجل أنت كبير قومك وأعقلهم أَوُخبرك بأنني جئت لأهدم الكعبة هذه التي تقولون أنها بيت ا وتتبركون بها فما تدفع عنها بشيء وما تطلب مني إلا أن أرد عليك إبلك ؟ .

فقال عبد المطلب قولته المشهورة : (أنا رب الإبل وإن للبيت رباً سيمنعه) .. وفي صيغة أخرىٰ ذكر المؤرخون أنه قال : (أنا رب الإبل أما البيت فله رب يحميه) .. فزاد ذلك من دهشة أبرهة وأمر جنده بأن يردوا عليه إبله وقال له : إنني لا محال من هدم كعبتكم هذه وسأرىٰ من الذي يمنعني .. وبعد عدة ليال أخذ جيش أبرهه أهبة الاستعداد ، وفي صباح أحد الأيام أمر أبرهة جيشه بالتحرك لدخول مكة وقدّم الفيل علىٰ مقدمة الجيش وأمرهم بالمسير فبرك الفيل في موضعه ولم يتحرك ولما ضربوه وأوقفوه مرة أخرىٰ بعد جهد جهيد جربوا أن يوجهوه إلىٰ ناحية اليمن فقام يهرول .. وأيضاً في ناحية الشام فكان كذلك .. وإلىٰ ناحية المشرق فيسرع يهرول..- ولكن عندما يوجهوه إلىٰ مكة يعود فيبرك في محله ويأبىٰ المسير حتىٰ خطوة واحدة .. فلما عجزوا ويأسوا من اصطحاب الفيل معهم وهو بهذه الحال قرر أبرهة تركه وأن يسير الجند إلىٰ مكة بدونه .. وقبل أن يعطي إشارة البدء في السير رأوا في السماء سُحُباً سوداء عظيمة تأتي من ناحية البحر غرب مكة حتىٰ صارت فوقهم وأظلّتهم وأظلمت عليهم جو السماء فظنوها لأول وهلة أنها بشرىٰ غيث جاءت تمطر عليهم تبريكاً لهم من ا علىٰ نيتهم دخول مكة لهدم الكعبة .. ولكنهم فوجئوا وانصعقوا عندما وجدوا تلك السُحُب تُمطر عليهم حجارة من سجيل وأن هذا السواد العظيم في السماء الذي ظنوه سحاباً ما هو إلا أسراباً كثيفة متلاحمة من



ملايين الطيور السوداء ، وكل طائر منهم يحمل في منقاره وبين مخالبه ثلاثة أحجار كل حجر منهم في حجم حبة الحمص وقد ذكرها القرآن الكريم بأنها طيراً أبابيل (أي أسراب الطيور المتتابعة والمتلاحمة في طيرانها بحيث من يراها عن بعد يظنها سُحُباً كثيفة) .. وأسقطت هذه الطيور أحجارها علىٰ أفراد جيش أبرهة فكان كل حجر يُصيب أحدهم كان يسلخ جلده ولحمه في التو فتتساقط جلودهم ولحومهم أمام أعينهم علىٰ الأرض حتىٰ تصير سقط أجزاء الواحد منهم علىٰ الأرض وكأنها بقايا (عصف مأكول) أي كأوراق الشجر التي مضغتها الدواب ثم لفظت بقاياهـا.

وكأن مفعول تدمير تلك الحجارة الصغيرة مثل مفعول الإشعاع النووي المكثف الذي عندما أسقطت أمريكا قنبلتيها النوويتين علىٰ هيروشيما ونجازاكي في اليابان نهاية الحرب العالمية الثانية فإن تأثير الإشعاع النووي والحرارة الصادرتين عن التفجير قد أحرقتا جلود سكان المدينتين حتىٰ صارت جلودهم تنسلخ من أبدانهم وتتساقط أمام أعينهم علىٰ الأرض إلىٰ أن يلفظوا أنفاسهم .

وهكذا وبنفس الطريقة هلك معظم جيش أبرهة الذي فر مع القليل من جيشه ولكنهم هلكوا وماتوا قبل أن يصلوا إلىٰ اليمن .

وفي صدد هذا الحدث التاريخي الرهيب أخبرنا ربنا جل وعلا في كتابه الكريم بسورة الفيل بقوله تعالىٰ : { أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ - أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ - وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبَابِيلَ - تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِن سِجِّيلٍ - فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ } سورة الفيل .

مولد النبي محمد صلى الله عليه وسلم:

بعد تلك الحادثة بعدة شهور وُلِدَ النبي محمد عليه الصلاة والسلام في مكة المكرمة ، وصار يتيم الأبوين وهو في السادسة من عمره حيث توفي والده بعد أن حملت به أمه بشهرين ثم ماتت أمه وهو في السادسة فكفله جده عبد المطلب كبير مكة وسيد قريش آنذاك ، ثم توفي جده وهو في الثامنة من عمره فكفله عمه أبو طالب .. وهكذا نشأ يتيم الأب وهو رضيع ويتيم الأم وهو في السادسة ، وكان يرعىٰ الغنم في صغره .. ثم تزوج السيدة خديجة رضي الله عنها وهو في الخامسة

والعشرين ويبدأ رسالة النبوة وهو في الأربعين من عمره .

عاش حياته أُمّياً لا يقرأ ولا يكتب ولم يجالس الخطباء ولا الشعراء في عصره، ولم يُعْرَفْ عنه أنه كان يَقرض الشعر ولكن رغم أُمّيته كان أحسن قومه أخلاقاً وأدباً وحياءً .. وكانوا يُلقبونه بالصادق ، وأيضاً بالأمين .. يلقبونه بالصادق لأنهم لم يمسكوا عليه كذبة واحدة في حياته، وبالأمين لأنه أُشتهر عنه الأمانة فقد كانوا يُودِعُونَ عنده أموالهم ونفائسهم حين يسافرون للتجارة ويستعيدونها منه كاملة فور رجوعهم دون أن يكون بينهم صكاً مكتوباً أو حتىٰ وجود شهود .. وكان لا يصاحب السفهاء ولا يجالس في الطرقات حتىٰ وهو شاب يافع .. فهذه هي كانت سيرته وسلوكه قبل رسالة النبوة .. فكيف بعدها ؟

وتلقىٰ أول الوحي من القرآن وهو في سن الأربعين عندما نزل عليه جبريل عليه السلام وهو في غار حراء قمة جبل النور بمكة المكرمة وأقرأه أول ما نزل من القرآن وهي سورة { اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ - خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ } .. ثم أُمر بالرسالة للدعوة إلىٰ الله وتصحيح مفاهيم قومه بدايةً ثم هادياً وداعياً ومبشراً إلىٰ الله تعالىٰ إلىٰ كافة الثقلين الإنس والجن.. وثبت في دعوته وجاهد من أجلها وتحمل في سبيلها الأذىٰ والاضطهاد من قومه في بدايتها حتىٰ ظن مُضطهدوه من الكفار والمشركين بمكة أنه يطمح إلىٰ زعامة أو مُلْكٍ أو رياسة أو مال .. فتطوع أحد سادتهم وهو عتبة بن ربيعة وكان يُدعىٰ أبا الوليد إلىٰ الذهاب إليه والتكلم معه فقال: يا ابن أخي : إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتىٰ تكون أكثرنا مالاً ، وإن كنت تريد به شرفاً سوّدناك علينا حتىٰ لا نقطع أمراً دونك ، وإن كنت تريد به مُلكاً ملّكناك علينا .. فأجابه محمد صلىٰ الله عليه وسلم بآيات من القرآن الكريم جعلت أبا الوليد يعود إلىٰ قومه مذهولاً .. ثم ذهبوا إلىٰ عمه أبا طالب ليكلمه وقالوا له : إن هذا إبن أخيك قد سفّه آباءنا وسب آلهتنا التي نعبدها ، وقد جئناك نطلب منك رده أو نقتله .. فلما كلمه أبا طالب أجابه الرسول صلىٰ الله عليه وسلم قائلاً : (يا عم .. والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري علىٰ أن أترك هذا الأمر حتىٰ يُظهره الله أو أهلك دونه ما تركته) .

وهكذا كانت تلك المواقف التي تحدث عنها المؤرخون أظهرت وأكدت صدق نبوته ورسالته القرآن الذي هو من عند الله حتىٰ أن روح القدس جبريل عليه السلام عرض عليه من رب العالمين إن كان يريد أن يكون مَلِكاً رسولاً (أي مثل داوود وسليمان) فأبىٰ وقال : (إنما أحب أن أكون عبداً رسولاً) .. وعرض عليه من ربه أن يُصيّر له بطحاء مكة ذهباً فقال : (لا يا رب .. ولكن أجوع يوماً وأشبع يوماً .. فأما اليوم الذي أجوع فيه فأتضرع إليك وأدعوك .. وأما اليوم الذي أشبع فيه فأحمدك وأثني عليك) ← (راجع رسالة الزهد في هذا الكتاب) .

رسالة محمد صلى الله عليه وسلم :

إنما كانت دعوته ومطلبه الذي عاش وعانىٰ وجاهد من أجلها هو تبليغ رسالة ربه وإخراج الناس من ظلمات الشرك وعبادة الأصنام إلىٰ نور التوحيد وعبادة الله الحق الواحد الأحد والنجاة من النار .

ومن تأكيد رسالته ونبوته وأنه خاتم الأنبياء والمرسلين ورود البشارة بقدومه في التوراة والإنجيل قبل أن يُحرفا علىٰ أيدي أحبار اليهود وقساوسة النصارىٰ منذ مئات السنين .. ولكن رغم ما أحدثوه اليهود والنصارىٰ من تحريف فيهما إلا أن ظلالاً من نور بقيت في النسخ المحرفة تبشر بقدوم محمد عليه الصلاة والسلام .. وهذا الأمر يسوقنا إلىٰ استعراض موجز للأحوال والتغييرات التي مر بها إنجيل عيسىٰ عليه السلام حيث من الثابت وفي حكم اليقين وباعتراف علماء النصارىٰ أنفسهم بأن إنجيل عيسىٰ الأصل قد اختفىٰ تماماً بعد أن رفعه الله إلىٰ السماء بسنوات قليلة .. ووجدوا من بعده أكثر من سبعين إنجيلاً كل واحد منهم يختلف في مضمونه عن الآخرين ، ولم يستطيعوا أن يعثروا علىٰ اثنين منهم متوافقين في النص والمضمون ، واعترفوا أيضاً أن واحداً من هذه الأناجيل لم يُكتب في زمن المسيح عيسىٰ إنما قام بعضٌ من تلاميذ حوارييه بكتابتها ، بل ثبت لديهم أن بعضها إنما كتبه عدداً من تلاميذ تلاميذ الحواريين ، ونسب كل واحد منهم أن ما كتبه هو من أقوال أساتذتهم من تلاميذ الحواريين ، ووضعوا في مضمونها خيالات وخرافات وقصصاً غريبة لا يقبلها عقل ولا منطق .. وهي جميعها منقطعة السند

كما لم يجدوا نسخة واحدة منها مكتوبة بخط يد تلميذ واحد من تلاميذ الحواريين حيث أن الإنجيل الأصل الذي خلفه المسيح عيسىٰ وفُقد وكان مكتوباً بخط يد الحواريين أنفسهم في زمانهم كان مكتوباً باللغة اليونانية القديمة ولا توجد اليوم في أي مكان بالعالم نسخة واحدة قديمة كُتبت في زمن المسيح باللغة اليونانية ، فاضطر علماء النصرانية من كبار الأساقفة ورؤساء الكنائس في كل أنحاء العالم إلىٰ عقد أول اجتماع كنسي في مدينة نيقيا عام (٣٢٥) ميلادية سموه (مجمع نيقيا المسكوني الأول) وفي هذا المجمع اختصروا ذلك الكم الهائل من الأناجيل إلىٰ أربعة فقط هم : إنجيل يوحنا - وإنجيل متىٰ - وإنجيل مرقس - وإنجيل لوقا ، وكما نرىٰ من أسمائها أن كل إنجيل يُنسب إلىٰ صاحبه كما أن كل واحد منهم يختلف ويتناقض مع الآخرين في كثير من المضامين الجوهرية والهامشية تناقضاً واضحاً .. وأخفوا أي خبر عن إنجيل برنابا .. ثم توالت المجمعات بعد ذلك ومن أشهرها بعد نيقيا (٣٢٥) ميلادية ، كان القسطنطينية الأول (٣٨١) ميلادية ، وأفسس (٤٣١) ميلادية، وخلقدونيا (٤٥١) ميلادية ، والقسطنطينية الثاني (٨٦٩) ميلادية.. وسنتحدث لاحقاً عن ماهية القرارات التي اتخذوها في هذه المجمعات كل علىٰ حدة.. كما سنتحدث عن البشارات التي وردت بنبوة محمد صلىٰ ا عليه وسلم في التوراة وبقيت فيها رغم تحريفها ، ولكن ليس قبل أن نسرد قصة إنجيل برنابا الذي حاولوا إخفاءه ليطفئوا النور الذي بدا بين سطوره فأظهره ا وكقوله تعالىٰ في القرآن الكريم: { وَإِذْ قَالَ عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِني رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُم مصَدقاً لمَا بَيْنَ يَدَي مِنَ التوْرَاةِ وَمُبَشراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَما جَاءَهُم بِالْبَينَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مبِينٌ - وَمَنْ أَظْلَمُ مِمن افْتَرَىٰ عَلَىٰ اللهِ الكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَىٰ الإِسْلامِ وَاللهُ لا يَهْدِي القَوْمَ الظالِمِينَ - يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِم نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ } الصف : ٦ - ٨ .

ولكن ليس معنىٰ ذلك أن إنجيل برنابا يمثل أقوال عيسىٰ عليه السلام وما جاء بالتوراة كاملة دون تحريف ، بل مسته رياح التحريف والزيادات والحذف عند نقله واستنساخه مرات عديدة حيث كما أسلفنا من التحريفات التي أحدثوها في كافة

ما قيل عنهم أنها أناجيل وهي في الحقيقة كانت إنجيل واحد أُنزل إلىٰ عيسىٰ واختفىٰ تماماً .

: فمن هو برنابا ؟ ..

كان برنابا أحد تلاميذ المسيح عليه السلام أي من حوارييه الأثنىٰ عشر المواظبين والحريصين علىٰ نشر دعوته الصحيحة والتبشير باقتراب الساعة وملكوت السمٰوات ... وكان برنابا ثقة من المسيح وكان يندبه لوعظ الناس في المدن والقرىٰ للدخول في دين الإسلام (دين إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وموسىٰ وعيسىٰ ومحمد صلوات ا عليهم جميعاً وسلامه) .

هذا الحواري برنابا وُجد له إنجيل مدون به قصة المسيح وبرغم أنه منقطع السند مثل باقي أناجيل يوحنا ومتىٰ ومرقس ولوقا إلا أنه يتميز عن باقي الأناجيل بالبلاغة ودقة التعبير وَتَضمَنَ سطوراً عن أشياء وأحداث ومعلومات أُخفيت وطُمست تماماً في باقي الأناجيل .. وبعض هذه الأحداث والأنباء يتوافق مع الحقائق التي وردت في القرآن الكريم عن التحريم والتحليل وعن حقيقة عيسىٰ وأنه رسول من عند ا والتبشير بمحمد صلىٰ ا عليه وسلم تصريحاً وليس تلميحا.. وعندما وجد رجال الكنيسة أن إنجيل برنابا سوف يفضح ادعاءاتهم التي حرفوا بها الأناجيل والتي أحلّوا بها ما حرم ا والمتناقضة ليوحنا ومتىٰ ومرقس ولوقا .. ووجدوا فيه أن برنابا أكثر من التصريح باسم محمد صلىٰ ا عليه وسلم في العديد من المواضع وأنه يذكر فيه عيسىٰ أنه إنسانٌ وليس إلهاً أو أنه ابنٌ ، وأكد فيه أنه رسولٌ مثل باقي الرسل من عند ا .. فرفضوه وأخفوه فترة حتىٰ جاء البابا (جلاسيوس بابا روما عام ٤٩٢) ميلادية وأمر رؤساء الكنائس في جميع أنحاء العالم بمصادرة كافة نسخه وإتلافها وإحراقها .. وهكذا فعلوا إلاّ نسخة واحدة أبقاها البابا لنفسه في مكتبته الشخصية في الفاتيكان .. كما أنه أمر بحذف اسم برنابا من بين الحورايين الذين كانت لهم أناجيل متداولة لكي يمحوا أثره كله من التاريخ المسيحي .. ولهذا نجد اليوم في إنجيل متىٰ بياناً بأسماء تلاميذ المسيح أو حوارييه الاثنىٰ عشر أسقطوا منه اسم برنابا بينما التلاميذ المذكورين في بيان الأسماء لدىٰ إنجيل برنابا سقط منهم توما وسمعان القانوني .. ولكن مهما حذفوا أو غيروا فإن أسماء

حواري عيسىٰ الأثنىٰ عشر معروفين للجميع ومن بينهم برنابا ولا يجرؤ مؤرخ أن ينفي ذلك .

وفي منتصف القرن السادس عشر الميلادي عثر الراهب (فرام رينو) علىٰ رسائل البابا (أوريانس) التي يذكر فيها شيئاً عن إنجيل برنابا ويستشهد به .. فبحث عنه فلم يجده حتىٰ توالت الأيام والسنين وصار ذلك الراهب فرام رينو أحد الأشخاص المقربين من البابا (سيكيتس الخامس ١٥٨٥ ميلادية) .

وكانت نسخة إنجيل برنابا التي احتفظ بها لنفسه في مكتبة الفاتيكان البابا جلاسيوس لا تزال حبيسة ركام الكتب القديمة التي غطاها غبار الزمن لمئات السنين .. وهكذا وبسبب تقرب الراهب فرام رينو من البابا سيكيتس أطلق الأخير يده في البحث والتنقيب في المكتبة الخاصة بالبابا في الفاتيكان فعثر فرام رينو علىٰ هذه النسخة من إنجيل برنابا التي كانت مكتوبة باللغة الإيطالية .. وعندما قرأها وجد فيها ما يفيد أن عيسىٰ عليه السلام ما هو إلا إنسانٌ رسولٌ من عند الله .. وجاء فيه حرفياً في البـاب (٢٢٠) منه ما يلي : (وسيبقىٰ هذا إلىٰ أن يأتي أحمد رسول الله الذي متىٰ جاء كشف هذا الخداع للذين يؤمنون بشريعة الله) .

كما جاء فيه أن الله هو رب العالمين خالق السمٰوات والأرض ، وأن الذبيح المفتدىٰ بالكبش هو إسماعيل من أبناء إبراهيم وليس هو إسحاق .. ولا يقول بصلب المسيح بل يؤكد بأن الله قد ألقىٰ الشبه علىٰ تلميذه يهوذا الاسخريوطي - وذلك مما يتوافق مع ما جاء في القرآن الكريم كقوله تعالىٰ : { وَقَوْلِهِمْ إِنا قَتَلْنَا المَسِيحَ عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبه لَهُمْ وَإِن الذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ منه مَا لَهُم به مِنْ عِلْمٍ إِلا اتبَاعَ الظن وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً - بَل رفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيماً - وَإِن مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ إِلا لَيُؤْمِنَن به قَبْلَ مَوْته وَيَوْمَ القِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً } النساء : ١٥٧ - ١٥٨ - ١٥٩ .

وعلىٰ أثر هذا الكشف أسلم فرام رينو بمحمد صلىٰ الله عليه وسلم وبالقرآن كتاب من عند الله ثم عمل علىٰ نشر إنجيل برنابا بعد أن أخرجه من

محبسه من وراء أسوار الفاتيكان المنيعة التي حبسوه بداخلها البابوات السابقين .

ثم تلا ذلك العثور على نسخة منه باللغة الأسبانية مطابقة في النصوص للنسخة الإيطالية وذلك في أوائل القرن الثامن عشر الميلادي ..

ومؤخراً أعلن الدكتور القس تشارلز فرانسيس بوتو في كتابه (السنون المفقودة من عيسى تكشف) أعلن أن إنجيلاً يُدعى إنجيل برنابا استبعدته الكنيسة في عهدها الأول جاء متوافقاً مع المخطوطات التي تم اكتشافها حديثاً في منطقة البحر الميت والتي جاءت مؤيدة لهذا الإنجيل ، وكان قد عُثر على هذه المخطوطات القديمة داخل أوانٍ فخارية مدفونة في حفرة بجوار ساحل البحر الميت .. وتحتفظ الحكومة الأردنية حالياً بكل تلك المخطوطات وقد اطلع عليها الدكتور(د. ف. أولبرايت) أحد أعمدة علم آثار الأناجيل فقال: أنه لا يوجد أقل شك يذكر في صحة هذه المخطوطات .. كما قال عنها القس (أ. باول ديفز) رئيس كنيسة كل القديسين في واشنطن ضمن كتابه (مخطوطات البحر الميت) قال : أن مخطوطات البحر الميت هي من أعظم الاكتشافات أهمية منذ قرون عديدة ، وما احتوته من معلومات قد تُغيّر المفهوم التقليدي الحالي للإنجيل .. حيث جاء مكتوباً ضمن هذه المخطوطات : (إن عيسى كان مسيّا المسيحيين وأن هناك مسياً آخر بعده) .. ومسياً تعني رسولاً .. وهكذا أظهر ا نوره بأفواههم وبأيديهم أو كما قال جل وعلا في كتابه الكريم : { وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتِ النصَارَىٰ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنىٰ يُؤْفَكُونَ - اتخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً من دُونِ اللهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهاً وَاحِداً لا إِلَٰهَ إِلا هُوَ سُبْحَانَهُ عَما يُشْرِكُونَ - يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَىٰ اللهُ إِلا أَن يُتِم نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ - هُوَ الذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَق لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدينِ كُلهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ } التوبة :٣٠ - ٣٣.

وفيما يلي نورد بعضاً من الشواهد من التوراة عن بشارة قدوم سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام بالرغم من جناية التحريف والطمس والتغيير الذي

حاولـوه اليهود والنصارىٰ في العهدين القديم والجديد إلا أن ا سبحانه وتعالىٰ أبقىٰ رغم ذلك تلك الشواهد من الحقيقة لم يستطيعوا حذفها وإلغاءها لتكون حجة عليهم يوم القيامة .

★ في التوراة الإصحاح (١٨) من سفر التثنية .. قول موسىٰ عليه السلام : (قال لي ربي : قد أحسنوا فيما تكلموا ، سوف أقيم لهم نبياً مثلك من بني اخوتهم وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به - ومن لم يطع كلامه الذي يتكلم به باسمي فأنا أكون المنتقم من ذلك) .. وهذه البشارة كما قال بشري زخاري ميخائيل في كتابه (محمد رسول ا هكذا بشرت به الأناجيل) قال : ليست بشارة يوشع كما زعم أحبار اليهود .. ولا هي بشارة السيد المسيح كما فسر ذلك علماء اللاهوت المسيحي والدليل أنه جاء فيها لفظ (مثلك) ويوشع لم يكن مثل موسىٰ لأنه لم يوح إليه بكتاب - كما أن عيسىٰ ليس مثل موسىٰ لأنه ولد من غير أب ولم تكن له شريعة مثل موسىٰ - والبشارة لم تقل منهم (أي من بني إسرائيل يعقوب) بل قالت من بني أخوتهم وهو إسماعيل وذريته .

★ في التوراة الإصحاح (٣٢) من سفر الاستثناء (١١) يقول عن المولىٰ عز وجل أنه قال : (هم اغاروني بما ليس إلهٰ وأغضبوني بمعبوداتهم الباطلةوأنا أغيرهم بما ليس شعب وبشعب جاهل أغضبهم) وقد تحققت هذه الإغارة لليهود من ا بأن أرسل محمداً صلىٰ ا عليه وسلم، وكما قال تعالىٰ في القرآن الكريم:
{ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ}الجمعة: ٢.

★ وفي التوراة الإصحاح (١١) من سفر التكوين (١٣) جاء ما يلي والكلام موجه من ا تعالىٰ إلىٰ النبي إبراهيم خليل الرحمن : (وابن الجارية أيضاً سأجعله أُمّةً لأنه نسلك) وهكذا وبدعوة إبراهيم وإسماعيل التي وردت في القرآن الكريم :
{ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ - رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ

الحَكِيمُ } البقرة : ١٢٨ - ١٢٩

وبذلك كانت تلك الأمة التي من نسل إبراهيم هي أمة محمد عليهما الصلاة والسلام وهي من ذرية إسماعيل نسل ابن الجارية (هاجر) .

★ وفي إنجيل يوحنا ورد على لسان المسيح عيسى قوله : (إذا كنتم تحبونني فستعملون على إتباع أوامري ، وسأصلي للرب الذي سيعطيكم Paraclet آخر) ١٤ ، ١٥ / ١٦ يوحنا.

وقوله : (الـ Paraclet ، الروح القدس الذي سيرسله الرب باسمي سيبلغكم كل شيء وسيجعلكم تتذكرون كل ما قلت لكم) ١٤ / ٢٦ يوحنا .

وقوله : (هو نفسه سيشهد بي) ١٥ / ٢٦ يوحنا .

وقوله : (رحيلي فائدة لكم ، لأنني إذا لم أرحل فإن الـ Paraclet لن يأت إليكم، وعلى العكس فإذا رحلت فسأبعث به إليكم .. وهو بمجيئه سَيُذْهِلُ العالم فيما يخص الخطيئة والعدل والحكم) ١٦ ، ٨/٧ يوحنا .

وقوله : (عندما سيأتي روح الحقيقة ، فسيجعلكم ترقون إلى الحقيقة بكاملها ، لأنه لن يتكلم بإرادته، وإنما سيقول ما يسمع وَسَيُعَرفكُم بكل ما سيأتي .. وسيُمجدني..) ١٣، ١٤/١٦ يوحنا .

وَيُفْهَم من هذه الأقوال بأن المسيح يُصرح بأن الله سيرسل بعده كائناً بشرياً ليؤدي الدور الذي عَرفَهُ يوحنا أنه دور نبي يسمع كلاماً من الله ثم يكرر هذا الكلام على مسامع البشر - وكل تلك الأوصاف تشير بدقة مُتناهية إلى خاتم الأنبياء والمرسلين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

وبعد أن استعرضنا الشواهد من التوراة والإنجيل عن بشارات قدوم النبي محمد نعود ونكمل حديثنا عنه صلى الله عليه وسلم وعن معجزته الكبرى وهو القرآن الكريم الذي أُنزل إليه هدى وبشرى للمؤمنين .

قد علمنا من قصص الأنبياء أن كثيراً منهم إذا بعثهم الله بالرسالة لهداية الناس دعمهم بآيات من المعجزات والخوارق للطبيعة تجري على أيديهم لسببين :

الأول لكي يطمئن الناس إلىٰ دعوتهم ويصدقونها ويؤمنوا بها لأنهم إذا شاهدوا تلك الخوارق للعادة تجري علىٰ أيدي هؤلاء الرسل علموا أنها لا تكون إلا من عند إلهٰ قوي قادر علىٰ كل شيء ، والثاني لكي يتقووا بها الرسل ضد أعدائهم من الكافرين.. ونذكر فيما يلي أمثلة لبعض الأنبياء والرسل الذين دعمهم ا تعالىٰ بالمعجزات والخوارق علىٰ سبيل الإيضاح لا علىٰ سبيل الحصر .

فذلك نوح عليه السلام كانت معجزته السفينة والطوفان ، وإبراهيم عليه السلام الذي ألقوه في النار فكانت بأمر ا عليه برداً وسلاماً ولم تمسه بسوء ، ولوط عليه السلام الذي عندما خالفه قومه وعصوه بإتيان الفاحشة والشذوذ فأمطرهم ا مطر السوء وخسف بهم الأرض وجعل عاليها سافلها ، وصالح عليه السلام والناقة التي كان يشرب من ضرعها آلاف الناس من قوم ثمود فلما عقروها أخذتهم الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين وتلك مساكنهم التي لم تسكن من بعدهم إلا قليلاً وهي باقية إلىٰ اليوم آية لمن يمر عليها للعبرة والتبصر ، وموسىٰ عليه السلام ومعجزاته في تسع آيات بينات إلىٰ فرعون وقومه ، ولسليمان عليه السلام الريح تجري بأمره رواحها شهر وغدوها شهر وأسال له عين القطر وسخّر له الجن يعملون بين يديه في كل الصناعات ويستخرجون له كنوز البحر وعلّمه منطق الطير ولغات الحيوانات ، وعيسىٰ عليه السلام تكلم في المهد ويحيىٰ الموتىٰ ويبرئ الأكمه والأبرص بإذن ا وأنزل عليه مائدة من السماء.

فما هي معجزة محمد صلى الله عليه وسلم ؟

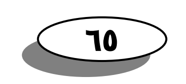
محمد صلىٰ ا عليه وسلم وكما أسلفنا منذ مولده وحتىٰ بلغ أربعين سنة رجل أُميّ لم يتعلم القراءة ولا الكتابة ولم ينظم في حياته بيتاً من الشعر ولم يخالط الحكماء ولا العلماء ولا الخطباء ولا الشعراء لكي يقتبس منهم شيئاً .. وهذا الأمـر يعرفه عنه قومه في مكة وتحدثوا به وسطرته أقلام المؤرخين علىٰ مدىٰ السنين دون إنكار من أحد.

القرآن المعجزة الكبرى :

ويأتي هنا السؤال : كيف برجل في مثل هذا الوصف والقدر من الأمية يأتي فجأة وبلسان عربي مبين بهذا القرآن الكريم كتاب من عند ا نقرأه فنجد فيه من العلوم ما حير العلماء .. ومن البلاغة ما حير الخطباء .. ومن الوزن والمعاني ما حير الشعراء .. ومن الأدب والنثر ما حير الأدباء .. ومن رقي اللغة والفصاحة ما حير الفصحاء .. ومن سلامة النحو والصرف ما حير النحويين في زمانه وحتىٰ اليوم .. ومن قصص السابقين ما حير المؤرخين .. ومن أنباء المستقبل ما حير المتتبعين .. ومن تسنين القوانين والشرائع ما حير أشهر القانونيين في زماننا الحاضر.. ومن تنظيم راق وعادل في الشئون الاجتماعية وكل ما يخص الفرد والمجتمع في كافة مناحي حياتهم الدنيا ما حير علماء النفس والاجتماع .. ومن نظام اقتصادي عادل وسليم ما حير كل علماء الاقتصاد في العالمين الشرقي والغربي.

وبعد ذلك كله وبعد ما درسه واستوعبه كل أولئك المختصين في كل تلك العلوم والآداب والحكمة واللغات والفنون والتشريعات قرروا أنه لا هو بالشعر ولا هو بالنثر إنما فاقت بلاغته وفصاحته أقصىٰ حدود البلاغة والفصاحة والشعر والأدب حتىٰ وصفه الوليد بن المغيرة عم أبي جهل وكان من عظماء وفصحاء قريش بعد أن سمع القرآن خلسة من النبي صلىٰ ا عليه وسلم .. قال لقومه بني مخزوم : (وا لقد سمعت من محمد آنفاً كلاماً ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن، وإن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة ، وإن أعلاه لمثمر ، وإن أسفله لمغدق، وإنه يعلو ولا يُعلىٰ عليه) .. وكما قال عز وجل في القرآن الكريم : { قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً } الإسراء : ٨٨ .

وكان العرب في زمن نزوله كانوا قد فُطروا علىٰ حب البلاغة والأدب والشعر والخطابة.. وكانوا يتبارون في ذلك في منتدىٰ سنوي لهم سموه سوق عكاظ وكان يحكم تلك المسابقات في ذلك المنتدىٰ شعراء وخطباء فحول ومن فازت



قصيدته كُتبت بماء الذهب وعلقوها علىٰ أستار الكعبة بمكة حتىٰ سميت بالمعلقات السبع ، لذلك ذهلوا وحارت عقولهم ودهشوا عندما سمعوا مثل هذا القرآن يقرأه عليهم رجل عرفوا عليه أُميته فكان ذلك مُعْجزاً لهم لم يقدروا علىٰ تكذيبه، فآمن أكثرهم به وكما قال المولىٰ عز وجل لسيدنا محمد في القرآن : { وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ } العنكبوت: ٤٨.

نزل هذا القرآن الكريم علىٰ محمد عليه الصلاة والسلام قبل (١٤٠٠) عاماً معجزة كبرىٰ ليس فقط دليلاً علىٰ نبوته بل ومعجزة كبرىٰ أيضاً في مضمونه وما احتواه من معلومات وعلوم متفرقة ولقوله تعالىٰ : { ما فَرطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ } الأنعام : ٣٨ . وكل من يقرأه ويتدبره سواءً كان مسلماً أو غير مسلم فإن لسان حاله سيقول فوراً : يستحيل أن يكون هذا كلام جن أو كلام بشر إنما هو كلام إلهٰ عظيم حكيم عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه - كما قال عز وجل : { إِن الذِينَ كَفَرُوا بِالذكْرِ لما جَاءَهُمْ وَإِنه لكِتَابٌ عَزِيزٌ - لا يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ } فصلت:٤١-٤٢.

لذلك فإنني أدعو إخواني وأخواتي من أهل الكتاب من اليهود والنصارىٰ أدعوهم إلىٰ محاولة قراءة مرة واحدة للقرآن الكريم ، قراءة من يريد معرفة الحقيقة لا قراءة الحاقد الذي يضع نظارة سوداء داكنة فوق عينيه وعلىٰ قلبه غشاوة ثم يقرأ .. وتفكروا في معانيه وتدبروه ثم حَكموا وجدانكم وخواطركم ومشاعركم .. وهذا الكلام أوجهه لمن كان منكم له قلب أو ألقىٰ السمع وهو شهيد .. وكقوله تعالىٰ : { فَذَلِكُمُ اللهُ رَبكُمُ الحَق فَمَاذَا بَعْدَ الحَق إِلا الضلالُ فَأَنىٰ تُصْرَفُونَ } يونس : ٣٢ . فالقرآن الكريم متوفر اليوم في كل دول العالم مُترجمةٌ معانيه إلىٰ كل اللغات الحية ، ومن منكم لم يعثر عليه مترجماً بلغته يمكنه أن يكتب إلىٰ أحد مراكز الدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية علىٰ العناوين التالية :

(١) المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد ، ص.ب:٢٠٨٢٤-الرياض: ١١٤٦٥ هاتف ٤٠٣٠٢٥١ - ٤٠٣٠١٤٢ فاكس : ٤٠٥٩٣٨٧ .

(٢) مركز جدة للدعوة، ص.ب: ٦٨٩٧- جدة: ٢١٤٥٢، هاتف: ٦٨٢٩٨٩٨

ويطلب منهم توفير نسخة مترجمة باللغة التي يريدها ، وهم إن شاء ا لن يألوا جهداً لتوفيرها لكم بريدياً في الوقت المناسب .

وعندما نستعرض فيما يلي بعضاً من معجزات القرآن المستمرة فإن هذا البعض قليل جداً من معجزاته الكثيرة حيث أن رسالتنا هذه إنما هي رسالة موجزة بأكبر قدر ممكن من التلخيص ولأن الحديث عن كل ما حوىٰ كتاب ا من آيات معجزة يتطلب مجلدات ضخمة لعشرات الآلاف من الصفحات .. ولو أراد الباحث المهتم بدراسة كتاب ا متابعة ذلك فإن كثيراً من الكتب التي ألفها العديد من فطاحل علماء الإسلام في السابق وفي العصر الحالي والتي تتحدث عن تلك المعجزات بإسهاب متوفرة في كثير من المكتبات وبعدة لغات .

وسوف نورد أمثلة من بعض معجزات القرآن الكريم كالتالي :-

١- بعض من معجزاته في العلوم الكونية والخلق .

٢- بعض من معجزاته في علم الغيب وما يحدث في المستقبل .

٣- بعض من معجزاته في التاريخ من قصص الأنبياء .

٤- بعض من معجزاته في التنظيم الاجتماعي وتشريعاته في القانون الجنائي والمدني للبشر .

٥- بعض من معجزاته في النظام الاقتصادي السليم .

أولاً : من معجزاته في العلوم الكونية (راجع رسالتي في هذا الكتاب التي بعنوان : من هو ا ؟) التي تحدثت فيها عن النحلة وخلق الإنسان وتخلقه في رحم أمه في ظلمات ثلاث ووظيفة كل جزء وكل عضو من أعضاء جسمه ومقارنتها بالأجهزة العلمية الحديثة ، وتحدي ا للبشر بخلق ذبابة حتىٰ ولو اجتمعوا له - وعن كبر حجم خلق السمٰوات والأرض وقوله تعالىٰ :{ **لَخَلْقُ السمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ الناس وَلَكِن أَكْثَرَ الناس لا يَعْلَمُونَ** } غافر : ٥٧ .

وعن الذرة وما هو أصغر منها وقلنا في رسالة (من هو ا ؟) وهذه

الذرة والنواة التي بداخلها وهي أصغر منها بكثير والتي لم يكتشفها علماء ألمانيا وأمريكا إلا منذ خمسين عاماً فقط.. ذكرها الرسول الأمي محمد صلىٰ ا عليه وسلم الذي لا يقرأ ولا يكتب .. ذكرها منذ (١٤٠٠) عاماً مضت ، في ذلك الوقت الذي لم يكن فيه علماء ذرة ولا أجهزة قياس للذرة . نزلت عليه في القرآن الكريم ليخبرنا ربنا جل وعلا عن الذرة والأصغر منها في قوله تعالىٰ : { وَمَا يَعْزُبُ عَن ربكَ مِن مثْقَال ذَرةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السمَاءِ وَلا أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إلا فِي كِتَابٍ مبِينٍ } يونس : ٦١ ... سبحانه ربنا حقاً الذي أخبرنا عن مثقال الذرة والأصغر منها ثم وجدنا ذلك الشيء الأصغر في النواة التي بداخل الذرة وفي الأجسام التي تدور حولها في نظام فلكي دقيق وعجيب .

★ في القرن الماضي وعندما كانت إحدىٰ سفن الأبحاث ترسل أنبوباً مِسْباراً في أعماق البحر ينتهي بكبسولة معدنية لتحصل علىٰ عينات من الماء من الأعماق لدراسة نوعية الأحياء المائية الدقيقة التي تنمو داخل التيارات المائية التي تجري تحت البحار علىٰ أعماق مختلفة .. وكان العلماء المتواجدون علىٰ ظهر تلك السفينة يعلمون من سابق بأن تحت مياه المحيطات والبحار العالية توجد تيارات ماء قوية تندفع بسرعة فائقة تحت أعماق البحار وكأنها أنهار تجري داخل أنفاق.. وتوصلوا إلىٰ ذلك بواسطة أجهزة الرصد الرادارية المسماة (السونار) التي تعمل بالموجات الحرارية .. ولكن الذي لم يكونوا يتوقعوه أو يُصدقوه واكتشفوه مؤخراً بعد استخراجهم عينة من إحدىٰ هذه التيارات هو أن بعض تلك التيارات المائية التي تجري تحت البحار المالحة ما هي إلا أنهار ماء عذب تشق طريقها تحت مياه البحار المالحة لآلاف الأميال دون أن يختلط ماؤها العذب بالمياه المالحة .

هذا الاكتشاف الحديث الذي لم يكن يعرفه العلماء علىٰ مدىٰ آلاف السنين أخبرنا به نبينا محمد صلىٰ ا عليه وسلم ضمن الآيات القرآنية التي نزلت عليـه قبـل (١٤٠٠ سنة) ليقول لنا المولىٰ عز وجل في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم مـا يلـي : { وَهُوَ الذِي مَرَجَ البَحْرَيْن هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنهمَا بَرْزَخاً وَحِجْراً محْجُوراً } الفرقان : ٥٣ .. وفي موضع آخر قال

تعالىٰ بشكل أكثر وضوحاً ودون التباس في التأويل : { مَرَجَ البَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ - بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لا يَبْغِيَانِ } الرحمن : ١٩ - ٢٠ . وفي موضع ثالث قال عز من قائل : { أَمن جَعَلَ الأَرْضَ قَرَاراً وَجَعَلَ خِلالَهَا أَنهاراً وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ البَحْرَيْنِ حَاجِزاً أَإِلهٌ مَعَ اللهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ } النمل : ٦١ .. أليس بعد ذلك ينبغي علينا أن نستحي ولا نشك في أن هذا القرآن منزل من عند ا ؟ سبحانه وتعالىٰ عما يفترون .

★ كان الأطباء علىٰ مدىٰ آلاف السنين الماضية وإلىٰ وقت قريب لا يزيد عن خمسين عاماً كانوا لا يعلمون كيف يتخلق الجنين في رحم الأم وتطورات تخليقه إلا بالظن الذي لا يُغني عن الحق شيئاً حتىٰ اخترعوا الأجهزة الاشعاعية والتلفزيونية التي تصور مراحل تطور الجنين ابتداءً من اختراق الحيوان المنوي للبويضة ومن ثم التصاقها بجدار الرحم ثم تكوّن غشاء المشيمة حولها وبدء انقسامات الخلايا حول نفسها ومنها يتكون الهيكل العظمي للجنين ثم يكسوه اللحم وتتشكل أعضاء الجسم من الرأس واليدين والرجلين حتىٰ يتكامل شكل الجنين إلىٰ طفل كامل النمو والأعضاء ، ثم نجد نحن المسلمون أن هذا الاكتشاف الذي اكتشفوه منذ خمسين عاماً فقط قد ذكره القرآن الكريم تفصيلياً وببلاغة باهرة قبـل (١٤٠٠عام) في قوله تعالىٰ : { وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِن طِينٍ - ثُم جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مكِينٍ - ثُم خَلَقْنَا النطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا العَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا المُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا العِظَامَ لَحْماً ثُم أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ } المؤمنون : ١٢-١٤ .. كما بين لنا المولىٰ عز وجل بقولـه تعالىٰ : { يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمهَاتِكُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ } الزمر : ٦ .. فعلمنا بعد (١٤٠٠ سنة) من نزول القرآن العظيم أن تلك الظلمات الثلاث هي : ظلمة غشاء المشيمة ، والثانية هي ظلمة جدار الرحم ، والثالثة هي ظلمة الطبقة الخارجية لبطن الأم (راجع رسالة من هو ا ؟ في هذا الكتاب) .

★ بعد أن تطور علم الفلك في الخمسين سنة الأخيرة بعد الحرب العالمية الثانية بسبب المخترعات الحديثة في المراكز الفلكية لمراقبة حركة النجوم والكواكب

وأيضاً نجاح الإنسان في الصعود إلىٰ الفضاء وتركيب أقمار صناعية مزودة بمناظير مكبرة ومقربة تعمل بالذبذبات الكهرومغناطيسية وموجات الراديو والتبادل الحراري والضوئي لقياس المسافات بين المجرات والنجوم والتوصل إلىٰ معرفة بداية هذه المنظومة السماوية من خلق الله .. توصلوا إلىٰ أن بداية الكون هو أن كل تلك المجرات والكواكب والنجوم كانت كتلة واحدة ملتهبة منذ بلايين السنين ثم حدث في هذه الكتلة انفجاراً حوّلها إلىٰ قطع صغيرة وأبخرة منتشرة ومتناثرة في الفضاء الكوني، وسموا علماء الفلك والجغرافيين ذلك الحدث (بالانفجار الكبير) ثم أخذت كل تلك القطع في الابتعاد عن مركز الانفجار بشكل توسعي مُشكلة ما نراه اليوم بالمناظير المقربة من مجرات وسدم وكواكب ونجوم ومجموعات شمسية وهي مستمرة في سيرها التوسعي منذ ذلك الانفجار دون توقف حتىٰ اليوم وإلىٰ أن تقوم الساعة - ثم نجد أن تلك المعلومات المكتشفة حديثاً لعلماء الفلك والتي كانوا يتخبطون في نظرياتهم حولها مئات السنين الماضية قد ذكرها رسولنا محمد صلىٰ الله عليه وسلم فيما أُنزل عليه من قرآن قبل (١٤٠٠سنة) حيث يقول عز من قائل : { أَوَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ } الأنبياء : ٣٠ .. وفي مسألة استمرار جريان كافة الأجرام السماوية في السير في الفضاء بشكل توسعي يقول المولىٰ جلا وعلا : { وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ } الذاريات : ٤٧ .. ومن أراد الاطلاع علىٰ تفاصيل أكثر عن هذا الموضوع فضلاً يراجع رسالة (من هو الله ؟) في هذا الكتاب .

★ منذ مائة عام ونيّفاً تمكن الإنسان من اختراع الطائرات والارتفاع بها في الأجواء العليا واختراق طبقات الهواء داخل الغلاف الجوي للكرة الأرضية ووقتها توصل إلىٰ حقيقة فيزيائية هامة وهي أن الإنسان كلما ارتفع في الهواء قلت نسبة الأكسجين وقل بالتالي الضغط الجوي مما يتسبب عنه ضيقاً في الصدر وصعوبة في النفس .. ولكن عند محمد صلىٰ الله عليه وسلم هذا النبي الأمي يعلنها لنا قبل (١٤٠٠عام) من خلال الآيات القرآنية التي أُنزلت عليه من عند الله العزيز الحكيم لكي يخبرنا ربنا جل وعلا في أنه يهدي من يشاء ويضل من يشاء من خلقه وذلك

لحكمة هو يعلمها وحده سبحانه عن خلقه من البشر .. فيصف لنا سبحانه مدىٰ الحرج والصعوبة التي يشعر بها الضالين من الناس فيقول تعالىٰ : { فَمَن يُرِدِ اللهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيقاً حَرَجاً كَأَنمَا يَصعدُ فِي السمَاءِ } الأنعام : ١٢٥.

★ تساءل الكثير من علماء المسلمين منذ أكثر من ألف سنة عن الحكمة من تحريم القرآن للناس من أكل الميتة والدم ولحم الخنزير في عدة مواضع من القرآن الكريم ومنها قوله تعالىٰ : { قُل لا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَي مُحَرماً عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنه رِجْسٌ أَوْ فِسْقاً أُهِل لِغَيْرِ اللهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُر غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَإِن رَبكَ غَفُورٌ رحِيمٌ} الأنعام : ١٤٥.

ثم تكشف أبحاث علماء التغذية والأمراض التي يتسبب فيها بعض أنواع الغذاء اكتشفوا مؤخراً وبعد (١٤) قرناً من الزمان بعد نزول القرآن الكريم اكتشفوا الاتي :

١- **الميتة** : والمقصود بها ما وُجد ميتاً غير مذبوح من الماشية والطيور .. ما عدا الأسماك التي تموت فور إخراجها من الماء ، فقد اكتشف العلماء أن جثة الحيوان الميت التي لم تُذبح ولم يُسال دمها فإنها تُشكلُ مستودعاً لمختلف الجراثيم التي تكون بالطبيعة متواجدة داخل أمعاء الحيوان ، وبمجرد موت الحيوان وبقاء دمه داخله ومن خلال الأوعية الدموية واللمفاوية فإن هذه الجراثيم تتكاثر بشكل سريع ومتضاعف لأن جهاز المناعة في جسم الحيوان والكريات البيضاء قد توقفوا عن العمل بمجرد موته ، وهكذا إذا أكل الإنسان من لحم ذلك الحيوان الميت فإنه يكون عرضة لانتقال كثير من الأمراض إليه من أثر تغلغل الجراثيم في لحم الحيوان الميت .

٢- **الدم المسفوح** : اكتشف العلماء أيضاً أن الدم المسفوح يتحول بسرعة إلىٰ بيئة خصبة لنمو الجراثيم وتفاعل البولينا مع الجراثيم المتعفنة فيكون ذلك

سبباً رئيساً لتسمم الدم المسفوح بعد فترة قصيرة من خروجه من جسم الحيوان المذبوح .

٣- **لحم الخنزير** : كما اكتشف العلماء أيضاً أن الخنزير وبسبب قذارته وطعامه المتعفن الذي يفضله فإن جسمه يكون مأوىً ومثوىً طبيعي للدودة الشريطية .. مما جعل أعظم نسبة من المصابين بهذه الدودة في العالم هم من مواطني الدول الأوربية التي تُكثر من تربية وأكل لحم ذلك الحيوان القذر ، كما ثبت للعلماء أيضاً أن كثيراً ممن يأكلون لحم الخنزير يتعرضون للإصابة بمرض (التويكينا) الذي يسبب آلاماً شديدة للإنسان ، ومرض (التراشيتور) الذي يؤدي غالباً إلىٰ وفاة المصاب به نتيجة أكله لحم الخنزير .

ونجد أنفسنا أخيراً أمام السؤال الحتمي : هل كل تلك المعلومات التي وردت بالقرآن الكريم كانت من فكر ورأس رجل أُميّ كان يعيش بين النـاس قبـل (١٤) قرناً من الزمان ؟! .

ثـانـيـاً: ومن معجزات القرآن الكريم في علم الغيب وما يحدث في المستقبل نورد بعضاً من تلك المواقف الثابتة التي أكدتها الأيام والسنين ولا تزال حتىٰ اليوم وغداً مُنتَظَرَةٌ كما قال المولىٰ عز وجل : { **سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتىٰ يَتَبَينَ لَهُمْ أَنه الحَق أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبكَ أَنه عَلىٰ كُل شَيْءٍ شَهِيدٌ** } ؟ فصلت : ٥٣ .

★ في عهد الرسول محمد عليه الصلاة والسلام وبداية هجرته إلىٰ المدينة المنورة كان الروم من النصارىٰ أكثر قرباً لقلوب المسلمين من الفرس الوثنيين ، لأنهم من أهل الكتاب الذين كان الأمل ولا يزال لا ينقطع لدىٰ المسلمين في إسلامهم كما أسلم كثير منهم في بداية الدعوة - كما أنهم هم الذين أوصاهم ا بهم خيراً في القرآن الكريم بقوله تعالىٰ : { **لتَجِدَن أَشَد الناس عَدَاوَةً للذِينَ آمَنُوا اليَهُودَ وَالذِينَ أَشْرَكُوا وَلتَجِدَن أَقْرَبهم مودةً للذِينَ آمَنُوا الذِينَ قَالُوا إِنا نَصَارَىٰ ذَلِكَ بِأَن منهمْ قِسيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنهمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ - وَإِذَا سَمِعُوا مَا**

أُنزِلَ إِلىٰ الرسُول تَرَىٰ أَعْيُنهمْ تَفِيضُ مِنَ الدمْع مما عَرَفُوا مِنَ الحَق يَقُولُونَ رَبنَا آمَنا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشاهِدِينَ } المائدة : ٨٢ - ٨٣ .

وقبل هجرة الرسول صلىٰ ا عليه وسلم إلىٰ المدينة المنورة بعدة سنوات أي ما بين الأعوام (٦١١) و (٦٢٨م) انتصر الفرس الوثنيون الذين كان يطلق عليهم (بإمبراطورية الساسانيين) وهزموا الروم وغزوا ديارهم واحتلوا انطاكيه والقدس في عـام (٦١٤م) ، ثم احتلوا مصر في عام (٦١٩م) وكانت كل تلك البلدان تحت حكم الرومان منذ الاسكندر الأكبر.. وبعد مرور عام علىٰ هجرة الرسول صلىٰ ا عليه وسلم أي في عام (٦٢٢م) حزن المسلمون لانتصار الفرس الوثنيون علىٰ الروم النصارىٰ من أهل الكتاب .. فأنزل ا تعالىٰ قرآناً علىٰ سيدنا محمد مبشراً المؤمنين معه بقرب عودة انتصار الروم علىٰ الفرس في بضع سنين (أي عدد من السنوات يقل عن عشرة) .. فقال تعالىٰ : { غُلِبَتِ الرومُ فِي أَدْنَىٰ الأَرْضِ وَهُم منْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ - فِي بِضْعِ سِنِينَ الأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ - بِنَصْرِ اللهِ... } الروم : ٢-٥ .

نزلت هذه الآيات علىٰ الرسول صلىٰ ا عليه وسلم في العام الأول من الهجرة أي في سنة (٦٢٢م) ، وفي عام (٦٢٩م) أي بعد نزولها بسبع سنوات صدق الوعد الحق وانتصر هرقل ملك الروم وجيشه وقتها علىٰ إمبراطورية الساسانيين (الفرس) وهزموهم ودحروهم وأخرجوهم من كل البلاد التي احتلوها ومنها القدس ومصر .. وهنالك فرح المؤمنون بنصر ا .

★ موقف آخر .. كان الرسول محمد عليه الصلاة والسلام في بداية دعوته مُحاطاً بالحراسة من بعض الصحابة حفاظاً علىٰ حياته من غدر الغادرين حتىٰ نزلت عليه هذه الآية في القرآن قوله تعالىٰ : { يَا أَيهَا الرسُولُ بَلغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن ربكَ وَإِن لمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلغْتَ رِسَالَته وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ الناس } المائدة:٦٧ .. وقالت السيدة عائشة أم المؤمنين رضي ا عنها : " كان النبي صلىٰ ا عليه وسلم يُحرس حتىٰ نزلت هذه الآية (وا يعصمك من الناس) قالت : فأخرج رأسه من القبة وقال : (يا أيها الناس انصرفوا عنا فقد عصمنا ا عز

وجل) .. وبعدها رُفعت الحراسة ومات الرسول صلىٰ ا عليه وسلم مطمئناً علىٰ فراشه وفي بيته وعصمه ا من الناس رغم تعدد المحاولات لاغتياله من قبل الكفار والمشركين التي باءت جميعها بالفشل حتىٰ المحاولات التي تعرض لها قبل نزول هذه الآية .. عندما تآمر علىٰ قتله كفار قريش عشية عزمه الخروج مع أبي بكر الصديق رضي ا عنه من مكة مهاجراً إلىٰ المدينة ، فأخبره جبريل عليه السلام بالمؤامرة .. وجاء الكفار في أول الليل وطوقوا الدار التي كان يبيت فيها الرسول صلىٰ ا عليه وسلم وجلسوا شاهرين سيوفهم منتظرين خروجه فيبادروه جميعهم ضربة رجل واحد لكي يتوزع دمه بين القبائل فلا يستطيع أهله من بني هاشم المطالبة به .. فأمر الرسول صلىٰ ا عليه وسلم ابن عمه علي بن أبي طالب وكان شاباً يافعاً تحت العشرين من عمره ، أمره أن ينام داخل الدار علىٰ فراشه ويتدثر بغطائه ، وخرج الرسول لبدء مشوار الهجرة إلىٰ المدينة المنورة فشاهد الكافرين وهم جلوس عند مدخل الدار وكان قد ألقىٰ ا علىٰ أعينهم غشاوة فلم يـروه ، فأخذ الرسول بيديه الكريمتين حسوات من التراب ونثـر فـوق رأس كـل واحد منهم شيئاً منه ، ومضىٰ ومعه أبو بكر في طريقهما إلىٰ غار ثور أسفل مكة من جهة اليمن .. وبعد ذهابهما مر رجل من أهل مكة بالكافرين وهم جلوس عند باب الدار فسألهم ماذا تنتظرون ؟ .. قالوا : ننتظر خروج محمد لنقتله ، فأخبرهم أن محمداً وصاحبه قد خرجا ومضيا فيما يريدانه وقد نثر علىٰ رؤوسكم التراب ، فقاموا مذهولين ينفضون التراب من علىٰ رؤوسهم وأسرعوا إلىٰ داخل الدار شاهرين سيوفهم ليتأكدوا من صدق خبر الرجل الذي جاءهم .. فوجدوا شخصاً نائماً متدثراً فنزعوا عنه غطاءه ظانين أنه محمد وإذا بهم يجدوه علياً بن أبي طالب فتأكدوا ساعتها أن محمداً وأبا بكر قد انطلقا إلىٰ مرادهما ، وظنوا بكفرهم وضلالهم أن محمداً قد خدعهم وسحرهم وألقىٰ علىٰ أعينهم غشاوة فلا يرونه ، وفوق ذلك نثر علىٰ رؤوسهم التراب بسحره .. ورغم ذلك لم يتعظوا وانطلقوا يقتفون أثرهما ليقتلوه حتىٰ انقطع بهم الأثر عند مدخل غار ثور الذي كان يختبئان بداخله الرسول صلىٰ ا عليه وسلم وأبا بكر وقال تعالىٰ يصف ذلك الموقف في كتابه الكريم: { إلا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْن إِذْ هُمَا فِي الغَار إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبه لا تَحْزَنْ إن اللهَ مَعَنَا فَأنزَلَ اللهُ سَكِينَته عَلَيْهِ

وَأَيَدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } التوبة : ٤٠ .. وغار ثور هذا لكل من شاهده على الطبيعة وإنني بحمد الله تعالى أحدهم وصعدت الجبل ودخلت فيه وهو عبارة عن صخرة ضخمة مثل الجبيل الصغير على قمة جبل ثور الواقع أسفل مكة من جهة الطريق إلى اليمن ، وأسفل هذه الصخرة فراغ مستطيل وفتحته إلى الخارج شق أفقي طوله حوالي ثلاثة أمتار ، وتقع فتحة الشق أسفل الصخرة على مستوى سيقان وأرجل الواقفين أمامه بحيث كل من يروم النظر فيما داخل الشق يتوجب عليه أن ينحني وكأنه ينظر من تحت مائدة .. وارتفاع فتحة الشق تتراوح ما بين ستين إلى سبعين سنتيمتراً وهذا يعني أن من يريد الدخول إلى فجوة الغار ينبغي عليه أن يستلقي على ظهره أو ينبطح على بطنه ويدخل زحفاً ، وفي الداخل ارتفاع الغار من الأرض وحتى سقف الصخرة حوالي متراً واحداً فلا يتمكن من هو بداخله من الوقوف إنما يمكنه الرقود أو الجلوس ، ولا يسع الفراغ الداخلي لأكثر من ثلاثة أشخاص .. وهذا هو وصف الغار الذي لجأ إليه الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبه أبو بكر الصديق رضي الله عنه هرباً من ملاحقة كفار قريش لهما ، واختبئا فيه ثلاثة أيام بلياليها .. وكما أسلفنا انطلاق الكفار بعد أن اكتشفوا خروج محمد وصاحبه من الدار ولم يروه ونثر التراب فوق رؤوسهم .. انطلقوا يقتفون أثرهما حتى انتهى بهم الأثر عند مدخل الغار حيث كان أبو بكر قد استخدم فرع شجرة لمحو آثار أقدامهما من أمام المدخل .. (هنا وردت رواية لم يثبت صحتها ولكنها تكررت عند بعض المؤرخين والمفسرين وهي أنه بعد دخول الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبه الغار وقبل وصول الكفار على أثرهما إلى قمة جبل ثور وحتى وقفوا عند مدخل الغار أوحى الله تعالى إلى عنكبوت ضخم جاء إلى فتحة الغار ونسج له بيتاً سد به الفتحة وبعده جاءت حمامة وبنت لنفسها عشاً من القش أمام فتحة المدخل مباشرة ثم وضعت بيضها في العش ورقدت عليه ، وتم ذلك بأمر من الله تعالى في زمن قياسي قصير للغاية.. فلما وصل الكفار أمام فتحة الغار وانقطع بهم أثر الرسول وصاحبه ونظروا يميناً وشمالاً وشرقاً وغرباً إلى ما عسى يكون طريقاً سلكاه محمد وصاحبه فلم يصلوا إلى نتيجة ، فلما نظروا إلى فتحة الغار عند أرجلهم شاهدوا العنكبوت وقد نسج خيوطه والحمامة وقد بنت عشها ورقدت

علىٰ بيضها وهذا يعني لهم أن هذه الظواهر قد حصلت قبل أسابيع أو شهور وليس اليوم أو أمس مثلاً .. ولذلك استبعدوا دخول الرسول وصاحبه الغار بتلك الحال وعادوا خائبين لا يدرون أين هما، ولو أن أحداً منهم انحنىٰ ونظر بعينيه من فتحة الغار لشاهدهما بوضوح) .. فكانت تلك معجزة أكرم ا بها نبيه محمد صلىٰ ا عليه وسلم ، فقد عاد المطاردون إلىٰ مكة يائسين خائبين بعد أن كان بينهم وبينه مسافة قصيرة لا تزد علىٰ ثلاثة أذرع ، وسلّم ا رسوله من مكر وغدر الكافرين وقد نزلت الآيات القرآنية تؤكد ذلك بقول ا تعالىٰ : { وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ } الأنفال : ٣٠ .

★ وحادثة أخرىٰ تلت تلك المحاولة الفاشلة وعلىٰ أثرها يجدر بنا إيرادها رغم أنها حدثت أيضاً قبل نزول آية العصمة .. حيث بعد أن فشل الكافرون بمكة من العثور علىٰ محمد صلىٰ ا عليه وسلم وخرج متخفياً في طريقه إلىٰ يثرب (المدينة المنورة) فعرضوا جائزة سخية لمن يتتبع محمداً وهو في سيره إلىٰ يثرب فيقتله أو يعود به إليهم ليقتلوه بأنفسهم ، وكان بينهم سُراقة بن مالك من بني مدلج .. فارساً قوياً مشهوراً برمي السهام وإصابة الهدف من بعد .. يقول سُراقة : سمعت عن المكافأة السخية التي عرضوها كفار قريش واقتفيت أثر محمد وصاحبه حتىٰ علمت أنهما شوهدا في طريقهما بالساحل إلىٰ يثرب فامتطيت فرسي وأسرعت وراءهما فلما اقتربت منهما ورأيتهما بعيناي عثرت بي فرسي وسقطت عنها .. ثم أقمتها وامتطيتها مرة أخرىٰ ونخذتها لتسرع بي إليهما فغاصت أرجلها بالرمال حتىٰ الركبْ .. وكنت كلما نزلت عنها وأخرجتها وامتطيتها غاصت في الرمال من جديد .. هذا ومحمد وصاحبه يرياني ولم يكترثا بي .. فقلت في نفسي : أن محمداً هذا معصوم وأن أمره خطير وسيظهره ا علىٰ القوم فناديته وطلبت منه الأمان فأمنني وطلبت منه كتاب أمن إذا جئته إلىٰ يثرب فجعل أبا بكر يكتبه ثم ختم عليه محمد بخاتمه .. قال : وعدت إلىٰ كفار قريش فقلت لهم : لقد استبرأت لكم الخبر وقد كفيتكم هاهنا .. وهكذا خرج سراقة في أول النهار جاهداً طالباً قتل محمد وعاد آخره حارساً له ساتراً عليه مسيره إلىٰ المدينة .. وفي راوية أخرىٰ أن الرسول محمد صلىٰ ا

عليه وسلم حين سلّم سُراقة كتاب الأمان ومد سراقة يده ليستلمه من يد الرسول قال له محمد صلىٰ ا عليه وسلم فيما معناه : كيف لي بسواري كسرىٰ تطوقان هذا المعصم (يقصد معصم سُراقة) .. فلما مرت الأيام والسنون وانتشر دين الإسلام من المدينة المنورة إلىٰ بقاع الأرض وجاء سراقة إلىٰ المدينة بكتاب الأمان الذي أعطاه رسول ا صلىٰ ا عليه وسلم وأسلم وحسن إسلامه، وتوفي الرسول عليه الصلاة والسلام وتولىٰ الخلافة أبو بكر الصديق رضي ا عنه وكان قد أخبر عمر بن الخطاب رضي ا عنه بقصة سراقة يوم سلمه الرسول صلىٰ ا عليه وسلم كتاب الأمان وبشره بسواري كسرىٰ حول معصمه .. وبعد وفاة أبو بكر وتولي عمر الخلافة وتمت فتوحات المسلمين للشام وفارس وعاد الجيش الإسلامي إلىٰ المدينة محملاً بالغنائم وكان من بينها تاج كسرىٰ وسواريه المصنوعين من الذهب الخالص والمطعمين بالأحجار الكريمة النفيسة .. فلما شاهدهما عمر بن الخطاب رضي ا عنه بكىٰ وقال للقوم من حوله اين سراقة بن مالك استدعوه لي ؟ .. فلما حضر امسك عمر بسواري كسرىٰ وطوق بهما معصمي سراقة وقال : هكذا سمعت أن رسول ا صلىٰ ا عليه وسلم بشر سراقة قبل الهجرة وقال : كيف لي بسواري كسرىٰ يطوقان هذا المعصم .. وهكذا تحقق وعد رسول ا صلىٰ ا عليه وسلم وطوقنا معصم سراقة بسواري كسرىٰ .

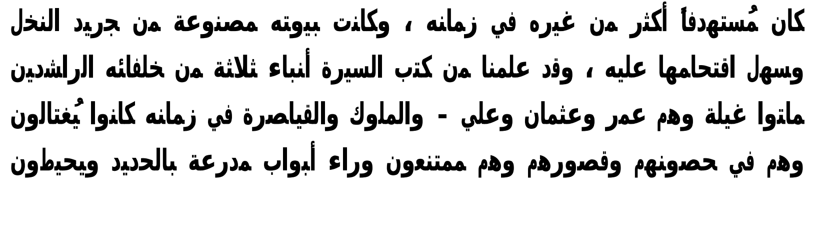
وعندما نتمعن في قصة سراقة ووعد الرسول صلىٰ ا عليه وسلم له بقوله له : كيف لي بسواري كسرىٰ يطوقان هذا المعصم .. نجد أنه قالها له وهو (أي النبي محمد) كان في أضعف أحواله ومواقفه في بداية الدعوة وكان خائفاً لأنه مطارداً من قومه الذين يريدون قتله .. قالها له وسراقة في ذلك الوقت أحد عتاولة الكفار ولم يكن أحد يعلم وقتها هل يدخل سراقة في الإسلام أم يبقىٰ علىٰ كفره .. وهكذا قالها له محمد صلىٰ ا عليه وسلم وهو في ذلك الحال من الخوف والضعف وسراقة كان في ذلك الحال من الكفر فيبشره محمد بسواري كسرىٰ تطوق معصميه وتلك كانت أمنية لا يتطلع إليها ولا يفكر فيها سراقة ولا في الأحلام أن يأتي عليه يوم ويزين معصميه بسواري كسرىٰ ملك الفرس الذي كان يحكم ويسيطر علىٰ نصف بقاع الأرض العامرة في ذلك الزمان .. أي فرد من كفار قريش عندما يسمع

عن ذلك الوعد من محمد يعد به سُراقة سيقول في نفسه : إن محمداً هذا لمجنون .. إذ كيف يتنبأ لسراقة بسواري كسرىٰ وهو لا يجد كسرة خُبز يُسكت بها جوعه .. وقالوا مجنون وما هو بمجنون إنما هو نبي مُرسل من الإلهٰ العظيم خالق الأكوان مالك الملك الذي وهب كسرىٰ ملكه وسلطانه وقادر حين يشاء أن ينزعه عنه لقوله تعالىٰ : { قُلِ اللهُمَّ مَالِكَ المُلْكِ تُؤْتِي المُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ المُلْكَ مِمن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الخَيْرُ إِنكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } آل عمران : ٢٦ .

محمد صلىٰ الله عليه وسلم ليس بمجنون إنما هو كشف من الله تعالىٰ لبعض أحوال وأخبار المستقبل يكشفه لرسوله محمد كما فعل مع السابقين من الرسل كقوله تعالىٰ : { عَالِمُ الغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِه أَحَداً - إِلا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رسُولٍ فَإِنه يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً } الجن :٢٦- ٢٧ .

★ وبعد نزول آية العصمة له من رب العالمين تتابعت محاولات قتله أو اغتياله وباءت جميعها بالفشل ومنها محاولة يهود خيبر دس السم له في الطعام فأخبره جبريل عليه السلام ولم يأكل منه .. وجاء رجل إليه وهو متكئ تحت شجرة وسحب سيف رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم من غمده وكان معلقاً علىٰ الشجرة وصوبه إلىٰ الرسول وقال له : من يمنعك الآن مني يا محمد ؟ .. قال : الله يمنعني منك .. فسقط السيف من يد الرجل .

وجاء عن أنس - رضي الله عنه - أن امرأة يهودية أتت رسول الله بشاة مسمومة - فأكل منها - فجيء بها إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فسألها عن ذلك - فقالت أردت قتلك .. قال : (ما كان الله لِيُسلطكِ علىٰ ذاك) .



وهكذا تحقق وعد الله الحق في عصمة نبيه صلىٰ الله عليه وسلم رغم أنه كان مُستهدفاً أكثر من غيره في زمانه ، وكانت بيوته مصنوعة من جريد النخل وسهل اقتحامها عليه ، وقد علمنا من كتب السيرة أنباء ثلاثة من خلفائه الراشدين ماتوا غيلة وهم عمر وعثمان وعلي - والملوك والقياصرة في زمانه كانوا يُغتالون وهم في حصونهم وقصورهم وهم ممتنعون وراء أبواب مدرعة بالحديد ويحيطون

بهم حراسهم الأقوياء المدججين بالسلاح .

★ ومن آيات التنبؤ بالأحداث المستقبلية الصادقة والتي هي تعتبر كشف من الله تعالىٰ لبعض من علوم الغيب لأنبيائه ورسله ولرسوله محمد صلىٰ الله عليه وسلم خاصة .. قوله تعالىٰ : { إِنا نَحْنُ نَزلْنَا الذكْرَ وَإِنا لَهُ لَحَافِظُونَ } الحجر : ٩ .. والمقصود بالذكر هنا في هذه الآية هو القرآن الكريم ، لقد تعهد الله بحفظه من التحريف والتبديل والطمس والنقص أو الزيادة فيه إلىٰ أن تقوم الساعة .. فعندما نزل القرآن علىٰ سيدنا محمد صلىٰ الله عليه وسلم كان قد علم مما أخبره الله به فيه أن اليهود والنصارىٰ قد حرّفوا التوراة والإنجيل كما علم أيضاً من تصريحات علماء اليهود والنصارىٰ الذين دخلوا في الإسلام علىٰ يديه وفي عهده بأن التحريفات حاصلة فعلاً في التوراة والإنجيل وبشكل مكثف تأكيداً لما ذكره القرآن .. وهكذا اطمأن محمد عليه الصلاة والسلام والصحابة والمؤمنون كافة علىٰ أن كتابهم الذي أُنزل إليهم من عنـد الله سيكون محفوظاً من أي تحريف إلىٰ قيام الساعة بعد أن تعهد الله بحفظه جل وعلا .. وهاهي (١٤٠٠) سنة مرت بعد وفاة الرسول صلىٰ الله عليه وسلم وقرآننا الكريم واحد في كل مكان بالعالم لم يتغير ولم يتحرف ولم يتبدل ولم ينقص ولم يُزد عليه ولا آية واحدة ولا حتىٰ كلمة واحدة ولا حتىٰ حرف واحد هو نفسه قرآننا نجده في كل بلد في العالم فلو اتصلت من مكة المكرمة هاتفياً بأي بلد أو قرية حتىٰ في جبال الأنديز بأمريكا الجنوبية ويوجد فيها مسلمون وسألت أحدهم عن نص الآية رقم كذا من سورة كذا في النسخة التي بين يديه من القرآن الكريم ستجده هو نفس النص الذي بين يديك لا ينقص منه كلمة ولا حرفاً ولم تتأخر كلمة أو تتقدم أخرىٰ عن موضعها ، ولقد حاول بعض الحاقدين الكارهين للإسلام والمسلمين علىٰ مر التاريخ عدة محاولات لتحريف القرآن الكريم أو طمس معالمه ففضحهم الله عند بداية المحاولة ووجدوا بدل العَالِمُ الواحد من المسلمين وجدوا الآلاف منهم يكتشفوا المحاولة وهي في مهدها فيبطلوها ويُنبهوا الناس إليها ، وآخر مثل لتلك المحاولات التي يمارسها اليوم أشخاص مجهولين في مواقع عديدة علىٰ شبكة (الإنترنت) ولكنهم يجدوا فوراً من المسلمين من يتصدىٰ لهم ويكشف ويفضح محاولاتهم ويفسدها علىٰ نفس الشبكة .. وهكذا صدق قول الحق عز وجل: { إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون } .. فهو محفوظ

غيباً في صدور المؤمنين قبل أن يكون محفوظاً مكتوباً في المصاحف وقد يسر ا حفظه للمسلمين في كل مكان حتىٰ للذين لا يتكلمون اللغة العربية ، ولذلك نجد كثيراً من أطفال المسلمين الذين لم يتعدوا العاشرة من أعمارهم وهم يحفظون القرآن كله عن ظهر غيب.

ولكن في الوجه المقابل بالنسبة للتوراة والإنجيل اللذين تحرفا وتغيرا بعد سنوات قلائل من وفاة موسىٰ عليه السلام ومن رفع عيسىٰ عليه السلام .. ولم يتحرفا فحسب بل تعددت نسخهم وتناقضت نصوصها مع بعضها البعض بشكل ظاهر ومؤكد .

ولذلك نحن نوجه سؤالاً منطقياً ونريد الإجابة عليه بعقل وحكمة من إخواننا النصارىٰ من أهل الكتاب ونسألهم :

أين إنجيل عيسىٰ عليه السلام اليوم ؟ .. هل هو إنجيل متىٰ ؟ .. أم هو إنجيل يوحنا ؟ .. أم هو إنجيل مرقس ؟ .. أم هو إنجيل لوقا ؟ .. أم هو إنجيل برنابا ؟ الذي حاولتم إخفاءه فأظهره ا رغم أنه لم يسلم من التحريف .

هذه أربعة أناجيل بين أيديكم تتداولونها وكل واحد منهم يختلف عن الآخر بل ويتناقض معه في كثير من المواقف والأفكار ؟ ! .

نحن نريد منكم إجابة منطقية عقلية عادلة علىٰ هذا السؤال .

أين إنجيل عيسىٰ الصحيح وسط كل تلك الأناجيل المتضاربة والتي بلغت يوماً ما أكثر من سبعين إنجيلاً ؟ .

أليس وجود كل تلك الأناجيل المتضاربة والمتناقضة في الأفكار والنصوص يُعد دليلاً أكيداً وواضحاً بأن ولا واحداً منهم هو إنجيل عيسىٰ الأصل ؟ .. إنجيل عيسىٰ الذي تناولته أقلام وأفكار المُحرفين كل منهم كان يُحرف فيه بما يخدم مصالحه زمن كتابته وتحريفه .

وهذا ربنا وربكم ا الواحد الأحد يخاطبكم في القرآن الكريم بقوله تعالىٰ:

{ يَا أَهْلَ الكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مما كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مبِينٌ - يَهْدِي به

اللهُ مَن اتبَعَ رِضْوَانه سُبُلَ السلامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظلُمَاتِ إِلىٰ النور بِإِذْنه وَيَهْدِيهِمْ إِلىٰ صِرَاطٍ مسْتَقِيمٍ } المائدة : ١٥ - ١٦ .

وأيضاً بقوله تعالىٰ : { يَا أَهْلَ الكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الحَق بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الحَق وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ } آل عمران : ٧١ .

كما قال تعالىٰ أيضاً فيكم : { أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ منهمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللهِ ثُم يُحَرفُونه مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُون َ} البقرة :٧٥ .. فأين عقولنا السليمة ؟ .. وأين تمييزنا الصحيح بين الصح والخطأ وبين الممكن والغير ممكن وبين الصدق والكذب وبين الحق والباطل ؟ .

: أين فطنتكم يا أولي الألباب ؟ .

★ أمر آخر ورد في القرآن الكريم وأثبتت الأيام والسنين والقرون استمراره دون أن يحدث ما يُثبت عكسه .. قال عز من قائل يخاطب صحابة رسول ا صلىٰ ا عليه وسلم : { مَا كَانَ مُحَمدٌ أَبَا أَحَدٍ مِن رِجَالِكُمْ وَلِكِن رسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النبِيينَ وَكَانَ اللهُ بِكُل شَيْءٍ عَلِيماً } الأحزاب : ٤٠ .

ونتوقف هنا عند تقرير المولىٰ عز وجل في هذه الآية بأن محمداً صلىٰ ا عليه وسلم هو (خاتم النبيين) .. كما سبق وأن جاءت إشارات بذلك في التوراة والإنجيل، حيث كانت الرسل والأنبياء منذ إبراهيم عليه الصلاة والتسليم وإلىٰ عيسىٰ بن مريم عليه السلام كانوا يتتابعون علىٰ فترات قصيرة ووجيزة ، وأحياناً يبعث ا اثنين أو أكثر في زمن واحد ولأمة واحدة كما جاء في سورة ياسين قوله تعالىٰ : { وَاضْرِبْ لهُم مثَلاً أَصْحَابَ القَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا المُرْسَلُونَ - إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْن فَكَذبُوهُمَا فَعَززْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنا إِلَيْكُم مرْسَلُونَ} ياسين : ١٣-١٤.. وكان النبي لوط متزامناً في حياة إبراهيم عليهما الصلاة والسلام .. ولكن بالنسبة إلىٰ النبي محمد صلىٰ ا عليه وسلم هذه (١٤٠٠) عاماً مرت بعد وفاته ولم يظهر نبي بعده ولن ولم يظهر إلا الأفاقين والدجالين والكذابين .

★ وأيضاً من آيات التنبؤ بالأحداث المستقبلية الصادقة قصة غرق فرعون

مصر وبقاء جسده سالماً إلىٰ اليوم ليكون آية وعبرة للعالمين .. وذلك عندما أشرف علىٰ الغرق وتأكد أنه هالك لا محالة ؟ فأخبرنا المولىٰ عز وجل في القرآن الكريم قوله :

{ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْياً وَعَدْواً حَتىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنه لا إلهٰ إلا الذِي آمَنَتْ به بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ المُسْلِمِينَ- آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ المُفْسِدِينَ - فَالْيَوْمَ نُنَجيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلفَكَ آيَةً وَإِن كَثِيراً مِنَ الناسِ عَنْ آيَاتِنَا لغَافِلُونَ } سورة يونس : ٩٠-٩٢ .

تباينت كتابات المؤرخين عن شخصية من هو فرعون مصر - الذي غرق وجنوده في البحر .. البعض قال أنه (رمسيس الثاني) والبعض قال هو (منبتاح) .. وسواء كان هذا أو ذاك فإنه من الثابت في زمن نزول هذه الآيات القرآنية علىٰ نبينا محمد صلىٰ ا عليه وسلم قبل (١٤٠٠) عام لم يكن معلوماً لأحد علىٰ وجه الأرض وقتها أين هي جثة فرعون الغريق سليمة من أي نقص لم تتحال ولم تذوب في التراب بما يتوافق مع قوله تعالىٰ { فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية } .. في ذلك الوقت وعند نزول هذه الآيات كانت جثث رمسيس ومنبتاح وغيرهم من الفراعنة الذين يُرجح أنهم عاشوا زمن خروج موسىٰ من مصر ببني إسرائيل - كانت تلك الجثث جميعها محنطة محفوظة في مقابر وادي الملوك بـ (طيبة) التي تقع علىٰ الضفة الأخرىٰ من النيل في مواجهة مدينة الأقصر حالياً .. ثم لكي يتحقق كلام ربنا جل وعلا { لتكون لمن خلفك آية } اكْتُشِفَتْ تلك الجثث في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي محنطةٍ سليمة من التلف ، وسواء كان فرعون الغريق هو رمسيس أو منبتاح فكلاهما الآن مُسْجىٰ في تابوته داخل قاعة المومياءات الملكية بالمتحف المصري بميدان التحرير بالقاهرة .. يمر عليه ويشاهده ويعتبر بمصيره آلاف الناس يومياً وهم يشاهدون جسده كاملاً سليماً من التلف والتحال لتتحقق نبوءة القرآن الكريم : { فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية } .

ثالثاً : ومن معجزات القرآن الكريم في التاريخ الذي يمثل قصص الأنبياء والسابقين منذ بدء الخلق .. وهبوط آدم وحواء إلىٰ الأرض .. وبعث الرسل والأنبياء ابتداءً من نوح عليه السلام وإلىٰ موسىٰ وسليمان وداوود وعيسىٰ ابن مريم ، وما فعلوه اليهود والنصارىٰ من بعدهم .. وقد جاءت كل تلك القصص وحقائق الأحداث التاريخية علىٰ لسان محمد صلىٰ ا عليه وسلم النبي الأمي جاءت متوافقة مع كثير مما جاء بالتوراة والإنجيل وتاريخ اليهود والنصارىٰ مع بعض الاختلافات القليلة بسبب التحريفات التي أحدثوها فيهما .. ويبقىٰ القرآن هو الأصدق وقد فسر لهم (لليهود والنصارىٰ) كثير من الأحداث أو لقطات من تواريخهم كانت غائبة عنهم .

رابعاً : ومن معجزاته في التنظيم الاجتماعي وتشريعاته في القانون الجنائي والمدني ، أنه تنظيم عادل في أحكامه .. مرن يتناسب مع كل الظروف والأحوال الاجتماعية والجنائية والمدنية - ويصلح لكل مكان وزمان علىٰ مر التاريخ وحتىٰ تقوم الساعة - : أليس تشريع مُنزلٌ من عند الذي خلق تلك المجتمعات من البشر وهو سبحانه يعلم ما يُصلح أمرهم ويعلم ما يضرهم وكقوله تعالىٰ : { إِن رَبكَ وَاسِعُ المَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم منَ الأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنةٌ فِي بُطُونِ أُمهَاتِكُمْ } النجم : ٣٢ .. وقد شهد علىٰ عدالة تلك التشريعات والتنظيمات الاجتماعية في القرآن العديد من أشهر العلماء والقانونين من النصارىٰ وكفىٰ با شهيداً .. ونورد فيما يلي أقوال وتصريحات البعض منهم :

١- يقول العالم القانوني (سانتلا) في كتاب له ألفه في التشريعات السماوية والقوانين الوضعية ... قال : (إن في الفقه الإسلامي من تشريعات عادلة في القانون المدني ما يكفي الإنسانية كلها علىٰ مر الأزمان) .

٢- ويقول عالم القانون النصراني المذهب واللبناني الأصل (سليم الباز) : أعتقد جازماً أننا إذا بحثنا عن حل لكل حاجة البشر من فقه العقود والمعاملات والأقضية والالتزامات سنجدها حتماً جميعها في الفقه الإسلامي .

٣- كما يقول (هوكتنج) أستاذ القانون الدولي بجامعة هارفارد ضمن كتابه

بعنوان (روح السياسة العالمية) الذي صدر له في عام ١٩٣٢م .. يقول : إنني أشعر بارتياح وبأنني علىٰ حق حين أعترف وبعد دراسة عميقة بأن الشريعة الإسلامية تحتوي علىٰ جميع المبادئ الضرورية لقيام نهضة مدنية عادلة .

٤- وخلال مؤتمر الحقوقيين الذي عقد في فيينا عام ١٩٢٧م أعلن الأستاذ (شيرا) عميد كلية الحقوق في جامعة النمسا .. أعلن قائلاً : إن الإنسانية العالمية تفتخر بانتساب شخصية مثل محمد (صلىٰ الله عليه وسلم) لها - إذ أنه استطاع رغم أُميته المعروفة قبل ثلاثة عشر قرناً أن يأتي بتشريع فقهي وتسنين قوانين سنكون نحن الأوربيين أسعد ما نكون إذا بلغنا قمته بعد ألفي سنة .. (ونحن نصحح عبارته في مقالته أعلاه لنقول له بأن هذا التشريع الفقهي لم يأت به محمد صلىٰ الله عليه وسلم من عنده بل أنزله الله إليه في القرآن الكريم ولذا لن تصلوا إليه حتىٰ قيام الساعة) .

٥- كما قال العالم القانوني الألماني الشهير (كهلر) : كنا نحن القانونين الألمان نعد أنفسنا أول من وضع مادة في القانون المدني الألماني عام ١٧٨٧م تحدد تطبيق نظرية (الاعتساف) أي مبدأ (لا ضرر ولا ضرار) حتىٰ قرأت حديثاً شريفاً للنبي محمد نبي الإسلام قاله قبل ثلاثة عشر قرناً يتحدث فيه عن مبدأ لا ضرر ولا ضرار ، فقلت : كان من الأحرىٰ علىٰ علماء القانون الألمان أن يتخلوا عن التفاخر بوضع نظرية الاعتساف ويتركوا المجد لمبدأ العمل بهذه النظرية في التشريع الإسلامي لمحمد (صلىٰ الله عليه وسلم) الذي عرفه وعمل به قبل أن يطبقه الألمان بعشر قرون .

٦- وفي مؤتمر القانون الدولي المقارن الذي انعقد في لاهاي في أغسطس من عام ١٩٣٢م أعلن (لامبير) الأستاذ في علم القوانين الدولية تقديره للأحكام الفقهية التي وردت ضمن الشريعة الإسلامية .

٧- وكان أحد القرارات التي أصدرها المؤتمر الدولي للقانونيين والتشريع الذي انعقد في لاهاي أيضاً عام ١٩٣٧م هو (اعتبار الشريعة الإسلامية مصدراً هاماً من مصادر التشريع العام) .

هذا هو دستورنا القرآن الكريم كتاب مُنزلٌ من عند ا العليم الحكيم ، ولا يزال القرآن كما وصفه الرسول صلىٰ ا عليه وسلم (كتاب لا تنقضي عجائبه .. ولا تشبع منه العلماء) .. فكلما تقدم به الزمن كلما كشف من أسراره عن وجه جديد من وجوه إعجازه .. وخاصة بعد أن دخل الناس في عصر العلوم الكونية والفلكية والجيولوجية والجغرافية والذرية والإلكترونية المتطورة بعد (١٤) قرناً من نزوله حتىٰ وجدوا اعجازاته ظاهرة وتبين لهم أنه الحق : { سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتىٰ يَتَبَينَ لَهُمْ أَنه الحَق } فصلت : ٥٣ .

خامساً : ومن معجزاته في الاقتصاد الإسلامي نقرأ من النصوص القرآنية التي تأخذ بأيدينا وتجعلنا نشعر بأن القرآن والإسلام ليس مجرد كلمات وشعارات .. ولا مجرد شعائر تعبدية وصلوات .. إنما هو إلىٰ جانب ذلك كله وقبل كل شيء هو نظام يحكم .. ومنهج يتحكم .. وقيادة تطاع .. جاءت جميعها في كتاب ا لتواكب كل فئات المجتمع وتتناسب مع كل زمان وكل بيئة وتحت أي ظروف .. وفي هذا تكمن المعجزة لأنها جاءت لتتعامل مع الجماعة الإنسانية كلها في أي طور من أطوارها وهي تحمل نفس المنهج الذي انتشل الفئة المسلمة الأولىٰ من سفح الجاهلية إلىٰ قمة الحياة الإنسانية العادلة والمتوازنة .

فعندما يأمرنا ربنا في كتابه الكريم بترك التعامل بالربا وأن نتوب ونذر ما بقي منه يقول لنا جل وعلا : { يَا أَيهَا الذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الربَا أَضْعَافاً مضَاعَفَةً وَاتقُوا اللهَ لَعَلكُمْ تُفْلِحُونَ } آل عمران: ١٣٠ .. وقوله تعالىٰ : { يَا أَيهَا الذِينَ آمَنُوا اتقُوا اللهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الربَا إِن كُنتُم مؤْمِنِينَ - فَإِن لمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ منَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ - وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدقُوا خَيْرٌ لكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ - وَاتقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلىٰ اللهِ ثُم تُوَفىٰ كُل نَفْسٍ ما كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ } البقرة : ٢٧٨ - ٢٨١ .

وقوله تعالىٰ : { الذِينَ يَأْكُلُونَ الربَا لا يَقُومُونَ إِلا كَمَا يَقُومُ الذِي

يَتَخَبطهُ الشيْطَانُ مِنَ المَس ذَلِكَ بِأَنهمْ قَالُوا إِنمَا البَيْعُ مِثْلُ الربَا وَأَحَل اللهُ البَيْعَ وَحَرمَ الربَا فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ من ربه فَانتهىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلىٰ اللهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النار هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } البقرة : ٢٧٥ .

وبهذه الآيات السابقات عن الربا إنما يفتح ا أعيننا علىٰ أشد الممارسات الشبه تجارية خطراً علىٰ فساد المجتمعات الإنسانية التي حررها التشريع الإسلامي من الاشتراكية والرأسمالية الظالمة ومن الاحتكار بقوة العقيدة وقوة الإيمان با .. فالمؤمن في التشريع الإسلامي مُطَالبٌ بتثمير أمواله وتكثيرها ولكن شرط عليه الإسلام أن يلتزم في تنمية أمواله اتباع الوسائل التي لا ينشأ عنها أذىٰ للآخرين ولا يكون في ممارستها تعويق أو تعطيل لجريان الأرزاق بين الناس وتأمين دوران المال في أيدي الجميع علىٰ أوسع نطاق وكما قال المولىٰ جلا وعلا : { كَيْ لاَ يَكُونَ دُولةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ } الحشر:٧ ... فالربا يتداوله البعض علىٰ أساس مبدأ خاطئ وفاسد قائم علىٰ أن غاية الأهداف للوجود الإنساني هو تحصيله للمال بأية وسيلة واستمتاعه به علىٰ النحو الذي يهوىٰ ، فيتكالب علىٰ جمع المال والمتاع ويدوس في طريقه علىٰ كل المبادئ والمصالح للآخرين .. ثم ينمو في النهاية نظاماً يسحق البشرية سحقاً ويُشقيها في حياتها أفراداً وجماعات ودولاً وشعوباً لمصلحة حفنة من المرابين .. ويكون من نتائج ذلك تفشي الفساد الخلقي وينضب في قلوب الناس معين الحياة الطيبة والتكافل الاجتماعي والتعاطف والتراحم، وتتفكك روابط الأسرة ، كما تتداعىٰ روابط المجتمع .

إن النظام الربوي نظام معيب من الوجهة الاقتصادية البحتة ، وقد بلغ من سوئه أن تنبه لعيوبه بعض أساتذة الاقتصاد الغربيين أنفسهم وفي مقدمتهم الألماني الدكتور (شاخت) وكان مديراً سابقاً لبنك الرايخ الألماني .. فقد كان مما قاله ضمن محاضرة له بدمشق عام ١٩٥٣م قال: أنه بعملية رياضية (غير متناهية) يتضح أن جميع المال في الأرض صائر إلىٰ عدد قليل من المرابين ذلك أن الدائن المرابي يربح دائماً في كل عملية بينما المدين مُعرضٌ للربح والخسارة .. ومن ثم فإن المال كله في النهاية لابد بالحساب الرياضي أن يصير إلىٰ الذي يربح دائماً .. وأن هذه النظرية وهي في طريقها للتحقق الكامل فإن معظم مال الأرض يملكه الآن مِلكاً

حقيقياً بضعة ألوف من الناس .. أما جميع الملاك وأصحاب المصانع الذين يستدينون من البنوك وأيضاً العمال وغيرهم فهم ليسوا سوىٰ أُجراء يعملون لحساب أصحاب المال ويجني ثمرة كدهم أولئك الألوف!.

هذا وبالتالي فإن التشريع الإسلامي قد كفل لكل فرد من البشرية كفل له حرمة دمائه وحرمة ماله وتكفل تأمين حاجة الجماعة بالزكاة ، وفي ذلك كله نجد أفضل صور الضمان الاجتماعي والحرية والكرامة والإنسانية لجميع بني البشر مسلمين وغير مسلمين في الاقتصاد الإسلامي .

والزكاة التي فرضها الإسلام التي تحقق عدالة التوزيع وتؤمن التكافل المعاشي في المجتمع وهي بديل عادل عن المكوس والضرائب العالية ، فإن هذه الزكاة لم يُشرعها القرآن بأخذ نسبة ضئيلة (٢,٥%) بعد أن يحول علىٰ المال الحول إلا علىٰ الموسر المقتدر الذي عنده زيادة عن معاش وسكن وملبس نفسه ومن يعولهم من أب وأم وزوجة وأولاد وبنات .. ومن الآيات القرآنية التي تفرض الزكاة قول ا تعالـىٰ : { وَأَقِيمُوا الصلاةَ وَآتُوا الزكَاةَ وَمَا تُقَدمُوا لأَنفُسِكُم منْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللهِ إِن اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } البقرة : ١١٠ .

كما حرم التشريع القرآني في الإسلام حرم التملك عن طريق القمار (الميسر) وحرم الاحتكار والغصب والسرقة .. وحرم التملك عن طريق الغش والتغرير والكذب ، ووضع الإسلام شروطاً للعقود تمنع الخداع والتحايل والغبن .. ومن الآيات التي تحرم الكسب من وراء القمار (الميسر) قوله تعالىٰ : { يَا أَيهَا الذِينَ آمَنُوا إِنمَا الخَمْرُ وَالمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ منْ عَمَلِ الشيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلكُمْ تُفْلِحُونَ - إِنمَا يُرِيدُ الشيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ العَدَاوَةَ وَالبَغْضَاءَ فِي الخَمْرِ وَالمَيْسِرِ وَيَصُدكُمْ عَن ذِكْرِ اللهِ وَعَنِ الصلاةِ فَهَلْ أَنتُم منتهونَ } المائدة : ٩٠- ٩١.

ومن الآيات التي تحرم التملك بالاحتكار والغصب والغش والخداع والتغرير قوله تعالىٰ : { يَا أَيهَا الذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالبَاطِلِ

إلا أن تكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ منكُمْ وَلا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إن اللهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً } النساء:٢٩.

كما حث القرآن الكريم بالقسط في التعاملات التجارية وعدم الغبن بين البائع والمشتري في قوله تعالىٰ:{ وَالسمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ المِيزَانَ - أَلا تَطْغَوْا فِي المِيزَان - وَأَقِيمُوا الوَزْنَ بِالقِسْطِ وَلا تُخْسِرُوا المِيزَانَ} الرحمن:٧-٩.

وقوله تعالىٰ في الغبن : { فَأَوْفُوا الكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلا تَبْخَسُوا الناسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لكُمْ إن كُنتُم مؤْمِنِيـنَ } الأعراف : ٨٥ .. كما يحذرنا القرآن الكريم من البخل في النفقة علىٰ أنفسنا وعيالنا ، وفي نفس الوقت ينهانا عن التبذير والإسراف ومن قتل أولادنا خشية الفقر لأنه سبحانه هو الذي يرزق الجميع فقال تعالىٰ : { وَآتِ ذَا القُرْبَىٰ حَقهُ وَالمِسْكِينَ وَابْنَ السبِيلِ وَلا تُبَذرْ تَبْذِيراً- إن المُبَذرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشيَاطِين وَكَانَ الشيْطَانُ لِرَبه كَفُوراً - وَإِما تُعْرِضَن عَنهمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ من ربكَ تَرْجُوهَا فَقُل لهُمْ قَوْلاً ميْسُوراً - وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُل البَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً محْسُوراً - إن رَبكَ يَبْسُطُ الرزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إنه كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً - وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِياكُمْ إن قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئاً كَبِيراً } الإسراء : ٢٦ - ٣١ .

وأيضاً قوله تعالىٰ : { وَآتُوا حَقهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلا تُسْرِفُوا إنه لا يُحِب المُسْرِفِينَ } الأنعام : ١٤١ .

وفي الوجه السلبي المقابل لما جاء من نظام اقتصادي عادل وسليم في القرآن والتشريع الإسلامي نجد العالم اليوم تتصارعه أنظمة ثبت فسادها حتىٰ عند من ابتدعوها .. فنجد الشيوعية التي جعلت من الإنسان الفرد عبداً للآلة ليحصل

علىٰ دريهمات لا تسد حاجته للمعيشة من أكل وملبس ومسكن بينما أعضاء الأحزاب الشيوعية كانوا يرفلون في تخمة المكاسب المالية ويعيشون وهم قلة حياة البذخ والرفاهية .. وثبت فساد نظامهم فتفككت دول وسقطت حكومات كانت تتبع النظم الاقتصادية الشيوعية كما حدث للاتحاد السوفيتي سابقاً .. ونجد النظم الاشتراكية التي تقوم أدواتها علىٰ تأمين عناصر الإنتاج وعلىٰ تخطيط وتقنين الاستهلاك .. ونجد النظم الرأسمالية التي تتبع أسلوب حرية التملك والكسب دون قيد ودون حد سواء تحقق ذلك الكسب بالحلال أو بالحرام بالطرق المشروعة أو غير المشروعة .. وتلك النظم هي التي أفرزت للعالم الربا والضرائب والمكوس والتأمين والاحتكار، فجاء الإسلام وكما أسلفنا جاء يحرر الإنسان من الاشتراكية والشيوعية والرأسمالية الظالمة .. وجعل الإنسان المسلم يتعامل مع كل ما رزقه ا به من مال ومتاع تعامل المؤمن القانع بما قسمه له ربه من رزق بعد أن يكون قد سعىٰ إليه سعيه وقد امتلأ قلبه إيماناً بأن الأعمار بيد ا والرزق أيضاً بيد ا فلا يخاف فقراً ولا يخاف موتاً لأنه علىٰ يقين بالآخرة وأن فيها النعيم المقيم الدائم الأبدي خالداً فيه .

طبعاً وبالرغم من كل ما ذكرناه وأوضحناه عن شخصية محمد صلىٰ ا عليه وسلم وعن القرآن الكريم إلا أن الإسلام لم يسلم من بعض الحاقدين من المستشرقين الذين يجادلون بغير علم والذين حاولوا نفث سموم حقدهم لتشويه سمعة الرسول عليه الصلاة والسلام وحاولوا نقد بعض ما جاء بالقرآن الكريم وكما قال المولىٰ عز وجل : { وَمِنَ الناسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدًىٰ وَلا كِتَابٍ منِيرٍ - ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِل عَن سَبِيل اللهِ لَهُ فِي الدنيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَذَابَ الحَرِيق } الحج : ٨ - ٩ .

وكان من أهم القضايا التي ركزّوا هجومهم الهمجي عليها وقد ردهم ا علىٰ أعقابهم خاسئين هي مسألة زواجه صلىٰ ا عليه وسلم بنساء كثيرات وجمعه في عصمته في وقت واحد بتسعة منهن ... فقد خاضوا وأفاضوا في هذه المسألة رغم أن تلك الزيجات التسع قد تمت جميعها بعد وفاة السيدة خديجة زوجته الأولىٰ رضي ا عنها .. وعند بدء جهاده في الدعوة وهو في غمرة المخاطر التي كانت تهدد حياته وفي غمار الأحداث والحروب والغزوات ، وكان قد جاوز وقتها الخمسين

من عمره .. ورداً علىٰ تلك الافتراءات سأفند مناسبات وأسباب تلك الزيجات التسع كما أوردها المؤرخون والكتاب لنرىٰ ونحكم بالعدل وننصف شخص هذا الرسول الكريم الذي وصفه المولىٰ عز وجل في كتابه الكريم مخاطباً إياه بقوله تعالىٰ : { وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ } القلم : ٤ .

١- الأولىٰ هي السيدة (سودة بنت زمعة) رضي ا عنها .. وهي امرأة عندما تزوجها الرسول عليه الصلاة والسلام كانت متقدمة في السن لا جمال لها ولا مال ، ولا هي من ذوات الجاه ، هاجرت برفقة زوجها السكران بن عمرو العامري مع الذين هاجروا بعد إسلامهم إلىٰ الحبشة .. فلما بلغهم إسلام عمر بن الخطاب وكثير من وجهاء وأقوياء مكة واطمئنوا علىٰ دينهم عادوا ، فمات السكران بن عمرو بعد وصوله مكة بأيام قلائل وترك زوجته سودة كسيرة الجناح خائفة بعد موته من تنكيل أبيها المشرك بها ، وكان الرسول عليه الصلاة والسلام حين ذاك من غير زوجة بعد وفاة خديجة رضي ا عنها ، فرأىٰ أن خير عمل يقوم به لتكريم تلك الأرملة المسلمة المهددة أن تفتتن في دينها من قبل أبيها المشرك حيث كانت تقيم في بيته بعد وفاة زوجها، هو أن يتزوجها ولا يتركها في محنتها وليس هناك من رجل يقبل الزواج منها لتقدمها بالسن ولا جمال ولا مال ولا جاه لها كما أسلفنا فيشمت بها أبوها وكفار قريش وتتعرض للنكال والتعذيب والردة إلىٰ الكفر رغماً عنها .

٢- الثانية هي السيدة (عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي ا عنها) .. كلنا ندرك ماذا كان موقع أبو بكر من نفس رسول ا صلىٰ ا عليه وسلم الذي أيده وناصره من أول البعثة وصدّقهُ وعاهد ا أن يكون معه دائماً في السراء والضراء وحتىٰ أثناء المخاطر .. وكانت عائشة وهي طفلة كانت مخطوبة قبل إسلام أبي بكر وعائلته إلىٰ جبير بن الـمُطعم بن عدي وهو من المشركين.. فكان ذلك وضعاً محرجاً للصديق رضي ا عنه وهو رفيق الرسول الكريم وخير أصحابه أن تكون ابنته مخطوبة من مشرك من الكافرين ، فبعد وفاة السيدة خديجة رضي ا عنها وزواج الرسول بسودة تكريماً لها كما أسلفنا وكانت ثيباً ومتقدمة في السن فكان الرسول يريد زوجة صغيرة بكراً تؤنسه في حياته وكانت عائشة أمام عينيه

يميل إليها ويريد أيضاً تكريم صديقه أبا بكر ويخرجه من حرجه في بقائها مخطوبة لأحد المشركين ، فخطبها إليه .. ففرح أبا بكر فرحاً عظيماً بذلك .. وقد روىٰ الطبري في تاريخه .. (أن أبا بكر رضي ا عنه حين علم بخطبة رسول ا لعائشة أراد أن يخرج نفسه من العدة التي تواعد فيها مع المطعم بن عدي علىٰ زواج عائشة من ابنه جبير ، فذهب إلىٰ منزل المطعم فلم يجد سوىٰ زوجته (أم جبير) فسألها : هل لازال المطعم علىٰ العدة التي تواعدنا عليها ؟ .. فقالت له أم جبير : إن ابنتكم تُصبئ ابننا .. (أي بإسلامها تخرجه من دينه) .. وهكذا اعتُبِرَتْ خطبته لعائشة مفسوخة ، وبنىٰ بها الرسول صلىٰ ا عليه وسلم بعد الهجرة بسنتين .

أما مسألة أن الرسول عليه الصلاة والسلام قد بنىٰ بها وهي صغيرة في العاشرة فكلنا يرىٰ كثير من بناتنا يبلغن الحلم مبكراً عن الذكور من الأولاد وتنمو أجسامهن أسرع وتبدوا عليهن مظاهر الأنوثة وهن في العاشرة ، وهكذا كانت السيدة عائشة رضي ا عنها .. كما أن بعضنا اطلع مؤخراً علىٰ ما نشرته الصحف العصرية منذ سنوات لصورة فتاة ماليزية في التاسعة من عمرها وهي تحمل وليدها الرضيع بين يديها .. ونشرت الصحف بعد ذلك صورة جدة في العشرين من عمرها من أمريكا اللاتينية وهي تحمل حفيدها وبجوارها ابنتها التي أنجبته .

٣- الثالثة وهي السيدة (حفصة بنت عمر بن الخطاب) رضي ا عنها .. لم تكن علىٰ شيء من الجمال لنقول أن الرسول صلىٰ ا عليه وسلم تزوجها لجمالها، ولكن ترملت بعد أن توفي عنها زوجها خنيس بن حذافة بعد أن شهد موقعة بدر ، فذهب أبوها عمر بن الخطاب رضي ا عنه يعرضها للزواج .. فعرضها أولاً علىٰ أبي بكر الصديق رضي ا عنه فاعتذر منه ثم عرضها علىٰ عثمان بن عفان فلم يصادف وفاقاً .. فأحس عمر بالمهانة وبأنه طُعن في كرامته وهو يعرض أبنته علىٰ كبار الصحابة فيردونه ، فذهب يشكو حزنه إلىٰ رسول ا صلىٰ ا عليه وسلم .. فأدرك الرسول ما وقع في نفس عمر من غم وأسىٰ بعد أن عرض ابنته علىٰ أثنين من كبار الصحابة فَرداهُ فكيف يعرضها بعد اليوم علىٰ من هو أقل منهما درجة

ومكانة في الإسلام ؟ .. فأدرك الرسول صلىٰ ا عليه وسلم أنه بشكوىٰ عمر إليه أنه وجد نفسه وجهاً لوجه أمام مسئولية الموقف وأمام معالجة ومواساة لكرامة هذا الرجل الذي أعز ا به الإسلام في بداية الدعوة وبعدها.. فأقر عيني عمر وابنته حفصة بأن يتزوجها من هو خيراً من أبي بكر وعثمان وطلبها منه لنفسه لتكون حفصة واحدة من أمهات المؤمنين اللاتي كرمهن ا وجعلهن من زوجات رسوله وذكرهن في القرآن كما هي ابنة عمر بن الخطاب ثاني الخلفاء الراشدين .

٤- الرابعة وهي السيدة (زينب بنت جحش) رضي ا عنها . وهذه هي الزيجة التي خاض فيها الخائضون من خصوم الإسلام في محاولاتهم الفاشلة للإساءة إلىٰ سمعة الرسول صلىٰ ا عليه وسلم بوصفهم له أنه الرجل الذي كانت تتحكم غرائزه الجنسية وشهواته للنساء في كل تصرفاته حتىٰ وإن خالفت المبادئ السامية التي كان ينادي بها من خلال دعوته ورسالته في الإسلام .. وقد استندوا في محاولاتهم الباطلة إلىٰ بعض الروايات الخاطئة من رواة ينقصهم السند الصحيح لرواياتهم الغير موثوقة التي لا تتطابق مع شخصية هذا الرسول الكريم الذي شهد له رب السمٰوات السبع ورب العرش العظيم وزكاه في القرآن الكريم بقوله تعالىٰ له:
{ وإنك لعلىٰ خلق عظيم } .

وأما القصة الحقيقية لزواجه من السيدة زينب بنت جحش فإنني أحاول تلخيصها فيما يلي: زينب هذه هي ابنة عمة الرسول الكريم صلىٰ ا عليه وسلم (أميمة بنت عبد المطلب) .. وقد تربت زينب وترعرعت أمام عينيه منذ هي طفلة صغيرة تحبو وحتىٰ كبرت وصارت امرأة، ويعرف الرسول جمالها ومحاسنها من قبل أن يخطبها لمولاه وحبه وربيبه زيد بن حارثة .. فلو كان في نفسه شيء منها ويريدها زوجة له فما كان يمنعه شيء من خطبتها لنفسه وهي ابنة عمته وسيسعد أهلها بتلك الخطبة من رسول ا .. ولكن تعالىٰ حكمة في كل تشريع أنزله في كتابه الكريم وفي كل أمر أوحىٰ به إلىٰ نبيه محمد عليه الصلاة والتسليم .. وفي زمن حادثة زواج زينب بالرسول الكريم كانت القاعدة المعمول بها لدىٰ أشراف العرب وخاصة القرشيين منهم هي المراعاة والتشديد في وضع الفروق بين الطبقات فيما بينهم وبين طبقات الخدم والموالي حتىٰ ولو أعتقوا وصاروا أحراراً (أي ما

يسمونه اليوم بالتمييز العنصري) فالشريفة لا يزوجونها من المولى وإن كثر ماله ، بينما جاء الإسلام ليساوي بين كل تلك الفروق والطبقات من المسلمين إلا بالتقوى لقوله تعالى : { إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ } الحجرات : ١٣ .. وأراد الله تعالى أن يضع حداً لكل تلك العادات والأفكار التي كانت سائدة في الجاهلية وليحطم تلك الفوارق التي لا تصح في الإسلام .. فجعل سبحانه التجربة تتم أولاً على زينب بنت جحش تلك الشريفة القرشية بنت عمة رسول الله وهي من أعلى نسبٍ لأشراف قريش ، ثم على زيد بن حارثة مولى رسول الله الذي اعتقه من صغره ورباه في بيته كأحد أبنائه ، وجعل سبحانه وتعالى الدور الرئيسي لخاتمة هذه التجربة لرسوله محمد عليه الصلاة والسلام ، فأوحى إليه أن يزوج زينب من مولاه زيد ... فلما خطبها إليه من أخيها عبدالله بن جحش .. فتثور في نفسه وأخته زينب ثورة الكبرياء والشعور بالمهانة من هذه الزيجة التي أحرجهم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبينما كانت زينب وأخيها يتوقعان أن يخطبها أحد وجهاء الصحابة من أشراف قريش أو من الأنصار فإذا بهما يجدان نفسيهما أمام هذا المأزق لأن الذي جاء يخطبها لزيد هو رسول الله نفسه فكيف يردّانه دون أن يُغضباه ؟ .. فحاولا باستحياء إشعار الرسول الكريم بصعوبة هذا الزواج الغير متكافئ وبأعذار أخرى .. فأنزل الله تعالى قرآناً على رسوله بقوله تعالى : { وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مبيناً } الأحزاب : ٣٦ .

فوضع هذا الأمر الإلهي حداً للجدال في أمر هذه الخطبة ، فما كان أمام زينب إلا أن ترضخ لأمر الله ورسوله ، ولكنها بعد الزواج من زيد ظلت كالفرس الجامحة النافرة فقد استجابت للأمر ببدنها فقط ولكن قلبها ظل متمرداً على الاستجابة لمعاشرة زيد معاشرة الزوجين المتحابين ، وكان زيد بعد أن دخل بها وعاشرها فترة قصيرة كان يعاني نفسياً ويتعذب من قسوة التجربة والطريقة السلبية التي تعامله بها .. فكان دائم الشكوى منها لرسول الله صلى الله عليه وسلم .. وهنا تأتي المرحلة الثانية من الورطة التي تورط فيها الرسول الكريم عليه الصلاة والتسليم في هذه القضية التي ابتلاه الله بها ليجعل منه أحد الشخصيات الرئيسة في

التجربة .. والورطة هي أنه بعد أن تم زواج زيد من زينب وعقد العقد عليها أتاه جبريل عليه السلام بوحي من عند الله تعالىٰ يقول : بأن زينب هذه ستكون زوجك يا محمد ، ليقضي الله بهذا الزواج علىٰ فكرة تحريم الوالد من زوجة ربيبه الذي ليس من صلبه بعد أن يطلقها .. وهنا وجد الرسول عليه الصلاة والسلام نفسه في موقف لا يُحسد عليه .. فمحمد رجل حيي بالغ الحياء ، وظن أنه لن يقدر بحيائه أن يُخبر زيداً حبه وربيبه أن التي تحتك وفي عصمتك ستكون زوجتي ، فكان كلما جاء إليه زيد يشتكي من قسوة معاشرة زينب له ويستأذن الرسول في تطليقها فكان يجيبه : (أمسك عليك زوجك واتقي الله) فأنزل الله هذه الآيات التاليات يعاتبه من خلالها ولتكون فرضاً أمراً ظاهراً للناس كافة ، ويُخرج بها رسوله الكريم من حرجه الذي وقع فيه قال تعالىٰ : { **وَإِذْ تَقُولُ لِلذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتقِ اللهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَىٰ الناسَ وَاللهُ أَحَق أَن تَخْشَاهُ فَلما قَضَىٰ زَيْدٌ منها وَطَراً زَوجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَىٰ المُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنهن وَطَراً وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولاً - مَا كَانَ عَلَىٰ النبِي مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللهُ لَهُ سُنةَ اللهِ فِي الذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَراً مقْدُوراً - الذِينَ يُبَلغُونَ رِسَالاتِ اللهِ وَيَخْشَوْنه وَلا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلا اللهَ وَكَفَىٰ بِاللهِ حَسِيباً** } الأحزاب : ٣٧ - ٣٩ .

وهكذا بعدما قُرِأَتْ هذه الآيات علىٰ الصحابة وعلموا بها كانت إيذاناً لزيد والسماح له بتطليق زينب .. وبعدما أكرمها الله تعالىٰ بزواجها من الرسول الكريم صلىٰ الله عليه وسلم كانت تتباهىٰ وتتفاخر علىٰ باقي أزواج الرسول وتقول لهن : (زوجكن أهاليكن وزوجني الله تعالىٰ من فوق سبع سمٰوات) .. وفي رواية أخرىٰ عن ابن أخيها محمد بن عبد الله بن جحش قال: (تفاخرتا زينب وعائشة رضي الله عنهما فقالت زينب رضي الله عنها : أنا التي نزل تزويجي من السماء .. وقالت عائشة رضي الله عنها : أنا التي نزل عُذري من السماء .. فاعترفت لها زينب رضي الله عنها) .

٥- الخامسة هي السيدة (أم حبيبة) رضي ا عنها وأسمها (رملة بنت أبي سفيان) وقصة زواجها من الرسول صلىٰ ا عليه وسلم صورة أخرىٰ من صور إقالة عثرات الكرام والمواساة ورد الاعتبار لامرأة مثلها من هذا الرسول الكريم .

هذه المرأة هي بنت أبي سفيان والدها أحد كبار قادة جنود الكفر ضد محمد ودعوته ، ورغم ذلك آمنت وأشهرت إسلامها متحدية أباها وكانت متزوجة من عبيد ا بن جحش ، وهاجرت معه ضمن من هاجروا هرباً بدينهم إلىٰ الحبشة .. ولكن الصدمة القاسية عليها أن زوجها غوىٰ به الشيطان في الحبشة دون كافة من هاجروا وارتد عن الإسلام واعتنق النصرانية ، وكان هذا هو الإنسان الوحيد الذي خرجت به من بلادها إلىٰ بلاد الغربة فتنصر وأصبح من خصومها وتركها في الحبشة تعاني محنتها وحدها ومن شماتة أهلها الكفار في مكة ، فبقيت في الحبشة لا تستطيع العودة إلىٰ مكة ، وكيف تعود وكيف سيكون حالها مع والدها الجبار ومع أهلها الشامتين فيها .. ووصلت أخبارها إلىٰ الرسول الكريم صلىٰ ا عليه وسلم فما كان منه ومن عميق أخلاقه العظيمة إلا أن يُبدلها مكان الشماتة فخراً ويرفع رأسها بين الناس من هول المصائب التي تلقتها وهي المسلمة المؤمنة المتمسكة بدينها والمتحدية لأهلها بإصرارها علىٰ إسلامها.. فأرسل الرسول عليه الصلاة والسلام إلىٰ النجاشي ملك الحبشة يخطبها منه وأوكله أمر هذه الخطبة وعقد الزواج.

فأمهرها النجاشي أربعمائة دينار وبالغ في تكريمها .. فهل كانت هذه الزيجة بعدما أوضحناه زيجة قائمة علىٰ غلبة الشهوة والجنس إلىٰ النساء ؟ .. أم زيجة تمت من هذا الرسول الكريم لإقالة عثرة هذه المرأة القرشية ولبذر بذور الألفة والمودة في قلب أبيها أبي سفيان وعشيرته عسىٰ أن تُثمر هذه البذرة فيما بعد ، وهذا عين ما حدث.

٦- السادسة هي السيدة (أم سلمة) رضي ا عنها وأسمها (هند بنت زاد الركْب أبو أمية عبد ا المخزومي) أول مسلمة هاجرت إلىٰ الحبشة وأنجبت ابنها سلمة هناك ، وكانت أيضاً أول امرأة مسلمة هاجرت إلىٰ المدينة المنورة .. وكان زوجها (عبد ا بن عبد الأسد بن المغيرة) ابن عمة رسول ا وأخاه في الرضاعة

وله في الإسلام سابقة حيث كان من أوائل المهاجرين إلىٰ الحبشة وكان أول صحابي هاجر إلىٰ المدينة قبل هجرة الرسول إليها .

وهذه السيدة (أم سلمة) أُبتليت في إسلامها ابتلاءً عظيماً وقصة ابتلائها نوردها كما جاء علىٰ لسانها فيما يرويه ابن هشام في سيرته .

قالت : (لما أزمع أبو سلمة الخروج إلىٰ المدينة ، اركبني علىٰ بعير ومعي ابني (سلمة) ثم خرج يقودني ، فلما رأته رجال بني المغيرة (عشيرة أم سلمة) قاموا إليه ونزعوا خطام البعير من يده وأخذوني منه ، فغضب عند ذلك بنو عبد الأسد (عشيرة أبي سلمة) .. وقالوا : وا لا نترك أبننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا ، فتجاذبوا ابني (سلمة) بينهم حتىٰ خلعوا يده ، وانطلق به بنو عبد الأسد ، وحبسني بنو المغيرة قومي عندهم ، وانطلق زوجي إلىٰ المدينة ، ففرق القوم بيني وبين زوجي ، وبيني وبين ابني ، فكنت أخرج كل غداة وأجلس بالأبطح، فما أزال أبكي حتىٰ أُمسي سنة أو قريباً منها .. حتىٰ مر بي رجل من بني عمي ، أحد بني المغيرة ، فرأىٰ ما بي فرحمني، فقال لبني المغيرة : ألا تُخرجون هذه المسكينة ؟ .. فرّقتم بينها وبين ولدها - فقالوا لي : الحقي بزوجك إن شئت ، ورد بنو عبد الأسد إلى ابني (سلمة) فارتحلت بعيري ، ثم أخذت ابني في حجري ، ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة ، وما معي من أحد من خلق ا ، وا ما أعلم أهل بيت في الإسلام أصابهم ما أصاب أبا سلمة) .

ولحقت بزوجها ومكثت معه فترة في المدينة حتىٰ توفي وكان الرسول عليه الصلاة والسلام يكن له محبة كبيرة حتىٰ عندما أدركته المنية ما فاضت روحه إلا وهو علىٰ صدر رسول ا ثم سجاه بيده واشتد حزنه عليه .. مات أبو سلمة وترك زوجته امرأة طاعنة في السن ليس لها من يرعاها بعد ما مر بها من مآس ومحن في هجرتها إلىٰ الحبشة وفي التفريق بينها وبين زوجها، وبينها وبين ابنها، ثم وفاة زوجها عنها ، وليس أحد من أهلها معها .. وهنا تتصدر الرحمة نفس محمد صلىٰ ا عليه وسلم وأصحابه المقربين وتبرز إلىٰ السطح أجمل صور الشهامة والنخوة لمواساة هذه المرأة الصالحة ، ورغم كبر سنها إلا أن أبا بكر وعمر بن الخطاب رضي ا عنهما سارعا كل منهما إلىٰ طلب يدها ، ولكنها

اعتذرت لهما بكبر سنها .. فذهب الرسول صلىٰ ا   عليه وسلم إليها لِيُواسيها فقال لها : (سل ا   أن يؤجرك في مصيبتك وأن يخلفك خيراً) .. فقالت : ومن يكون خيراً من أبي سلمة يا رسول ا   ؟ .. فخطبها النبي لأنه وحسب قولها لم يبق أحداً في نظرها خيراً من أبي سلمة سوىٰ رسول ا   صلىٰ ا   عليه وسلم.

فهل بعد ذلك يقول المرجفون أن زواجه صلىٰ ا   عليه وسلم من هذه المرأة الطاعنة في السن كان لأجل إشباع شهوة جنسية أو افتتان بجمالها ؟! .. تنزهت يا محمد يا رسول ا   وحبيبه يا صاحب الخلق العظيم عمّا يقولون من إفكٍ وكذب .

٧- السابعة هي السيدة (ميمونة بنت الحارث) رضي ا   عنها ، وهذه السيدة قصتها عجيبة في طريقة زواجها من الرسول صلىٰ ا   عليه وسلم .. إذ بعد صلح الحديبية الذي وقع في العام السابع للهجرة حيث كان الاتفاق السلمي أن يدخل الرسول والمسلمين مكة ليؤدوا عمرة القضاء لأول مرة منذ الهجرة إلىٰ المدينة المنورة .. وكان من شروط اتفاق الصلح أن يغادر الرجال من المشركين مكة لمدة ثلاثة أيام حتىٰ يكون الرسول ومن معه قد فرغوا من أداء مناسك العمرة.

ولكن الرسول ومن معه استغلوا مناسبة دخولهم مكة وجعلوا منها فرصة لاستعراض كثرتهم وقوتهم (كما يحدث في عصرنا من الاستعراضات العسكرية) فانتظموا صفوفاً ورتبوا هتافاتهم بالتكبير والتهليل علىٰ صوت واحد فاهتزت لهتافاتهم المنتظمة شِعَاب وجبال مكة والرسول صلىٰ ا   عليه وسلم في وسط مقدمتهم، فما كان من نساء قريش اللاتي بقين في مكة بعد خروج رجالهن منها ، ما كان منهن إلا أن تجمعن في شرفات المنازل وبعضهن خرجن من بيوتهن ليستمتعن بمشاهدة هذا الركب وذلك العرض العظيم .. وكانت من بينهن ميمونة بنت الحارث رضي ا   عنها وهي شقيقة زوجتي عمّي رسول ا   العباس وحمزة ابني عبد المطلب .. وكانت راكبة علىٰ ناقة لها تشاهد العرض المهيب فرأت رسول ا   صلىٰ ا   عليه وسلم وهو علىٰ ناقته في وسط صحابته الذين يحرسونه بعيونهم وأفئدتهم والأنوار تشع من وجهه المبارك فأخذ ذلك المشهد بتلابيب فؤادها ، ورغم أن الرسول صلىٰ ا   عليه وسلم كان في سَنَته تلك قد بلغ الستين من عمره ،

فصاحت بكلمات دات على حبها ورسوله صلى ا عليه وسلم وإعلان قرارها الخروج عن سيطرة قبيلة قريش وتعنتها فقالت : (البعير وما عليه ورسوله) .. وأسّرت إلى زوج أختها العباس بن عبد المطلب رضي ا عنه بأنها وهبت نفسها للنبي : فهل يقبل الرسول الهبة ؟ .. فما كان من الرسول الكريم إلا جبر الخواطر لامرأة تمالك حبها وتريد أن تهب نفسها زوجة لرسوله ، فقبلها .

٨- الثامنة وهي (السيدة صفية بنت حيي بن أخطب) رضي ا عنها .. أبوها حيي بن أخطب زعيم قبيلة بني النضير اليهودية بالمدينة .. وكان زوجها كنانة بن الربيع سيد حصن القموص ، وهو أمنع حصون اليهود في خيبر ، وكان والدها وزوجها يعتبران ملوكاً من ملوك بني إسرائيل حيث ينتهي نسبها إلى هارون أخي موسى عليهما الصلاة والسلام .

وقصة زواجها من الرسول عليه الصلاة والسلام حدثت بعد موقعة الأحزاب التي حفر أثناءها المسلمين الخندق في مواجهة كفار قريش والأعراب الذين تحزبوا معهم .. فتآمر يهود بني قريظة مع الكفار على أن يوقعوا المسلمين بين طرفي الكماشة من داخل المدينة ومن خارجها، فلما انهزم الأحزاب بعدما أرسل ا عليهم ريحاً وجنوداً لم يروها نزل الوحي على رسول ا بالقضاء على بني قريظة لخيانتهم المسلمين العهد الذي كان بينهم ، فحاصرهم الرسول وجيش المسلمين في ديارهم .. فلما جاعوا وكادوا أن يهلكوا طلبوا تحكيم سعد بن معاذ رضي ا عنه في أمرهم ونزلوا عند حكمه ، فحكم بقتل رجالهم وسبي نسائهم وزراريهم وأن تُقَسّمَ أموالهم على جيش المسلمين ، فلما نفذ فيهم القتل كان أحد القتلى هو حيي بن أخطب زعيم بني النضير ، فأُخذت ابنته صفيه أسيرة ضمن سبي خيبر .. وكان الرسول صلى ا عليه وسلم في ذلك الوقت قد قارب سنه الستين سنة وعرضت عليه صفيه من ضمن السبي وأخبروه أنها ابنة زعيم يهود بني النضير وملكهم فرحم هوانها وذلتها على الناس بعد أن كانت بنت عز ومنعه، واليوم مات أبوها وكل رجال عائلتها وذاقت مرارة الذل والهوان فأعتقها الرسول صلى ا عليه وسلم وتزوجها تكريماً لها .. وكان نساء النبي ينظرن إلى صفية نظرة تعالي من زاوية التفاخر بالنسب العربي مقارنة مع اليهودية التي كانت أسيرة

ذليلة .. وسمع الرسول عن ذلك فأراد أن يُعلم نساءه العربيات من بنات أصحابه درساً في التخاير والتفاضل بين المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات ، فكان إذا جاءته صفية تشكي إليه معايرة عائشة وحفصة لها بأنها يهودية وهن بنات عرب فيقول لها : (ألا قلت لعائشة وحفصة ، وكيف تكونان خيراً مني وزوجي محمد ، وأبي هارون ، وعمي موسىٰ ؟) .

٩- التاسعة هي السيدة (جويرية بنت الحارث سيد بني المصطلق) رضي ا عنها .. وقصة زواجها من الرسول صلىٰ ا عليه وسلم حدثت في السنة الخامسة للهجرة عندما بلغ الرسول خبر تأهب قبيلة بني المصطلق للهجوم علىٰ المدينة المنورة بقيادة أميرهم (الحارث بن أبي ضرار) فرأىٰ الرسول أن يباغتهم بجيش المسلمين في عقر دارهم قبل أن يخرجوا لغزو المدينة ، وأنقض عليهم وهزمهم .. وسيقت نسائهم سبياً لجيش المسلمين فكانت جويرية بنت الحارث زعيمهم من نصيب ثابت بن قيس فكاتبها ثابت أن تفتدي نفسها بمبلغ من المال ليعتقها .. فذهبت جويرية تحاول جمع المبلغ فلم يتيسر لها ، فقصدت بيت الرسول صلىٰ ا عليه وسلم ووقفت علىٰ باب عائشة رضي ا عنها وقالت : يا رسول ا .. أنا بنت الحارث ابن أبي ضرار سيد قومه .. وقد أصابني من البلاء ما تعلم فوقعت في السهم لثابت بن قيس فكاتبته علىٰ نفسي وجئتك أستعينك علىٰ أمري .

سمع الرسول صلىٰ ا عليه وسلم نبرات المستنجدة بصوتها المحزون وهي تستعينه ليقيل عثرتها بعد أن هانت وذلّت بعد عز وسؤدد كانت بهما في قومها وهي ابنة أميرهم وسيدهم .. فأراد الرسول بفدائه لها وزواجه منها أن يُحسن إلىٰ ذويها وقومها لعل ا أن يجعل من هذه الرابطة الودية تقريب لقلوب قومها فيهتدوا ويدخلوا في الإسلام راضين قانعين .

وهكذا وبمبادرة من الرسول صلىٰ ا عليه وسلم لافتداء هذه الأسيرة وزواجه منها أن بادر الصحابة والمسلمون وتسابقوا إلىٰ إطلاق سراح أسراهم وعتقهم مراعاةً للمصاهرة التي حصلت بين الرسول وبين بني المصطلق فكان ذلك زيادة في الأسوة الحسنة التي أثمرت المحبة والمودة بين قومها والمسلمين ، فانقلب بنو المصطلق وصاروا أول المدافعين عن حوبة الإسلام والمسلمين بعد أن

كانوا من أشد أعدائهم ضراوة .

هؤلاء هن زوجات الرسول محمد عليه الصلاة والسلام وقصص زواجه بهن فلم تكن واحدة منهن بنىٰ بها لشهوة كما زعم المفترون .. وإنما كانت كلها زيجات تمت منه بهن بعضها رحمة بمآلهن بعد وفاة أزواجهن في الإسلام وبعضها إقالة لعثراتهن ومواساة كريمة منه لهن ، وكسباً لمودة قومهن وقبائلهن وتأليفاً لقلوبهم بالمصاهرة ، ودعماً لدعوته إلىٰ ا والدين الحق .. وبعضها كان حكمة وتشريعاً للمسلمين من رب العالمين كما حدث بزواجه من السيدة زينب بنت جحش رضي ا عنها .

هؤلاء هن زوجات الرسول محمد صلىٰ ا عليه وسلم كن يتذمرن من شظف العيش ، وقلة النفقة وهن يعلمن أنهن في عصمة نبي ا الذي بوأه مكان العزة والعظمة ، ولو أراد محمد أن يهيئ لأزواجه رفاهية العيش لقبل عرض ا عليه أن يُصَيرَ له جبال تهامة وبطحاء مكة ذهباً وفضة .. ولكنه فضل أن يكون عبداً رسولاً .. وعاش مع أزواجه حرماناً دام حتىٰ وفاته من نعومة العيش والشبع قانعاً راضياً بخشونة الملبس والمسكن زاهداً في الدنيا ومتاعها ، وهن ظللن راضيات معه حتىٰ عندما أهلت غنائم فتوحات وانتصارات المسلمين علىٰ الرسول وقام يوزعها بين المحاربين وفقراء المدينة ولا يترك لبيوته شيئاً يُذْكرْ فرأين زوجاته أن يستفدن بشيء من هذه الغنائم وطلبن منه أن يكون لهن نصيب منها كباقي المسلمين .. فنزلت عليه وعليهن هاتين الآيتين من القرآن الكريم : { يَا أَيهَا النبِي قُل لأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُن تُرِدْنَ الحَيَاةَ الدنيَا وَزِينَتَها فتَعَالَيْنَ أُمَتعْكُن وَأُسَرحْكُن سَرَاحاً جَمِيلاً - وَإِن كُنتُن تُرِدْنَ اللهَ وَرَسُولهُ وَالدارَ الآخِرَةَ فَإِن اللهَ أَعَد لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُن أَجْراً عَظِيماً } الأحزاب : ٢٨ - ٢٩ . فاخترن ا ورسوله والدار الآخرة وعشن معه حياة الشظف والفقر والعوز راجين رضوان ا تعالىٰ ورسوله .. فأين هي لذاته وشهواته للنساء كما ادعىٰ المنافقون والمغرضون والمتربصون بالإسلام والمسلمين الذين قالوا أنها كانت تسيطر علىٰ سلوكياته وأخلاقياته ذلك النبي الكريم الذي وصفه ربه بأنه صاحب الخلق العظيم ، كان يستطيع أن يحيا حياة الملوك والقياصرة ، ولكنه يقنع بعيشة الفقراء ويبيت

الليالي طاوياً ليس في بيوته كسرة خبز يسد بها جوعه ، وكان يردد دائماً (اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة) .. ثم يقولون أنه رجل غلبت عليه شهوة الجنس وحب النساء ! .. ألا لأنه يقول صلىٰ الله عليه وسلم : (حُبب إليّ النساء والطيب وجُعلت قرة عيني في الصلاة) .. نعم أحب النساء من أزواجه وعدل بينهن ولم يتخذ عشيقة ولا خليلة علىٰ غير ما أحل الله له .

كما ورد أنه كان للنبي سليمان عليه السلام سبعمائة من الزوجات الحرائر، وثلاثمائة سرية ، وكان لداوود عليه السلام تسع وتسعون زوجة .

وكان ملوك اليهود والنصارىٰ في زمن محمد صلىٰ الله عليه وسلم نجد كل واحد منهم جعل من قصره خلية كخلية النحل بشتىٰ أنواع النساء الجميلات تضج بهن قصورهم يتخذنهن عشيقات وخليلات ويحيون هم ووزرائهم والمقربين منهم الليالي الماجنة بتعاطي الخمور معهن عرايا ويمارسون معهن الفواحش علىٰ مرأىٰ من بعضهم البعض دون خجل أو حياء ! ..

فلم نر من خصوم الإسلام من يذكر أعمالهم الخبيثة بشيء من السوء والنقد ، فيا سبحان الله علىٰ كذبهم وافترائهم ما وجدوا غير هذا الرسول الكريم الذي كانت أخلاقه أعلىٰ مثلاً لسمو الأخلاق والفضيلة ليفتروا عليه هذه الافتراءات الباطلة .. ذلك الرجل الذي لم تكن أحواله كلها مع قومه تشهد إلا أنها أحوال نبي مرسل من عند الله لا يريد زعامة ولا مُلكاً ولا مالاً ، وكان يأبىٰ أن يتميز عن أصحابه ، ويجلس حيث ينتهي به المجلس ولا يتصدره ، وكان يكره أن يقوم الناس له إذا قدم علىٰ قوم وهم جلوس ، وأراد بعض أصحابه أن يمتدحوه ويثنوا عليه فقال لهم : (لا تطروني كما أطرت النصارىٰ المسيح بن مريم) ... وعندما مات ابنه إبراهيم انكسفت الشمس قالت الناس انكسفت بسبب موت إبراهيم ، فلما سمع بذلك بادرهم قائلاً : (إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا تخسفان لموت أحد ولا حياته) .. وكان يقوم الليل ويصوم النهار ويكثر من الصلاة حتىٰ تتفطر قدماه ، ويتصدق بكل ما لديه ، ومات ودرعه مرهونة عند يهودي بقوت أهله .. وذات مرة رآه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ينام علىٰ حصير بالية وقد أثّر في جسمه صلىٰ الله عليه وسلم فبكىٰ .. فقال له الرسول عليه الصلاة والسلام : ما يبكيك؟.. قال :

ما بال كسرىٰ وقيصر ينامان علىٰ الديباج والحرير وأنت رسول ا تنام علىٰ الحصير يُؤَثِرُ في جنبك ؟ .. فقال له : (يا عمر أما ترضىٰ أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة) ؟ .

وقالت عائشة رضي ا عنها : (كان الرسول يخصف نعله ويخيط ثوبه ويعمل بيده كما يعمل أحدكم في بيته ، وكان بشراً من البشر يفلي ثوبه ويحلب شاته ويخدم نفسه) .

وكان صلىٰ ا عليه وسلم في أحد أسفاره فأمر بإصلاح شاة .. فقال رجل : عليّ ذبحها - وقال آخر : علىٰ سلخها - وقال آخر : علي طبخها - فقال الرسول صلىٰ ا عليه وسلم : وعليّ جمع الحطب - فقالوا : نحن نكفيك يا رسول ا .. فقال : (قد علمت أنكم تكفوني ، ولكني أكره أن أتميز عليكم - فإن ا يكره من عبده أن يراه متميزاً بين أصحابه) وقام وجمع الحطب .

فماذا يظنون بنبي عظيم مثله بنىٰ أُمّةً عظيمة بلغت اليوم أكثر من مليار مسلم .. هل كان متفرغاً لشهواته ؟ .. فلم يكن صلىٰ ا عليه وسلم يعرف وقت فراغ في حياته لمجرد حتىٰ أن يُفكر في شهواته ، لأنه كان في جهاد مستمر ولم يحظ بوقت للراحة مطلقاً منذ بدء الدعوة ونشر رسالة الإسلام إلىٰ أن توفاه ا وهو في محاربة ومجاهدة الكفر والأوثان وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولم شمل المسلمين وتعليمهم القرآن وأمور دينهم ، ومع ذلك وأثنائه كان يتعبّد ا آناء الليل وأطراف النهار وتَحمّل أعباءً تنوء بثقلها الجبال .

هذا هو محمد رسول ا صلىٰ ا عليه وسلم ، وهذه هي حياته وأخلاقه ومن أراد الاستزادة فليرجع إلي رسالتي في الزهد ضمن هذا الكتاب وليخسأ المبطلون .

وقبل أن أختتم التعريف بحياة وشخصية رسولنا الحبيب محمد صلىٰ ا عليه وسلم وبرسالته الصادقة التي جاء بها من عند ا أود أن أورد لكم مقتطفات من أقوال قليل من كثير من علماء النصارىٰ أنفسهم قالوها في شخصية محمد صلىٰ ا عليه وسلم وفي دين الإسلام :

★ هذا الفيلسوف الإنجليزي (توماس كارليل) في كتابه (الأبطال) .. يقول : (وما كان محمد " صلىٰ الله عليه وسلم " أخا شهوات برغم ما اتهم به ظلماً وعدواناً - وشد ما نجور ونخطئ إذا حسبناه رجلاً شهوياً لا هم له إلا قضاء مآربه من الملاذ - كلا .. فما أبعد ما كان بينه وبين الملاذ أية كانت - لقد كان زاهداً متقشفاً في مسكنه ومأكله ومشربه وملبسه وسائر أموره وأحواله - وكان طعامه عادة الخبز والماء ، وربما تتابعت الشهور ولم توقد بداره نار) .

ويقول أيضاً : (ومن العار أن يصغىٰ أي إنسان متمدين من أبناء هذا الجيل إلىٰ وهم القائلين بأن دين الإسلام كذب ، وأن محمداً (صلىٰ الله عليه وسلم) لم يكن علىٰ حق .. لقد آن أن نحارب هذه الادعاءات السخيفة المخجلة .. فالرسالة التي دعىٰ إليها هذا النبي العظيم ظلّت سراجاً منيراً أربعة عشر قرناً لملايين كثيرة من الناس ، فهل من المعقول أن تكون هذه الرسالة التي عاشت عليها هذه الملايين وماتت أكذوبة ؟.. إن الرجل الكاذب لا يستطيع أن يبني بيتاً من الطوب فما بالك بالذي بنىٰ بيتاً دعائمه هذه القرون العديدة ، وهذه الحضارة المجيدة، وهذه الملايين الهائلة من البشر !) .

★ وهذا العالم الإنجليزي (بوسورث سميث) مؤلف كتاب (محمد والمحمدية) قال فيه : (إن المعجزة الخالدة التي ادّعاها محمد هي القرآن .. والحقيقة أنها لكذلك .. وإذا قدّرنا ظروف العصر الذي عاش فيه واحترام أتباعه له احتراماً لا حد له ، ووازنّاه بباباوات الكنيسة أو بقديسي القرون الوسطىٰ لتبين لنا أن أعظم ما هو معجز في محمد (رسول الله) أنه لم يَدع القدرة علىٰ الإتيان بالمعجزات ، وما قال شيئاً إلا فعله وشاهده منه في الحال أتباعه ، ولم يَنْسِبُ إليه الصحابة معجزات لم يأتها أو أنكر أحد صدورها منه ، فأي برهان علىٰ إخلاصه أقطع من ذلك ؟ .. وقد كان محمد يَدّعِي إلىٰ آخر حياته كما ادّعىٰ من مبدأ أمره أنه رسول الله حقاً .. وإنني اعتقد أن الفلسفة العالية والمسيحية الصادقة ستعترف له بذلك في يوم من الأيام) .

★ وهذا الألماني (أوجست كونت) الذي كان أول المنتقدين للإسلام

والمتمردين عليه قيل له : كيف تتكلم عن الإسلام وأنت جاهل به ؟ .

قال سأحاول شخصياً أن أتعرف علىٰ الإسلام .. وبدأ ينبش في بعض كتب المستشرقين الألمان .. ثم عاد فقال : لا أعتقد أن هناك ديناً مؤهلاً ونبوءاته بدأت تظهر الآن ، أو أن هناك ديناً كونياً مؤهلاً يتعامل به الإنسان في الحالة الوضعية غير الإسلام .. لأن الإسلام لا يصادر العقل بل يشجع العلم والابتكار والفنون والمعرفة .

★ وهذا الفرنسي موريس بوكاي في كتابه بعنوان(القرآن والتوراة والإنجيل) يقول : إن الأحكام المغلوطة التي تصدر في الغرب عن الإسلام ناتجة عن الجهل حيناً وعن التسفيه العامد حيناً آخر .. بل إننا لنصاب بالذهول عندما نقرأ في أكثر المؤلفات جدية في الغرب أكاذيب صارخة برغم أن مؤلفي هذه المؤلفات هم بالمبدأ مؤلفون أكفاء، وأن نشر أكاذيب من هذا النوع يساهم في إعطاء صورة زائفة عن القرآن والإسلام .

في عام (١٩٧٠) صدرت عن سكرتارية الفاتيكان وثيقة تحمل توجيهات لإقامة حوار بين النصارىٰ والمسلمين .. تقول الوثيقة :-

(١) مراجعة مواقف النصارىٰ إزاء الإسلام ، ونقد أحكامهم السابقة ضده .

(٢) علينا أن نهتم أولاً بأن نغيّر تدريجياً من عقلية إخواننا النصارىٰ .

(٣) التخلي عن الصورة البالية التي أورثنا الماضي إياها تجاه الإسلام والتي شوهتها الفريات والأحكام المسبقة .

(٤) الاعتراف بالمظالم التي ارتكبها الغرب النصراني في حق المسلمين .

علىٰ هذه الأسس الأربعة قامت وثيقة الفاتيكان التي احتوت علىٰ (١٥٠) صفحة ، لتبسط وتدحض نظرات النصارىٰ الكلاسيكية عن الإسلام ، وتُقدم عرضاً منصفاً لما عليه الإسلام في الواقع .

ويختتم (بوكاي) كلامه عن وثيقة الفاتيكان بقوله : (وإنني لعلىٰ يقين من أن دفاع الفاتيكان عن الإسلام سيثير دهشة كثير من معاصرينا سواء كانوا

مسلمين أو يهود أو نصارىٰ، فذاك إعلان يتميز بإخلاص وبروح انفتاح يتباينان بشكل فريد مع مواقف الماضي .. ولكن كم هم قليلون حقاً الغربيون الذين عرفوا تلك المواقف الجديدة التي اتخذتها أعلىٰ سلطات الكنيسة الكاثوليكية) .

★ وهذا (روجيه جارودي) المفكر والفيلسوف الفرنسي سابقاً ، وكان متربعاً علىٰ كرسي الريادة الكونية في الفلسفة ، وفجأة اكتشف أنه ليس لديه شيء ذا قيمة فكرية فلسفية .. ولكنه وجد في نفسه الشجاعة الأدبية بعد أن درس عن الإسلام وقرأ القرآن أن يعترف بالمأزق الفكري الذي كان متورطاً فيه ، مما أدّىٰ به إلىٰ اعتناق الإسلام .. وقد سمىٰ نفسه (رجاء) لأنه كان من أشد المدافعين عن الماركسية وعن الاشتراكية العلمية ، وبكل الشجاعة عندما اكتشف أنه في مأزق ويتجه إلى طريق مسدود أعلن أنه لا رجاء إلا في الإسلام ولذا سمىٰ نفسه رجاء جارودي .

★ وهذا محمد أسد .. ذلك الصحفي النمساوي الذي أسلم وحسن إسلامه وعاش أمتع أيام حياته بدوياً يتنقل في الجزيرة العربية مع البدو الرحل .

يقول محمد أسد في كتابه (الطريق إلىٰ الإسلام) الذي صدر منه عدة طبعات بلغات مختلفة منها العربية - والإنجليزية - والفرنسية - والهولندية - والسويدية - والألمانية - والأوردية - يقول : " إن الإسلام قد حَرض علىٰ النشاط الثقافي الذي يشكل صفحات من أنصع صفحات التاريخ الإنساني .. لقد أعطىٰ هذا المحرض بقوله : (نعم) للعقل ... و (لا) للإبهامية .. و (نعم) للعمل .. و (لا) للركود .. و (نعم) للحياة .. و (لا) للإماتة وقهر الجسد لخلاص النفس .. فليس عجيباً إذن أن الإسلام حالما انطلق خارج حدود جزيرة العرب ، اكتسب أتباعاً جدداً وأخذ الناس يدخلون فيه أفواجاً .. ورأىٰ سكان سوريا وشمالي أفريقيا ، وسكان أسبانيا بعد ذلك بوقت قصير .. رأوا أنفسهم فجأة تجاه دين يُنكِر مبدأ (الخطيئة الأولى).. ويشدد علىٰ الكرامة الفطرية للحياة الأرضية الدنيوية ، وهكذا التحقوا زرافات بالدين الجديد الذي عَلّمَهُمْ أن الإنسان هو خليفة ا في الأرض .. هذا (لا أسطورة التسليم بحد السيف) هو التفسير لانتصار الإسلام المدهش في فجر تاريخه العظيم .. لم يكن المسلمون هم الذين جعلوا الإسلام عظيماً .. بل لقد كان الإسلام

هو الذي جعل المسلمين عظماء .

★ وفي لقاء لمندوب جريدة الشرق الأوسط في بيرن (بسويسرا) مع الدكتور / يورج ستوسي لاوتنبرج .. رئيس المكتبة والأرشيف العسكري والأستاذ في كلية الأركان السويسرية في عددها الصادر بتاريخ ٢٠٠١/٤/٢م ، وأثناء رده علىٰ سؤال المندوب .. هل يشكل الإسلام من خلال دراستك له تهديداً للغرب ؟ .. أجاب قائلاً : أبداً ، فالدين الإسلامي ينادي بالتسامح والتعايش ، ويعترف بغيره من الديانات السماوية النصرانية واليهودية . ويحتل السيد المسيح والسيدة مريم العذراء مكانة رفيعة في القرآن ، كما تحتل اليهودية ونبي الله موسىٰ مكانة عالية في القرآن . رغم أن الإسلام انتشر بسرعة كبيرة جداً ، فهو قد انتشر من الصين إلىٰ حدود أوروبا في فترة زمنية قصيرة جداً بمقياس التاريخ - حوالي مائة سنة - لكنه لم ينتشر بالرعب والدمار والمذابح ، ولم يشهد التاريخ الإسلامي حروب إبادة ومذابح للشعوب المغلوبة ، كما حصل للهنود الحمر في أمريكا ، إنما عامل المغلوبين بسماحة ورفق وفرض عليهم ضريبة رمزية غير مُكلفة . وأنه لم يصنع كما صنع الأوروبيون مع الهنود في أميركا ، ولم يفرض دينه بالقوة ، لكنه انتشر بالتسامح والقدوة الحسنة والتفاهم والتزاوج والحوار . ولقد أقام الإسلام حضارة كبرىٰ في الأندلس ، كان لها أكبر الأثر في عصر النهضة ، والحضارة الأوروبية عموماً ، ولقد أخذ الغرب منه كثيراً من علوم الفلسفة والطب والكيمياء والرياضيات، خاصة العلوم التجريبية . ولقد تعايش المسلمون و النصارىٰ واليهود في أسبانيا تحت حكم الإسلام ، وعليه فالإسلام لا يُشكّلُ تهديداً للغرب ، إنما إثراءً له بقيمه وحضارته . (انتهىٰ كلام الدكتور يورج) .

وهناك مسألة أخرىٰ كثر الحديث والتركيز عليها من أخصام الإسلام وهم علىٰ باطل وفي غفلة من حكمتها التي شرعها الله تعالىٰ من أجلها ألا وهي : (إباحة زواج أربعة نساء للرجل المسلم) .. وقد خاضوا فيها كثيراً منذ قرون عديدة وحتىٰ اليوم دون أَثَارَةٍ من علم ودون تبصر.. ثم تدور الأيام وتأتي الحربين العالميتين الأولىٰ والثانية ليتخاف في ألمانيا والنمسا وحدهما عشرات الملايين من النساء بدون أزواج ، وعملوا إحصائية في ذلك الوقت فوجدوا أن مقابل كل رجل من الدولتين عشرة نساء ، ورغم أنه بعد ذلك ثبت وتبين لهم وبين أيديهم خطأ

حساباتهم وخطأ منهاجهم ، ورغم أنه سجل التاريخ اعترافات علمائهم بألسنتهم ، وسجل التاريخ أيضاً النتائج المدمرة والانحراف الأخلاقي في مجتمعاتهم الذي عانوا منه ولا يزالوان .. إلا أنهم استمروا في الجدال وتوجيه النقد الجارح إلىٰ الإسلام والمسلمين لأن دينهم كما قالوا يمتهن المرأة ويجعلها كالجارية كل أربعة لرجل واحد .. بينما مبدأهم هم هو الذي امتهن المرأة وأوصلها إلىٰ الحضيض لتكون في النهاية إما معشوقة لغير زوجها وإما عاهرة تجوب الشوارع تطلب الزبائن علىٰ جسدها العاري المنتهك والمبتذل .

وقضية إباحة زواج الأربعة في الإسلام لها أبعاد عديدة نفصلها فيما يلي :

أولاً : قبل بعثة سيدنا محمد صلىٰ ا عليه وسلم وقبل نزول القرآن الكريم لم يكن للمرأة في الجاهلية أي شأن يُذكر ولم يكن لها حق في الميراث وكانوا يأدون الإناث ويدفنون مواليدهن أحياء لاعتبارات خاطئة لكونهم يظنون أن المولودة الأنثىٰ تولد لهم قبل الذكور هي شؤم وعار عليهم.. وقد وصفهم المولىٰ عز وجل في كتابه الكريم في هذه المسألة بقوله تعالىٰ : { **وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ** } النحل: ٥٨-٥٩ .. وجاء الإسلام ليرفع من شأن المرأة بشرط الخالق العظيم جل وعلا (أن الرجال قوّامون علىٰ النساء) لما ميّز به ربنا عز وجل الرجل من صفات عديدة تجعله بالفطرة قوّاماً علىٰ المرأة، تلك المخلوقة الضعيفة التي لا تجد ركنها الآمن عندما تتعرض لأي خطر إلا في كنف زوجها .. ولكنه سبحانه وتعالىٰ أمر الرجال بأن تكون قوامتهم تلك قائمة علىٰ العدل والإنصاف والرحمة واحترام المرأة ، وعلىٰ حفظها وصيانتها من العبث بجسدها أو بالاستهتار والاستخفاف بشخصيتها فحرّم وأد البنات ومنع زواج المتعة (وهو الزواج المؤقت الذي لا يترتب عليه أي حقوق للمرأة من إرث أو نفقة) .. وحرّم القرآن الكريم الزنا بالمرأة ، ولم يبح تعدد الزوجات إلا بشرط توفر العدل بينهن لقوله تعالىٰ : { **فَإِنْ خِفْتُمْ أَلا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً** } النساء : ٣ .. وبما أن الإسلام هو في الأصل رسالة إنسانية مشمولة بالرحمة من رب العالمين فإن هذا التعدد لم يفرضه واجباً أو مندوباً وإنما هو أمر إباحة

لمقتضيات الظروف التي يتعرض لها الرجل المسلم ، وحتىٰ عندما أباح الإسلام الطلاق للرجل وتكريماً للمرأة جعل الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ، كما بَغضَهُ الرسول صلىٰ ا عليه وسلم للمسلمين فقال : (إن أبغض الحلال عند ا الطلاق).

ثانياً: إن الدين الإسلامي عندما أباح تعدد الزوجات إلىٰ أربع لقوله تعالىٰ : { فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِنَ النسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلاثَ وَرُبَاعَ } النساء:٣ .. فذلك لضروريات شخصية واجتماعية تتعلق بما يعلمه الخالق العظيم من أحوال الرجل والمرأة من خلقه سَنُفَصلُهَا فيما بعد .. ولأن تعدد الزوجات بلا شك خير من الزنا المختفي ويحد أيضاً من ازدياد عدد عزوبية النساء (المنتشرة بشكل كبير وملفت للنظر في أمريكا وأوربا هذه الأيام مما اضطر أكثرهن إلىٰ الانحراف وممارسة الرذيلة ففسدت مجتمعاتهم وانحلّت أخلاقهن .. والقليل منهن اضطررن إلىٰ قضاء ما تبقىٰ من أعمارهن في آلام ومعاناة الحرمان من الزوج ومن شقاء العنوسة فتنتابهن الأمراض النفسية والاكتئاب ويصرن عبئاً ثقيلاً علىٰ مجتمعاتهن، وبعضهن ينتحرن نتيجة معاناتهن من العنوسة .. كما كثر لديهم نسبة عدد المواليد الغير شرعيين والغير معروف لهم أباء ما بيـن (٢٠%) إلىٰ (٤٠%) نسبة تختلف من دولة إلىٰ أخرىٰ منهم بينما هذه النسبة من أطفال السفاح تكاد تكون معدومة لدىٰ الدول الإسلامية التي تبيح تعدد الزوجات .. والأدهىٰ من ذلك في بعض تلك الدول الغربية أنهم فقدوا اعتبارات النسب الصحيح لديهم حتىٰ أن الزوج منهم صار في كثير من الأحيان لا يستطيع الجزم بأن الأطفال الذين أنجبتهم زوجته ويقوم علىٰ تربيتهم عما إذا كانوا من صلبه أم من غيره) ..

وأما الأسباب والفوائد التي غابت عن رؤية كل من وَجهَ نقداً لتعدد الزوجات في الإسلام نوردها ملخصة فيما يلي :

(أ) فقدان الرجال في الحروب - وينتج في مقابله زيادة عدد النساء بدون رجل وكما أسلفنا ما حدث في ألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية عندما وجدوا أن نسبة عشرة نساء مقابل رجل واحد .. وكلنا يعرفها بالبديهة مصير هؤلاء النسوة التسع منهن اللاتي لم يجدن زوجاً ، كما أنه عندما ينقص عدد الرجال

عن النساء في أي دولة بسبب الحروب أو أي أسباب أخرىٰ مُحتملة فإنه بالتالي تنقص قوتها العاملة المنتجة .. فتعدد الزوجات في هذه الحالة هو الحل الأمثل لزيادة عدد المواليد لتغطية النقص .. وهذا أحد علماء الاجتماع الإنجليز الأستاذ (هيربرت سبنسر) يقول ضمن كتابه (أصول علم الاجتماع) : (إذا طرأ علىٰ الأمة حال اجتاحت رجالها الحروب.. ولم يكن لكل رجل من الباقين إلا زوجة واحدة - وبقيت نساء عديدات بلا أزواج ينتج عن ذلك نقص حاد في عدد المواليد لا محالة ولا يكون عددهم مساوياً لعدد الوفيات - فإذا تقابلت أُمتّان مع فرض أنهما متساويتان في جميع الوسائل المعيشية وكانت إحداهما لا تستفيد من جميع نسائها بالإستيلاد فلا تستطيع أن تقاوم خصيمتها التي يستولد رجالها جميع نسائها .. وتكون النتيجة أن الأمة الموحدة للزوجات تفنىٰ أمام الأمم الـمُعددة للزوجات) .. ونضيف نحن أن زيادة عدد النساء بلا أزواج مدعاة لانتشار الفسق والفجور والفقر أيضاً .

(ب) إذا مرضت الزوجة مرضاً مزمناً فهل يظل الزوج مرتبطاً بها طوال عمره كما يحدث في أمريكا وأوروبا أم يطلقها ويتزوج غيرها ؟ وفي الإجابة علىٰ هذا السؤال يظهر من خلاله أحد أهم المزايا من حكمة الخالق العظيم في إباحة تعدد الزوجات.. ففي الإسلام إذا مرضت الزوجة التي عاشرت زوجها سنيناً عديدة وتأصلت بينهما المودة والقربىٰ وكان مرضها مزمناً بحيث لا يستطيع الزوج التمتع بها ، فإذا طلقها وهي بتلك الحالة فأين الرحمة ؟ ..وأين الضمير الإنساني بعد المحبة والعشرة الطويلة؟ .. لأنها بعد طلاقها لن تستطيع العمل والتكسب لمرضها ، ولن يقبل بالزواج منها رجل آخر يُمرضها .. فليس إذن من المروءة والإنسانية طلاقها وهي علىٰ تلك الحال لكي يتزوج بأخرىٰ كما يحدث في الغرب .. كما أنه ليس من الحكمة منع الزوج الذي تمرض زوجته مرضاً مزمناً من الزواج بامرأة أخرىٰ لئلا يتعطل نسله أو تميل به الشهوة الطبيعية إلىٰ ممارسة الزنا كما يحدث في المجتمعات الأوربية والأمريكية وغيرها من الدول التي لا تُطبق التشريع الإسلامي .

(ج) إذا اكتشف الزوج بعد الزواج إن امرأته عقيم لا تلد .. أو أصيبت بمرض أعقمها قبل أن تلد له ولداً أو بنتاً .. وهذه ميزة أخرىٰ أكثر تعقيداً من السابقة

من أسباب تشريع ا تعالىٰ حكمة التعدد للمسلمين .. حدث كثيراً أن يتزوج اثنان وتتشكل بينهما محبة غامرة ووفاق ولا يستطيع أحد الطرفين مفارقة الطرف الآخر أو الاستغناء عنه ، ثم يكتشفان أن الزوجة عقيم ، والرجل مهما كان ارتباطه ومحبته لزوجته يريد أن يرىٰ له ولداً أو بنتاً من نسله .. ففي المجتمع الغربي يتفقان علىٰ الطلاق ويتزوج الرجل بأخرىٰ ويكون مصير الزوجة المطلقة مجهولاً وفي مهب رياح الطامعين للاستمتاع فقط بجسدها بالزنا والحرام .. أما في الإسلام فإن غالب ما يحدث في كثير من الحالات المشابهة هو أن يحتفظ الزوج بزوجته العقيم مُكرمَةٌ مُعَززَةٌ معه في بيتها ويتزوج بأخرىٰ بموافقتها ورضاها، وينجب من الأخرىٰ أطفالاً يملئون البيت بهجة وألفة وحناناً لكلا الزوجين .. فأيهما أفضل يا أولي الألباب : القانون الغربي ! أم .. تشريع ا تعالىٰ لخلقه وعباده؟.

(د) يصادف كثيراً أن تكون قدرة الرجل الصحية وطبيعة جسمه تجعلان لديه رغبة جنسية جامحة وزائدة عن الحد المعتاد ، وفي هذه الحالة فإن زوجة واحدة لا تكفيه لإشباع رغباته الجنسية، كما أن الزوجة الواحدة لا تقدر علىٰ مجاراته في تلك الرغبة الجامحة منه ليحصل علىٰ حقه المشروع منها ، وقد تتأذىٰ وتتألم كثيراً إذا جارته عليها .. فهل يتخذ الرجل لنفسه حليلةً أخرىٰ يتزوجها زواجاً شرعياً ؟ .. أم يتخذ لنفسه خليلةً يزني بها؟ .. أجيبونا يا من تتبجحون بانتقاداتكم في حق الإسلام .

وهذا الفيلسوف الألماني (شوبنهور) يقول : (إذا رجعنا إلىٰ أصول الأشياء وحقيقتها لا نجد سبباً يمنع الرجل من التزوج بثانية إذا أصيبت امرأته بمرض مزمن تألم منه أو كانت عقيماً أو أصبحت علىٰ توالي السنين عجوزاً) .. وقال أيضاً : (أين لنا بمن يقتصر حقيقة علىٰ زوجة واحدة ، بل لا ننكر أننا في بعض أيامنا أو في معظمها كلنا أو جلنا نتخذ كثيراً من النساء ؟!) .. وقال أيضاً : (أما آن لنا أن نَعُد بعد ذلك تعدد الزوجات ميزة حسنة حقيقية لنوع النساء بأسره؟.. ففي مدينة (لنـدن) وحدها وُجِدَ ثمانون ألف بنت عمومية سُفك دم شرفهن علىٰ مذبحة ضحية الاقتصار علىٰ زوجة واحدة ونتيجة تعنت المرأة الأوربية وما تدعيه لنفسها من الأباطيل) .

(هـ) طبيعة الرجل تجعل لديه القدرة الجنسية الفائقة عن المرأة والاستمرار عليها حتىٰ سن متأخرة من عمره بخلاف المرأة التي تبدأ تفقد الكثير من رغبتها الجنسية في سن مبكرة ما بين الأربعين والخمسين من عمرها ، وهذا مدعىٰ من مدعاة وضروريات أن يحتفظ الرجل بزوجته الأولىٰ التي عاشرته سنيناً طويلة من عمره ويتزوج بِأُخرىٰ عليها بدلاً من أن يتخذ لنفسه عشيقة أو يلجأ إلىٰ البغايا أو يطلقها ليتزوج بغيرها حسب القانون الغربي الفاسد فتنتهي حياة الزوجة إلىٰ حياة العوز والتشرد وفساد المجتمع وتنتشر بينهم الأمراض الخطيرة مثل (الإيدز) الذي لم يجدوا له علاجاً شافياً حتىٰ اليوم .

(و) الرجل يتعرض أثناء ممارسته أعماله التجارية والوظيفية إلىٰ كثرة الأسفار والزوجة وظروفها المعيشية والصحية ووجود أطفال معها لا يُمكّنها ذلك من ملاحقة زوجها في أسفاره .. فهل يلجأ الزوج في حياة الغربة إلىٰ الفساد والرذيلة مع العاهرات وَيُعَرض نفسه وزوجته أيضاً للأمراض الخبيثة أم يتزوج بأخرىٰ في ديار الغربة تصونه من الزلل ؟ تلك بعض الأسباب سقناها في مزية إباحة الإسلام تعدد الزوجات وهناك أسباب أخرىٰ كثيرة لا يسعنا تفصيلها ضمن هذا المختصر وإن كانت أقل أهمية توجب تفضيل شريعة ا بالتعدد إذا تحقق العدل.

كما لا يفوتني أن أوضح في هذا الصدد أن تعدد الزوجات كان مَشْروعاً في أسفار العهدين القديم والجديد اللذين برغم تحريفهما لم يرد فيهما نصاً يدل علىٰ تحريمه .. وأن تعدد الزوجات كان معمول به في الغرب في العصور الوسطىٰ كما أنه اليوم ليس مقتصراً علىٰ المسلمين وحدهم بل هو في الوقت الحاضر منتشراً بين عدة شعوب في العالم لا تدين بالإسلام في أفريقيا والهند والصين واليابان .. وكان التعدد مشروعاً لدىٰ النصارىٰ في بداية النصرانية بعد رفع عيسىٰ عليه السلام .. ونختتم هذا الموضوع بشهادة أحد علماء وأساتذة الاجتماع في الغرب (جوستاف لوبون) الذي قال : (إن تعدد الزوجات علىٰ مثال ما شرّعه الإسلام من أفضل الأنظمة وأنهضها بأدب الأمة التي تذهب إليه وتعتصم به وأوثقها للأسرة عقداً واشدها لآصرتها إزراً ، وسبيله أن تكون المرأة المسلمة أسعد حالاً وأوجه شأناً وأحق باحترام الرجل من أختها الغربية) .. وأضاف : (ولست أدري علىٰ أي

قاعدة يبني الأوربيون حكمهم بانحطاط ذلك النظام (نظام تعدد الزوجات) عن نظام التفرد المشوب بين الأوربيين بالكذب والنفاق ؟! .. على حين أرى هنالك أسباباً تحملني على إيثار نظام التعدد على ما سواه - وليس عجيباً بعد ذلك أن نرى الشرقيين الذين ينتجعون إلينا ويتنقلون بين مدائننا يحارون من قسوتنا في الحكم على نظام تعدد الزوجات فيهم) .

عيسى نبي الله :

والآن وبعد أن أوردنا ملخصاً لقصة الإسلام وحقيقة بعثة نبينا محمد صلىٰ ا عليه وسلم وحقيقة القرآن المعجزة الكبرىٰ التي أنزلها ربنا جل وعلا عليه ، وحقيقة أخلاقه وشمائله صلىٰ ا عليه وسلم والبراهين التي تُثبت للعالمين أنه رسول ا وخاتم النبيين .. وأوردنا ردود علماء المسلمين علىٰ الافتراءات التي افتروها عليه أخصام الإسلام وأعدائه وأثبتوا بالأدلة القاطعة بطلان حججهم وكيف أنكسهم ا خائبين .

نعود الآن إلىٰ المسألة الخطيرة والجوهرية في الخلاف بيننا وبينكم يا أهل الكتاب .. وهي المسألة التي بنينا نقاط رسالتنا هذه إليكم علىٰ أساسها .. ألا وهي ماهية وحقيقة النبي عيسىٰ بن مريم عليه الصلاة والتسليم ، وتأكيد الخطأ الفادح في اعتقادكم الفاسد في كونه إلهٰ أو ابن الإلهٰ أو هو جزء من أقنوم ثلاثي الأضلاع الذي تتخيلون به أنه يتكون منه الإلهٰ سبحانه وتعالىٰ عما أشركتم به وعما وصفتم له بهتاناً عظيماً .

ونبدأ بما قاله ا تعالىٰ في كتابه الكريم عن هذه المسألة :

فتعالوا معي نقرأ كلام ا ونفكر فيه ونتدبر معانيه لعل ا أن يهديكم صواب السبيل .. قال عز من قائل : { يَا أَيهَا الذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزلْنَا مُصَدقاً لمَا مَعَكُم من قَبْلِ أَن نطْمِسَ وُجُوهاً فَنَرُدهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنهمْ كمَا لعَنا أَصْحَابَ السبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولاً - إِن اللهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ به وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْماً عَظِيماً } النساء : ٤٧ - ٤٨ .. وقوله تعالىٰ : { يَا أَهْلَ الكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَىٰ اللهِ إِلا الحَق إِنمَا المَسِيحُ عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَته أَلْقَاهَا إِلىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ منه فَآمِنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انتهوا خَيْراً لكُمْ إِنمَا اللهُ إِلهٰ وَاحِدٌ سُبْحَانه أَن يَكُونَ لهُ وَلَدٌ لهُ مَا فِي السمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللهِ وَكِيلاً } النساء : ١٧١..

وأيضاً قوله تعالىٰ : { لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعاً وَلِلهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } المائدة : ١٧..

ثم قوله تعالىٰ : { لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلا إِلَٰهٌ وَاحِـدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } المائدة : ٧٣ .

ونقول كما بدأنا به رسالتنا هذه إليكم بقوله تعالىٰ : { قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلا نَعْبُدَ إِلا اللهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً } .. بعضكم تقولون : إن الله مكون من ثلاثة في واحد في أقنوم واحد (الأقنوم باللغة السريانية القديمة أي الشخص) الأب - والابن - وروح القدس .. وهذا اعتقاد باطل بظنكم بوجود شركاء مع الله وأنهم الثلاثة مجتمعون هم الذين خلقوا هذا الكون العظيم ويسيطرون عليه ، وكان رد القرآن الكريم علىٰ ذلك الزعم رداً مُفْحِماً واضحاً لكم بقوله تعالىٰ : { مَا اتَّخَذَ اللهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ } المؤمنون ٩١ .. وقوله تعالىٰ : { قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذاً لابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّاً كَبِيراً } الإسراء ٤٢ - ٤٣ .

ثم نأتي نحن لكي نتدبر ونتفكر في هذه الآيات ، ومنذ العصور القديمة وحتىٰ عصرنا الحالي ونحن ننظر فيما حولنا هل نرىٰ من أحد غير الله الذي يخاطبنا في القرآن زعم أو ادعىٰ أو تظاهر بأنه إلٰه مع الله ؟ .. أو هو شريك لله في ملكوت السمٰوات والأرض ؟ .. طبعاً لم نر ولم نسمع بذلك ولأنه لو كان هناك آلهة غيره ما كانوا ليصمتوا أو يقفوا مكتوفي الأيدي أمام تحدي الله لهم في القرآن ، ولكانوا

أعلنوا عن أنفسهم وأظهروا معجزاتهم وأنزلوا كتباً يقرأها الناس ، ولكانوا ابتغوا إلىٰ ذي العرش سبيلا ولعلا بعضهم علىٰ بعض كما أخبرنا ربنا عز وجل ، ولكانوا أعلنوا الحرب علىٰ بعضهم البعض ولشاهدنا كما تقول الإلياذة اليونانية المشحونة بالخرافات عن (صراع الآلهة) الذين تحتدم بينهم الحروب الكونية المروعة والمدمرة ولأصبح ملكوت السمٰوات والأرض ميداناً لصراع جبار بين الآلهة لأن كل واحد منهم يريد أن يكون هو الإلهٰ الأقوىٰ والأعلى، وقال تعالىٰ : { لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلا اللهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللهِ رَبِ الْعَرْشِ عَما يَصِفُونَ} الأنبياء:٢٢ .

ثم نحن نقول أن كل ما في هذا الكون من إبداع ونظام دقيق يدل علىٰ أن مُنَظِمهُ ومُبدعهِ ومُدبره ومُسيرهُ واحد - ولو كانوا أكثر من واحد أو أكثر من عقل يديره وأكثر من يدٍ تنظم حركته الدقيقة لاختل توازنه ولاضطربت حركته ولتخبط في سيره .. سبحانه ربنا الواحد الأحد مَلِكٌ في ملكوته لا يُنازعه أحد هو الذي يَخْلُقُ وهم يُخْلَقُون .

ثم قال بعضكم : أن عيسىٰ ابن ا - وهذا زعم أشد خطراً من الزعم السابق .. لماذا ؟ لأننا لا سمح ا إذا كنا سنجاريكم في زعمكم الباطل بأن عيسىٰ ابن ا فإن ذلك يعني أن مسألة الألوهية هي مسألة عائلية بحتة لأن الإلهٰ الأب لكي يكون له ولد لابد أن يكون له زوجة !.. وعندما يكون له زوجة ولكي ينجب منها ولداً لابد أن يجامعها ويمارس معها الجنس كما يمارس ذلك البشر والحيوانات !.. ثم زوجة الإلهٰ وهي لابد أن تكون إلاهة من جنس الإلهٰ وتلد ابناً ممكن أيضاً أن تلد بنتاً (ماذا يمنع ؟) ثم الزوجة الإلهة لابد أن يكون لها أب ولها أم ولها أخ أو أخت (أصهار الإلهٰ) ! .. وماذا يمنع طالما هي لها ولد ! .. والولد .. ولد الإلهٰ لابد أن يتزوج!.. (وماذا يمنع أليس مثل أبيه) ؟ .. وزوجة الولد لن تكون من بني البشر وإلا لختلط دم الآلهة مع دم بني البشر وهذا لا يجوز ! .. وزوجة الابن ممكن أن تكون ابنة عمه مثلاً ! .. يعني كما قلنا آنفاً أن مسألة الألوهية تصير عائلية بحته .. وممكن أن ينقلب الابن علىٰ أبيه ويزيحه عن حكم الكون ويحل محله (يعني كما نسميه انقلاب في الحكم) .. وطالما تقولون يا أهل الكتاب أن عيسىٰ وهو كما عرفناه شَكْلُ البشر تقولون أنه ابن الإلهٰ الأب - فمعنىٰ ذلك أن باقي أفراد العائلة

الإلهية لابد وأن تكون أشكالهم وأوصافهم مثلنا نحن بني البشر ! .. وهذا ظن لا يجوز تَصَورهُ في حق الإلهٰ العظيم خالقنا ومُبدع السمٰوات والأرض سبحانه الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، وهو المُنزّهُ عن كل تلك الأوصاف التي وصفتموها { **ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**} الشورىٰ : ١١ .. ولننظر في قوله تعالىٰ : { **وَجَعَلُوا لِلهِ شُرَكَاءَ الجِن وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانه وَتَعَالىٰ عَما يَصِفُونَ - بَدِيعُ السمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُل شَيْءٍ وَهُوَ بِكُل شَيْءٍ عَلِيمٌ** } الأنعام ١٠٠-١٠١ .

ثم لننظر في معنىٰ قول الله تعالىٰ في القرآن الكريم بالآية (٧٥) من سورة المائدة : { **مَا المَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرسُلُ وَأُمهُ صِديقَةٌ كَانَا يَأْكُلان الطعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَينُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُم انظُرْ أَنىٰ يُؤْفَكُونَ** } .

كثير منا كنا ولازلنا عندما نقرأ هذه الآية من القرآن الكريم نمر عليها ولا نتوقف عند المعنىٰ المقصود من قوله تعالىٰ : { **كانا يأكلان الطعام** } برغم أن معناها مذكور بوضوح في معظم كتب التفسير المعروفة .. ولكننا هنا نريد أن نلقي عليها الضوء أكثر فيما يخص بحثنا في رسالتنا هذه إليكم لتتبينوا إلىٰ أي قدر ربنا جل وعلا يضرب لنا ولكم الأمثال ببلاغة القول في كلمات قليلة وبأسلوب لا يليق إلا بإلهٰ عظيم نحمده تعالىٰ أنه يخاطبنا به نحن بني البشر ويُعَلمُنَا آدابه وأخلاقه (أي آداب وخُلُقْ القرآن) .. ولكي يبين لنا جل وعلا ما يؤكد أن عيسىٰ وأمه مريم عليهما السلام ما هما إلا اثنين من البشر وليسا آلهة كما تؤفكون ..

فإنه تعالىٰ عَلمنَا من خلال القرآن وأحاديث سيدنا محمد صلىٰ الله عليه وسلم أنه تعالىٰ خلق الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار وخلق الإنسان من صلصال من طين - فقدّر سبحانه وتعالىٰ وربط سلوك كل صنف من خلقه بالطبيعة التي خُلِقوا منها وسيحيون عليها إلىٰ حين .. وبما أنه سبحانه قدّر علىٰ أبينا آدم وذريته أن حياتهم وحتىٰ اليوم الآخر ستكون علىٰ الأرض ومن طبيعة

تكوين الأرض كما قال تعالىٰ : { مِنها خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنها نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى } طه : ٥٥ .

فلحكمة منه سبحانه وتعالىٰ ولكي لا يرقىٰ ابن آدم إلىٰ التعالي والتكبر والجبروت وذلك لأنه مُخَيّرٌ قبل أن يكون مُسيّر .. مُخَيّرٌ بين أن يسلك طريق الخير والصواب أو أن يسلك طريق الشر والفساد .. فإذا اختار الطريق الأخير فإنه مهما بلغ به الشعور والإحساس بالشر والتجبر والتكبر عاد ونُكِسَ علىٰ رأسه عندما يتذكر أو يُذَكرهُ شخص ما بأنه مهما علا وتكبر فإنه في النهاية لا يمر عليه يوم إلا ويجد نفسه مضطراً بسبب تعاطيه الطعام الذي لا غنىٰ له عنه من أن يذهب إلىٰ الخلاء للغائط وذلك لأن طبيعة خلقه مأخوذة من الطين وإلىٰ التراب وكما أسلفنا في بداية رسالتنا هذه ونحن نخاطبكم يا أهل الكتاب قائلين : فنحن كلنا أبناء آدم .. وآدم خلقه ا تعالىٰ من تراب .. فلا تُكابروا ولا تُعاندوا علىٰ الباطل لأن مرجعنا جميعنا في النهاية إلىٰ التراب .

أما الملائكة الذين قال ا تعالىٰ عنهم في القرآن الكريم : { وَلِلهِ يَسْجُدُ مَا فِي السمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِن دَابةٍ وَالْمَلائِكَةُ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ - يَخَافُونَ رَبهم من فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ } النحل : ٤٩ - ٥٠ .

فبما أنهم بطبيعة خلقهم لا يعصون ربهم ويفعلون ما يؤمرون ولذا بالتالي فهم لا يستكبرون ، فلم يخلقهم ا وَيُخْضِعهُم إلىٰ ما يَكْسِرُ شوكة كبريائهم أو تجبرهم إذا حاولوا وهو الطعام مثل بني البشر الذين إذا أكلوا منه سيجدون أنفسهم مجبرين علىٰ التخلص من فضلاته بالطريقة التي تكسر من إحساسهم بالكبر والتجبر فيهم .. وهكذا كان في قصة سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام عندما جاءه الضيوف وهم كانوا في الواقع ملائكة في صورة بني البشر ، فلما أراد أن يُقْرِيهِمْ وأمر غلمانه بذبح عجل سمين ليطعمهم سكتوا ولم يمانعوا ولكن بعدما غرف لهم الطعام في الصحائف ليأكلوا لم يقدروا ولم تصل أيديهم إليه ، وهنا تخوف منهم إبراهيم ولكن ليس تخوف من يتوقع منهم الشر ولكن تخوف الذي يعلم أن ملائكة الرحمن لا يأكلون الطعام بطبيعة خلقهم وتخوف من الأمر الجلل الذي قد يكونوا

جاءوا ليبلغوه إياه من أمر ا تعالىٰ ، وهذا عين ما حدث كما جاء بالآيات القرآنية في قوله تعالىٰ : { هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ - إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلاماً قَالَ سَلامٌ قَوْمٌ منكَرُونَ - فَرَاغَ إِلىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ - فَقَرَبه إِلَيْهِمْ قَالَ أَلا تَأْكُلُونَ - فَأَوْجَسَ مِنهمْ خِيفَةً قَالُوا لا تَخَفْ وَبَشرُوهُ بِغُلامٍ عَلِيمٍ } الذاريات : ٢٤ - ٢٨ .

لذلك عندما قال ربنا جل وعلا في وصف سيدنا عيسىٰ وأمه مريم عليهما السلام قال : { كَانَا يَأْكُلان الطعَامَ } يعني بها ربنا عز وجل أنهما لو كانا إلاهين كما تزعمون يا أهل الكتاب ما كانا يأكلان الطعام ، ثم كيف يكونان إلاهين ويذهبان للغائط ليتخلصا من فضلات الطعام بينما الملائكة الذين هم عباد الرحمن لا يأكلون الطعام ، فالأولىٰ بالألهة أن تكون لهم صفات راقية أرقىٰ حتىٰ من صفات الملائكة .. فأنىٰ تؤفكون ؟!.

فما هذا الهراء يا أهل الكتاب ؟ .. وما هذه الخرافات والسخافات التي لا تنطلي علىٰ عقول الأطفال فضلاً عن أن تنطلي علىٰ عقول علمائكم وحكمائكم وأذكيائكم ومفكريكم السابقين والمعاصرين ؟ .. كيف مَرَّرْتمْ علىٰ عقولكم تلك الفرضيات الظنية الفاسدة التي لا تستند إلىٰ دليل ظاهر وليس لها برهان ساطع ، وَتمُجها أفهام الأنعام فضلاً عن أفهام البشر ؟ .

يا أهل الكتاب إذا كان استنادكم في كل ما زعمتم من أباطيل وخرافات عن شخصية النبي عيسىٰ عليه الصلاة والسلام وعن الإلهٰ الأب والإلهٰ الابن والإلهٰ الروح القدس تستندون علىٰ ما جاء في أناجيلكم المُحّرفة وَكُتُبْ العهد القديم من التوراة التي لم تسلم أيضاً من التحريف والتبديل - فقد سبق في هذه الرسالة أن سُقْنَا لكم شواهد من بعض أناجيلكم المتعددة وخاصة من إنجيل برنابا تدحض وتنفي ماهية هذا الزعم منكم ، فإذا قلتم لا نعترف بإنجيل برنابا رغم ما تم اكتشافه حديثاً من مخطوطات أثرية قديمة بجوار ساحل البحر الميت ، وقد اطلع عليها وأيدها بما يدعم حقيقة هذا الإنجيل ، الدكتور القس (تشالز فرانسيس بوتو) ، و(الدكتور/ د.ف. أولبرايت) أحد أعمدة علم آثار الأناجيل - وأيضاً القس (أ. باول ديفز) رئيس

كنيسة كل القديسين بواشنطن .. فإنني أود أن أسوق لكم أمثلة وشواهد تنفي ذلك الزعم الباطل منكم وردت في أحد أشهر الأناجيل التي تعترفون بها وهو إنجيل يوحنا، كما سأستشهد بآراء وأقوال جاءت علىٰ ألسنة علماء مسيحيون علىٰ مر التاريخ المسيحي .. ونبدأ بما ورد من أقوال في إنجيل يوحنا :

★ ص٥١/١ : يقول علىٰ لسان عيسىٰ بن مريم : (من الآن ترون السماء مفتوحة وملائكة السماء يصعدون وينزلون علىٰ ابن الإنسان) .. وهذا اعتراف منه بأنه أي عيسىٰ ابن الإنسان وليس ابناً ولا هو ا ولا هو أحد أجزاء ثلاثة يتكون منها الإلهٰ .

★ وفي الصفحة ٦/٤ : يقول : (يسوع قد تعب من السفر) .. ومُحالٌ أن يتعب ا الذي بقوته قامت السمٰوات والأرض وما فيهما وما بينهما .

★ وفي الصفحة ٤ /٣٤ : (قال لهم يسوع طعامي أن أعمل مشيئة الذي أرسلني وأتمم عملـه) .. هنا يشهد المسيح عيسىٰ عليه السلام بأنه رسول يعمل بمشيئة ا تعالىٰ الذي بعثه وكلفه بإتمام الرسالة .

★ وفي الصفحة ٤ / ٤٤ : ورد هذا القول (لأن يسوع نفسه شهد أنه ليس لنبي كرامة في وطنه) .. وهذا صريح في إثبات نبوته وأنه كسائر الأنبياء لا يلقون الكرامة في أوطانهم في بداية دعوتهم .

★ وفي الصفحة ٤ /١٩ : ورد أنه قالت امرأة للسيد المسيح : (يا سيد أرىٰ أنك نبي - أنا أعلم أن مسّياً الذي يقال له المسيح يأتي .. فمتىٰ جاء ذلك يخبرنا بكل شيء - قال لها يسوع : أنا هو الذي يكلمك) .. وذلك اثبات أنه نبي مرسل وأنه المسيح الذي وُعِدُوا به في العهد القديم .. وكما أوضحنا سابقاً أن (مسيا) تعني رسولاً من بني البشر .

★ وفي الصفحة ٤٤/٥ : ورد علىٰ لسان المسيح عيسىٰ عليه السلام قوله : (كيف تقدرون أن تؤمنوا وأنتم تقبلون مجد بعضكم من بعض سوىٰ المجد الذي من الإلهٰ الواحد لستم تقبلونه) .. وهنا يصرح المسيح عيسىٰ عليه السلام بأن الإلهٰ هو واحد فقط ليس له ابن ولا شريك في الملك ولا هو سبحانه ثالث ثلاثة .

★ وفي الصفحة ٢٦/٨ : جاء القول عن المسيح عيسىٰ عليه السلام : (الذي أرسلني هو حق وأنا ما سمعته منه فهذا أقوله للعالم) .. وهنا يؤكد المسيح عيسىٰ أنه نبي مرسل من الحق (ا تعالى) وأنه يُبلغ للعالم فقط ما أُرسل من أجله.

★ وجاء في الصفحة ١٦/١٣ : (ليس عبداً أعظم من سيده ولا رسول أعظم من مُرسله) ولا تعليق لنا علىٰ هذا القول الواضح الصريح .

وفي هذا الخصوص أيضاً قال جرجس زوين الفتوحي اللبناني أن (شيرينطوس وأبيسون) وجماعتهما عندما كانوا يدرسون النصرانية أكدوا أن المسيح ليس إلهاً ولا ابن إلهٰ وأنه كان في العدم قبل أن تلده أمه مريم العذراء - وقال أنه لهذا السبب اجتمع أساقفة آسيا وغيرهم في عام ٩٦م عند القديس يوحنا وطلبوا منه أن يكتب لهم توضيحاً عن نفي الألوهية عن المسيح عيسى، فاستجاب لطلبهم .. وقد اضطربت أقوال النصارىٰ في السنة التي ألّف فيها يوحنا إنجيله بعد هذا الاجتماع.. منهم من يقول في عام ٦٥م ، ومن قائل في ٩٦م ، ومن قال في ٩٨م.

وكثير من علماء النصرانية أنكروا أن يكون هذا الإنجيل المتواجد بين أيدي الناس اليوم هو من تأليف القديس يوحنا حواري عيسىٰ - مثلما كتب/استادلن ثم نقله عنه صاحبه /كاتلك هيرالد في الصفحة (٢٠٥) من المجلد السابع المطبوع في عام ١٨٨٤م قوله : (إن جميع ما جاء في إنجيل يوحنا الحالي هو في الحقيقة تصنيف طالب من طلبة المدرسة الإسكندرية) .. وقال /برتشنايدر : (إن هذا الإنجيل كله وكذلك جميع رسائل يوحنا ليست من تصنيفه بل صنفها شخص ما في بداية القرن الثاني الميلادي ثم نسبه إلىٰ يوحنا ليعترف به الناس) .. وقال كروتيس: (كان هذا الإنجيل مكوّن من عشرين باباً فألحقت به كنيسة آفاس الباب الحادي والعشرين بعد موت يوحنا، وكان الغرض من كل ذلك هو محاولاتهم الباطلة لإثبات ألوهية المسيح والقضاء علىٰ أي فكرة تؤكد أنه إنسان).

وكانت ظاهرة ملموسة في اختلاف مصنفات كُتّاب الأناجيل الأربعة الحالية .. البعض منهم يذكر مواقف وأحداث والبعض الآخر ينفيها أو يزيد عليها أو يُنقص منها في الإنجيل الآخر، وكان التناقض بينهم مكشوف ومفضوح .. والأمثلة علىٰ ذلك كثيرة لا يسعنا إيرادها جميعها ضمن هذا المختصر ، ولكن كُتُباً عديدة لمؤلفين

مسلمين ونصارىٰ مشهورين كانت قد تحدثت بإسهاب عن ذلك .. وعلىٰ رأسهم وأبرزهم العلامة الشيخ / أحمد ديدات .

وكانت مطابخ كل تلك التحريفات والخرافات التي ضَمنوها النصارىٰ أناجيلهم عن شخصية عيسىٰ عليه السلام وعما إذا كان إلهٰ أو ابن إلهٰ أو هو جزء مُكملٌ لثلاثة أجزاء من أقنوم يُشكّل الإلهٰ .. كانت مطابخ كافة تلك المعتقدات الفاسدة هي المجمعات المسكونية التي كانوا يعقدونها بداية من مجمع نيقيا (٣٢٥) م .. فهي كانت عبارة عن مجالس شورية يُحِلون فيها أموراً ويُحرمون أخرىٰ بدون سند أكيد أو حتىٰ أثارة من علم يقين ، إنما كلاً منهم كان يضع ما يراه من فكره والباقين يوافقونه ، ورغم ذلك فماذا كانت النتيجة ؟ .. في ذلك المجمع المسكوني الأول في نيقيا (٣٢٥) م وبعد أن غربلوا محتويات أكثر من سبعين إنجيلاً كانت بين أيديهم منسوبة معظمها إلىٰ الحواريين وكل واحد منهم يختلف عن الآخر كما أسلفنا - اختصروهم إلىٰ أربعة أناجيل، ونسبوا كل واحد منهم إلىٰ أحد الحواريين وهم : متىٰ - ومرقس - ولوقا - ويوحنا ، ورغم ذلك أيضاً نجد أن كل واحد من الأربعة يختلف في نصوصه ومضمونه عن الآخر بشكل مثير للريبة وللسخرية أحياناً ، ثم قرروا أيضاً في ذلك المجمع أقوالهم الثلاثة التالية :

(١) يقولون : نحن نؤمن بإلهٰ واحد (الأب) القدير الذي خلق السمٰوات والأرض من كل ما نراه وما لا نراه .

(٢) ثم دخلوا في التناقض الصارخ والتلبيخ .. ويقولون :

نحن نؤمن برب واحد هو عيسىٰ المسيح ، الابن الوحيد للإلهٰ ، المولود والخالد - رب من رب ، نور من نور - إلهٰ حقيقي من إلهٰ حقيق ، مولود ليس مخلوق، واحد في الكيان مع الرب، ومن خلاله خُلِقَتْ الأشياء - ولخلاصنا نحن البشر هبط من السماء بقوة من الروح القدس ، ولدته مريم العذراء ثم أصبح رجلاً، ومن أجلنا صُلِبَ وَعُذبَ - ثم بعد ذلك مات ودفن .. وفي اليوم الثالث قام مرة أخرىٰ ليحقق ما ورد في الكتاب المقدس ، ثم صعد إلىٰ السماء وجلس علىٰ يمين الرب ، وسوف يعود مرة أخرىٰ لكي يحكم الأحياء والأموات ، وستكون مملكته بلا نهاية؟.

(٣) ثم يزيدون التلبيخ والتناقض وبما زين لهم الشيطان فيقولون :

نحن نؤمن بالروح القدس ، الرب - واهب الحياة ، الناشئ عن الأب والابن وهو يُعْبَدُ ويُقدّس مع الأب والابن .

(ولا ندري من أين جاءوا بكل تلك النظريات الخرافية الفاسدة ؟ .. وما هي مصادر إثباتها ؟ .. ذلك لأن كافة أناجيلهم وكتبهم المقدسة رغم أنها محرفة لم يأت في أحدها نص صريح واحد يؤكد تلك المعتقدات الباطلة) .

....

وفي مجمع القسطنطينية الأول عام (٣٨١) م ، قرروا أن روح القدس (جبريل عليه السلام) هو أيضاً إلهٰ جزء من الأقنوم الإلهي الثلاثي الأضلاع .

....

وفي مجمع أفسس الأول عام (٤٣١) م ، قرروا بأن للمسيح عيسىٰ طبيعتين لاهوتيه وناسوتيه .

....

وفي مجمع خلقدونيا الذي انعقد في عام (٤٥١) م قرروا أن للمسيح عيسىٰ طبيعتين ومشيئتين .

....

وهكذا توالت الاجتماعات والمجمعات حتىٰ يومنا هذا يبتدعون ويخترعون من خلالها أفكاراً وتصورات ومفاهيم عجيبة وغريبة ، ويُحرمون ويُحلون خلالها أموراً لم تكن مذكورة أصلاً في كتب العهدين القديم والجديد من التوراة والإنجيل .. إنما كلها من بنات أفكارهم الخاطئة التي صورها لهم الشيطان لِيُضِلّهُمْ عن سبيل ا ويُشركوا مع ا غيره ، وإلاّ نسألهم: من أين أتوا بها؟ .. وقد تضاربت آراء وقرارات أصحاب مذاهب النصارىٰ فيما بينهم خلال تلك المجمعات وكثرت خلافاتهم واختلافاتهم حتىٰ انقسمت كنائسهم إلىٰ شرقية وغربية ، وحدث ذلك أثناء المجمع الكنسي الذي عقدوه في القسطنطينية عام (٨٦٩) م .. فأصبحت الكنائس الشرقية اليونانية يرأسها بطريق القسطنطينية - والكنائس الغربية اللاتينية يرأسها بابا روما

الذي هو الآن بابا الفاتيكان .. وكان سبب انقسامهم كلام تافه وغريب واستمراراً إلىٰ الأمام في المعتقدات الفاسدة وكذلك قالوا لأن الكنيسة الشرقية تُصر علىٰ رأيها بأن روح القدس منبثق عن الإلٰه الأب، والكنيسة الغربية تُصر علىٰ أن الروح القدس منبثق عن الأب والابن معاً - وبعضهم يقول أنها وحدانية في تثليث والبعض الآخر يقول هي تثليث في وحدانية .. كلام كثير غير مفهوم وليس له معنىٰ ولا دليل لديهم عليه من الكتب السماوية ولا من غيرها ، وهي ليست سوىٰ أنها خرافات من مخترعاتهم الفاسدة التي أضلهم بها إبليس وكما أخبرهم بذلك الله عز وجل في القرآن الكريم بقوله تعالىٰ : { أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ } النمل : ٦٤ .. ثم قوله تعالىٰ في الآيات من ٨٨-٩٥ من سـورة مريـم : { وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَداً - لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً - تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدّاً - أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَداً - وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَداً - إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْداً - لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدّاً - وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْداً }.

وهكذا تمادىٰ قساوسة ورهبان النصارىٰ ورؤساء الكنائس الشرقية والغربية في كل تلك الخرافات والترهات التي لا يقبلها عقل ولا منطق وأضلوا بها جميع النصارىٰ من أهل الكتاب وإلىٰ عهدنا الحاضر (إلا من رحم الله) .

ثم انبثق عن اختلاف الكنيستين الشرقية والغربية عدة مذاهب نصرانية معاصرة هي :

١- (الأرثوذكس) .. الذين يمثلون الكنيسة الشرقية ويعتقدون بأن للمسيح طبيعة واحدة ومشيئة واحدة وأنه ابن الله الذي أنزله الرب إلىٰ الأرض لِيُكفِّر بقتله وصلبه عن ذنوب النصارىٰ.

٢- ثم (البروتستانت) .. والذين يمثلون الكنيسة الإنجيلية ويستنكرون علىٰ الكنائس الغربية حق شهادات الغفران .

3- ثم (الكاثوليك) .. التابعين لكنيسة روما وبابا الفاتيكان ويعتقدون بأن للمسيح طبيعتين ومشيئتين .

٤- ثم (الموارنة) الذين ينتمون إلىٰ (يوحنا مارون)، ويقولون بأن للمسيح عيسىٰ طبيعتين ومشيئة واحدة وبذلك تلتقي الطبيعتين في أقنوم واحد .

٥- ثم (اليعاقبه) ..الذين يعتقدون التقاء اللاهوت والناسوت في شخص المسيح في أقنوم واحد.

وهكذا تضاربت آراؤهم وأفكارهم ومعتقداتهم ومذاهبهم ، وكل مذهب يُكفر الآخر، ونتج عن كل ذلك .. ذلك الكم الهائل من الخرافات والأباطيل التي لا تستسيغها العقول السليمة والأفئدة المستنيرة والضمائر الحية ، ورغم ذلك ظهرت بينهم طوائف كثيرة من النصارىٰ تنفي عملية القتل والصلب عن المسيح عيسىٰ عليه السلام ومنهم: الساطرينوسيون ، والكاربوكراتيون ، والماركيونيون ، والبارسكاليونيون ، والبوليسيون : وكل ذلك مذكور بوضوح في تاريخهم المسمىٰ (موسيهيم) الذي لا يزال يُدّرسْ في مدارس اللاهوت الإنجيلية - وهم يقولون ويؤكدون بأن حقيقة الشخص المصلوب هو قطعاً غير عيسىٰ عليه السلام ، وقالوا : (قطعاً أن المسيح لم تُسلّط عليه أيدي مضطهديه - بل رُفع إلىٰ السماء) .. ويذكر أصحاب المذاهب الأخرىٰ التي أسلفنا ضمن رواياتهم الباطلة التي وردت في أناجيلهم الأربعة قالوا : (بأن المسيح عيسىٰ بعدما قبضوا عليه وقبل أن يصلبونه كان البعض منهم يمر عليه وهو مكتوف الأيدي والأرجل فيبصقون علىٰ وجهه ويلطمونه علىٰ خديه) ؟؟! .. فهل يُصدق أحد هذه الخرافات المنكرة في حق نبي من أنبياء ا المخلصين ، وحتىٰ إذا كانوا يَدّعون أنه كان ابن الإلهٰ فهل كان والده المفترض أنه الإلهٰ الأكبر أن يسمح بأن ابنه يتعرض لمثل تلك الاهانات ويبصقوا في وجهه دون أن يتدخل ؟؟ .. (شيء عجيب) ؟! .

وقال بطرس قرماج ضمن كتابه بعنوان : (مروج الأخبار في تراجم الأبرار) المطبوع في بيروت سنة (١٨١٠م) .. قال ما هو ملخصه : أن مرقس كان يهودياً لاوياً وهو تلميذ لبطرس، وقد صَنّفَ إنجيله بطلب من أهالي روميه وكان ينكر ألوهية المسيح ولكنه مات مقتولاً في سجن الإسكندرية سنة (٦٨م)؟!..

وقال الهر أرنست دي بونس الألماني في كتابه (الإسلام أي النصرانية الحقة) ضمن ما جاء بالصفحة رقم (١٤٢) ما معناه : (إن جميع ما يختص بمسائل الصلب والفداء هو من مبتكرات ومخترعات القس بولس ومن شابهه من الذين لم يعاصروا المسيح ولم يروه ولا هم من أصول النصرانية الأصلية) .. وقال أيضاً في الجزء الأول من كتابه (تاريخ الديانة النصرانية) .. قال : (إن تنفيذ حكم الصلب والقتل كان في وقت الغلس وإسدال ثوب الظلام فيُستنتج من ذلك إمكان استبدال المسيح بأحد الذين كانوا في سجون القدس منتظرين تنفيذ حكم القتل عليهم - وهذا كما اعتقد بعض الطوائف وجاء القرآن فصدّقه) .

وجاء في إنجيل برنابا ضمن الفصل الأول منه قوله : (لقد بعث ا بالملاك جبريل إلىٰ العذراء مريم فدخل مخدعها وسلّم فارتابت منه ، ولكن جبريل سكّن من روعها وبشرها بأن ا أنعم عليها لتكون أم لنبي يبعثه ا إلىٰ بني إسرائيل .. وقالت له : كيف ألد بنين ولا أعرف رجلاً.. فأجابها جبريل : إن ا الذي صنع الإنسان من غير إنسان لقادر أن يخلق منك إنسان من غير إنسان) .. ونرىٰ أن ذلك النص الوارد في إنجيل برنابا يوافق تماماً ما جاء بالقرآن الكريم بالآيات من ١٦ - ٢١ من سورة مريم قوله تعالىٰ : { وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِياً - فَاتخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَاباً فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً - قَالَتْ إِني أَعُوذُ بِالرحْمَن مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّاً - قَالَ إِنمَا أَنَا رَسُولُ رَبكِ لأَهَبَ لَكِ غُلاماً زَكِيّاً - قَالَتْ أَنىٰ يَكُونُ لِي غُلامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيّاً - قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبكِ هُوَ عَلَي هَيّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً للناس وَرَحْمَةً منا وَكَانَ أَمـْراً مقْضِيّاً } .

أما قول لوقا في إنجيله : (أن جبريل قال لمريم : المولود منك يُدعىٰ ابن ا) .. فقد تفرد به ولم يذكرها متىٰ ولا يوحنا ولا مرقس دليل اختلافهم في أناجيلهم عن كل معلومة وردت بهم عن حقيقة المسيح عيسىٰ عليه السلام ، وليس لدىٰ أي منهم دليل ثابت يدعم به زعمه وخاصة بين ما ورد من اختلافات في الأناجيل الأربعة وبين ما ورد من اختلافهم في العهد القديم الذي حرّفه اليهود قبلهم

حتىٰ أن بلغ الصراع بين اليهود والنصارىٰ في أمر تلك التحريفات والاختلافات أن صار كل منهم يُسَفهُ الآخر ويسخر منه ، وسجل القرآن الكريم هذا الاختلاف بينهم في قوله تعالىٰ : { وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ } البقرة : ١١٣ .

وحتىٰ عندما تساءلوا : كيف يولد ولد من بني الإنسان بغير أب إلا أن يكون من صنف الآلهة .. أجابهم الخالق العظيم في كتابه الكريم : { إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ } آل عمران : ٥٩ .

وفي هذا الصدد يقول علامتنا الشيخ أحمد ديدات : لقد قال بعضكم أن نبي الإسلام قد أمرنا باحترام الإنجيل .. وهذا صحيح .. ولكن .. أي إنجيل ؟ .. إن الإنجيل الذي أمرنا نبي الإسلام أن نحترمه - هو إنجيل عيسىٰ .. فأين هو إنجيل عيسىٰ ؟ .. إن الإنجيل أو الأناجيل الموجودة اليوم هي ليس واحداً منها هو إنجيل عيسىٰ .

لقد أمرنا نبينا صلىٰ ا عليه وسلم أن نحترم ما أنزل ا تعالىٰ إلىٰ عيسىٰ ، لا إنجيل متى، ولا إنجيل مرقس ، ولا إنجيل لوقا ، ولا إنجيل يوحنا .

وإذا كنتم تقولون وتعتقدون أن عيسىٰ إلهٰ .. أرونا وأطلعونا حتىٰ في أي إنجيل من أناجيلكم المُحّرفة .. أرونا نصاً واحداً قال فيه عيسىٰ : (أنا إلهٰ) أو قال : (اعبدوني) ؟!.

ويقول ديدات أيضاً : وبموجب فكرة التثليث يعتقد بعض النصارىٰ أن ا هو الأب والابن والروح القدس ، وهم يعتقدون أن الأب إلهٰ ، والابن إلهٰ ، والروح القدس إلهٰ ، ولكنهم ليسوا ثلاثة آلهة - بل هم الثلاثة إلهٰ واحد - وأنا أسأل الناس الذين يعرفون اللغة الإنجليزية : ما إذا كان من المعقول أن تقول : (هذا شخص ..

وهذا شخص ثان .. وهذا شخص ثالث .. وهؤلاء الأشخاص الثلاثة ليسوا ثلاثة أشخاص ، ولكنهم شخص واحد ؟) .

: هل من المعقول أن نقول بالإنجليزية :

(Three persons are one person)

(ثلاثة أشخاص يكونوا شخص واحد) ؟ .

إننا حقاً بصدد ثلاثة أشخاص مختلفون يتمايز الواحد منهم بالضرورة عن الآخر. إن لكل واحد منكم تصوره الذهني عن شخصية كل واحد من الثلاثة - فللأب صورة ذهنية، وللابن صورة ذهنية، وللروح القدس تصور ذهني (Mental concept) .. فعندما تقولون باسم الأب يكون لديكم تصور ذهني مُعَين للأب .. وأنتم تتصورونه شيخاً أبيض اللحية في أعياد الميلاد ، وعندما تقولون باسم الابن يكون عندكم تصور ذهني معين للابن ، وأنتم ترسمونه في لوحاتكم شاباً وسيماً ، عيناه لونهما أزرق ، وشعره لونه أصفر ، فكيف يتحول ثلاثة أشخاص لكل منهم تصوره الذهني لدينا .. فكيف يتحولون إلىٰ أن يكونوا شخصاً واحداً ؟..

إننا لا نستطيع أن نقبل ذلك التثليث الذي لم يقل به المسيح عيسىٰ بن مريم علىٰ الإطلاق.. ولم نعد وحدنا الذين نقول ذلك .. إن علماء النصارىٰ أنفسهم قد أزالوا شعار التثليث هذا من الجملة السابعة من الإصحاح الخامس من رسالة يوحنا الأولىٰ ، وهي الجملة التي كانت تتضمن شعار التثليث النصراني إذ كانت تقول : (فإن الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة:الأب، والكلمة، والروح القدس، وهؤلاء الثلاثة هم واحد) .. وجاء علماء النصارىٰ أنفسهم وقالوا إن تعبير (الأب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد) إنما هو تزييف أُدخل علىٰ الإنجيل وليس موجوداً بأيّة أصول قديمة للإنجيل، وقرر علماء النصارىٰ أنفسهم حذف هذه الزيادة الدالة علىٰ أن الأب والكلمة والروح القدس هم واحد .. وأصبحت الجملة السابعة المشار إليها بالطبعات المنقحة من الإنجيل تحوي أربع كلمات إنجليزية فقط وتقول (يوجد ثلاثة شهود) (There are three witnesses) يعني أن تعبير (الأب والكلمة والروح القدس هم واحد) قد تم حذفه من الإنجيل باعتبار أنه كان تزييفاً (Fabrication) ..

: لماذا حذفوا الجملة الدالة على التثليث من الإنجيل في الموضع المشار إليه ؟ .. حذفوها لأنها كانت من صياغة بعض رجال الدين القساوسة في القرن السادس الميلادي .. لقد كانوا يكتبونها كملاحظة بالهامش .. وعندما أراد المعنيون بطباعة الإنجيل أدخلوا الملحوظة الهامشية ضمن السياق .

إن عقائد التثليث ، والمساواة مع ا ، والبنوة تُعد كُفراً وكَذِباً على ا .. فا غني عن كل احتياج - وهو سبحانه لا يحتاج ولداً كي يضمن استمرار ملكه ومراعاة شئونه (يعني لا يحتاج ولداً يخلفه في ملكه إذا مات) .. إن ا هو الخالق ، ولا يمكن التصور أنه سبحانه يخلق خالقاً آخر شريكاً له في ملكه .. والمسيح نفسه يقول في إنجيل يوحنا (٣٠/٥) يقول : (أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئاً) .

وإذا أرادوا القول أن يسوع ابنٌ .. فكيف سنتصور أن يسوع جسماً وروحاً كان موجوداً مع ا كابنه قبل بدء الخليقة ، ثم قال له ا : هيا يا بُني اذهب في بدء العام الأول للتاريخ الميلادي وأخرج لهم من رحم مريم العذراء !! .. هذا غير معقول أبداً تصوركم كيف كان يسوع موجوداً مع ا قبل بدء الخلق ؟! .. هل كان موجوداً مع ا بجسمه وروحه ؟ .. أم كان موجوداً كوليد يرضع ؟.. أم كطفل يلعب ؟.. أم كشاب يافع له مغامراته العاطفية ؟ .. أم كان يسوع رجلاً مكتمل الرجولة عندما كان مع ا وقبل أن يرسله إلى الأرض كوليد من جديد يخرج من رحم مريم العذراء ؟ .. وهل من أحد يستطيع أن يتخيل وليداً لحظة خروجه إلى الحياة يصيح ويبكي فيتصور أن هذا الوليد الذي لم يكن له حول ولا قوة هو (إله)؟.. ثم نتساءل من الذي كان في رحم مريم .. يسوع الرسول ؟ .. أم ا ؟! .

وقد كان في مقدوره سبحانه وتعالى عما يصفون (إذا كان يسوع ابنه) كان في مقدوره أن ينزله إلى الأرض بشكل كريم ومباشر كما أنزل آدم من قبل ، وكما يُنزلُ جبريل روح القدس، وكما تتنزل الملائكة من السماء إلى الأرض .

وأخيراً هاهم أولاء لا يزالون يعتقدون أن المسيح يجب أن يموت من أجلهم كإله وليس كإنسان .. إنهم يعتقدون أن رجلاً واحداً يمكن أن يتحمل تبعات خطايا كل البشر .. وإنني لأسألهم : هل تعتقدون أن ا يموت ؟ .. ألا تقولون أن

ا خالد لا يموت ؟ .. ثم تقولون أنه مات وصُلِبَ ؟! .. وإذ يموت ، فماذا يحدث لمخلوقاته الحية ؟ .. وإذ كان قد مات ودُفِنَ في أحد المدافن لمدة ثلاثة أيام وثلاث ليال كما يزعم أصحاب الوثائق المقدسة - فمن ذا الذي كان يُعْنَىٰ بالعالم وبالخلق طوال تلك الأيام الثلاثة وتلك الليالي ؟ .. من الذي كان يسيطر علىٰ العالم في ذلك الوقت بالذات ؟ . (انتهىٰ كلام الشيخ ديدات) .

وقبل أن أنهي رسالتي هذه إليكم يا أهل الكتاب أود أن أقص عليكم هذا الحدث الذي سجلته بعض الصحف الهندية في بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي .. وبطل هذه القصة أو ذلك الحدث كان هو فضيلة الشيخ (رحمتُ ا بن خليل ا الهندي) أحد أشهر الدُعاة من علماء الهند في ذلك الوقت أثناء وجود الاستعمار البريطاني بشبه القارة الهندية حيث كان المُبشرون النصارىٰ من طائفة البروتستانت منتشرون فيها بشكل مكثف ناشطون في محاولات تنصير كافة المذاهب من الهنود بما فيهم المسلمين .. وكان رئيس البعثة التبشيرية في عموم الهند هو القس / بفندر الذي ألّف كتاباً هناك سماه (ميزان الحق) .. يدعو فيه المسلمين علناً إلىٰ ترك الإسلام والتنصّر ، ولمّا لم يجد المسلمون في الهند من يتصدىٰ لتلك الدعوىٰ التبشيرية من علماء الإسلام الهنود دب في نفوسهم الملل واليأس حتىٰ كادوا أن يخرجوا من دينهم ويتنصروا .. فتنبه الشيخ / رحمتُ ا إلىٰ ذلك الخطر الداهم علىٰ الإسلام والمسلمين في الهند فقام يدرس ويقرأ كل ما توفر بين يديه من كتب العهدين القديم والجديد حتىٰ استوعب كل الثغرات والافتراءات التي حرّفوا بها توراتهم وأناجيلهم وما أضافوه إليهم من خرافات .. ثم أعلن في الهند دعوة للمناظرة مع القس بفندر ، ووافق الأخير علىٰ المناظرة ولكنه وكأنه الواثق من نفسه وضع شرطاً بأن تمتد المناظرة إلىٰ ثلاث جلسات وأن يحضرها كبار الساسة والعلماء والصحافة وكثير من الناس كشهود ، فقبل الشيخ رحمت ا الشرط وعليه أضاف شرطاً من جانبه ووافق عليه القس بفندر .. والشرط هو : أن يلتزم كل واحد منهما الشيخ والقس أنه إذا أفحم أحدهما الآخر في الإجابة علىٰ أسئلة الآخر فإن عليه أن يتخلىٰ عن دينه ويعتنق ديانة المناظر الذي طرح الأسئلة ولم يستطيع الإجابة عليها الطرف الآخر .

وهنا نرىٰ أن الشيخ رحمت الله يرحمه الله ويدخله الجنة ما كان ولا بحال أن يترك دين الإسلام ويتنصر حتىٰ ولو علىٰ طلوع روحه ، ولكنه كان يشترط شرط الواثق من نفسه ولأنه علىٰ يقين تام أن البرهان الذي بين يديه هو برهان ساطع من كتاب الله تعالىٰ وسنة نبيه صلىٰ الله عليه وسلم .

وبالمقابل فإن برهان القس بفندر كان برهاناً فاسداً ومُحرّفاً ولا يقبله عقل ولا منطق . وانعقدت الجلسة الأولىٰ في ١٠ أبريل ١٨٥٤م بحي (أكبر آباد) في مدينة (آجرا) وكان من الحاضرين مع الشيخ : الدكتور / محمد وزير خان - وحضر مع القس: / القس فرنيشي ، أما شهود المناظرة فكانوا كثيرين منهم رئيس الديوان ، ومستشار النظارة المالية ، ونائب آمر مدينة (نبارس) ، والشيخ / قمر الإسلام إمام الجامع الكبير في أجرا ، كما حضرها / (خادم علي خان) رئيس تحرير جريدة مطلع الأخبار ، وبعض أمراء الإنكليز وحاكم المعسكر .

وبعد انتهاء المناظرة كتب علي خان علىٰ الصفحة الأولىٰ من جريدة (مطلع الأخبار) أن نتيجة المناظرة الأولىٰ اعتراف القس بفندر بوجود تحريف أكيد في الإنجيل في سبعة أو ثمانية مواضع.

وكان تعليق بفندر علىٰ ذلك قوله للصحيفة : نعم اعترفت ولكن مثل هذا القدر القليل من التحريف لا يضر الكتب السماوية .

فرد عليه الشيخ رحمت الله علىٰ صفحات نفس الجريدة : إنه إذا ثُبت التحريف في أي وثيقة من الوثائق مهما قل شأنها فإنه لا يُعمل ولا يُعتد بها وتصبح لاغية ، فكيف بكتاب منزل من عند الله اعترفتم أنكم حرّفتم فيه في ثمانية مواضع ثم تؤمنون به وتدعون باقي الناس إليه ؟! .

ثم انعقدت الجلسة الثانية في يوم ١١ أبريل ١٨٥٤م التي لوحظ فيها تكاثر القساوسة الذين حضروا برفقة بفندر بعدما انتشر الخبر في عموم الهند بأن عالماً من علماء المسلمين قد أحرج أشهر قس نصراني في الهند في المناظرة السابقة وجعله مُختاراً يعترف بتحريف الإنجيل ، وكان من هؤلاء القساوسة القس / وليْمْ كلين ، والقس / هارفي وآخرون ، ثم اتضح أن حضورهم بجانب بفندر إنما كان للجدال القائم علىٰ غير حجة ظاهرة ولا برهان سليم ، ففشلوا في طمس اعتراف بفندر بتحريف الإنجيل وعادوا من المناظرة مهزومين .

وبعد أن تحدد موعد الجلسة الثالثة المتفق عليها أرسل بفندر رسالة يعتذر فيها عن الحضور مما دعا الدكتور / محمد وزير خان أن يرسل إليه رسالة يقول له فيها : كان يجب عليكم الحضور للإجابة علىٰ أسئلة الشيخ رحمت ا .. ثم بعد ذلك تُلقون إنجيلكم الـمُحَرف وراءكم وتتوقفوا عن تبشير الناس في الهند إلىٰ دينكم الباطل .

ثم كتبت الصحف أن أهم أسباب تخلف حضور القس بفندر جلسات المناظرة مع الشيخ رحمت ا هو خشيته من أن يُلزمه الشيخ بالشرط أنه إذا انهزم بالحجة والبرهان أن يتخلىٰ عن نصرانيته ويعتنق الإسلام .. ولأنه لم يكتب ا له الهداية وكما قال تعالىٰ: { إِنَّكَ لا تَهدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِن اللهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ } القصص: ٥٦ .

هذه هي قصة الشيخ رحمت ا في الهند تؤكد بطلان افتراءات النصارىٰ علىٰ ا سبحانه وتعالىٰ عما يشركون .

وفي مسلسل فضائح القساوسة المبشرين للنصرانية تعالوا معي نقرأ ما أوردته مجلة (TIME) الأمريكية بعددها الصادر في ٧ مارس ١٩٨٨م عن عدد من مشاهير القساوسة المبشرين الذين يديرون مؤسسات إعلامية تذيع برامج تبشيرية إلىٰ مئات الملايين من المشاهدين عبر قنوات ومحطات تلفزيونية خاصة تغطي كافة الولايات المتحدة الأمريكية، وكل مبشر منهم له أتباع بالملايين يؤمنون به ويُصدقونه في كل ما يُحدثهُم به عن الإنجيل .

فَجرَتْ مجلة الـ TIME وأيضاً الـ WASHINGTON POST فضائح مجموعة من هؤلاء القساوسة المبشرين الذين كان الواحد منهم يسيطر علىٰ قلوب عشرات الملايين من النصارىٰ في أمريكا ويجنون من مدخراتهم الخاصة مبالغ بمئات الملايين من الدولارات في صورة تبرعات نقدية.. كان أولئك المبشرون ينفقونها ببذخ علىٰ أنفسهم وزوجاتهم وأقاربهم وبامتلاك القصور والطائرات الخاصة والسيارات الفارهة .. ولم يتوقف الإنفاق عند هذا الحد بل كانوا ينفقون بعضا منها علىٰ ممارساتهم الجنسية الشاذة ، وعلاقاتهم القذرة مع الداعرات والساقطات .

نتصور لو أن صحيفة أو مجلة عربية هي التي نشرت تلك الفضائح المخزية لشخصيات دينية نصرانية يعتبرونهم النصارىٰ مُثُلِهمْ العليا لكانت قامت قيامة احتجاجاتهم ولم تقعد أبداً كما حدث في مصر مؤخراً خلال شهر يونـيو ٢٠٠١م .. ولكن هنا الذين فجروا تلك الفضائح المخزية هم صحف أمريكية وكُتاب نصارىٰ وقدّموا مع أخبار الفضائح الأدلة الدامغة عليها من واقع اعترافات أولئك القساوسة المبشرين السابقين علىٰ شاشات التلفزيون .

تقول المجلة عن المبشر / جيمي بيكر ، وزوجته (تاي ماي) وفي عنوان صارخ : (عالم من النصب والاحتيال والدجل والابتزاز والسرقات والكذب والنفاق - عالم من الفضائح الجنسية والإغتصابات والدعارة يمارسها مبشرون أسمائهم أكثر شهرة في أمريكا من نجوم السينما والتلفزيون والمسرح - رجال ونساء يسيطرون علىٰ عقول عشرات الملايين من البشر يُدرون عليهم ثروات ضخمة في سوق مالي لا يقل حجمه عن مليارات دولار سنوياً) .

بدأ جيمي بيكر وزوجته التبشير عن طريق التلفزيون بعدما تركا العمل في شبكة (C.B.N.) لعدة سنين مضت - حيث اعتادت (تيمي) وهو الاسم المصغّر لـ (تاي ماي) زوجة بيكر .. اعتادت الظهور علىٰ شاشات التلفزيون بجوار زوجها أثناء تقديمه مواعظه إلىٰ ملايين المشاهدين وهي ترتدي (المايوه) الفاضح .. ثم تبرر ذلك بقولها : (علينا أن نكون جذّابين ، كما أن استعمال المساحيق ولبس المايوه أثناء الوعظ ليس أمراً مُنكراً) !!؟ .

ثم يأتي دور القس المبشر (جيمي سواجارت) في تفجير الفضائح ضد بيكر وزوجته حتىٰ أرغمهما علىٰ الإستقالة من مؤسستهما التبشيرية .. كان سواجارت يعمل في السابق مع بيكر في برنامجه التبشيري وحدث بينهما خلاف علىٰ تقسيم الغنائم من ثروات ملايين الدولارات التي كانت تنهال عليهم من التبرعات .. فقام بيكر بطرد سواجارت من تقديم مواعظه التبشيرية ضمن برنامجه التلفزيوني عندما خشىٰ من أن سواجارت سوف يسحب البساط من تحت قدميه وزوجته ويستأثر بإعجاب عشرات الملايين من المشاهدين بأسلوبه الذكي الجذاب ..

بدأ سواجارت بعد أن طرده بيكر في الدفع بسخاء إلىٰ المخبرين السريين لتتبع أخطاء وعورات بيكر وزوجته تيمي ، ثم قام بنشر تلك الفضائح ، مما أجبر تيمي بيكر لأن تعترف علىٰ شاشات التلفزيون بأن الشيطان قد أوقعها في فخه .. وبأنها تتعاطىٰ المخدرات ، وبأن الشيطان قد دخل بينها وبين زوجها حين تَعرَّف بيكر علىٰ فتاة تُدعىٰ (جيسكا هان) كانت تعمل سكرتيرة للكنيسة ، التي حرضّها سواجارت إلىٰ رفع دعوىٰ ضد بيكر تقول فيها بأنها كانت بِكْراً حين اعتدىٰ عليها بيكر وقالت : إستدرجني في البداية وسقاني نبيذاً ممزوجاً بالمخدر حتىٰ فقدت الوعي ولم أفق إلا وكأنني مثل ساندوتش هامبرجر عفن لا يرغب فيه أحد .

وعندما قررت (هان) ملاحقة بيكر قضائياً أرسل يعرض عليها مبلغاً كبيراً من المال مقابل صمتها - ولكن هيهات بعد أن وصلت أصداء الفضيحة إلىٰ مسامع مئات الآلاف من الذين كانوا يعتقدون في طهارة القس بيكر وزوجته من الدنس ..

وبعد الفضيحة ظهر بيكر وزوجته (تاي ماي) ولعدة أسابيع في مؤتمرات صحفية ومن خلال برامج التلفزيون الإخبارية ، ظهرا والدموع تنهمر من أعينهما يبكيان ويندبان مصادرة مؤسستهما التبشيرية وشبكة تلفزيونهما مع أرض فسيحة تُقدّر بعدة ملايين من الدولارات وذلك بعد التقارير الصحفية التي أتهمتهما بالابتزاز والتي وصفت حياتهما بالتبذير والبذخ .. وعن نمط حياتهما بعد أن اكتشفوا أنهما يملكان قصوراً فخمة في كل من كاليفورنيا وفلوريدا ، ومفروشاتها مطلية بالذهب.

وقال بيكر أثناء اعترافاته علىٰ شاشات التلفزيون .. قال إن سواجارت قد فعلها فيه وتزعم تلك الحملة ضده لكي يستولى علىٰ (١٢٩) مليون دولار التي تمثل العائد السنوي لمؤسستهما التبشيرية المُصادرة .

فكان رد سواجارت عنيفاً عندما أجاب علىٰ أقوال بيكر .. قال : (لقد حان الوقت الذي كان يجب فيه تنظيف البيت من الداخل !! .. وأن ما فعلاه بيكر وزوجته كان مهزلة فاضحة في حق التبشير والمبشرين ما كان يجب أن تستمر) .. وقد شَبه سواجارت زميله السابق بيكر بأنه سرطان يجب استئصاله من جسد المسيح .

ثم يتتابع مسلسل فضائح القساوسة المبشرين في أمريكا .. فما أن انتهت أسطورة فضائح القس بيكر وزوجته (تاي ماي) حتىٰ سقط القس سواجارت نفسه الذي تسبب في فضيحة بيكر ووصفه بأن سرطان في جسد المسيح .. وكان سقوطه ورائهما وبسرعة رهيبة .. وذلك عندما تفاجأ مئات الآلاف من مشاهـدي القنـاة التلفزيونيـة (C.B.N.) التي تُذاع بواسطة كابلات تلفزيونية إلىٰ المشتركين في كافة أنحاء الولايات المتحدة الأمريكية .. تفاجئوا بالقس سواجارت وهو علىٰ شاشة التلفزيون يعترف بذنوبه في كنيسته .. وأظهرته وهو منخرط في البكاء .

وكانت قد تفجرت فضيحة سواجارت المدعمة بالصور أثناء ممارسته الجنس مع مومس محترفة اسمها (دبرا ميورفي) التي ظهرت في الصور وهي تتمدد أمام القس سواجارت عارية ، وكان يدفع لها مبالغ كبيرة لكي تقوم أمامه بعرض حركات داعرة .

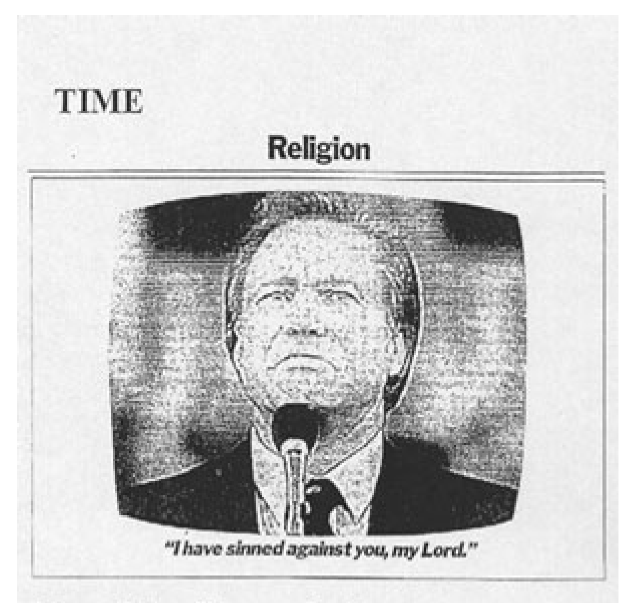
وكما حدث من سواجارت أنه تتبع عورات وسقطات بيكر وزوجته بالصور والمعلومات وفجر الفضيحة التي أطاحت بهما وطُردا من التبشير فإن قساً مبشراً آخر اسمه (مارفين جورمان) كان يعمل مع سواجارت في القناة التلفزيونية التي يديرها الأخير ، فطرده منها ، فترصد له وتتبع عوراته وسقطاته بالصور الفوتوغرافية وأفلام الفيديو بواسطة مخبر سري استأجره خصيصاً لهذا الغرض .. وقبل أن يفضحه بها ساومه عليها في عملية ابتزاز قذرة .. ولمّا لم يدفع له سواجارت فجّر الفضيحة بنشر الصور والأفلام في الصحف وعلىٰ شاشات التلفزيون .. فلم يملك سواجارت بعدها إلا أن يعترف بأخطائه .. وقام أمام المشاهدين يطلب المغفرة من الرب .. وقد بدا هادئاً ينتظر وهو يلبس بدلة ممزقة ثم بدأ يتكلم ويترنم وقال بطريقة دراماتيكية حزينة .. قال: (إنني لا أقول أنها خطيئة وكذبة .. إنني أسميها ذنب .. أنني لا ألوم أي شخص آخر .. ولكن ألوم نفسي..) وكان يقول ذلك وصوته متحشرجاً وهو يبكي ثم انطلق يُضيف : (مُخلصي ومُنْقِذي.. لقد ارتكبت ذنوباً في حقك وأطلب أن يغسل دمك الغالي الذي هُدْرَ منك علىٰ الصليب يغسل كل صدإ في نفسي حتىٰ يُحوّله إلىٰ بحور الغفران) .

انظر إلىٰ الصورة التي نشرت في الـ TIME لسواجارت وهو يعترف ويبكي

TIME

TIME

Religion



"I have sinned against you, my Lord."

Now It's Jimmy's Turn

The sins of Swaggart send another shock through the world of TV evangelism





وبعد انتهاء تلك الدراما الرومانسية الكاذبة انطلق المُبشر سواجارت بسيارته الفارهة ليختفي بها داخل ضيعته الشاسعة الأطراف ذات الـ (١٤) ممراً والمزودة بكل أسباب الترف والرفاهية .. ولم يفصح سواجارت أثناء اعترافه بالذنب عن ماهية الأخطاء التي ارتكبها .. في حين بات العالم كله علىٰ علم بالحماقات الجنسية التي تورط أثنائها في علاقات سرية مشبوهة مع عاهرات داخل غرف الفنادق الرخيصة والدنيئة وهو الرجل الذي كان متخصصاً في شجب ونبذ أخطاء وذنوب البشر ويعظ بالأخلاق الحميدة ملايين الناس من النصارىٰ .

وهكذا كانت فضائح الفساوسة المبشرين أو كما وصفهم المسيح عليه السلام حسب زعم إنجيلهم المقدس قائلاً : (يا أولاد الأفاعي .. كذلك أنتم تبدون أمام الناس بررة .. ولكنكم من الداخل ممتلئون رياءً وفسقاً .. : كيف تتحدثون بالصالحات وأنتم فجرة) .

وأيضاً من مسلسل فضائحهم ما أوردته الأنباء الصحفية علىٰ لسان الراهبة الطبيبـة (مورا أودونوهي) علىٰ صفحات صحيفة (لاريبيبليكا) التي تصدر في روما اعتراف الفاتيكان بقيام بعض الكهنة والتبشيريين بإجبار الراهبات علىٰ ممارسة الجنس معهم ، وفي بعض الأحيان اغتصبوهن وأُجبر بعضهن علىٰ إجراء عمليات إجهاض ، وأفاد التقرير الصادر من الفاتيكان أن هذه الممارسات مقتصرة علىٰ مناطق جغرافية معينة في (٢٣) دولة منها الولايات المتحدة الأمريكية والبرازيل والفلبين والهند وإيرلنده وإيطاليا .

وأفاد مقال (ماركو بوليتي) مراسل لاريبيبليكا في الفاتيكان أن التقرير الذي رفعته الراهبة الطبيبة / أودونوهي إلىٰ رئيس مجمع كبار الأساقفة في الفاتيكان الكاردينال / مارتنيز سومالو في فبراير عام ١٩٩٥م . قد وقّعن عليه العديد من الراهبات أشرن فيه إلىٰ قضايا معينة منها قضية كاهن أجبر راهبة علىٰ إجراء عملية إجهاض توفيت علىٰ إثرها ثم قام نفس الكاهن بترأس قداس جنازتها.. كما أن هناك حالات أُجبر فيها كهنة راهبات علىٰ استعمال أقراص منع الحمل ... كما أن هناك حالة شملت (٢٠) راهبة حملن في وقت واحد داخل مجمع ديني واحد.

ثم نقرأ في الوجه المقابل للتبشير النصراني نقرأ فيما يلي قصتين لحالتين من

النصارىٰ اعتنقا الإسلام .

وهذا أولاً الأخ عبد ا   لورنس مروان يروي قصته بنفسه من خلال ما نُشِرَ بجريدة (المدينة المنورة) فلنأخذ منها العبر :

الأمريكي عبدالله لورنس يتذكر قصة إسلامه:

إصابة ابنتي بعيب الشريان الرئيسي قادتني إلى طريق النور

عطية التوالي - المدينة المنورة

كثير من الذين ولدوا في نعمة الإسلام لا يعرفون مدى قيمة هذه الكلمة لمثلي قد قضيت معظم حياتي دون سماع الأذان أو التلفظ بتحية الإسلام تلك الجوهرة الغالية فعند سماعي هذه الكلمات تذكرني بنعمة الله علي عندما اختارني بإنعامه علي بهذا الدين. هكذا تحدث الدكتور عبدالله لورنس مروان رئيس قسم العيون بمركز مغربي للعيون بالمدينة المنورة لـ(الرسالة) وقال: كثير من الإخوة يسألوني كيف أسلمت وأنا دائما أقول لهم نفس الشيء هناك إجابة قصيرة وإجابة طويلة.

أما الإجابة القصيرة فهي ببساطة أنه لا أحد يأتي للإسلام إلا من خلال رحمة الله العظيمة رأيت كثيراً من الناس يدرسون الإسلام ويرفضون الدين فكثير من الناس في بلدي أمريكا لديهم أخلاق جيدة وطبيعة رحيمة وشخصية محببة.

وأضاف: وهذا يقود للإجابة الطويلة: فمنذ عشر سنوات مضت ولدت لي طفلة بعيب خلقي في الشريان الرئيس الذي يغذي القلب وهو الشريان الأورطي وقد وضعت في وحدة العناية المركزة، حتى أوضحت الفحوصات التي أجريت لها أن هذا الشريان ليس كبيرا بما فيه الكفاية لكي يحصل جسمها على الدم والأكسجين لجسمها من الأسفل كان لونه مزرقاً وكان يموت. عندما سمعت بالتشخيص تحطمت وكوني طبيبا أعرف ماذا يعني هذا. طفلتي العزيزة عمرها فقط أيام تحتاج لعملية القلب المفتوح وبعدها كل بضع سنوات ستحتاج لمراجعة وبعدها ستموت تلقائيا، حتى هذا اليوم لا أستطيع كتابة هذه القصة بدون مغالبة دموعي. عندما أعطاني الطبيب التحليل شيء ما مات بداخلي أنا الله الكبير والحمد له حتى ذلك الوقت كنت أظن أنه باستطاعتي تحمل أي شيء، حققت النجاح في حياتي وكنت قادراً على تخطي العقبات التي تقف أمامي بمفردي (أو كما كنت أظن) ولكن عندما سمعت أن ابنتي تموت ولا يوجد أي شخص ممكن أن يعمل شيئاً حيال ذلك تيقنت لأول مرة في حياتي أني لا أملك قدرة وقوة فوق الموقف. مباشرة غادرت عالم العناية المركزة وذهبت لغرفة الصلاة في المستشفى كانت غرفة بسيطة بسجاد وكرسيين ولا شيء غير ذلك، لا تماثيل ولا صليب ولا صور الحمد لله فقط غرفة فارغة ولأول مرة في حياتي صليت بحق.

وجود الرب

ويقول: تذكرت وتيقنت وجود الرب لم أكن أعرف كلمة الله بعد في ذلك الوقت ووعدته أن هو أنقذ ابنتي ثم هداني للدين الذي يختاره لي والأكثر قربا له فإني سأتبعه. كنت أبكي بالطبع وكان لا يوجد أي شك في فكري بأني كنت أعني ما أقول ولأول مرة في حياتي فتحت قلبي وتوجهت للواحد الذي عرفت أنه الوحيد الذي يستطيع إنقاذ ابنتي.

عندما تمالكت نفسي وعدت إلى غرفة العناية المركزة وبعد عشر دقائق قال الأطباء لي أن ابنتي سوف تكون بخير ولا تحتاج لعمل شيء كنت قد غبت ووجدت لعدة دقائق استجيب دعائي، دهش طبيب العناية المركزة للأطفال ولم يعرف ما يقول، مازلت أتذكره وهو واقف هناك بدون كلام وبنظرة غير مصدقة في وجهه عندما كان يعطيني الأخبار الجيدة وبكل تأكيد عاشت ابنتي بدون حاجة إلى دواء أو أي عملية لقد كانت معجزة، رجع جسمها بلونه الطبيعي وبقي معافى إلى هذا اليوم، ولقد صور الأطباء بأفلام حالة قلبها قبل وبعد ما رجع قلبها إلى حالته الطبيعية الكاملة وقد كانت التصويرات الثانية توضح حالة قلبها الطبيعية بدون الحاجة لعمل شيء.

علاجها من الله

يضيف: عندما أخذت ابنتي إلى البيت معافاة وسعيدة تيقنت أن علاجها تم فقط عن طريق الخالق، عشت حياتي معرضا عن الرب، وجادلت في وجوده وحاولت إبعاد الناس عن الدين. فررت من كل كنيسة


د. عبدالله لورنس

ودين. كنت أعرف وبعد إنقاذ الله لابنتي بمعجزته أنني يجب أن أفي بوعدي، وأبحث عن حقيقة الرب، وبعد أن كنت لا أطأ الكنائس إلا للنقد، أصبحت الآن أبحث عن الكنائس لأجد الحقيقة. بدأت بدراسة كل دين من البوذية إلى الهندوسية ومن اليهودية إلى المسيحية، حضرت كثيراً من اجتماعات الكنائس أكثر مما أريد أن أتذكر ولكن ما أتذكره هو أنني عندما درست اليهودية لم أستطع فهم لماذا لم تقبل (بابا) والمسيح عيسى كنبي من الرب وعندما درست المسيحية لم أستطع فهم من هو آخر نبي مكتوباً به في الإنجيل والمزيد من ذلك لا يوجد أحد ليشرح لي حتى أقتنع وأرضى، لماذا يؤمنون بالثالوث ولماذا يظنون أن عيسى المصلوب يكون ابن الله ولماذا يؤمنون بكثير من الاعتقادات الغريبة التي وجدت في المسيحية وليست في الإنجيل. لم أكن مسيحيا ولم أؤمن بتفسير المسيحية لله، وبعد ثلاث سنوات من البحث عرفت شيئا عن الإسلام من خلال أخي الأكبر الذي اعتنق الإسلام قبلي (الحمد لله) عشنا في ولايات مختلفة ولم نتحدث مع بعض كثيرا ولكن يوما ما اتصل بي وأخبرني أنه أصبح مسلما، أخبرته أنه كان غريبا جدا ولم أكن أعرف الإسلام وظننت أنه قد فقد صوابه وجن، ومع ذلك فقد أرسل لي كتابا عن سيرة محمد صلى الله عليه وسلم وترجمة للقرآن الكريم، وعندما قرأت هذه الكتب تيقنت أن محمداً هو آخر الأنبياء الذي كنت أبحث عنه في دراستي في الإنجيل واليهودية والديانات المسيحية وللمزيد تيقنت أنني أصبحت مسلماً.

امتحانات

ويقول: بعد ذلك لاحظت أن لا أحد يعتنق الإسلام في أمريكا إلا وإيمانه يمتحن وبعد نطقي الشهادة بمدة قصيرة، طلقتني زوجتي وأخذت أولادي وسيارتي وبيتي وممتلكاتي ومعظم ثروتي معها، هذا هو الطلاق في أمريكا الزوجة تحصل على معظم الأشياء وليس فقط أنها أخذت كل شيء لي، ولكن حكمت على المحكمة بدفع نفقة لها لمدة خمس سنوات وللأولاد لمدة خمسة عشر عاماً لذا هي لم تأخذ ثروتي التي كانت معي في ذلك الوقت بل والمال الذي لم أكسبه بعد وما يزيد على ذلك أني لا أستطيع رؤية ابنتي أو الاقتراب منهما إلا على بعد ١٠٠ قدم وإلا سوف أعتقل؛ لماذا لأني أصبحت مسلما.

أما والديّ فقد كانا أحسن منها قليلا فقد ساعدا زوجتي السابقة بتزويدها بكل الوثائق اللازمة لتطلقني بالإضافة أنهما قد دفعا لها كل الأموال اللازمة لهذه الأمور القانونية والمقدرة بحوالي ٣٥ ألف دولار أمريكي وأخيراً أخبراني أنهما لا يريداني ولا أن أزورهما أو أتصل بهما، أو حتى إرسال كرت لهما، لا يريدان معرفة أخبار ولديهما اللذين أصبحا مسلمين، لا يريدان تذكرهما. معظم أصدقائي تركوني، وكان علي ترك منزلي لتجنب اعتقالي لأن هذا البيت بناء على قرار المحكمة لم يعد ملكي. ولكني تعلمت أن الشخص لا يترك شيئا لوجه الله إلا عوضه الله خيرا منه. خسرت زوجتي الكافرة وبعد سنة أنعم الله علي بزوجة مسلمة، وفقدت أبنائي ثم أعطاني الله طفلا آخر من زواجي الجديد، وفقدت أصدقائي والتي ليعطيني الله صداقة وأخوة إسلامية، وفقدت ممتلكاتي في بلدي ليهبني الله أحسن بلد في العالم (المدينة المنورة) وفقدت ثروتي لينعم الله علي بأعظم ثروة وهي الدين الإسلامي.



ثم نقرأ فيما يلي قصة إسلام الأخت في ا / حياة كولينز الأمريكية الجنسية وكما وردت تماماً في صحيفة (النخبة) السعودية .

[نشأت في أسرة نصرانية متدينة وكان الأمريكيون في ذلك الوقت أكثر تديناً مما هم عليه الآن ، فمعظم العائلات مثلاً كانت تذهب إلىٰ الكنيسة كل يوم أحد. وكان والدايّ منخرطين في مجتمع الكنيسة وغالباً ما كان لدينا رجال دين وقساوسة في المنزل كما كانت أمي تعطي دروساً في مدارس الأحد وكنت أنا أساعدها. ولابد أنني كنت أكثر تديناً من بقية الأطفال رغم أنني لا أذكر تفاصيل ذلك ، ففي أحد أعياد ميلادي أحضرت لي خالتي إنجيلاً وأحضرت لي أختي دمية وفي مناسبة أخرىٰ طلبت من والدي كتاباً للصلوات والأدعية وكنت أقرأ منه يومياً لسنوات عديدة. وعندما كنت في مرحلة الدراسة المتوسطة حَضَرتُ دورة في دراسات الكتاب المقدس لمدة سنتين وحتىٰ تلك المرحلة كنت قد قرأت بعض أجزاء الكتاب المقدس ولكني لم أفهمها بشكل جيد والآن كانت فرصتي كي أتعلم .

ولسوء الحظ أننا درسنا في العهد القديم والعهد الجديد العديد من المقاطع التي وجدتها عصيّة علىٰ التفسير بل وغريبة ومستهجنة .

فمثلاً يُعلمُنَا الكتاب المقدس فكرة تُسّمىٰ الخطيئة الأصلية التي تعني أن البشر يولدون جميعاً خُطاة وكان لدي أخ طفل رضيع وكنت أعرف أن الأطفال الرضع ليسوا خُطاة .

وفي الكتاب المقدس قصص شديدة الغرابة والإرباك حول النبي داوود ، مثلاً لم استطع أن أفهم كيف يمكن للأنبياء أن يتصرفوا بالطريقة التي يقول الكتاب المقدس أنهم تصرفوا بها ، وكان هناك الكثير من الأمور التي حيرتني في الكتاب المقدس ولكني لم أكن أثير أسئلة فقد كنت أخشىٰ السؤال : أردت أن يقال عني أنني (فتاة طيبة) .

ولكن هناك صبي طرح الأسئلة واستمر في طرحها والحمد . كانت أشد القضايا حرجاً هي قضية الثالوث إذ لم أستطع فهمها كيف يمكن أن يكون ثلاثة أجزاء منها واحد بشري ؟ .

ولكوني درست الأساطير اليونانية والرومانية في المدرسة فقد رأيت أن فكرة الثالوث والقديسيين الأقوياء من البشر تشبه كثيراً الأفكار اليونانية والرومانية حول وجود ما يُسّمىٰ (آلهة) مختلفة يتولىٰ كل منها مسؤولية جانب من جوانب الحياة (استغفر ا) .

وذلك الفتىٰ الذي كان يسأل ، طرح الكثير من الأسئلة حول الثالوث وتلقىٰ العديد من الأجوبة ولكنه لم يقتنع أبداً كما لم أقتنع أنا .

وأخيراً طلب منه المعلم وكان بروفسورا في اللاهوت في جامعة ميشغان أن يصلي طلبا للإيمان .. وصليت أنا ...

عندما كنت في المرحلة الثانوية أردت سراً أن أصبح راهبة فقد شدتني ممارسة تقديم الصلوات في أوقات محددة من كل يوم كما شدتني الحياة المُكرسة كلياً وارتداء ملابس تُظهر أسلوب حياتي المتدين .

ومع ذلك كانت إحدىٰ العقبات التي تعترض سبيل هذا الطموح هي أنني غير كاثوليكية فقد عشت في بلدة في الغرب الأوسط حيث كان الكاثوليك أقلية معزولة غير محبوبة وفوق ذلك فإن نشأتي البروتستانتينية قد بثت في نفسي كُرهاً للوثنية الدينية وتشكيكاً صحياً بالفكرة التي تقول أن للقديسين الموتىٰ قدرة علىٰ مساعدتي .

وفي الكلية استمررت في التفكير والصلاة وكان الطلبة كثيراً ما يتكلمون ويتجادلون في الدين وقد سمعت الكثير من الأفكار المختلفة وكما فعل يوسف إسلام درست ما يُسّمىٰ بالديانات الشرقية كالبوذية والكونفوشية والهندوسية فلم أجد عوناً هناك.

ثم قابلت مُسلماً من ليبيا أخبرني بالقليل عن الإسلام والقرآن الكريم .. أخبرني أن الإسلام هو الصيغة الجديدة الأكثر تحديثاً بين الديانات السماوية ، ولأني كنت أنظر لإفريقيا والشرق الأوسط كمناطق مختلفة فإنني لم أستطع أن أرىٰ الإسلام حديثاً معاصراً .

وقد اصطحبت أُسرتي الأخ الليبي إلىٰ الصلاة في الكنيسة في عيد الميلاد وقد كانت الصلاة جميلة إلىٰ حدٍ مُبهر ولكن في النهاية سأل الرجل : (من الذي ابتدع هذا الأجراء ؟) مَنْ عَلَّمَكُمْ متىٰ تقفون وتنحنون وتركعون ؟ مَنْ عَلَّمَكُمْ كيف تُصَلّون ؟.

أخبرته عن تاريخ الكنيسة الأولىٰ ، ولكنه أغضبني بدايةً ثم جعلني أُفكر بعد ذلك فهل كان الناس الذين صمموا هذه الصلاة مؤهلين حقاً للقيام بذلك ؟ وكيف عرفوا الصيغة التي يجب أن تكون عليها الصلاة ؟ هل كانت لديهم تعليمات سماوية؟

كنت أعرف أنني لا أؤمن بالكثير من تعاليم النصرانية ولكني استمررت في الذهاب إلىٰ الكنيسة وعندما كانت تُتلىٰ مقاطع أعتقد أن بها تجديفاً وكفراً كالعقيدة النيقاوية المنسوبة للمجمع المسكوني المنعقد في نيقية في آسيا الصغرىٰ عـام ٣٢٥م كنت أصمت لم أكن أُرَتلها وكدت أشعر بأني غريبة في الكنيسة .

وجاء الرعب فقد تعرضت امرأة مُقَرّبةٌ مني كثيراً إلىٰ مشكلات زوجية صعبة فذهبت إلىٰ كاهن كنيستنا لتطلب مشورته وقد استغل الكاهن آلامها وكراهيتها لنفسها فأخذها إلىٰ فندق وأغواها .

حتىٰ تلك اللحظة لم أكن قد درست بعناية دور رجال الدين في الحياة النصرانية، والآن أصبحت مضطرة لذلك .. يعتقد معظم النصارىٰ بأن الغفران يأتي من خلال صلاة (التناول المقدس) وأن الصلاة يجب أن يقودها كاهن أو رجل دين مُعَيّن رسمياً وإذا غاب الكاهن فلا غفران لك .

ذهبت إلىٰ الكنيسة ثانية وجلست ونظرت إلىٰ رجال الدين أمامي لم يكونوا أفضل من رعيتهم بل كان بعضهم أسوأ حالاً .

: كيف يصح أن تكون وساطة الإنسان كائناً من كان ضرورية للتواصل مع ا ؟

: لماذا لا أستطيع التعامل مع ا مباشرة ونيل غفرانه مباشرة ؟

بعد ذلك بوقت قصير وجدت ترجمة لمعاني القرآن الكريم في مكتبة فاشتريتها وبدأت اقرأها، قرأتها مراراً وتكراراً لثماني سنوات وخلال هذا الوقت

استمررت في البحث في الأديان الأخرى .

وقد أخذتُ أدرك خطاياي وأخافها بشكل متزايد .. كيف لي أن أعرف إن كان الله سيغفر لي ؟.. لم أعد أؤمن بأن النموذج النصراني والطريقة النصرانية في الاستغفار سوف تنجح وقد شعرت بثقل خطاياي على نفسي ولم أكن أعرف كيف أنجو من عبئها ولطالما اشتقت للغفران .

ثم قرأت في القرآن : { لَتَجِدَن أَشَدّ الناس عَدَاوَةً للذِينَ آمَنُوا اليَهُودَ وَالذِينَ أَشْرَكُوا وَلتَجِدَن أَقْرَبهم مودةً للذِينَ آمَنُوا الذِينَ قَالُوا إنا نَصَارَىٰ ذَلِكَ بِأَن مِنهمْ قِسيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنهمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ - وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلىٰ الرسُول تَرَىٰ أَعْيُنهمْ تَفِيضُ مِنَ الدمْع مِما عَرَفُوا مِنَ الحَق يَقُولُونَ رَبنَا آمَنا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشاهِدِينَ - وَمَا لنَا لا نُؤْمِنُ بِاللهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الحَق وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلنَا رَبنَا مَعَ القَوْمِ الصالِحِينَ } (سورة المائدة ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤) .

رأيت المسلمين يُصلّون في أخبار التلفزيون وأردت أن أتعلم كيف أصلي ، وجدت كتاباً (كتبه غير مسلم) يصف الطريقة وحاولت أن أقوم بذلك بنفسي (لم أكن أعرف شيئاً عن الطهارة ولم أُصلِ بشكل صحيح) صليت بطريقتي الخاصة الغريبة اليائسة سراً وبمفردي لسنوات عديدة.. حفظت غيبا بعض أجزاء القرآن بالإنجليزية وأنا لا أدري أن المسلمين يحفظون القرآن بالعربية .

وأخيراً وبعد ثماني سنوات من قراءة القرآن وجدت هذه الآية : { ... اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً فَمَن اضْطُر فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لإِثْمٍ فَإِن اللهَ غَفُورٌ رحِيمٌ } (المائدة٣) .

بكيت فرحاً لأنني عرفت أن الله يعرف منذ زمن غابر بعيد قبل خلق الأرض أن كولينز في تشيغت واغا في نيويورك الولايات المتحدة الأمريكية ستقرأ هذه الآية من القرآن في مايو من عام ١٩٨٦م وتكون منقذاً لها .

عرفت الآن أن هناك أموراً كثيرة يجب أن أتعلمها .. منها مثلاً كيف أُقيم الصلاة الإسلامية بشكل رسمي ، وكانت المشكلة أنني لا أعرف أي مسلم ، فالمسلمون في الولايات المتحدة هم اليوم أكثر ظهوراً مما كانوا وقتذاك ولم أكن أعرف أين أجدهم .

وجدت رقم هاتف الجمعية الإسلامية في دليل الهاتف ، وطلبت الرقم .. ولكن عندما أجابني رجل ذعرت وأغلقت الخط فما الذي سأقوله ؟ وكيف سيجيبونني؟ هل ستنتابهم الشكوك ؟ ولماذا يَردّون عليّ ولديهم بعضهم بعضا ولديهم إسلامهم ؟

في الشهرين التاليين اتصلت بالمسجد عدة مرات وكنت في كل مرة أخاف وأغلق الخط وأخيراً قمت بالتصرف الجبان كتبت رسالة أطلب فيها معلومات ، وقد اتصل بي الأخ عبد اللطيف عبد الصبور من المسجد ثم بدأ يرسل لي نشرات عن الإسلام.

قلت له إنني أُريد أن أكون مسلمة ، ولكنه قال لي : (انتظري حتىٰ تتيقني) وقد أزعجني أن يطلب مني الانتظار ولكني كنت أعرف أنه علىٰ حق وأن علي أن أتأكد لأنني بمجرد أن قبلت بالإسلام فلن يكون شيء كسابق عهده أبداً .

تعلقت بالإسلام كل تعلق وأخذت أفكر به ليل نهار وفي العديد من المناسبات كنت أقود سيارتي إلىٰ المسجد (وكان وقتها بيتاً قديماً مُحّوراً) ثم أدور حوله عدة مرات آملة أن أرىٰ مُسلماً وأتساءل كيف يكون المسجد من الداخل ؟ .

وأخيراً في أحد الأيام في مطلع نوفمبر عام ١٩٨٦ وبينما كنت أعمل في المطبخ عرفت فجأة أنني كنت مسلمة ، وبما أنني كنت لم أزل جبانة فقد أرسلت للمسجد رسالة أخرىٰ قلت فيها: (أنني أؤمن با ، ا الواحد الحقيقي وأؤمن أن محمداً نبيه وأريد أن أُكتب مع الشاهدين).

اتصل بي الأخ بالهاتف في اليوم التالي وتلوت عليه شهادتي علىٰ الهاتف (وهي العبارة التي يقولها الشخص عندما يتقبل الإسلام ويقولها بعد ذلك مراراً كل يوم : أشهد ألا إلهٰ إلا ا وأشهد أن محمداً رسول ا) وقال لي وقتها أن ا قد غفر لي كل خطاياي في تلك اللحظة وأنني في مثل نقاء طفل وُلِدَ لِتَوِهِ .

شعرت بعبء الخطيئة ينزاح عن كتفي وبكيت فرحاً ، ولم تغمض عيني كثيراً في تلك الليلة وأنا أبكي وأردد اسم ا .. لقد منحني ا مغفرته والحمد]. (انتهت رسالة الأخت حياة كولينز) .

وهذا عالمنا وشيخنا الداعية في جنوب أفريقيا الشيخ / أحمد ديدات وهو جنوب أفريقي من أصل هندي الذي أُشتهر عنه أنه تصدىٰ لكل القساوسة المبشرين للدين النصراني في أفريقيا وعقد مع أشهرهم مناظرات ساخنة انتهت كلها بفشلهم وانهزامهم أمامه ، وأصدر بها الشيخ ديدات كُتباً عديدة باللغة الإنجليزية ولغات أخرىٰ .. ومنها كتاب له بعنوان (هل الكتاب المقدس كلام ا ؟) يقول فيه : إن طائفة البروتستانت كانت لديهم الجرأة بحذف سبعة أسفار من كتاب ربهم .. وهو ما يسمونه (نص الملك جيمس) وبالرغم من ذلك فإن الكاثوليك مع عدم إيمانهم بهذا الكتاب فإنهم كانوا يجبرون معتنقي النصرانية الجدد علىٰ شرائه لأنه النص الوحيـد المترجـم إلـىٰ (١٥٠٠) لغة من لغات العالم النامي ، وهكذا فهم يساعدون البروتستانت علىٰ نشر وتعميم ذلك النص ، فكانت النتيجة هي أن معظم النصارىٰ كانوا ولا يزال الكثير منهم سواء كاثوليك أو بروتستانت فإنهم يستعملون الكتاب المقدس (نص الملك جيمس).

ولكنهم جميع النصارىٰ اتحدوا واتفقوا علىٰ تعديل وتنقيح نصوص الملك جيمس وتطهيرها من الأخطاء ومن المعلومات الغير مقبولة ، فعُدِّلَتْ في عام ١٨٨١م وَسُمِّيَتْ بالنصوص المنقّحة .. ثم نُقحَتْ مرة أخرىٰ في عام ١٩٥٢م وسُمِيَتْ بالـ (R. S. V.) ثم أُعيد تنقيحها عام ١٩٧١م .. وقد اجتمع لذلك (٣٢) عالماً في علم اللاهوت ، ساعدهم فيها هيئة استشارية تمثل خمسين طائفة دينية متعاونة .. فكانت الصدمة والمفاجأة لكل النصارىٰ حين يقرأون في مقدمة النسخة المنقحة قول (٣٢) من أعظم علمائهم اللاهوتيين يقولون : (ولكن نصوص الملك جيمس بها عيوب خطيرة جداً .. وأن هذه العيوب والأخطاء عديدة وخطيرة مما يستوجب التنقيح في الترجمة الإنجليزية) .

وفيما يلي صورة لمقدمة النصوص المنقحة لسنة ١٩٧١م من نسخة الملك جيمس:

PREFACE

THE Revised Standard Version of the Bible is an authorized revision of the American Standard Version, published in 1901, which was a revision of the King James Version, published in 1611.

The first English version of the Scriptures made by direct translation from the original Hebrew and Greek, and the first to be printed, was the work of William Tyndale. He met bitter opposition. He was accused of willfully perverting the meaning of the Scriptures, and his New Testaments were ordered to be burned as "untrue translations." He was finally betrayed into the hands of his enemies, and in October 1536, was publicly executed and burned at the stake.

Yet Tyndale's work became the foundation of subsequent English versions, notably those of Coverdale, 1535; Thomas Matthew (probably a pseudonym for John Rogers), 1537; the Great Bible, 1539; the Geneva Bible, 1560; and the Bishops' Bible, 1568. In 1582 a translation of the New Testament, made from the Latin Vulgate by Roman Catholic scholars, was published at Rheims.

The translators who made the King James Version took into account all of these preceding versions; and comparison shows that it owes something to each of them. It kept felicitous phrases and apt expressions, from whatever source, which had stood the test of public usage. It owed most, especially in the New Testament, to Tyndale.

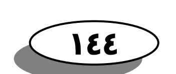
The King James Version had to compete with the Geneva Bible in popular use; but in the end it prevailed, and for more than two and a half centuries no other authorized translation of the Bible into English was made. The King James Version became the "Authorized Version" of the English-speaking peoples.

The King James Version has with good reason been termed "the noblest monument of English prose." Its revisers in 1881 expressed admiration for "its simplicity, its dignity, its power, its happy turns of expression . . . the music of its cadences, and the felicities of its rhythm." It entered, as no other book has, into the making of the personal character and the public institutions of the English-speaking peoples. We owe to it an incalculable debt.

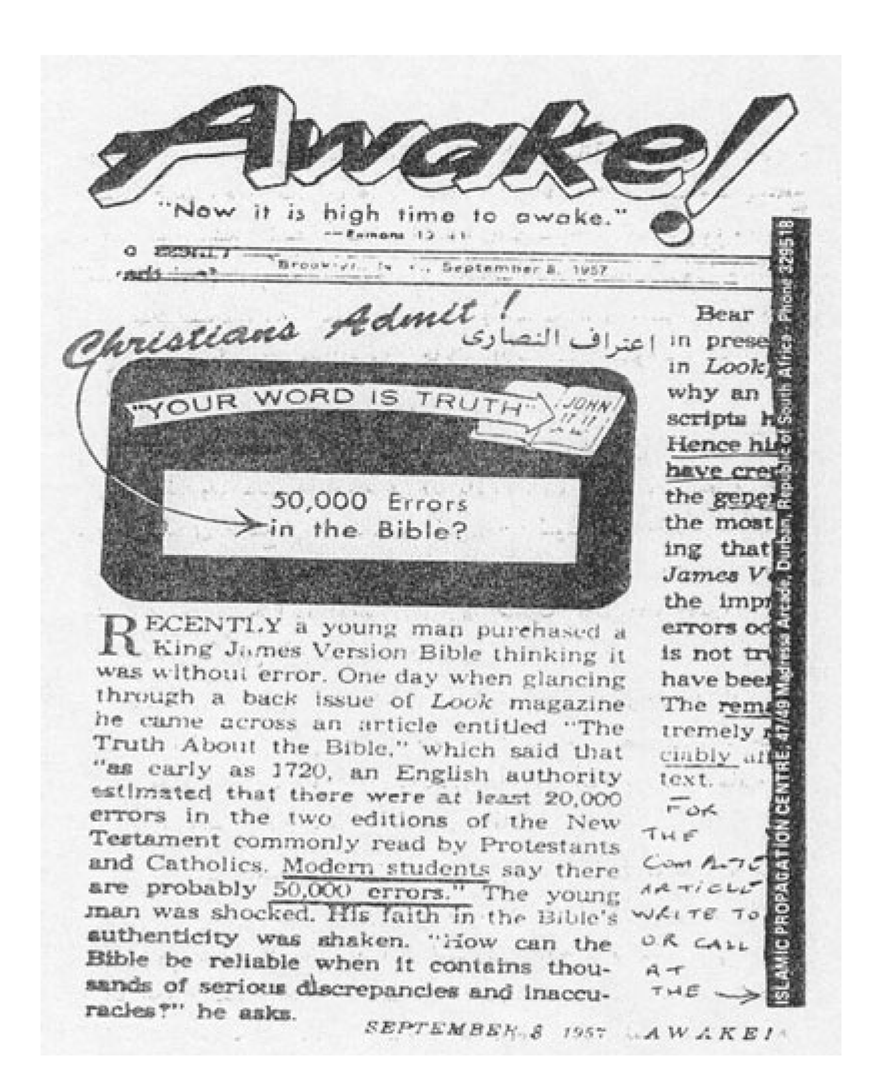
Yet the King James Version has grave defects. By the middle of the nineteenth century, the development of Biblical studies and the discovery of many manuscripts more ancient than those upon which the King James Version was based, made it manifest that these defects are so many and so serious as to call for revision of the English translation. The task was undertaken, by authority of the Church of England, in 1870. The English Revised Version of the Bible was published in 1881–1885; and the American Standard Version, its variant embodying the preferences of the American scholars associated in the work, was published in 1901.

Because of unhappy experience with unauthorized publications in the two decades between 1881 and 1901, which tampered with the text of the English Revised Version in the supposed interest of the American public, the American Standard Version was copyrighted, to protect the text from unauthorized changes. In 1928 this copyright was acquired by the International Council of Religious Education, and thus passed into the ownership of the churches of the United States and Canada which were associated in this Council through their boards of education and publication.

The Council appointed a committee of scholars to have charge of the text of the American Standard Version and to undertake inquiry as to whether



وكان قد سبق وأن نشرت مجلة استيقظوا (Awake) لأصحابها " جماعة شهود يهوه " في عددها الصادر في ٨ سبتمبر ١٩٥٧م بالصفحة (٢١) نشرت مقالة بعنوان (٥٠ ألف خطأ خطير في الكتاب المقدس) .. كما نشاهد صورة من هذه الصفحة بالإنجليزية فيما يلي :



Awake!

"Now it is high time to awake."

Brooklyn, N.Y., September 8, 1957

Christians Admit! اعتراف النصارى

"YOUR WORD IS TRUTH" JOHN 17:17

50,000 Errors in the Bible?

RECENTLY a young man purchased a King James Version Bible thinking it was without error. One day when glancing through a back issue of *Look* magazine he came across an article entitled "The Truth About the Bible," which said that "as early as 1720, an English authority estimated that there were at least 20,000 errors in the two editions of the New Testament commonly read by Protestants and Catholics. Modern students say there are probably 50,000 errors." The young man was shocked. His faith in the Bible's authenticity was shaken. "How can the Bible be reliable when it contains thousands of serious discrepancies and inaccuracies?" he asks.

Bear in prese in *Look* why an scripts h Hence hi have cre the gener the most ing that James V the impr errors oc is not tr have bee The rema tremely r ciably af text.

FOR THE COMPLETE ARTICLE WRITE TO OR CALL AT THE →

ISLAMIC PROPAGATION CENTRE, 47/49 Madressa Arcade, Durban, Republic of South Africa - Phone 329518

SEPTEMBER 8, 1957 AWAKE!



ويحكي شيخنا ديدات قائلاً : في أثناء إعدادي لهذا الكتيب سمعت طرقاً علىٰ باب بيتي في صباح يوم أحد .. وجدت أنه رجل أوروبي يعرض علي مجلة (استيقظوا) ومجلة (برج المراقبة) .. نعم، كان من شهود يهوه ! .. وإذا كنت من الناس الذين قابلوا أحدهم من قبل ، فستجد أنك تستطيع التعرف عليهم مباشرة ، فهم من أكثر الناس عجرفة ، فدعوته للدخول .. وبعد جلوسه عرضت عليه نسخة هذه المجلة ص (٢١) وبالتحديد تلك المقالة : (استيقظوا إن ساعة استيقاظنا من النوم قد حانت) رسالة أهل رومية ، وسألته : هل هذه مجلتكم ؟.. فتعرّف عليها مباشرة ، فقرأت عليه العنوان : (خمسون ألف خطأ خطير في الكتاب المقدس) ، فصعق وسألني عن مصدر هذه المجلة وقال إن هذه النسخة طبعت منذ ثلاثة وعشرين عاماً أي عندما كنت طفلاً صغيراً .. ثم تناول المجلة يتصفحها ..

إن شهود يهوه مدربون علىٰ هذا الشيء ، فهم يحضرون فصولاً دراسية خمسة أيام في الأسبوع ، وهم من أبرع الطوائف الدينية في العالم النصراني ، فيُعلمُونهم في هذه الفصول الدراسية بأن لا يُسَلِّمَ نفسه لأي شيء إذا وُضع في موقف محرج ، يُجيب عليه أن يُبقي فمه مغلقاً، وينتظر حتىٰ يوحي إليه الروح القدس بما يقول.. فأخذت أراقبه وهو يتفحص الصفحة .. وفجأة رفع رأسه ، لقد دغدغه الروح القدس ، فقال : المقال يقول إن معظم هذه الأخطاء قد أزيلت.. فسألته: إذا أزيلت معظم هذه الأخطاء ، فكم خطأ ما زال موجوداً من الخمسين ألف؟.. خمسة آلاف ؟ .. خمسمائة ؟ .. خمسين ؟ .. وحتىٰ ولو بقيت خمسون ، : فهل تنسبون هذه الأخطاء إلىٰ ا ؟ .. فصمت ولم يستطع الرد ، ثم اعتذر مستأذناً بالخروج ومقترحاً فكرة الرجوع مع أحد القساوسة الكبار لإكمال المناقشة، ولكنني لم أره بعدها طبعاً ! .. ولو كان هذا الكتيب جاهزاً يومها لقدمته له وأخذت اسمه وعنوانه ، ولو فعلها كل واحد منكم عند مقابلة مثل هؤلاء الناس لما رأيتموه ثانية إن شاء ا ! .

وضمن سرده شيخنا ديدات لنماذج من أخطاء كتابهم المقدس والتناقض الواضح من نصوص الأناجيل يقول : ولديّ من الأمثلة هنا ما يثبت النقاط التي تحدثت عنها من تناقضات فيما يُسمىٰ بالكتاب المقدس ، وسوف أعرض هذه الأمثلة الآن ، فلا يستعصىٰ فهمها حتىٰ علىٰ الأطفال .. فيما يلي ستلاحظون أن مؤلفي

كتاب (سفر أخبار الأيام الأوَّلْ) وكتاب (صموئيل٢) يخبراننا بقصة داوود حين أحصىٰ بني إسرائيل .. فمن أين جاءت فكرة إحصاء بني إسرائيل ؟ .. إن مؤلف (صموئيل ٢ / ٢٤-١) يخبرنا هكذا : (وعاد غضب الرب فاشتد علىٰ إسرائيل فأغرىٰ بهم داوود قائلاً : اذهب فأحصي إسرائيل ويهوذا) .. فبينما يبين مؤلف صموئيل ٢ بأن الرب هو سيد الموقف نرىٰ مؤلف سفر أخبار الأيام الأوَّلْ (١/٢١) يساوي الشيطان بمنزلة الرب فيقول : (ونهض الشيطان علىٰ إسرائيل وأثار داوود أن يحصي إسرائيل).. وهذا الانفسام في شخصية المؤلف يذكرني بقصة السيدة العجوز التي أشعلت شمعة للقديس ميخائيل وأخرىٰ للشيطان .. وبذلك يكون لها صديق حيث ذهبت سواء كان ذلك إلىٰ الجنة أم إلىٰ النار .

وعندما نتصفح إنجيل لوقا نجد أنه في بدء تحديده لنسب المسيح عليه السلام يقول : (ولما ابتدأ يسوع <u>كان له نحو ثلاثين سنة ، وهو علىٰ ما يُظَنُّ ابن يوسف بن هالي بن متثاب بن لاوي</u>.. الخ) لوقا = ٣ : ٢٣ / ٢٨ . . إننا نجد أنفسنا أمام كلمات وعبارات مثل (نحو) و (وعلىٰ ما يُظَنُّ) ضمن كلام يزعمون أنه كلام الله - وكأن الله سبحانه وتعالىٰ عاجز وفق زعمهم عن تحديد عمر المسيح - أو أنه سبحانه وتعالىٰ يتكلم بالظن ولا يعرف (يقينا) .. ولقد عمدت الطبعة المنفحة إلىٰ حذف كلمة (نحو About) من موقعها الذي كانت تشغله بإنجيل لوقا منذ مئات السنين .. وحذفتها الطبعة المنقحة من الإنجيل بكل بساطة ودونما اكتراث .. وكانوا قد وضعوها بين قوسين فترة من الزمان .. ثم رفعوا القوسين .. وفي نهاية التنقيح رفعوا الكلمة أيضاً .. بينما القرآن الكريم يضع لاختبار مصداقية كلام الله مقياساً حاسماً عندما يقول سبحانه وتعالى: { أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً } النساء.

وثمة تناقض آخر (والكلام لا يزال للعلامة ديدات) فيما يتعلق بوصف المذبح النحاسي بهيكل سليمان - لقد ورد بسفر أخبار اليوم الثاني (٤ : ٥) ما يلي : (وغُلْظَهُ وشفته كعمل شفة كأس بزهر سوسن يأخذ ويسع ثلاثة آلاف بث (والبث عبارة عن مكيال يساوي حوالي لترين) .. بينما ورد بسفر الملوك الأول وصفا لذات المذبح النحاسي بهيكل سليمان ما يلي : (وغُلْظَهُ شبر وشفته كعمل شفة

كأس بزهر سوسن يسع ألفي بث) سفر الملوك الأول (٧ : ٦) .. فأي النصين نُصَدقْ والفرق بينهما لا يقل عن (٥٠%) وأي النصين صادر عن ا ؟ .. وأيهما صادر عن الشيطان ؟ .. وهذه بعض التناقضات بالعهد القديم وليست كلها .

وفي العهد الجديد بطبعة الملك جيمس نجد إنجيل متىٰ بالإصحاح (٢١) يصف دخول يسوع إلىٰ أورشليم بقوله : (وأتيا بالأتان والجحش ووضعا عليهما ثيابهما ، فجلس عليهما) .. هاهو ذا رجل يركب حمارين .. عيسىٰ المسيح عليه السلام ذلك الرسول الكريم المكرم من رسل ا يجعلونه كواحد من لاعبي (السيرك) ويركبونه حمارين .

وفي نص لرسالة يوحنا الأولىٰ بالصفحة السابقة نراه يقول : (لأن الشهود في السماء ثلاثة ، الأب والكلمة والروح القدس - وهؤلاء الثلاثة واحد) وهذه الجملة هي أقرب إلىٰ ما يسميه النصارىٰ بالثالوث المقدس وهو أحد دعائم النصرانية ، ولكن مراجعوا النصوص المنقحة حذفوا هذه الجملة أيضاً بدون تفسير لتصرفهم هذا ، لقد كانت هذه الجملة زيفاً عقائدياً طوال تلك المدة ، وقد أزيلت من النصوص المنقحة المترجمة إلىٰ اللغة الإنجليزية .. وأما عن الـ (١٤٩٩) لغة المتبقية في العالم التي يُكتب بها الكتاب المقدس ، فما زال هذا الاعتقاد المزيف موجوداً بها ، ولن يعرف أصحاب هذه اللغات بالحقيقة حتىٰ يوم الحساب .

وعلينا نحن المسلمين أن نهنئ هؤلاء المراجعين للنصوص ثانية لاعترافهم بالحقيقة وتخلصهم من كذبة أخرىٰ في الكتاب المقدس ، مُقَربين بذلك كتابهم إلىٰ تعاليم الدين الإسلامي الحنيف - فالقرآن الكريم يقول : { **وَلاَ تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انتهوا خَيْراً لَكُمْ إِنمَا اللهُ إِلهٰ وَاحِدٌ** } النساء : ١٧١ .

ويقول أيضاً علامتنا الشيخ ديدات : إن القوانين الأخلاقية التي تحكم بها حكومة جنوب أفريقيا جعلتهم يمنعوا مسرحية (عاشق السيدة تشارلي) .. وذلك لوجود لفظ واحد سيئ بها .. ولكنهم (أي علماء النصرانية) ضعفاء عندما يواجهون تعدد الألفاظ السيئة ضمن كتابهم المقدس فلا يمنعوه لأنه حسب اعتقادهم هو وسيلة خلاصهم التي يعولون عليها .

ولننظر ماذا قال الأديب جورج برناردشو على هذا الكتاب المقدس لدى النصارى .. قال : (إنه من أخطر الكتب الموجودة على وجه الأرض ، احفظوه في خزانة مغلقة بالمفتاح .. احفظوا الكتاب المقدس بعيداً عن متناول الأطفال ..) ولكن من يصغي إلى نصحه ؟ .. كما جاء في صحيفة (الحقيقة المجردة) لشهر أكتوبر ١٩٧٧م ما يلي : (إن قراءة قصص الكتاب المقدس للأطفال يفتح الباب لفرص منافشة العبرة من وراء الجنس .. وأن الكتاب المقدس إذا لم يُهذّب ويُنقّح قد تعتبره مجالس الرقابة صالحاً للكبار فقط لمن جاوز الثامنة عشرة من العمر) .. إن علامتنا ديدات تَرَفّعَ عن أن يسرد نص الإصحاح التاسع عشر من سفر التكوين لما فيه من كلمات وعبارات تخدش الحياء العام .. فقال يرحمه ا : (تعالوا نقرأ سفر التكوين ، الفصل التاسع عشر ونضع خطاً أحمراً تحت السطور الداعرة ، ولا نتردد في ذلك ، فإن الكتاب المقدس الذي نملكه سيكون بمثابة كنز ثمين في أيدي أبنائنا .. أنا أوافق (شو) بأن الكتاب المقدس يجب أن يوضع في مكان مُقفل ، ولكننا نحتاج لهذا السلاح لنواجه به التحدي النصراني ، وسنستخدم سلاحهم ضدهم، فلا يُترك الأمر لما نُحب أو نكره ، فنحن مُضطرون لاستعمال هذا السلاح ضد الذين يطرقون أبوابنا قائلين : (يقول الكتاب المقدس كذا وكذا) .. إنهم يريدوننا أن نستبدل قرءآننا بكتابهم ، فلنريهم الثغرات في (مقدسهم) التي لا يرونها.

هذا ما سبق هو كلام شيخنا ديدات الذي تحاشى أن يسرد ضمنه النص الكامل للإصحاح التاسع عشر من سفر التكوين ، تحاشاه لكيلا يقرأ الأطفال الأبرياء ذلك الكلام الفاحش بكتابهم المقدس فيخدش حيائهم .. ولكنني أجد نفسي مضطراً لإيراد ذلك النص بتفاصيله كاملة لكي يرى كل أب وكل أم من أي جنس أو أي دين يخافون على مشاعر أطفالهم ويجنبونهم انحراف قيمهم الأخلاقية ما يُسَهلُ ويُبَسطُ لهم النظرة إلى فاحشة الزنى والدعارة عندما يقرأون مثل هذا الكلام الذي ألفه بعض بنو البشر ثم دسوه كالسم بين نصوص كتبهم المقدسة يصفون من خلالها أفعال فاحشة من زنى وشرب خمر يقوم بها من هم ليسوا أناس عاديون بل يصفون بها بعضاً من أنبياء ا المعصومين .

هل يُعقل أن نبي من أنبياء ا المطهّرين يشرب الخمر ويزني في بناته وهو ذلك النبي المرسل من عند ا لكي يُبَلغ الناس من ضمن رسالة ربه يُبلغُهمْ تحريم الخمر وتحريم الزنىٰ ؟ .. ثم يصفونه بهتاناً وإثماً عظيماً أنه يزني !.. ومع من ؟ .. مع بناته اللاتي يحملان منه سفاحاً ؟ !! . لو أن أي أحد ذكر لك القصة التالية من سفر التكوين بكتابهم المقدس ، ذكرها عن أي شخص عادي أنه قام بها لأصابك السخط عليه، والتقزز والاشمئزاز منه ، فكيف بهم المفترين يصفون بها نبياً كريماً من أنبياء ا المطهّرين ؟! .. ويقولون أن هذا الكلام هو كلام ا - وما هو بكلام ا ، أو كما قال عز وجل فيهم في القرآن الكريم : { فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُم مما كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُم مما يَكْسِبُونَ } البقرة : ٧٩ .

والآن تعالوا معي وبكل خجل نقرأ ما جاء بالإصحاح التاسع عشر من سفر التكوين من كتابهم المقدس : (وصعد لوط من صوغر وأقام في الجبل هو وابنتاه معه ، إذ خاف أن يقيم في صوغر ، فأقام في المغارة هو وابنتاه ، فقالت الكبرىٰ للصغرىٰ : إن أبانا قد شاخ وليس في الأرض رجلاً يدخل علينا .. تعالي نسقي أبانا خمراً ونضاجعه ونُقيم من أبينا نسلاً .. فسقت أباهما خمراً تلك الليلة ، وجاءت الكبرىٰ فضاجعت أباها ولم يعلم بنيامها ولا قيامها .. فلما كان الغد قالت الكبرىٰ للصغرىٰ : هاأنذا ضاجعت أبي، فلنسقه خمراً الليلة أيضاً وتعالي أنت فضاجعيه لنقيم من أبينا نسلاً .. فسقت أباها خمراً تلك الليلة أيضاً ، وقامت الصغرىٰ فضاجعته ولم يعلم بنيامها ولا قيامها .. فحملتا ابنتا لوط من أبيهما ، وولدت الكبرىٰ ابنا وأسمته (مواب) .. وهو أبو الموابين إلىٰ اليوم .. والصغرىٰ أيضاً ولدت ابناً وأسمته (بنعمي) .. وهو أبو بني بنعمون إلىٰ اليـوم) !!.

ثم ننظر ماذا يفترون علىٰ النبي داوود عليه السلام كما جاء بالعهد القديم .. وذلك في قصته مع زوجة أوريا الحشي .. هل يُصدق أحد أن نبي من أنبياء ا المطهرين من الدنس قالوا أنه يُشَاهِدُ من أعلىٰ قصره زوجة أحد جنده (أوريا) وهي عارية تستحم علىٰ سطح منزلها فتقع من نفسه فيقوم بإرسال أوريا إلىٰ مهمة بعيدة السفر ، ثم يأمر بإحضار زوجته إلىٰ قصره فيغتصبها فتحمل منه سفاحاً .

(رباه سبحانك تعاليت وتنزهت عن هذا الكلام) .

هل يُصدق أحد عاقل أو حتىٰ غير عاقل أن مثل هذا الكلام المزري وتلويث سمعة الأنبياء والرسل عليهم صلوات الله وسلامه هو موجود ضمن سطور كتبهم المقدسة (أي قداسة تلك..؟) عندما يصفوا نبي كريم من أنبياء الله تعالىٰ يصفونه بمثل تلك الأوصاف والأفعال المنكرة، فيصورونه يتلصص بالنظر إلىٰ عورات نساء جيرانه وهن عرايا .. ثم يتآمر علىٰ إبعاد زوج المرأة لكي يستدعيها ويغتصبها .. وهذا قرءاننا يصف فيه المولىٰ عز وجل يصف النبي داوود عليه السلام بأنه { ... نِعْمَ الْعَبْدُ إِنه أَوابٌ } ص : ٣٠ . ماذا أبقوا للسفهاء والمجرمين والعصاة العتاة الفسقة من أفعال إجرامية منكرة بعد أن يقولوا للأطفال وللشباب في كتابهم المقدس ، يقولون لهم هذا نبي مرسل من عند الله استباح أعراض النساء وقام بكل تلك الأفعال الداعرة ؟؟ .. ولذلك لا نستغرب عندما نسمع أو نقرأ عن أخبار الاغتصابات التي كثرت واستفحلت في أوساط الشباب وحتىٰ الأطفال في مجتمعات أوروبا وأمريكا والمجتمع المسيحي بعامة بعد أن يقرأوا في كتبهم المقدسة التي يدّعون إنها كلام الله أن نبي من أنبياء بني إسرائيل استباح الأعراض وأغتصب النساء ؟! .. وقالوا أيضاً في العهد القديم أن (يهوذا) زنىٰ بحليلة ابنه فولدت منه توأمين هما (فارص) و (زارح) .. ثم عندما ذكروا نسب المسيح عيسىٰ عليه السلام في العهد الجديد رفعوه إلىٰ (فارص و (زارح) وهما كما هو واضح من كلامهم هما أولاد سفاح ؟! .

ولذلك يقول الأديب والفيلسوف الروسي (تولستوى) : أنه ينبغي لفهم تعاليم يسوع الحقيقي - كما كان يريده هو لنفسه .. أن نعود إلىٰ كل تلك التفاسير والشروح المستفيضة الكاذبة التي شوهت حواشي ومتون كتب النصارى المقدسة حتىٰ نجحوا في أن يطمسوا الحقيقة عن الأبصار تحت طبقة كثيفة من الظلام .

وكمـا يقول علامتنا ديدات : هاأنذا أقرأ لكم ما يلي من مجلة الحقيقـة الناصعة (PLAIN TRUTH) بعددها الصادر في أكتوبر ١٩٧٧م تقول : (إن قرآءة قصص الكتاب المقدس للأطفال يفتح عيونهم علىٰ أمور الشهوات الجنسية .. وإذا لم يُهذب الكتاب المقدس ويُنقح فإن لهيئات الرقابة علىٰ الكتب التعليمية الحق في أن

تعتبره غير صالح للقراءة من جانب أولئك الذين لم يتجاوزوا الثامنة عشرة من العمر علىٰ أحسن الفروض) .. إن ما قالته المجلة يُعد دليلاً قاطعاً علىٰ أن هذا هو أخطر كتاب في العالم ، وهو أشد الكتب ضرراً علىٰ وجه الأرض من الناحية التربوية .

كما أنني لن أزعج خواطركم بذكر نصوص أخرىٰ فاحشة في تناول الكتاب المقدس لموضوعات الجنس (والكلام لا يزال للعلامة ديدات) ، وسأكتفي بأن أعرض مثالاً واحداً كمجرد عينة من ذلك الكتاب الذي يزعمون أنه كتاب ا !! .. إليكم كيف تَقُص التوراة حكاية شمشون ودليلة .. والعالم كله يعرف الحكاية .. ونقرأ فيما يلي النص المعروف بأول الإصحاح السادس عشر من سفر القضاة ، نقرأ : (ثم ذهب شمشون إلىٰ غزة ورأىٰ هناك امرأة زانية فدخل الدار) .. ثم يذكر الكتاب الذي يزعمون أنه وحي ا أن الناس كانوا ينتظرون خارج البيت الذي دخله شمشون لمزاولة شئون الجنس مع إحدىٰ البغايا طوال الليل .. ماذا كان الناس ينتظرون ؟ .. هل كانوا ينتظرون خارج البيت طوال الليل لكي يقتلوه في الصباح ؟ .. هذا هو ما يقوله الكتاب الذي يزعمون أنه كتاب مقدس .. ويقول أيضاً أن شمشون أفلت منهم عند منتصف الليل وأخذ معه أحد أبواب المدينة ! .. لماذا كانوا يريدون قتله ؟ .. لم يكن ذلك بسبب جريمة الزنا ، ولكن لأسباب أخرىٰ .. وغير ذلك كثير كثير ، ولكنه مقزز ومشين ، وبغير طائل تشريعي وأخلاقي أو تربوي مع فظاظة وبجاحة في التعبير مما يخدش الحياء .

ويقول أيضاً شيخنا ديدات : (إن المسلم يملك هذا الدين الحق - ويملك البرهان الساطع علىٰ صحته - وعليه أن يصحو وينتبه لأنه يمتلك (جرّافة) منحه ا إياها .. جرافة تُحَطم كل الصخور التي تقف في طريقها (طريق الدعوة إلىٰ) .. ويقول ديدات أيضاً في مسألة ركون المسلمين اليوم إلىٰ الدنيا : (بينماالمبشرين للنصرانية يندفعون أفواجاً إلىٰ كل مكان في العالم لنشر دينهم ويُضحّون في سبيل ذلك براحتهم وبحياة الترف والبذخ ليعيشوا قساوة العيش في أدغال أفريقيا وفي

الصحاري الحارقة مع أن بضاعتهم خاسرة وعِلْمُهُمْ باطل وبرهانهم فاسد) (انتهىٰ كلام الشيخ ديدات) .

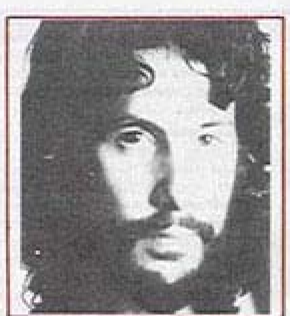
وأنا أضيف : بينما هم كذلك كما ذكر شيخنا ديدات نجد المسلمين اليوم وقد تركوا الدعوة إلىٰ الله .. ويُمضون جل أوقات أيامهم ولياليهم في الملاهي الفاسدة ما بين الاهتمام الزائد عن الحد بكرة القدم ومتابعة ومشاهدة أفلام التعري والإباحية علىٰ شاشات القنوات الفضائية وشبكة (الإنترنت) التي غزت بمفاسدها عقور ديارنا ومدارس أبنائنا وبناتنا تبث برامج كفيلة بتدمير أخلاقهم وسلوكياتهم ، ولو استمر الحال علىٰ هذا المنوال دون تدخل من علمائنا وولاة أمورنا فإن العاقبة في المستقبل القريب علىٰ أجيالنا القادمة ستكون مدمرة علىٰ الدين والأخلاق أسوأ من كل التوقعات ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وتأكيداً لكلامي هذا ، هذه / مريم جميلة الأمريكية المثقفة التي أسلمت علىٰ يد الشيخ الداعية / أبو الأعلىٰ المودودي يرحمه الله ثم أصبحت بعد إسلامها داعية مثقفة متصدرة للدفاع عن الدين الإسلامي ومبادئه التي تغذي الروح .. تقول مريم جميلة : (إن العلمانية في أوروبا وأمريكا اتخذت من العلم الحديث انفذ وأحد سلاح لغزو وقهر البلاد الإسلامية النامية ، ولتسخير الأذهان والقلوب فيها إلىٰ (الحياة المادية) ديناً جديداً يريدون به نسخ سائر الأديان السابقة .. والغريب أنه كانت أول ضحايا العلمانية المادية الحديثة هي الدول النصرانية إلىٰ أن تغيرت لديهم نظرة الإنسان إلىٰ الطبيعة .. فأصبحت نظرة استغلال بحتــة واندفاع دون تحفظ حتىٰ تعدي مسألة استغلال الطبيعة إلىٰ حد تدمير البيئة التي نستمد فيها حياتنا وتعتمد عليها معيشتنا .. فنشأت أخطار جديدة كالتلوث وتدفق السكان إلىٰ المدن ، وفساد البيئة وتدنسها .. ومن هنا اتجه العالم إلىٰ تدمير الجنس البشري إذا بقيت الحياة علىٰ صفحة الحياة ، وإن تلوث الأرض كان نتيجة حتمية لتلوث الروح الذي كان توقع عاجل للتصور المادي المُلحِدْ واستخدام العلم بدون الرجوع إلىٰ الخالق العظيم فيكون نتيجته النهائية هو استنفاذ المصادر من ماء نظيف ، وهواء صحي ،

وطاقة خالية من مواد تُفسد البيئة الطبيعية بأسوأ الصور .. والحل : نريد عِلْماً إسلامياً واعياً يقاوم ويقضي علىٰ مثل ذلك الاستعباد للمادة) .. (انتهت مقالة مريم جميلة) .

وأنني أود أن أضيف إلىٰ هذا الكلام قائلاً : إن الأزمة الحقيقية التي يعاني منها العالم الغربي اليوم ترجع إلىٰ استغراقهم في الحياة المادية والفراغ الروحي اللذين جعلا من إنسان العصر الغربي الحالي هو إنسان غارق حتىٰ أذنيه في مستنقعات الحيرة والقلق والخوف من المستقبل لأنه يريد أن يأخذ من دنياه أكبر قدر ممكن من الرفاهية والحياة الممتعة لشهواته ورغباته سواءً كانت حلالاً أو حراماً سيان لديه ، حيث أنه لا يتطلع بعد ذلك إلىٰ حياة آخرة أو يوم حساب ولا يؤمن بهما فيضعف لديه بذلك الوازع الديني ، ولأنه فاقد الثقة في دينه وتوجهه إليه لكثرة التناقضات فيه التي تثير الشك في نفسه .. فإنني أعتقد أن استمرار هذا الإنسان الغربي في هذه الحياة المادية سيقوده في النهاية إلىٰ اعتناق الإسلام بمحض اختياره كطوق نجاة يُنقذه من الغرق الـمُحتم .. ونأخذ مثالاً على تلك الحيرة التي يعيشها الإنسان الغربي بسبب الفراغ الروحي رغم توفر الرفاهية والاستغراق في الحياة المادية بكل شهواتها ، نأخذ قصة إسلام أحد اشهر نجوم (البوب) في العالم الذي كان اسمه قبل الإسلام (كات استيفن) .. وتحول اسمه بعد إسلامه إلىٰ يوسف إسلام ، وقد صار أحد أشهر الدعاة إلىٰ الإسلام وأفتتح مدارس إسلامية في بريطانيا لتعليم أبناء وبنات المسلمين الذين أسلموا علىٰ يديه بعشرات الألوف في أوروبا ، يُعَلِّمَهُم اللغة العربية والقرآن وسيرة الرسول صلىٰ ا عليه وسلم وفقهه وسنته ... وذلك بعد أن كان أحد أشهر الناس في العالم استغراقاً في الدنيا بالشهرة والمال والفتنة .. ودعونا نأخذ قصته من لسانه وبقلم يده في هذه النبذة المختصرة التي توزعها مراكز الدعوة الإسلامية بمدينة جده بالمملكة العربية السعودية باللغة الإنجليزية وهي كما ترونها مطبوعة في هذا الكتاب مُزّيلة بتوقيع يوسف إسلام نفسه بعنوان. (كيف صرت مسلماً ؟) .... ⟵

المكتب التعاوني لدعوة الجاليات بجدة
مطوية باللغة الإنجليزية عنوانها (كيف أصبحت مسلماً)
J.D.C. Series on ISLAM No. 7



Cat Stevens, when he was a pop star.

CAT STEVENS:

HOW I CAME TO ISLAM

All I have to say is all what you know already, to confirm what you already know the massage of the Prophet (sallallahu alaihi wa sallam) as given by God — the Religion of Truth. As human beings we are given a consciousness and a duty that has placed us at the top of creation. Man is created to be God's deputy on earth and it is important to realise the obligation to rid ourselves of all illusions and to make our lives a preparation for the next life, anybody who misses this chance is not likely to be given another, to be brought back again and again, because it says in Qur'an Majeed that when man is brought to account, he will say, 'O Lord, send us back and give us another chance'. The Lord will say, if I send you back you will do the same.

My early religious upbringing

I was brought up in the modern world of all the luxury and the high light of show business. I was born in a Christian home but we know that every child is born in his original nature, it is only his parents that turn him to this or that religion I was given this religion (Christianity) and thought this way. I was taught that God exists, but there was no direct contact with God, so we had to make contact with Him through Jesus, he was in fact the door to God. This was more or less accepted by me, but I did not swallow it all.

I looked at some of the statues of Jesus; they were just stones with no life. "And when they said that God is three, I was puzzled even more but could not argue. I more or less believed it, because I had to have respect for the faith of my parents.

Pop star

Gradually I became alienated from this religion upbringing, I started making music. I wanted to be a big star. All those things I saw in the films and on the media took hold of me, and perhaps I thought this was my God, the goal of making money I had an uncle who had a beautiful car 'Well', I said, 'he has it made', he had a lot of money. The people around me influenced me to think that this was it, this world was their God.

I decided then that this was the life for me, to make a lot of money, have a 'great life'. Now my examples were the pop stars, I started making songs, but deep down I had a feeling for humanity, a feeling that if I became rich I will help the needy (it says in the Qur'an, we make a promise, but when we make something we want to hold on to it and become greedy).

So what happened was that I became very famous, I was still a teenager, my name and photo were splashed in all the media. They made me larger than life, so I wanted to live larger than life and the only way to do that was to be intoxicated (with liquior & drugs).

In Hospital

After a year of financial success and 'high' living, I became very ill, contracted T.B. and had to be hospitalized. It was then that I started to think; what was to happen to me? Was I just a body and my goal in life was merely to satisfy this body? I realised now that this calamity was a blessing given to me by Allah, a chance to open my eyes, 'why am I here, why am I in bed', and I started looking for some of the answers. At that time there was great interest in the Eastern mysticism I began reading and the first thing I began to become aware of was of death, and that the soul moves on, it does not stop. I felt I was taking the road to bliss and high accomplishment I started meditating and even became a vegetarian. I now believed in 'peace and flower power', and this was the general trend. But what I did believe in particular was that I was not just a body, this awareness came to me at the hospital.

One day when I was walking and I was caught in the rain. I began running to the shelter and then I realised, 'wait a minute, my body is getting wet, my body is telling me I am getting wet'. This made me think of a saying that the body is like a donkey and it has to be trained where it has to go otherwise the donkey will lead you where it wants to go.

Then I realised I had a will, a God given gift: follow the will of God I was fascinated by the new terminology I was learning in the Eastern religion. By now I was fed up with Christianity. I started making music again and this time I started reflecting my own thoughts. I remember the lyric of one of my songs. It goes like this: 'I wish I knew, I wish I knew what makes the Heaven, what makes the Hell, Do I get to know You in my bed or some dusty cell while others reach the big hotel?' and I knew I was on the Path.'

I also wrote another song 'The way to find God out.' I became even more famous in the world of music. I really had a difficult time because I was getting rich and famous and at the same time I sincerely searching for

the Truth. Then I came to a stage where I decided that Buddhism is alright and noble, but I was not ready to leave the world, I was too attached to the world and was not prepared to become a monk and to isolate myself from society.

I tried Zen and Ching, numerology, tarot cards and astrology. I tried to look back into the Bible and could not find anything. At this time I did not know anything about Islam and then, what I regarded as a miracle occured. My brother had visited the mosque in Jerusalem and was greatly impressed that while on the one hand it throbbed with life (unlike the churches and synagogues which were empty), on the other hand, an atmosphere of peace and tranquility prevailed.

The Qur'an

When he came to London he brought back a translation of the Qur'an, which he gave to me. He did not become a Muslim, but he felt something in this religion, and thought I might find something in it also.

And when I received the book, (a guidance that would explain everything to me: who I was ? What was the purpose of life ? What was the reality and what would be the reality, and where I came from ?) I realised that this was the true religion — religion not in the sense the West understands it, not the type for only your old age. In the West whoever wishes to embrace a religion and make it his only way of life is deemed a fanatic. I was not a fanatic. I was at first confused between the body and the soul. Then I realised that the body and soul are not apart and you don't have to go to the mountain to be religious; we must follow the will of God, then we can rise even higher than the angels. The first thing I wanted to do now was to be a Muslim.

I realised that everything belongs to God, that slumber does not overtake Him. He created everything. At this point I began to lose the pride in me, because hereto I had thought the reason I was here was because of my own greatness. But I realised that

After Embracing Islam



I did not create myself, and the whole purpose of my being here was to submit to the teaching that has been perfected by the religion we know as Al-Islam. At this point I started discovering my faith, I felt that I was a Muslim, on reading the Qur'an. I now realised that all the Prophets sent by God brought the same message. Why then were the Jews and Christians different ? I knew now how the Jews did not accept Jesus as the Messiah and that they had changed His Word. Even the Christians misunderstand God's Word and called Jesus the son of God. Every thing made so much of sense. This is the beauty of the Qur'an; it asks you to reflect and reason, and not to worship the sun or moon but the One who has created everything. The Qur'an asks man to reflect upon the sun and moon and God's creation in general. Do you realize how different the sun is from the moon ? They are at varying distances from the earth, yet appear the same size to us; at times one seems to overlap the other.

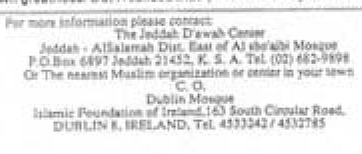
Even when many of the astronauts go to space, they see the insignificant size of the earth and vastness of space, they become very religious, because they have seen the Signs of Allah.

When I read the Qur'an further, it talked about prayer, kindness and charity. I was not a Muslim yet, but I felt that the only answer for me was the Qur'an, and God had sent it to me and, I kept it a secret. But the Qur'an also speaks on different levels. I began to understand it on another level, where the Qur'an says "Those who believe don't take disbelievers for friends and the believers are brothers". Thus at this point I wished to meet my Muslim brothers.

Conversion

Then I decided to journey to Jerusalem (as my brother had done). At Jerusalem, I went to the mosque and sat down. A man asked me what I wanted. I told him I was a Muslim. He asked what was my name; I told him 'Stevens'. He was confused. I then joined the prayer though not so successfully. Back in London, I met a sister called Nafisa. I told her I wanted to embrace Islam and she directed me to the New Regent Mosque. This was in 1977, about $1^{1}/_{2}$ years after I received the Qur'an. Now I realised that I must get rid of my pride, get rid of Iblis and face one direction. So on a Friday, after Jummah I went to the Imam and declared my faith (the Kalima) at his hands. You have before you someone who had achieved fame and fortune. But guidance was something that eluded me, no matter how hard I tried until I was shown the Qur'an. Now I realise I can get in direct contact with God, unlike Christianity or any other religion. As one Hindu lady told me, 'You don't understand the Hindus, we believe in one God, we use these objects (idols) to merely concentrate'. What she was saying was that in order to reach God one has to create associates, that are idols for the purpose. But Islam removes all these barriers, the only thing that moves the believers from the disbelievers is the salat. This is the process of purification. Finally I wish to say that everything I do is for the pleasure of Allah and pray that you gain some inspirations from my experiences. Furthermore I would like to stress that I did not come into contact with any Muslim before I embraced Islam. I read the Qur'an first and realised no person is perfect, Islam is perfect, and if we imitate the conduct of the Holy Prophet (Sallallahu alaihi wa sallam) we will be successful. May Allah give us guidance to follow the path of the Ummah of Muhammad (Sallallahu alaihi wa sallam). Ammen !

Your Brother in ISLAM
Yusuf Islam
(Cat Stevens before)



For more information please contact:
The Jeddah D'awah Center
Jeddah - AlSalamah Dist. East of Al sho'albi Mosque
P.O.Box 6897 Jeddah 21452, K. S. A. Tel. (02) 682-9898
Or The nearest Muslim organization or center in your town
C. O.
Dublin Mosque
Islamic Foundation of Ireland,163 South Circular Road,
DUBLIN 8, IRELAND, Tel. 4533242 / 4532785

إن كل الذي أود قوله هنا هو تقريباً نفس الذي تعرفونه من قبل .. ولكني أريد فقط التأكيد علىٰ ما هو معروف لديكم عن الرسالة السماوية التي أنزلها الله تعالىٰ علىٰ النبي محمد صلىٰ الله عليه وسلم بأنها هي الرسالة التي تُعبّر عن الدين الحق الذي رفع من قيمة الإنسان إلىٰ قمة الخلق وفضلهُ علىٰ كثير من مخلوقات الله وهيأه ليكون خليفة الله في الأرض .. وجعل لنا الوعي والإدراك لإتباع الطريق الصحيح وإلزام النفس البشرية للتخلص من جميع صور الحياة الخادعة ، وترتب علىٰ ذلك أن نهيئُ حياتنا وأنفسنا لنكون مستعدين للحياة الآخرة .. لذا فإن أي شخص منا يفقد هذه الفرصة في حياته الدنيا وحتىٰ الموت فمن غير المرجح له أن يحصل علىٰ فرصة أخرىٰ لكي يعود إلىٰ الدنيا مرة ثانية ، وكما أخبرنا الله تعالىٰ في القرآن المجيد بأن الإنسان عندما يقف يوم القيامة بين يدي الله للحساب فسوف يقول يا رب أرجعني مرة أخرىٰ لكي أعمل صالحاً.. ولكن الرب العظيم يجيبه : إذا أعدناك مرة أخرىٰ إلىٰ الدنيا فسوف تعمل من سوء كما كنت تعمل من قبل : (يقصد الشيخ يوسف إسلام بكلامه أعلاه الآيات القرآنية التي وردت في عدة مواضع من القرآن الكريم ومنها الآية رقم (١٢) من سورة السجدة لقوله تعالىٰ) : { وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ } .. وأيضاً الآيات من (٢٧) إلىٰ (٣٠) من سورة الأنعام لقوله تعالىٰ : { وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ - بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ - وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ } .

نشأتي الدينية الأولىٰ :

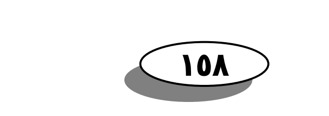
ثم يتابع الشيخ يوسف إسلام حديثه عن قصة إسلامه فيقول : لقد وُلدت وترعرعت فوجدت نفسي أمام حياة عصرية مُرفّهة وأشاهد الأضواء مُسلّطة علىٰ نجوم العروض الغنائية ، وبما أنني نشأت ضمن عائلة نصرانية ، ونعرف أن كل طفل إنما يولد علىٰ الفطرة ثم يكتسب الديانة التي يدين بها والديه .. وهكذا نشأت مسيحياً علىٰ دين آبائي .. ومن خلال ذلك المعتقد علمت بوجود (ا) .. ولكننا لا نملك الطريق المباشر للاتصال به .. ولذلك وعندما نريد الاتصال به فسيكون ذلك من خلال المسيح عيسىٰ كما لو أنه أي المسيح مثل البوابة التي تؤدي إلىٰ الرب .. وهذه المعتقدات بشكل أو بآخر كنت مضطراً إلىٰ أن أقبلها رغم عدم قناعتي بها جميعها .

لقد كنت انظر إلىٰ التماثيل الحجرية التي تصور لنا السيد المسيح .. كنت أنظر إليها علىٰ أنها ليست إلا مجرد حجارة ليس فيها حياة .. وعندما كانوا يقولون لي بأن الرب مكون من ثلاثة في أقنوم واحد كنت أقع في حيرة شديدة لفهم ذلك .. ولكنني لم أكن مسموحاً لي مناقشة ذلك مع أحد .. وهكذا وكما قلت كنت بشكل أو بآخر مضطر أن أُصدقها لأنني ينبغي عليّ أن أحترم ما يؤمن به والداي .

نجم البوب :

ثم أصبحت وبالتدريج أجد نفسي أنفر من هذه النشأة الدينية التي نشأت عليها .. فانطلقت في سماء الموسيقىٰ والغناء لأنني أردت أن أكون نجماً مشهوراً في هذا الفن ... كل تلك الأشياء التي كنت أراها في الأفلام وفي وسائل الإعلام الأخرىٰ جذبتني كثيراً حتىٰ جعلتني أعتقد وقتها بأن الشهرة والنجومية والفن هُمْ إلهي الذي أعبده وأن الهدف الأساسي في هذه الحياة هو جمع المال .

لقد كان لي خال يمتلك سيارة جميلة وفاخرة ويمتلك الكثير من المال والناس من حولي ومن خلال نظرتهم للحياة المادية كانوا يحثونني علىٰ الاعتقاد بأن المال والشهرة والرفاهية هم الرب المؤثر في هذا العالم الذي نعيش فيه .



عندها قررت بأن هذا هو طريقي الذي يجب أن أسلكه وأن هدفي في الحياة سيكون لجمع أكبر قدر من المال لأحيا حياة رائعة وسعيدة وأن أكون في يوم من الأيام نجماً مشهوراً مثل نجوم البوب في العالم .. وبدأت في تأليف وتسجيل الأغاني .. هذه كانت أُمنياتي الظاهرة ولكنني في أعماقي كان لديّ شعوري الإنساني يقول لي بأنني إذا أصبحت في يوم من الأيام من الأثرياء فسوف أساعد الفقراء والمحتاجين بتلك الأموال ، وهذه الأمنية تُشبه ما جاء ذكره بالقرآن الكريم بما يعني بأننا أحياناً نَنْذِرُ أو نَعِدْ إذا أصبنا مالاً كثيراً فسوف نساعد منه الفقراء ، ولكن إذا كثر المال لدينا أمسكناه لأنفسنا ولم ننفق منه طمعاً وبخلاً .. ويعني هنا الشيخ يوسف ما جاء بالآيات القرآنية (٧٥) و (٧٦) و (٧٧) من سورة التوبة لقوله تعالىٰ : { **وَمِنهم مَنْ عَاهَدَ اللهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصدقَن وَلَنَكُونَن مِنَ الصالِحِينَ - فَلَما آتَاهُم من فَضْلِهِ بَخِلُوا به وَتَوَلوْا وَهُم معْرِضُونَ - فَأَعْقَبهمْ نِفَاقاً فِي قُلُوبهمْ إِلىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنه بِمَا أَخْلَفُوا اللهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ** } .

وهكذا كان عين ما حدث أنني صرت نجماً مشهوراً جداً بينما كنت لا أزال في سن المراهقة ، واسمي وصوري تغطي كافة وسائل الإعلام .. لقد صنعوا مني شخصية هي أكبر من الحياة نفسها حتىٰ تكونت لدي الرغبة في أن أعيش فعلاً حياة هي أكبر من الحياة .. فكان الطريق الوحيد لتحقيق تلك الرغبة هو أن أنغمس في متاهات الشهوات والمتعة بكل سكرتها ومباهجها بتعاطي الخمور والمخدرات .

في المستشفىٰ :

وبعد مرور سنة كاملة علىٰ هذا النجاح والشهرة وكسب المال الكثير والاندماج في الحياة الراقية المُرفّهة والإدمان علىٰ تعاطي الخمور والمخدرات .. فجأة وجدت نفسي مريضاً بمرض السل (الدرن الرئوي) .. ولذا كان لزاماً أن أُنوّم في المستشفىٰ للعلاج .. وعندها بدأت أفكر بعمق وَتَروّي وأتساءل ....

: ما هذا الذي يحدث لي ؟

: هل أنا عبارة عن جسد فقط ؟

: وهل الهدف من الحياة في هذه الدنيا هو لمجرد إشباع رغبات هذا الجسد ؟

وقبل أن أصل إلى إجابات لتلك التساؤلات أدركت فوراً بأن هذه الفاجعة بإصابتي بهذا المرض كانت تلك نعمة وهبني ا إياها عبارة عن فرصة لأفتح عيناي وأنظر من حولي وأسأل نفسي : لماذا أنا هنا ؟ ! .. لماذا أنا راقد هنا على هذا الفراش بالمستشفى ؟ .. وتوالت الأسئلة وبدأت البحث لها عن إجابات .

في تلك الآونة كانت لديّ اهتمامات لكي أعرف المزيد عن مذهب التصوّف الشرقي (الصوفية) فبدأت أقرأ عنه .. وكان أول شيء وضعت تركيزي عليه هو أن أعي شيئاً عن ماهية (الموت) .. وعن حقيقة أن الروح هي شيء متنقل وغير ثابت في الجسد .. وعندما وصلت إلى ذلك الحد من التفكير بدأت أشعر بالراحة النفسية لأنني كنت أتلمس طريقي بهدوء وروية إلى تمام الهدف الذي أريد أن أصل إليه .. وبدأت أُولى مراحلي للتأمل بأن تَحَوّلتُ في طعامي لأن أكون نباتياً .. وصرت مؤمناً بالأمان والتفاهم مع كل المخلوقات وأؤمن بالطاقة الكامنة في كل زهرة .. وهكذا كان ذلك هو اتجاهي العام بعد التأمل ، ولكن ما صرت أُؤمن به بشكل خاص ومُحدد هو أنني لست مجرد جسد فقط .. وذلك الوعي والإدراك بكل تلك النتائج لم أستوعبها إلا وأنا راقد على فراش المرض في المستشفى .

ثم بعد ذلك وفي يوم ما عندما كنت أمشي في الشارع وكنت أسعل وداهمني المطر فوجدت نفسي أهرول مسرعاً إلى مظلة على الرصيف لتقيني من ماء المطر .. ثم بدأت استدرك ما حدث لي وأسأل نفسي قائلاً لها : على رِسْلِكْ إن جسمي الآن مُبْتلّ .. وجسدي الآن يشتكي ويقول لي : إنني أصابني البلل .. وهذه التساؤلات قادتني ولفتت انتباهي لشيء يشبه مقولة أو مثل يقول : (إن الجسد بالنسبة إلى الروح ما هو إلا مثل الحمار الذي عليك أن توجهه أنت إلى حيث تريد أن تذهب وإلا خلافاً لذلك فسيكون العكس وهو أن الحمار سيتجه بك إلى الطريق الذي يريده هو) .

حينذاك أدركت أن لديّ إرادة وحق الاختيار هما هبة من عند ا لكل البشر من بني الإنسان ، وأن هذه الإرادة تخضع بشكل تلقائي لمشيئة ا وَقَدَرِهِ .. وهكذا أصبحت مسحوراً مبهوراً بما توصلت إليه من هذه المصطلحات والمسميات

الجديدة التي تعلمتها أثناء دراستي للأديان الشرقية .. وبالتالي وبعد أن توصلت إلىٰ كل تلك النتائج والمفاهيم كنت قد ضجرت تماماً ومللت من الديانة النصرانية .

وعدت مرة أخرىٰ إلىٰ الموسيقىٰ والغناء .. ولكن هذه المرة كانت هناك إيحاءات في كلمات الأغاني التي كنت أؤلفها تُرْجِمَتْ انعكاسات أفكاري ومعتقداتي الأخيرة .. وأتذكر بعض كلمات أغنياتي الشعرية بعد التجربة كنت أقول فيها : (كنت أتمنىٰ .. أنني لو أعرف .. وإنني أتمنىٰ .. وإنني عرفت ما الذي جعل هناك جنة .. وما الذي جعل هناك نار .. هل أنا قد عرفت أنك الآن معي في فراشي ؟ أم أن الذي معي في فراشي هي بعض خلايا من الغبار بينما الأخريات من الخلايا تكون قد وصلت إلىٰ الفندق الكبير ؟ .. وقد أدركت الآن أنني علىٰ الطريق).. (<u>تعليق من المؤلف</u> : طبعاً قد تبدو هذه الكلمات غير مفهومة المعنىٰ بسبب أنها قيلت شعراً باللغة اللاتينية) .

ثم يواصل الشيخ يوسف إسلام قصة إسلامه قائلاً :

وقد كتبت بعدها كلمات لأغنية أُخرىٰ كان عنوانها (الطريقة للوصول إلىٰ ا) .. أصبحت بعدها أكثر شهرة في عالم الموسيقىٰ والغناء .

حقاً لقد كنت أُعاني بعدها من أوقات عصيبة لأنني كنت في ازدياد فاحش في الثروة وكسب المال والشهرة أيضاً .. في نفس الوقت كنت بكل إخلاص أبحث عن الحقيقة .. ثم بعد ذلك وصلت إلىٰ مرحلة قررت فيها بأن (البوذية) مناسبة وجيدة ولكنني لم أكن مستعداً وقتها لأن أتخلىٰ عن حياة الرفاهية لأنني كنت متمسكاً ومرتبطاً بشدة بهذه الحياة وبالعالم من حولي ، ولم أكن مستعداً ولا جاهزاً لأن أترهبن وأعزل نفسي عن المجتمع.

ولقد جربت ممارسة الفلسفات المختلفة التي قرأت عنها مثل (Ching Zen,) وعلم التنجيم التعددي ، وبطاقات الـ (TARAT) ، ثم علم التنجيم الفلكي .. ثم رجعت إلىٰ الإنجيل.. ولم أجد شيئاً يحقق فضولي ويجيب علىٰ أسئلتي .

وفي ذلك الوقت لم أكن قد عرفت شيئاً عن الإسلام .. ثم حدث أمر جعلني أعتبر بأن المعجزة قد وقعت وتحققت عندما قام أخي بزيارة إلىٰ المسجد الأقصىٰ في القدس (أورشليم) وأخذ انطباعاً مثيراً للغاية بعدما شاهد أن المسجد ينبض ويغص

بالمصلين والمتعبدين بأعداد كثيرة جداً بعكس الكنائس والمعابد اليهودية في القدس التي كانت فارغة تماماً من الناس .. ومن ناحية أخرىٰ لقد لاحظ أخي وأحس وهو في داخل المسجد بجو من الروحانية والأمان والهدوء والطمأنينة الظاهرة والجلية .

القرآن :

وبعدما عاد أخي إلىٰ (لندن) أحضر لي معه نسخة من ترجمة معاني القرآن الكريم أهداني إياها ، وبرغم أن أخي لم يُسْلِمْ غير أنه عاد وهو يشعر بأن هناك شيئاً ما مـميزاً في هذا الدين وتوقع بأنني أيضاً سوف أجد فيه نفس الشيء .

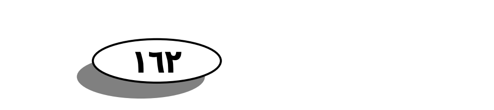
وعندما تصفحت هذا القرآن وجدت فيه دليلاً يأخذ بيدي ويشرح لي كل شيء مثل : من أنا ؟ ما هو الهدف من الحياة ؟ .. ما هي الحقيقة ؟ .. وكيف تكون الحقيقة ؟ .. ومن أين أتيت ؟ .. وعندها فقط أدركت بأن هذا هو الدين الحق .. وليس كما هو مفهوم عند الغرب .. وليس هو ذلك النوع من الاعتقاد الذي يعتقده كبار السن ..

في الغرب نجد عادة من يريد أن يعتنق أيّة ديانةً ما ويجعل منها هدفه الوحيد في الحياة ثم نجده مُتحولاً مُتعصباً جداً لهذه الديانة.. ولكنني لم أكن مُتعصباً غير أنني كنت مشوشاً تماماً وخصوصاً فيما يتعلق بمسألة الروح والجسد .

وبعد ذلك أدركت بأن الروح والجسد هما شيئين منفصلين عن بعضهما البعض وليس هما جزء واحد فقط .. وبأنه لا يتوجب عليك أن تترهبن وتصعد إلىٰ مغارة في الجبل لكي تكون إنساناً متديناً .. ولكننا يجب علينا أن نسلك الطريق إلىٰ مشيئة وإرادة الخالق العظيم سبحانه وعندها سوف نرتقي ونصعد حتىٰ أعلىٰ من الملائكة .

وعند ذلك الحد قررت بأن أول شيء ينبغي عليّ أن أقوم به هو أن أكون مُسْلِماً .

لقد أدركت تماماً بأن كل شيء راجع إلىٰ ا   وهو مُلْكٌ   سبحانه الذي لا تأخذه سِنَةٌ ولا نوم وهو سبحانه خالق كل شيء ومُهيمنٌ عليه .. وعندما وصلت إلىٰ هذه النقطة بالذات إنتابني الإحساس بضعفي وبالتنازل عن الكبرياء الداخلي الذي طالما أصابني بالزهو والغرور بسب ظني الفاسد واعتقادي بعظمتي الشخصية



التي بسببها أنا هنا في هذا الموقف الذي أدركت بعده بأنني لم أَخْلِقْ نفسي بنفسي وبأن الهدف الأساسي من وجودي هنا كان من أجل الخضوع للدراسة التي تَوّجها ا بذلك الدين الذي نعرفه الآن وهو الإسلام .. وساعتها اكتشفت إيماني وبأنني الآن في داخلي كنت مُسلماً من قبل .. وعند قراءتي للقرآن الكريم أدركت بأن جميع الرسل والأنبياء الذين أرسلهم ا تعالىٰ كانوا قد جاءوا بنفس الرسالة وبنفس الدين وهو (الإسلام) .

وهنا نتساءل : إذن لماذا كانت اليهودية والنصرانية مختلفتان عن الإسلام؟ .. الآن عرفت لماذا اليهود لم يتقبلوا عيسىٰ عليه السلام علىٰ أنه رسول من عند ا وكيف أنهم قاموا بتغيير قوله.. حتىٰ أن النصارىٰ أنفسهم يُسيئون فهم قول ا تعالىٰ ويدّعون بأن المسيح عيسىٰ هو ابن ا .. بينما كل شيء من هذه الظنون يجب أن يعود تقديره إلىٰ الحس السليم والمعنىٰ والمنطق والفهم .

لذا كان هذا هو جمال وروعة القرآن الكريم وهو يحثك علىٰ التأمل وأن نُرجع الأسباب إلىٰ مُسببها فلا نعبد الشمس ولا نعبد القمر ولكن نعبد ا الذي خلقهن وخلق كل شيء في السمٰوات والأرض .

إن القرآن الكريم يحث الإنسان علىٰ النظر والتأمل في الشمس والقمر وبوجه عام أن يتأمل ويتفكر في كل مخلوقات ا .. هل حاولت أن تدرك الفرق بيـن الشمـس والقمر ؟! إنهما علىٰ مسافات بعيدة مختلفة عن الأرض .. بينما يبدوان لنا أنهما في نفس الحجم ، وفي أوقات أخرىٰ يبدوان لنا الواحد منهما متداخل أو متشابك مع الآخر.. حتىٰ أنه عندما يصعد روّاد الفضاء من البشر إلىٰ الفضاء الخارجي فإنهم يرون تفاهة حجم الأرض مقارنة مع ضخامة الفضاء الكوني واتساعه ، وأمام هذا المنظر الرهيب من معجزات ا في خلقه يتحوّلون إلىٰ التمسك بالدين أكثر .

وعندما تعمقت في قراءة القرآن الكريم وجدته قد تكلم عن الصلاة ، وعن الإحسان في التعامل مع كافة مخلوقات ا ، هذا ولم أكن وقتها قد أسلمت بعد .. ولكنني شعرت حقاً بأن ا تعالىٰ أراد بي خيراً وأهداني هذه النسخة من القرآن الكريم التي احتفظت بها سراً .. وقد لاحظت أيضاً أن القرآن الكريم يتحدث علىٰ عدة

مستويات ... وكنت قد تفهمته على مستوى آخر مختلف .. فعندما يتحدث القرآن عن المؤمنين المتحابين في الله ويأمرهم بعدم مصادقة غير المؤمنين تمنيت عند تلك الإشارة بالذات أن أقابل إخواني المسلمين وأحكي لهم مشاعري تجاههم.

الهداية :

بعد ذلك قررت السفر إلى زيارة القدس مثلما فعل أخي .. وهناك دخلت إلى المسجد الأقصى وجلست في أحد جوانبه .. فجاءني أحد الأخوة المسلمين وسألني ما الذي أُريده ؟ .. فأخبرته لا شعورياً بأنني مُسلم .. فسألني عن أسمي؟.. فقلت له : (إستيفن) . فأصابته الدهشة من إجابتي وذهب .. وعندما قامت الصلاة انضممت إلى المصلين ، وأديت معهم الصلاة بشكل غير مُتْقَنْ ..

وبعدما عدت إلى لندن قابلت هناك أخت في الإسلام تُدعى (نفيسة) .. فأخبرتها برغبتي في اعتناق الإسلام .. فدلتني على مسجد (ريجنت) الجديد .. وكان ذلك في عام **١٩٧٧**م أي بعد مرور سنة ونصف السنة منذ أن استلمت أول نسخة من القرآن الكريم من يد أخي ، وبعدها أدركت بأنه قد حان الأوان لكي أتخلص من أدران الماضي وأتخلص من غروري وأتخلص أيضاً من وساوس الشيطان وأن أمضي في اتجاه واحد .

وهكذا كان في يوم الجمعة التي تلت وبعد انتهاء الصلاة تقدمت من إمام وخطيب المسجد وصرّحت له برغبتي في إشهار إسلامي ونطقت أمامه وأمام جموع المصلين بالشهادتين .. ولقد كنت قبل الإسلام ذلك الشخص الذي تحققت له الشهرة والثروة معاً .. ولكن الدليل إلى هدايتي كان شيئاً ما قام بتخليصي من الضلال ، ولكن غير مهم كم تكلّفتُ من التعب والجهد الذي عانيته من أجل الاهتداء إلى القرآن الكريم وإلى الإسلام .

الآن أُدرك كيف يمكنني الاتصال المباشر بالله عز وجل دون واسطة ، وليس مثل الديانة المسيحية أو أية ديانة أخرى .

في مرة قابلت سيدة هندوسية قالت لي : إنني لا أستطيع أن أتفهم الهندوسية.. فنحن نؤمن بالإله (الرب) الواحد ، ولكننا نستخدم هذه (الأصنام)

لمجرد التركيز فقط من خلالها .. لقد كانت تقصد هذه المرأة الهندوسية من قولها بأنه في سبيل الوصول إلىٰ الرب لابد أن يضعوا أو يخلقوا له شريك أو شركاء .. فكانت تلك الأصنام تفي بالغرض.. ولكن الدين الإسلامي حطم وأزال كل تلك الحواجز وجعل الشيء الذي يُفرّق بين المؤمنين با وغير المؤمنين به هي تلك الصلاة [1] . هذا هو الطريق الوحيد إلىٰ الطهارة والنقاء والصفاء الروحي .

وفي الختام .. إنني أود القول بأن كل شيء أقوم به الآن أشعر من خلاله بحلاوة الإيمان والاتصال با .. وإنني أدعو ا تعالىٰ وأسأله أن تستفيدوا بشيء من الإلهام من خلال قصتي هذه وتجربتي نحو الإسلام .

هذا بالإضافة إلىٰ أنني أُريد التركيز علىٰ القول بأنني لم يسبق لي قبل اعتناقي الإسلام وأن اتصلت أو اختلطت بأي شخص من المسلمين .. ولكنني قرأت القرآن الكريم أولاً ثم أدركت بأنه لا يوجد أي دين غير الإسلام مثالي وحقيقي .. وبأننا لو اتبعنا هَدْي وسنة الرسول الكريم محمد صلىٰ ا عليه وسلم فسوف نكون من الفائزين والناجين في الدنيا والآخرة .

وأخيراً أدعو ا عز وجل وأرجوه بأن يهدينا إلىٰ إتباع طريق أمة محمد، سيد الأولين والآخرين صلىٰ ا عليه وسلم آمين .

أخوكم في الإسلام

يوسف إسلام

(كات استيفن سابقاً)

(إلىٰ هنا انتهت رسالة الشيخ يوسف إسلام)

---

(1) هنا يعني الشيخ يوسف كما جاء في قوله تعالىٰ من سورة البقرة : { وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِي فَإِنِي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الداعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَهُم يَرْشُدُونَ}(١٨٦) البقرة .

ونحن نقول بالإضافة إلىٰ تجربة الشيخ يوسف اقرأوا مذكرات القساوسة المبشرين الذين أُرسلوا من أوروبا في رئاسة بعثات تبشيرية إلىٰ أفريقيا وإلىٰ إندونيسيا وإلىٰ جنوب شرقي آسيا لدعوة الناس في تلك المناطق إلىٰ النصرانية .. فعادوا مسلمين، وكتبوا في مذكراتهم التي طُبعت منها كتب بعدة لغات قالوا : (كنا ندعوا الناس إلىٰ النصرانية ونستخدم في سبيل إقناعهم كلمات وتعبيرات وأدلة واهنة ونحن في ضمائرنا ووجداننا غير مقتنعين بها، ثم نواجه أطفالاً مسلمين يردّون على ما نقول بأسلوب بسيط وتلقائي وهم لا يعلمون أنهم يردّون علينا بحجة ظاهرة وقوة برهان تؤكدان بلا ريب أن الإسلام هو الدين الحق) .. هذه المذكرات متوفرة بعدة لغات لدىٰ المراكز الإسلامية في عواصم دول أوروبا وفي الأمريكتين ، كما يمكنكم أن تطلبوا منها نسخاً من مراكز الدعوة بالمملكة العربية السعودية علىٰ العناوين التالية :

١- المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد
ص . ب : ٢٠٨٢٤ - الرياض : ١١٤٦٥
هاتف : ٤٠٣٠٢٥١ ، ٤٠٣٠١٤٢
فاكس : ٤٠٥٩٣٨٧

==============================

٢- مركز جدة للدعوة
ص ب : ٦٨٩٧ - جدة : ٢١٤٥٢
هاتف : ٦٨٢٩٨٩٨

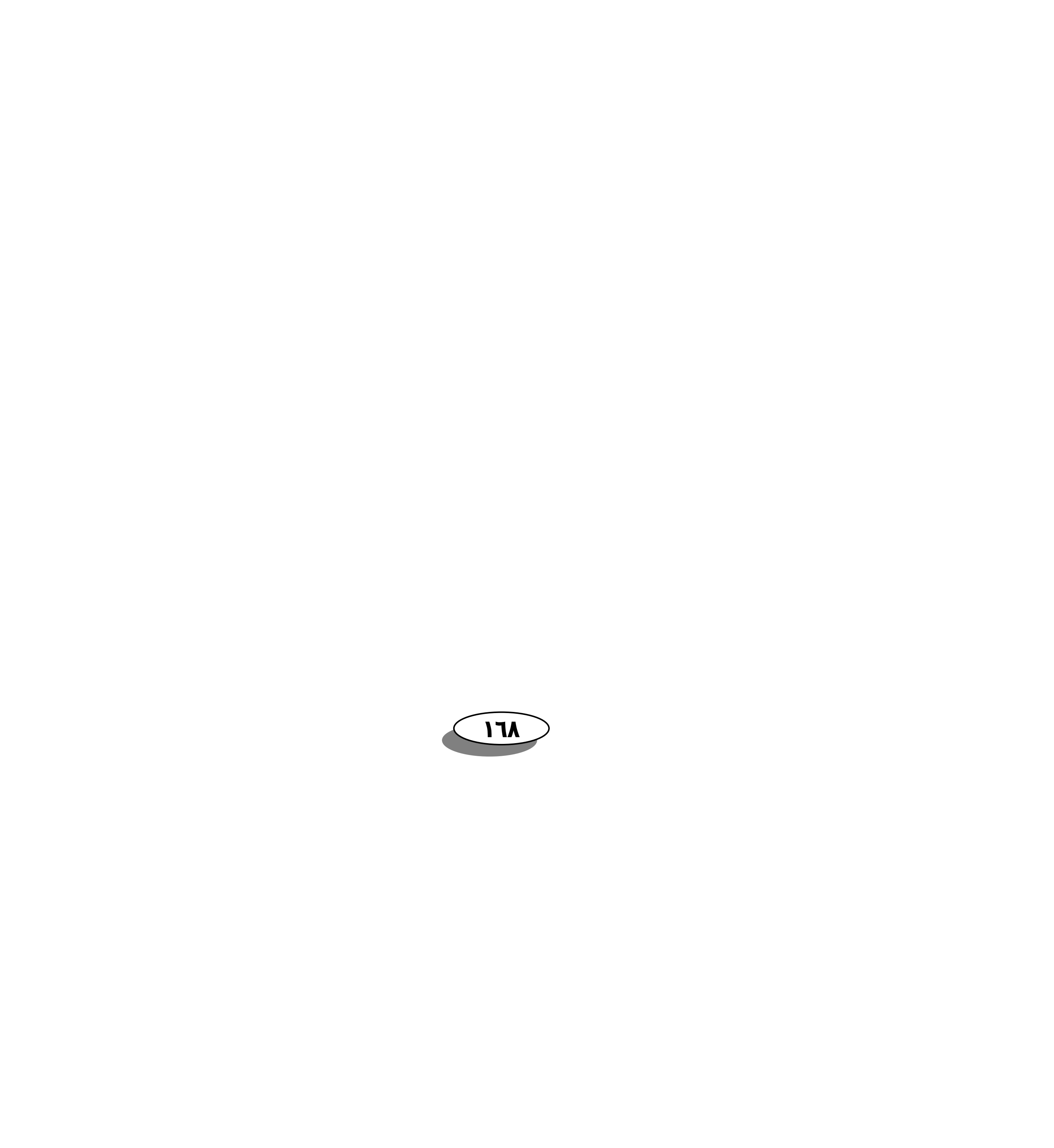
==============================

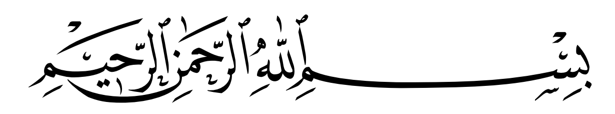
وأختتم رسالتي إليكم بقول ا تعالىٰ : { فَذَلِكُمُ اللهُ رَبكُمُ الحَق فَمَاذَا بَعْدَ الحَق إلا الضلالُ فَأنىٰ تُصْرَفُونَ } يونس : ٣٢ .. فهلموا وأنفضُوا عن أنفسكم أدران الباطل وَأَسْلِمُوا خيراً لكم.. هذا هو الإسلام .. هذا هو الحق .. فماذا بعد الحق إلا الضلال ؟ .

والحمد رب العالمين وبه نستعين والصلاة والسلام علىٰ خير الورىٰ وإمام المهتدين سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين .



الصـــلاة





الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير الورى محمد

وعلى آله وصحبه أجمعين

" الصـلاة "

<u>التذكرة :</u>

يقول المولىٰ عز وجل في كتابه الكريم : أعوذ با من الشيطان الرجيم ، بسم ا الرحمن الرحيم { **اقْتَرَبَ لِلناس حِسَابهمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ معْرِضُونَ - مَا يَأْتِيهِم من ذِكْرٍ من ربهم محْدَثٍ إِلا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ** } الأنبياء: ١-٢ ، أي نعم اقترب الحساب ونحن في غفلة معرضين - وإذا جاءنا من يُذكِّرُنَا با استمعنا إليه ونحن لاهون - لا حول ولا قوة إلا با العلي العظيم - اللهم اجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه - ولا تجعلنا من قوم قال فيهم: { **وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنمَ كَثِيراً منَ الجِن وَالإِنس لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بها وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بها وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بها أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَل أُوْلَئِكَ هُمُ الغَافِلُونَ** } الأعراف : ١٧٩.

نعم صدق قول الحق جل وعلا - نرىٰ بعض الأنعام خير من كثير من الجن والأنس ، تفهم وتعي أفضل من بعض الناس - لا بل أن هذه الأنعام تُسَبحُ بحمد ا - مصداق قوله تعالى: { **تُسَبحُ لَهُ السمَوَاتُ السبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِن وَإِن من شَيْءٍ إِلا يُسَبحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنه كَانَ حَلِيماً غَفُوراً** }الإسراء : ٤٤ .

وبعض الناس إذا كلمته وذكّرته بكلمات ا ورسوله وجدته كالحجر الأصم

لا يسمع!.. لا يفهم ! .. لا يعقل ! - قاسية قلوبهم - ويقول المولىٰ عز وجل { ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِن مِنَ الحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجرُ مِنه الأَنهارُ وَإِن مِنها لَمَا يَشقَقُ فَيَخْرُجُ مِنه المَاءُ وَإِن مِنها لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَما تَعْمَلُونَ} البقرة :٧٤ .. نعم ذلك ما نراه في عصرنا هذا في كثير من إخواننا الذين يحملون صفة الإسلام إسماً ومظهراً - ولكن قلوبهم خاوية قاسية كالحجارة أو أشد قسوة - وإذا نصحتهم في دين ا وَلَّوْ عنك معرضين أو كما قال ا تعالىٰ فيهم : { فَمَا لَهُمْ عَنِ التذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ - كَأَنهمْ حُمُرٌ مسْتَنفِرَةٌ - فَرتْ مِن قَسْوَرَةٍ } المدثر:٤٩-٥١.

أي إذا جاءهم من ينصحهم ويذكرهم بأمور دينهم فروا من مجلسه كما تفر الحمير الوحشية إذا رأت الأسد .

الصلاة :

نقول بأن ا سبحانه وتعالىٰ خلقنا - ثم نتساءل : لماذا خلقنا ؟ وقبل خَلْقِنَا - خلق الجنة وزينها بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر علىٰ قلب بشر، وجعلها كالعروس لمن يستحقها ويدفع مهرها .. (ومهرها بسيط) - وخلق النار وسعّرها - وجعلها مثوىٰ أبديٌ للكافرين والمشركين ودار عقاب شديد للعاصين من المسلمين - ثم جعل سبحانه الدنيا هي دار الاختبار والامتحان - فالذي يجتاز الاختبار وينجح في الامتحان أدخله الجنة - والذي يرسب في الامتحان أدخله النار - وأهم مادة سنمتحن فيها هي العبادة - ولذلك يعود بنا التساؤل إلىٰ : لماذا ا خلقنا ؟ .. فيجيبنا المولىٰ عز وجل قائلاً : { وَمَا خَلَقْتُ الجِن وَالإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُون - مَا أُرِيدُ مِنهم من رزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُون - إِن اللهَ هُوَ الرزاقُ ذُو القُوةِ المَتِينُ } الذاريات: ٥٦ - ٥٨ .

وعماد هذه العبادة هي الصلاة .. فما هي الصلاة ؟ .. وما تعريفها ؟ :

الصلاة في اللغة مصدرها (الصلة) - الصلة ما بين العبد وربه - وهذه

الصلة تقودنا إلىٰ شرح مسألة الاتصال .. ونضرب لذلك مثلاً : فنحن إذا كنا نتحدث

من خلال الهاتف .. فإننا نكون علىٰ اتصال مستمر طالما كانت الحرارة في الهاتف - أما إذا انقطعت الحرارة - انقطع بالتالي الاتصال بيننا وبين الطرف الآخر الذي كان يحادثنا .. والصلاة هنا في هذا المثل هي بمثابة الحرارة في الهاتف - فإن المحافظة والاستدامة علىٰ أدائها في أوقاتها هي استدامة الاتصال بيننا وبين ربنا خالقنا العظيم - وانقطاع الصلاة هو انقطاع ذلك الاتصال المقدس المبارك - وإذا استمر ذلك الاتصال المقدس بيننا وبين ا تعالىٰ .. فإذا دعوناه استجاب لنا - وإذا انقطعت الصلاة انقطع الاتصال فأنىٰ يستجيب لنا ... وذلك مصداق الحديث القدسي الذي رواه الإمام البخاري .. يقول المولىٰ عز وجل (ما تقربّ إليّ عبدي بشيءٍ أَحَبُ إليّ مما افترضت عليه - وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتىٰ أحبه - فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به - وبصره الذي يُبصر به - ويده التي يبطش بها - ورجله التي يمشي بها - وإن سألني أعطيته - ولئن استعاذني لأعيذنه) .

ومصداق قوله صلىٰ ا عليه وسلم : (من حافظ عليها - أي الصلاة - حفظه ا ومن ضيعها ضيعه ا) ... وقوله صلىٰ ا عليه وسلم : (العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر) ... وقوله صلىٰ ا عليه وسلم : (إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة) .

الصلاة هي الميثاق الذي بيننا وبين ربنا جل وعلا - فإذا تركناها أو أهملناها أو تَهَاوُناً في أمرها - انفصم العهد - وتمزقت عُرىٰ الميثاق وانقطع عنا مدد السماء - فضعنا وضللنا في متاهات هذه الدنيا حتىٰ يأتي الوعد الحق - ونلقىٰ ا تعالىٰ وما لنا من عُذْرٍ ولا حجة نحتج بها .

إخواني وأحبائي في ا ...

إن ا تعالىٰ يبيع لنا الجنة ونعيمها الخالد - ويطالبنا بالثمن - والثمن زهيد جداً - وجعل ا من فضله علينا ذلك الثمن في مقدور كل واحد منا أن يدفعه - ذكر أو أنثىٰ - فقير أو غني - صغير أو كبير - مريض أو معافىٰ - مقيم أو مسافر - محارب أو مسالم - فما هو الثمن ؟ .. إنه ساعة زمن واحدة نقتطعها علىٰ فترات من أربعة وعشرون ساعة نحياها في كل يوم وليلة نؤدي خلالها خمس



صلوات فرضها الله علينا - عمل ساعة زمن واحدة كل يوم هي الثمن الزهيد جداً لأغلىٰ وأثمن سلعة في الوجود يعرضها علينا خالقنا العظيم وهي الجنة - فأين المشترون ؟ أين المشترون ؟ ... بَخٍ بَخٍ لمن قدّر قيمة البضاعة واشترىٰ من الله بأرخص الأثمان .. بَخٍ بَخٍ لمن حافظ علىٰ الصلاة - وحرص علىٰ أن يبقىٰ الاتصال بينه وبين خالقه دائم لا ينقطع بمداومة الصلاة.

ولذا نرىٰ أن أكثر الذين يهملون ويتهاونون في أداء فروضهم الخمسة في أوقاتها أو يتكاسلون وينامون عنها غالباً ما نراهم يشتكون من الأمراض الجسدية والنفسية - وتنتابهم أحياناً حالات عصبية وصداع مستمر وأعراض أخرىٰ غير محمودة - وعندما يبلغون إلىٰ تلك المرحلة من الإرهاق النفسي يتسلط عليهم إبليس وأعوانه فيزيدونهم رهقاً - أما الذين آمنوا بالله وباليوم الآخر وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وذكروا الله كثيراً واعتصموا بالقرآن فقد قال الله تعالىٰ فيهم : { وَأَنا لما سَمِعْنَا الهُدَىٰ آمَنا به فَمَن يُؤْمِن بِرَبه فَلا يَخَافُ بَخْساً وَلا رَهَقاً } الجن : ١٣ .

فمن كان منا يؤمن بالله واليوم الآخر ، فسيعلم بل سيكون علىٰ يقين تام بأن الله الذي خلقنا قد فرض علينا هذه الصلوات الخمس .. لا بل ما خلقنا إلا من أجل أن نصليها { وَمَا خَلَقْتُ الجِن وَالإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُون } الذاريات : ٥٦ ، وَلِيَبْلُونا في هذه الدنيا أَينا أحسنُ عملا ثم يحاسبنا علىٰ هذه في اليوم الآخر { إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا } الإسراء : ٧ . وفي ذلك اليوم مهما تعددت وكثرت أعمال المرء من أعمال الخير التي عملها في حياته الدنيا ولكنه كان تاركاً متهاوناً للصلاة - فإن كل تلك الأعمال تذهب هباءً منثوراً - بل تُرَد علىٰ فاعلها ويُضْرَبُ بها وجهه - ولا توضع له في ميزان حسناته - وكما قال صلىٰ الله عليه وسلم : (أول ما يُحَاسَبُ به العبد يوم القيامة من عمله صلاته - فإن صَلُحَتْ فقد أفلح ونجح - وإن فسدت فقد خاب وخسر)، وفي حديث آخر بهذا المعنىٰ : (أول ما يُحَاسَبُ به العبد يوم القيامة الصلاة فإن صَلُحَتْ صَلُحَ له سائر عمله ، وإن فسدت فسد سائر عمله) .

هذا وإن الله تعالىٰ غني عنا وغني حتىٰ عن العالمين وليس هو سبحانه في حاجة إلىٰ صلواتنا - بل نحن الذين في أمس الحاجة إلىٰ هذه الصلوات لتسكن بها أنفسنا وتحل بها البركة من الله تعالىٰ علينا وعلىٰ أهلينا وأولادنا وأموالنا ونفوز بها في الآخرة بالجنة وأهم من الجنة رضوان الله علينا { وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ } التوبة:٧٢ ... ولا يتم كل ذلك لنا إلا بأدائنا لهذه الصلوات جماعة في أوقاتها .

والله سبحانه وتعالىٰ ما شرع لنا هذه العبادات وهي ستنفعه بشيء - حاشا لله وتعالىٰ عن ذلك - ولكنه سبحانه إنما شرعها لنا ليقربنا بها إليه ، ويُطهرنَا بها تطهيراً مستمراً من الذنوب والخطايا التي نقع فيها علىٰ مدار الساعة كل يوم وليلة .

فالصلاة هي قرة أعين العارفين- وراحة قلوبهم - يجدون فيها لذة ومتعة لا تضاهيها لذة ولا متعة - ويجدون فيها سعادة الدارين الدنيا والآخرة - ويستأنسون بها بالاتصال الدائم بربهم - وهكذا كان الرسول الهادي محمد صلىٰ الله عليه وسلم وعندما يحين وقت الصلاة فيأمر بلالاً رضي الله عنه للقيام للآذان ويقول له : (قم أرحنا بها يا بلال) وقد شبهها الرسول صلىٰ الله عليه وسلم بنهر يغتسل منه الإنسان خمس مرات في اليوم - فيطهره ويمحوا بها عنه خطاياه - وَيُجْلِي له بها قلبه من الظنون والخلط والهواجس - وتكون له نوراً في قلبه في حياته الدنيا ونوراً في قبره في حياته البرزخية - ومفتاحاً ومهراً للجنة في يوم القيامة . ونحن نرىٰ من أحوالنا اليوم الأمور العجيبة من المعاصي والنكران لعبادة الله وأداء الصلوات - فنرىٰ الواحد منا ينام ويتكاسل عن أداء الصلاة إذا حان وقتها - ثم نأتي لنراه بعد انتهاء وقت الصلاة ولم يكن قد صلاها ونام عنها - نراه إذا نودي عليه أن يقوم لأن السُفرة جاهزة وأن عليه أن يقوم لكي يدرك الطعام قبل أن يبرد - فنراه يقوم مسرعاً ينتفض بهمة وكأنه نَشِطَ من عِقَال - ليس به من نعاس ولا تكاسل كاللّذَيْن كانا به عندما نودي ليقوم إلىٰ الصلاة - وبعد تناول الطعام نراه يقضي باقي وقته بالساعات الطوال في الملاهي ومشاهدة التليفزيونات والفضائيات والكرة لا يكل ولا يمل ولا يشتكي من أي مرض - أما إذا دُعي إلىٰ الصلاة التي لا

تستغرق منه غالباً أكثر من بضع دقائق فهو غير قادر علىٰ القيام ولا علىٰ الحركة بدعوىٰ أن به مرض - وهو لا يدري أنه بتلك الحال التي هو عليها فإن ا تعالىٰ يزيده مرضا علىٰ مرضه في نفسه وفي جسده - ومن ثم إذا استمر علىٰ معصيته فإنه سبحانه يختم علىٰ قلبه والعياذ با كما قال جل وعلا في كتابه الكريم { **وَمِنَ الناسِ مَن يَقُولُ آمَنا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ، يُخَادِعُونَ اللهَ وَالذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ - فِي قُلُوبِهِم مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ** } البقرة : ٩ .

وللذين يتعذرون بالمرض للتهرب من أداء الصلوات المكتوبة التي ما خلقنا ا تعالىٰ إلا من أجل أن نؤديها .. نستعرض هنا صوراً مضيئة من صور الأبرار المتقين منذ زمن الرسول صلىٰ ا عليه وسلم وصحابته رضوان ا عليهم أو التابعين يرحمهم ا - وكيف وإلىٰ أي مدىٰ كان حرصهم شديداً علىٰ الصلاة لِمَا عَلِمُوهُ من أهميتها ومن المحافظة عليها مرضاةً لرب العالمين .

وكان الرسول صلىٰ ا عليه وسلم يقوم من الليل حتىٰ تتفطر قدماه .. فقالت له السيدة عائشة رضي ا عنها : لِمَ تصنع هذا يا رسول ا وقد غفر ا لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر .. قال : (أفلا أحب أن أكون عبداً شكوراً) .

وهذا هو الفاروق عمر بن الخطاب رضي ا عنه وأرضاه يضرب لنا هذا المثل في أروع صوره التعبيرية التي تهتز له المشاعر - وتلين له القلوب خشوعاً رب العالمين .

فلما طُعِنَ رضي ا عنه وكان ذلك أثناء أدائه لصلاة الفجر ، كانت قد فاتته ركعة واحدة وغلبه الدم - فحملوه علىٰ الأكتاف إلىٰ بيته - فلما أفاق من غيبوبة الضربة .. قال : هل صليت ؟ .. قالوا له : بقيت عليك ركعة ، فقام يصلي والدم ينزف منه غزيراً ، فأغمي عليه - ثم قام وعقد الصلاة - فأُغمي عليه مرة أخرىٰ - وثم قام يصلي حتىٰ أتم الركعة ، ثم قال : الحمد الذي أعانني حتىٰ أُتم الصلاة - ومات من بعدها .

وصورة أخرىٰ : مرض أحد التابعين وهو ثابت بن عامر بن عبدا بن

الزبير فسمع آذان المغرب وهو في شدة المرض - فقال لأبنائه احملوني إلىٰ المسجد فالوا له : أنت مريض صل في مكانك وقد عذرك ا - قال : لا إلهٰ إلا ا .. أأسمع النداء - حيّ علىٰ الصلاة - حيّ علىٰ الفلاح - ثم لا أجيب - وا لتحملوني إلىٰ المسجد - فحملوه إلىٰ المسجد - فلما كان في السجدة الأخيرة من صلاة المغرب قبض ا روحه - وكان هذا التابعي الصالح إذا صلىٰ الفجر من كل يوم دعا ا قائلاً : اللهم إني أسألك الميتة الحسنة فقيل له : وما الميتة الحسنة ؟ .. قال : أن يتوفاني ا وأنا ساجد فاستجاب ا له وقبض روحه وهو ساجد .

كما أنه ثبت أن كل العبادات التي فرضها ا علينا لها أعذار شرعية ورُخَصٌ يُمكِن بها تأجيلها أو التجاوز عن أدائها إلاّ الصلاة ..

١ - فالزكاة غير واجبة الأداء إذا كان العبد فقيراً .

٢ - والصيام ممكن تأجيله إلىٰ أيام أخر في حالتي المرض أو السفر بل ممكن الاستعاضة عنه بإطعام مساكين في حالتي العجز الكامل الدائم عن الصيام لمرض أو لكبر السن .

٣ - والحج غير واجب إلا لمن استطاع إليه سبيلا .

أما الصلاة فلتأكيد أهميتها وضرورتها وهي عمود الدين امتثالاً لأمر ا تعالىٰ فإنه لا عُذْرَ يلغيها إلا لغير ذوي الأهلية من طفل أو فاقد عقل أو امرأة حائض أو نفساء.

ولم يدع ا لنا عذراً نؤخر بسببه صلواتنا المكتوبة حتىٰ في حالتي الخوف ومواجهة العدو في الحرب كما قال تعالىٰ : { حَافِظُوا عَلَىٰ الصلَوَاتِ وَالصلاةِ الوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلهِ قَانِتِينَ - فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَاناً } البقرة : ٢٣٨ .. وأيضاً قوله تعالىٰ : { وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصلاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ منهم معَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتهمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلوا فَلْيُصَلوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتهمْ وَد الذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ

عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً } النساء : ١٠٢ .

وحيث أن الله تعالىٰ ومن واسع رحمته ورأفته بنا وهو سبحانه الرؤوف الرحيم - كما لم يترك لنا عذراً في تأخير أو تعطيل فريضة الصلاة عن أوقاتها فإنه سبحانه لا يُكلفُ نَفْسَاً إلاّ وُسْعَهَا - وكما قال سبحانه وتعالىٰ { وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدين مِنْ حَرَجٍ } الحج : ٧٨ .. فإنه إذا لم يجد المرء ماءً ليتوضأ أو يغتسل أو كان الماء مُضِرَاً من برودة أو لجرح في جسده أباح له التيمم - وإن لم يستطيع المرء الصلاة قائماً صلىٰ قاعداً - فإن لم يستطع قاعداً صلىٰ راقداً علىٰ جنبه الأيمن مستقبل القبلة ويُومئُ برأسه في مواضع الركوع والسجود - فإن لم يستطيع فيبقىٰ علىٰ حاله في مكانه ويومئ برموش عينيه وجفنيه تمثيلاً للقيام والركوع والسجود - المهم أن يؤدي الصلاة كيفما يتيسر له حتىٰ وإن كان في سكرات الموت كما جاء في قصة عمر بن الخطاب رضي الله عنه - وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول : ولقد كان يُؤتىٰ بالرجل يهادى بين الرجلين حتىٰ يُقام في الصف - أولئك هم الفائزون حقاً وأولئك هم المفلحون - فسبحان ربنا ما أحلمه علينا وما أرحمه بنا يمهلنا لعلنا نتوب ونُصلح ولكن إلىٰ متىٰ ؟ .. إلىٰ أن نُغرغِرَ أيها العبد الجاحد لنعم الله عليك حيث لا ينفع نفس إيمانها لم تكن آمنت من قبل ؟ ..

أيها العبد الجاحد إذا دعيت إلىٰ طعام رزقك الله به من نِعَمِهِ عليك - قمت تأكله نشطاً وبنهم لا تحمد الله عليه - وإذا دُعيتَ إلىٰ الصلاة التي تُحييكَ في الدارين الدنيا والآخرة وسمعت المؤذن يقول : حيّ علىٰ الصلاة - حيّ علىٰ الفلاح ، تكاسلت وهان عليك أمرها لا تُريد صلاةً ولا تُريد فلاحاً .

والله سبحانه وتعالىٰ ما خلقنا واستخلفنا الأرض لنأكل فقط ... وإلاّ صرنا كالأنعام تأكل وتشرب وترعىٰ في الأرض غير مُكلفةٌ - أو نصير مثل الكافرين الذين قال الله تعالىٰ فيهم : { وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ وَالنارُ مَثْوًىٰ لَهُمْ } محمد : ١٢ ..

ولكن الله ما خلقنا في الأصل إلا لنعبده وفضلنا علىٰ كثير ممن خلق تفضيلاً - وما جعل الطعام لنا إلا لنقوي به أجسامنا ونزيد به طاقاتنا التي نستعين

بها علىٰ أداء العبادات المفروضة علينا والتي لم نُخْلَقْ إلا من أجلها - وكان الرسول صلىٰ الله عليه وسلم يقول : (أثقل الصلاة علىٰ المنافقين - صلاة العشاء وصلاة الفجر - ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوا) صدقت يا حبيبنا يا محمد صلىٰ الله عليك وسلم وعلىٰ آل بيتك الطاهرين وصحابتك الغر الميامين - ونحن بدورنا نقول رداً علىٰ قول ربنا عز وجل في سورة ياسين : { وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ } يس: ٦١ .. نقول سبحانك يا ربنا إننا لك عابدين - ولكننا نعبدك ونحن موقنين أنك سبحانك غني عنا وعن عبادتنا وغني حتىٰ عن العالمين ... ونحتسب عبادتنا وصلاتنا لك هي مِنةً منك تمنها علينا ووفقتنا لها - وتفضلت بها علينا لأنك سبحانك تريد لنا الخير كله ، والخير كله عندك يارب العالمين - ولأنك ارتضيت لنا بِمنكَ علينا أن نكون في زمرة خلقك العابدين لك - فَمَنْ منا ينال ذلك الشرف الرفيع إلا من كان ذو حظ عظيم .

مسألة في قضاء الفوائت من الصلاة :

وبهذه المناسبة نرد الآن علىٰ كل من يقول : أن الذي مضت عليه فترة سابقة من عمره لم يكن يصلي خلالها ثم تاب وأصلح فإن عليه قضاء تلك الفوائت بأداء صلاة فريضة كاملة مع كل فريضة من صلواته الخمس يومياً . (يعني الفريضة مرتين في كل وقت صلاة) .

ونقول وبالله الاستعانة أن يوفقنا ويرشدنا إلىٰ الصواب في كل أمور ديننا التي نستقي صحيحها واضحاً من كتاب ربنا ومن سنة نبينا محمد صلىٰ الله عليه وسلم .. ثم من أقوال وآراء المجتهدين من الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين وعلماء السلف يرحمهم الله جميعها .. حيث ثبت أنه لا قضاء في فوائت الفروض إلا في حالتي النوم والنسيان - وهذه تكون محدودة - تكون في فوات فرض واحد أو أثنين أو صلوات يوم كامل يكون العبد قد نام عنها جميعا لسبب من الأسباب غير متعمد - وحسب قول الرسول صلىٰ الله عليه وسلم : (أنه ليس في النوم تفريط إنما التفريط في اليقظة - فإذا نسىٰ أحد صلاة أو نام عنها فليصليها إذا ذكرها) .

أما تارك الصلاة فترة من حياته عمداً أو جاهلاً بأهميتها ووجوبها فنسوق هنا رداً علىٰ هذه المسألة رأي الصحابة رضوان الله عليهم وبعض علماء السلف

حيث يقول ابن تيمية يرحمه الله (تارك الصلاة عمداً لا يشرع له قضاؤها ولا تصح منه بل يكثر من التطوع) .

وقال ابن حزم : (من تعمد ترك الصلاة حتىٰ خرج وقتها فإنه لا يقدر علىٰ قضائها أبداً، فعليه بالتوبة والاستغفار ثم يكثر من أعمال الخير ومن صلاة التطوع) .

وقال أيضاً : (لو كان العامد لترك الصلاة مُدركاً لها بالقضاء بعد خروج وقتها لما توعده الله في القرآن الكريم بقوله تعالىٰ : { فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصلاةَ وَاتبَعُوا الشهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً } مريم : ٥٩ .

ونحن نقول كما قال ابن حزم : لو كان العامد لترك الصلاة مدركاً لها بالقضاء بعد خروج وقتها " نضيف " لكان الأمر سهلاً علىٰ الأمة أن يخالفوا أمر الله تعالىٰ الذي قال : {إِن الصلاةَ كَانَتْ عَلَىٰ المُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً} النساء: ١٠٣ .. وأن يخالفوا سنة نبينا محمد صلىٰ الله عليه وسلم الذي قال عن تاركي الصلاة جماعة في أوقاتها ومتخلفون في بيوتهم قال صلىٰ الله عليه وسلم (لقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام ، ثم آمر رجلاً فيصلي بالناس ثم أنطلق معي برجال معهم حزم من حطب إلىٰ قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم) .. ولكان الأمر سهلاً علىٰ الأمة أن يتركوا الصلوات عمداً ثم يقولون : نصليها قضاءاً للفوائت وقتما نشاء - وبالتالي لانتفى الحكم الشرعي لقوله تعالـىٰ : {إِن الصلاةَ كَانَتْ عَلَىٰ المُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً } النساء : ١٠٣. وأما قولنا أن يتوب من تعمد ترك الصلاة زمنا من حياته والتوبة تجب ما قبلها فدليلها من الكتاب قول المولىٰ عز وجل بعد أن قال سبحانه { فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصلاةَ وَاتبَعُوا الشهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً } مريم : ٥٩ .. قال تعالىٰ : {إِلا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الجَنةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ شَيْئاً} مريم:٦٠ . بمعنىٰ أن من تاب وآمن وعمل صالحاً فلن يلقىٰ من الله غيا ولكن عليه أن يكثر من الأعمال الصالحة ومن كثرة النوافل والإكثار من الذكر - وأن الحسنات يذهبن السيئات .

وعلىٰ هذا أجمع عمر بن الخطاب وابنه عبد ا ، وسعد ابن أبي وقاص ، وعبد ا بن مسعود ، وسلمان الفارسي رضي ا عنهم جميعاً - وأيضاً أكده من التابعين عمر بن عبد العزيز ومحمد بن سيرين - وأكده من الأئمة أحمد بن حنبل ، وابن تيمية وغيرهم كثير يرحمهم ا جميعاً.

وأما من قال بعكس ذلك من علماء السلف والمعاصرين فلم يأتوا عليه بدليل لا من كتاب ولا سنة ولا شرع ولا فرع ولا قياس .

ومسألة في الرد على فتوى أحد العلماء يقول بثواب الصائم بغير صلاة :

نلاحظ في عصرنا هذا في كثير من الدول العربية والإسلامية البعض من المسلمين قد اتخذ من صوم رمضان مجرد عادة يشارك بها مجتمعه المسلم ولكنهم يصومون بغير صلاة لا فريضة ولا نافلة - ونتساءل عن أسباب ازدياد هذه الظاهرة المُسْتَنْكَرَة في تلك الدول حتىٰ عَلِمْنَا السبب بعد أن اطلعت علىٰ كتاب يحتوي فتاوى في مسائل الدين لأحد علماء المسلمين المعاصرين كان يشار إليه بالبنان ، وقد توفاه ا قبل عدة سنوات غفر ا لنا وله - وهذه الفتوىٰ التي سنورد نصها هاهنا هي فتوىٰ خطأ وخطيرة جداً في حق أمة محمد صلىٰ ا عليه وسلم لأن زلة العالم يضل من ورائها ملايين من المسلمين ولا حول ولا قوة إلا با العلي العظيم .

وصيغة الفتوىٰ بدأت بسؤال من أحد العامة يقول :

هل يتقبل ا صيام من يتهاون في أداء الصلوات المفروضة ؟ أم أن العبادات كلها مقرونة ببعضها البعض ؟

فأجابه العالم المشار إليه قائلاً :

الذي يؤديه الإنسان ويفعله يأخذ ثوابه - والذي لا يفعله ينال عليه عقابه - وعندما يُدْعىٰ هذا المتهاون في الصلاة للعودة فإننا ندعوه إلىٰ شيء واحد - ويظل الذي يفعله من الطاعة شدة للدين أيضاً ؟! .

ونحن نقول لهذا العالم يغفر ا لنا ولك أنك كذبت وافتريت علىٰ ا ورسوله وأضللت كثير من أمة محمد وهم كانوا أمانة في عنقك - أضْلَلتهم بمثل هذه الفتوىٰ الباطلة التي لم تُراعي فيها مقدار الضرر الذي يمكن أن ينتج عنها بتهوينك أمر الصلاة عليهم والتأثير علىٰ معتقداتهم في دين ا بغير ما أنزل ا ، وبما جاء في سنة نبيه صلىٰ ا عليه وسلم إذا قرأها ملايين المسلمين وعملوا بها.

وسبحان ا ونعوذ به من سيئات أعمالنا ومن شرور أنفسنا ومن أخطائنا وزلاّتنا في دين ا وفي سنة نبيه صلىٰ ا عليه وسلم الذي أرسله هادياً للناس من بعد الضلال والكفر .. وقد جاء التشريع بَيناً للناس في الكتاب الذي قال تعالىٰ فيه : { وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ - بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَينَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلا الظَّالِمُونَ } العنكبوت : ٤٨ - ٤٩ .. وأما للسنة فقد قال صلىٰ ا عليه وسلم : (تركت فيكم ما إن تمسكتم به لم تضلوا - كتاب ا) .

وقال صلىٰ ا عليه وسلم في حجة الوداع : (ما تركتكم إلا علىٰ المحجة البيضاء ليلها كنهارها - لا يزيغ عنها إلا هالك) .

فكيف يغفر ا لنا ولك تشجع أفراد الأمة (أمة محمد صلىٰ ا عليه وسلم) العامة منهم وتقول لهم ما معناه (لا بأس عليكم إذا لم تصلوا الفرائض فكل أعمالكم الأخرىٰ في الخير من غير الصلاة مقبولة عند ا ومأجورين عليها وستنقذكم من النار - فلا تخافوا ولا تحزنوا علىٰ ترك الصلاة ؟ لا حول ولا قوة إلا با العلي العظيم - وإنا وإنا إليه راجعون - وا إنها لمصيبة عظيمة وفتنة فاقت كل الفتن - أن يفتي أحد علماء المسلمين المرموقين وينصح الأمة بترك الصلاة.

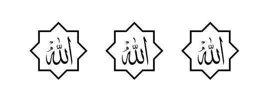
أي نعم .. صدق مولانا العظيم في عدله يوم القيامة بأن من يعمل مثقال ذرة خيراً يره - ولكنه الخير الذي يتقبله ا .. وا تعالىٰ لا يتقبل الأعمال الصالحة إلا من المتقين - فهل هناك تَقِيٌّ يترك الصلاة عمداً ؟ .. ثم يقال له سوف تثاب بعد ذلك علىٰ ما تُقَدِمهُ من أعمال الخير.. وهي كما عَلمَنَا رسولنا

الحبيب صلىٰ ا عليه وسلم : أن أي أعمال خير يُقدمُها تارك الصلاة عمداً تُرَدُّ عليه ويُضْرَبُ بها وجهه .. لأن الصلاة كما أسلفنا عمود الدين ولا يستقيم الدين إلا بها - والتارك لها عمداً أو ناكراً لها كافر خارج من ملة الإسلام بإجماع علماء المسلمين - والكافر لا يُقْبَلُ مُنه صياماً ولا زكاةً ولا صدقةً ولا حجاً ولا غير ذلك لعموم قوله تعالىٰ : { قُلْ أَنفِقُوا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً لن يُتَقبلَ مِنكُمْ إِنكُمْ كُنتُمْ قَوْماً فَاسِقِينَ - وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنهمْ نَفَقَاتهمْ إِلا أَنهمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ وَلا يَأْتُونَ الصلاةَ إِلا وَهُمْ كُسَالىٰ وَلا يُنفِقُونَ إِلا وَهُمْ كَارِهُونَ } التوبة : ٥٣ - ٥٤ .. فإذا كان هذا حكم ا تعالىٰ فيمن هم كانوا يأتون الصلاة وهم كُسالىٰ فاعتبرهم ا تعالىٰ أنهم كفروا با وبرسوله - فكيف يغفر ا لنا ولك بتارك الصلاة تركاً عمداً مطلقاً ومعترفاً بذلك كما جاء في سؤال المستفتي ؟

وكيف عن حديث الرسول صلىٰ ا عليه وسلم الذي أسلفنا في أول هذه الرسالة والذي يقول فيه : (أول ما يُحَاسَبُ به العبد يوم القيامة الصلاة فإن صَلُحَتْ صَلُحَ له سائر عمله ، وإن فسدت فسد سائر عمله) وأيضاً قوله صلى ا عليه وسلم : (الصلوات الخمس والجمعة إلىٰ الجمعة ورمضان إلىٰ رمضان مُكَفِرَاتٌ لِمَا بينهم ما اجْتُنِبَتْ الكبائر) .. فاشترط النبي صلىٰ ا عليه وسلم أن من صام رمضان إلىٰ رمضان التالي مُكَفِرَاتٌ لِما بينهما من الذنوب إذا اجتنب الكبائر .. فأي كبيرة هي أعظم من ترك الصلاة التي تؤدي والعياذ با بتاركها إلىٰ الكفر والخروج من الملة ؟.. هذا وقد أسلفنا في مُقَدِمة هذه الرسالة أحاديث الرسول صلىٰ ا عليه وسلم المُحذرة تاركي الصلاة والتي قال فيها : (العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر) .. وأيضاً : (إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة) .

أقول قولي هذا محتسباً عند ا تعالىٰ - فإن أصبت فبتوفيق من ا -
وإن أخطأت فمن نفسي عسىٰ ا أن يغفر لي ونعوذ با من شرور أنفسنا ومن
سيئات أعمالنا - ونستغفر ربنا ونتوب إليه إنه هو الغفور الرحيم .

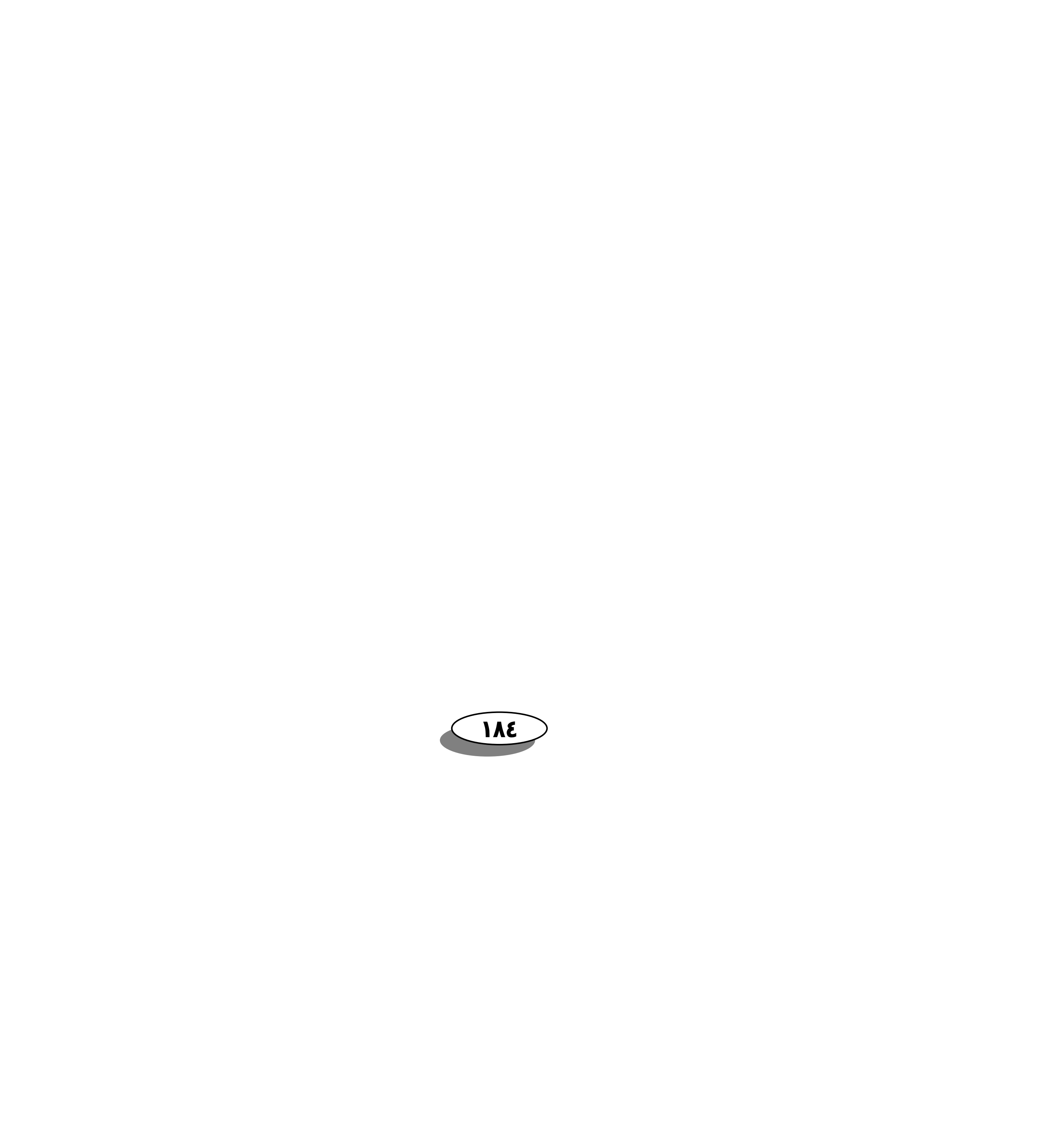
والحمد رب العالمين ونصلي ونسلم علىٰ الهادي محمد الذي بعثه ا
بالهدىٰ ودين الحق من عنده وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

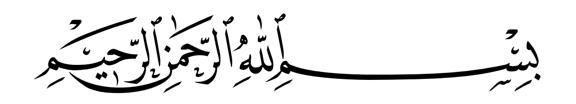






إذا أحب ا قوماً ابتلاهم





الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير الورى محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

(إذا أحب الله قوماً ابتلاهم)

الحمد الذي أرسل لنا خير أنبيائه ورسله وأنزل معه الكتاب هدىٰ للناس وبينات من الهدىٰ والفرقان - والشكر الذي جعلنا من أمته صلىٰ ا عليه وسلم - خير أُمةٍ أُخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهىٰ عن المنكر وتؤمن با - الحمد ملئ السمٰوات - وملئ الأرض - وملئ ما بينهما - وملئ ما شاء ربنا من شيء بعد - الحمد حتىٰ يرضىٰ - والشكر له إذا رَضِيَ - ونشهد ألا إلهٰ إلا ا وحده لا شريك له - شهادةً نرجوا بها النجاة يوم القيامة ، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتىٰ ا بقلب سليم .. ونصلي ونسلم علىٰ خير الورىٰ الحبيب محمد وعلىٰ آلهٰ الطاهرين وصحابته الغُرّ الميامين - والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين آمين . وبعد ..

الحمد الذي افتكرنا برحمته وجعلنا من المُبتلين - إنها نعمة لا يعلم قَدْرَهَا ولا يستشعر لذتها إلا الذين آمنوا وكانوا يتقون - فيا اخوتي في ا اتقوا ربكم وكونوا مع الصابرين .. إنما يُوّفىٰ الصابرون أجرهم بغير حساب.

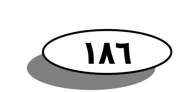
قيل لسعد بن أبي وقاص رضي ا عنه : إنك مستجاب الدعوة وتدعو للناس - فلو دعوت لنفسكِ لِيَرُد ا عليك بصرُك .. فقال : (قضاءُ ا عندي أحسن من بصري - فالرضا ودرجته أعلىٰ من درجة الصبر) .. وقلّما يبلغها إلا من أتاه ا إيماناً كاملاً وصبراً عظيماً .

وكان سعداً قد سأل الرسول صلىٰ ا عليه وسلم : أي الناس أشد بلاءً.. فقال: " الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل - فيُبْتَلىٰ الرجل علىٰ حسب دينه - فإن كان رقيق الدين اِبتُلِيَ علىٰ حسب ذاك - وإن كان صلب الدين ابتُلِيَ علىٰ حسب ذاك

- فما تزال البلايا بالرجل حتىٰ يمشي علىٰ الأرض وما عليه خطيئة " .

فيا بشرىٰ المُبتلون في هذه الدنيا - وكان الرسول صلىٰ ا عليه وسلم يُحدثُ أصحابه كثيراً عن أجر المبتلين وفضلهم عند ا .. ويقول لهم : إذا أحب ا قوماً ابتلاهم - فلما توفاه ا صلىٰ ا عليه وسلم كان أصحابه رضوان ا عليهم من بعده كانوا يستبشرون بوقوع البلاء عليهم - وكان الواحد منهم إذا قدّر ا عليه وحال عليه الحول (أي مرت عليه السنة) ولم يصيبه ا بشيء من البلاء - فلم يَلِم به مرض - أو لم يُمنىٰ بخسارة في تجارته - أو يَتْلفُ له مال -أو يموت له ولد - كان الواحد منهم يبيت ليلته قلقا وجلاً .. إذ كيف يمر عليه الحول وهو في خير حال .. يخشون أن يكون المولىٰ عز وجل قد تركهم ولا يُحبهم بعد أن أكد لهم صاحبهم صلىٰ ا عليه وسلم أنه إذا أحب ا قوماً ابتلاهم ولذا كانوا يستبشرون ويفرحون بوقوع البلاء عليهم.

فأين نحن من أولئك المهتدون ؟ .. الواحد منا إذا ابتلاه ا فَأمسّهُ بِضُر - جزع وفزع واكتئب وساءت حالته النفسية وقام يشكو ويشتكي - ويضع الملامة علىٰ من ظلموه - ونسي أن أي شيء يصيبه إنما هو مُقَدرٌ عليه من قبل مولده - وأن أي شيء يحصل له إنما كان بأمر ا تعالىٰ مهما تعددت أو تنوعت الأسباب - وأيضاً نسي قول المولىٰ عز وجل في كتابه الكريم { مَا أَصَابَ مِن مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنفُسِكُمْ إِلا فِي كِتَابٍ مِن قَبْلِ أَن نَبْرَأَهَا إِن ذَلِكَ عَلَىٰ اللهِ يَسِيرٌ - لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ} الحديد : ٢٢ .. ذلك لأن ا تعالىٰ جلّت قُدْرَته كتب في اللوح المحفوظ مقادير كل شيء إلىٰ قيام الساعة من قبل أن يخلق السمٰوات والأرض بخمسين ألف سنة - فإن ا تعالىٰ لما خلق القلم قال له أكتب - قال رب وماذا أكتب ؟ .. قال : اكتب ما هو كائن - فكتب بعلم ا وبإذنه ما هو كائن إلىٰ يوم القيامة - فما كُتِبَ علىٰ الإنسان منا لم يكن لِيُخْطِئَهُ - وما لم يُكْتَبْ عليه لم يكن لِيُصيبه - جفت الأقلام وطويت الصحف .



إخواني وأحبائي في ا ..

إن أحدنا لتأخذ المصيبة بتلابيبه - وقد يبلغ به الابتلاء من الضيق والشدة والحرج غايته حتىٰ يظن المرء منا أنه قد أشرف علىٰ الهلاك - ورأىٰ دمار حياته أمام عينيه واقع لا محالة ثم فجأة يأتيه الفرج من قريب .. تعالوا معي نتمعن فيما يقوله المولىٰ عز وجل عندما يصل العبد المؤمن إلىٰ هذه الحالة .. يقول جل وعلا : { إِنَّ رَحْمَةَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ } الأعراف : ٥٦ .. فننظر ونتبصر إلىٰ هذا المعنىٰ الجميل اللطيف من الرحمن بلمساته الحانية { إِنَّ رَحْمَةَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ } .. يد ا الرحيمة الحانية تجدها دائمة قريبة جداً من العبد المحسن الصابر الراضي بقضاء ا وقدره عليه .. فمهما حصل عليه وعندما تشتد عليه الأزمة ، وتُغْلَقُ من دونه كل الأبواب يجد ساعتها رحمة ا قريبة منه تُسعفه وتُنجده وتُنجيه من المهالك ومن المصائب أو كما قال الشاعر ..

ولرُب نازلة يضيق بها الفتـــىٰ ذرعاًوعند ا منها المخـــرج

ضاقت فلما استحكمت حلقاتهـــا فُرجت وكنت أظنها لا تُفـــرج

وقال المولىٰ عز وجل : { وَمَن يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَه} التغابن: ١١ .. إذاً فشرط القدرة علىٰ تحمل المصائب والصبر عليها هو الإيمان با تعالىٰ والتسليم له والتوكل عليه والإيمان باليوم الآخر وبالقدر خيره وشره - فإذا أصيب العبد منا بالمصيبة وهو مؤمن با متوكل عليه لا يُشرك به شيئاً هدىٰ ا قلبه - وشرح له صدره - وَهَونَ عليه تَلقي المصيبة فصبر عليها وأحتسبها عند ا لِمَا يرجوه من ثوابها - حتىٰ إذا بعثه ا يوم القيامة وهو أشد ما يكون حاجةً إلىٰ الحسنات لِيُثْقِلَ بها ميزانه - وجد أمامه أجر مصيبته التي صبر عليها في الدنيا مُدْخراً له عند ا أضعافاً مضاعفة الشيء الكثير الزائد زيادة بغير حساب مصداق قوله تعالىٰ : { إِنَمَا يُوَفَىٰ الصابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ } الزمر : ١٠ .

وهكذا نستعرض صوراً من أنواع الابتلاءات وأسباب ابتلاء ا تعالىٰ لبعض من عباده بها - منها أنه إذا أحب ا عبداً من عباده - وهو تعالىٰ يعلم أن

هذا العبد قد اكتسب في الدنيا ذنوباً كثيرة قد تزيد من سيئاته على حسناته يوم القيامة - ولا يحب الله أن يأتيه عبده ذاك الذي يحبه يأتيه بذنوبه وليس عنده من الحسنات التي تطفوا في الميزان على سيئاته - أي أن الله تعالى يحب أن يقابل عبده ذاك وليس عليه أي ذنب يحاسبه عليه - فيبتليه الله بالمصائب في الدنيا لأن أجر الصبر عليها كثير جداً وأضعافاً مضاعفة عن باقي العبادات - فتكون حسناته كثيرة تكفي وتزيد لتطهره من كافة ذنوبه - ومصداقاً لقوله صلى الله عليه وسلم : (ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده حتى يلقى الله تعالى وما عليه خطيئة) .

ومن صور وأسباب الابتلاءات قوله صلى الله عليه وسلم : (إن الرجل ليكون له عند الله المنزلة فما يبلغها بعمل - فما يزال الله يبتليه بما يكره حتى يُبلغُه إياها) .. وشرح هذا الحديث هو عن نوع آخر من المبتلين - لم يبتليهم الله لكثرة ذنوبهم في الدنيا كما هو في النوع السابق شرحه - بل هنا يُحب الله عبداً من عباده المؤمنين لسبب يعلمه الله فيه وقد كتب الله له أن تكون منزلته في الجنة كذا وكذا وفي درجة من الدرجات العُلى من الجنة - ولكن الأعمال الصالحة التي يقوم بها ذلك العبد المؤمن منذ بلوغه وحتى وفاته هي في علم الله تعالى المُسَّبَقْ لن تُبْلغهُ تلك الدرجة العليا من الجنات - ويعلم الله تعالى أن الحسنات الكثيرة التي يبلغ بها ذلك العبد المؤمن درجته ومنزلته التي أرادها له من الجنة لا تتحقق إلا في ابتلائه بما يكره من شتى أنواع المصائب - فيصبر عليها بطبعه وإيمانه فينال بذلك أجر الصابرين ويبلغ بذلك الأجر منزلته من الجنة التي أعدها الله له .

وصورة أخرى من صور ابتلاء الله تعالى لعباده أوردها لنا ربنا جل وعلا في كتابه الكريم في بداية سورة العنكبوت - قال تعالى : { أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ - وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ } العنكبوت: ٢ .. وهؤلاء فئة أخرى من العباد يبتليهم الله ويفتنهم ليعلم صِدْقَ إيمانهم من كذبه - وسوف نضع أو نسوق تصوراً لما تعنيه هذه الآية المباركة : فإذا ادعى رجل من المسلمين أنه مؤمن بالله .. قيل له : ذلك لا يكفي أن تقول إني مؤمن بالقول فقط .. فإذا كنت

مصراً علىٰ قولك فهناك اختبار لابد أن تجتازه ليتم التأكد من إيمانك - والتأكد إن كنت صادقاً في قولك أم كنت من الكاذبين .. قال يا رب .. وما هو الاختبار ؟ .. قيل له : الفتنة والابتلاء .. فإذا صبرت عليها وشكرت الله - نجحت ودخلت في زمرة المؤمنين الصادقين - وإذا قنطت وتسخّطت فإنك مُدعٍ بالإيمان وكنت من زمرة الكاذبين .

والابتلاء بالمصائب يحصل لكل واحد منا علىٰ حسب درجة إيمانه وقوة احتماله - وفي ذلك يقول صلىٰ الله عليه وسلم: (إن عِظَمْ الجزاء من عِظَمْ البلاء) فإذا كان البلاء شديداً كان الأجر والثواب عظيما - وشرط كل ذلك الصبر - وكما قال المولىٰ عز وجل في كتابه الكريم: { وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِنَ الخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثمَرَاتِ } البقرة : ١٥٥ .. ثم قال سبحانه لسيدنا محمد صلىٰ الله عليه وسلم بعد أن عدد شتىٰ أنواع الإبتلاءات قال له : وبشر .. بشر مَنْ يا محمد ؟ .. قال سبحانه .. وبشر الصابرين - الصابرين فقط - أما الذين إذا أصابهم الله بالابتلاء غضبوا وتسخطوا .. فكما قال صلىٰ الله عليه وسلم : (فمن رضىٰ فله الرضىٰ ومن سخط فعليه السخط) .. فإذا صَبر العبد نفسه عن التسخط عند وقوع البلاء - وبعد وقوع البلاء - وصار راضياً مطمئناً بما قدَرَهُ الله عليه إن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له - وإن أصابته سراء شكر فكان خيراً له..وقد يُصاب الواحد منا بالمصيبة في نفسه أو في ماله، أو في أهله ، أو في ولده ، أو في غير ذلك - فإذا قابلنا هذه المصائب بالصبر والصلاة وانتظار الفرج من الله - فرّج عنا رب العالمين برحمته التي وسعت كل شيء - وصارت مصائبنا تكفيراً لسيئاتنا- وَأَينا يخلو من الذنوب والسيئات عسىٰ الله أن يغفر لنا ويرحمنا - وفي هذه يقول المولىٰ عز وجل {يَا أَيهَا الذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصبْرِ وَالصلاةِ إِن اللهَ مَعَ الصابِرِينَ } البقرة : ٤٥ .

إذاً ليس الأمر هو مواجهة المصائب بالصبر فقط كما ظننا - لا بل هناك شرط آخر أهم في جوهره من الصبر - ولا يصح الصبر إلا به - ألا وهو الصلاة مع الصبر - لأنه صبر بدون صلاة فهو صبر بدون أجر .

وللابتلاء شدة وخفة - وا تعالىٰ يبتلي كل واحد منا حسبما أسلفنا علىٰ قدر قوة إيمانه وتحمله - وفي ذلك يقول المولىٰ عز وجل يصف شدة الابتلاء للمؤمنين - ويؤكد أن الابتلاء الصحيح الحقيقي لامتحان إيمان من يقول آمنت با ليس بالأمر السهل - ولا هي بالمحنة العابرة التي تنتهي في زمن قصير - يقـول جـل وعـلا: { هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً } الأحزاب: ١١ .. فلننظر إلىٰ هذا التعبير العميق والقوي { وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً } .. يعني هُزتْ ورُجّتْ أنفسهم وأرواحهم وأجسادهم ومعنوياتهم هزاً شديداً أورجاً عنيفاً - وهنا يظهر الثبات علىٰ الإيمان من عدمه - فإذا كان الإيمان مكذوباً أو ضعيفاً فإنه أثناء الهز العنيف يسقط منه وينفضح كما تسقط الأوراق الذابلة من الشجرة التي عصفت بها الريح فتركتها جِزْعَاً عارياً بلا ورق أخضر يغطيها - أما إذا كان هناك صلابة في الدين وقوة في الإيمان - صمد ورسخ وثبت مهما اشتدت عليه الزلزلة أو طال أَمَدُها - وقضية الزلزلة في الابتلاء والفتنة لم تكن سهلة علىٰ مسلمي هذا الزمان وحسب .. بل إنها كانت أشد عنفاً علىٰ سيد بني آدم سيدنا محمد صلىٰ ا عليه وسلم وعلىٰ صحابته رضوان ا عليهم جميعاً .. وأيضاً إخوانه من الرسل من قبله كان الواحد منهم من شدة وعنف الزلزلة والاهتزاز للنفوس المؤمنة الصادقة الصافية الإيمان - أن يصل به الحال إلىٰ أن يتساءل بخوف ووجل ورهبة وينادي من عميق قلبه { متىٰ نصر ا } فيجيبه رب العالمين { ألا إن نصر ا قريب } .

ونقرأ تفصيل ذلك الموقف العصيب علىٰ الرسل والأنبياء في قوله تعالـىٰ : { أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ } البقرة : ٢١٤ .

ولا نستطيع أن نقول : يا ربنا لو أنك كنت عنا ترضىٰ لَعَجَّلْتَ لنا بالفرج والنصر ونحن نصبر ونصلي وندعوك كل يوم صباح مساء .. لأنه إذا كانت المعادلة بيننا وبين ربنا ستقوم هكذا علىٰ هذا المبدأ وعلىٰ هذا المقياس - أي إذا كان

الرب راضٍ عن العبد المؤمن فإنه لا يبتليه ولا يفتنه وإذا ابتلاه فإنه لابد أن يُعَجِلَ له بالفرج منذ أول مرة يرفع فيها ذلك العبد يداه بالدعاء!.. إذاً فأين الاختبار وما جدواه ، وأين الامتحان ونتائجه ؟

ألم يكن الله تعالىٰ راضٍ كل الرضا عن حبيبه وصفوة خلقه سيدنا محمد صلىٰ الله عليه وسلم وأيضاً راضٍ عن أصحابه رضوان الله عليهم جميعاً ؟ - بلىٰ سبحانه كان راضٍ عنهم ، وفي قدرته سبحانه وتعالىٰ أن ينصر محمداً وأصحابه في غمضة عين دونما أن يصاب أحدٌ منهم بشوكة في المعركة مع الكفار أو أن يُقْتَل أحد منهم - ولكنه سبحانه صدق وعده حيث يقول تعالىٰ : { وَلِيَعْلَمَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ} آل عمران: ١٤٠.. وليختبر قوة وصدق إيمانهم وليعلم الذين صدقوا وليعلم الكاذبين .

إخواني وأحبائي في الله - كلٌ منا مُعَرضٌ للابتلاء - فكيف نُحَولُ هذا الابتلاء وأثناء معايشتنا المصيبة التي تصيبنا إلىٰ طاعة الله رب العالمين - والطاعة تأتي بالتقوىٰ - وقد وعدنا الله في كتابه الكريم بأن من يتقي الله يجعل له مخرجا - وأيضاً يرزقه من حيث لا يحتسب - والله سبحانه وتعالىٰ ما قصد في هذه الآية { وَمَن يَتقِ اللهَ يَجْعَل لهُ مَخْرَجاً - وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ } الطلاق: ٢ - ٣ .. وربط سبحانه بين التقوىٰ والمخرج والرزق - إلا لأن المخرج دائماً يكون مرتبطاً بالمصيبة التي نقع فيها ونبحث لها عن مخرج ، فوعدنا الله تعالىٰ بأننا إذا زدنا من درجة التقوىٰ أثناء المحنة والفتنة والابتلاء فأنه تعالىٰ يتعهد لنا بل ويعدنا ليس بالمخرج منها فحسب! .. بل وَيُتْبِعُها بالرزق الوفير من حيث لا نحتسب - هذا وعد .. وهذا عهد لنا من الله تعالىٰ - ومن أوفىٰ بعهده من الله ؟ .. وهذا وعد الله لنا ولا يخاف الله وعده - فنصبر لأن وعد الله حق والله لا يخاف الميعاد .. وفي توضيح أكثر دقة وتفصيلا لهذه الآية نقول : أننا لا نخلو من الذنوب وممارسة بعض المعاصي التي قد نراها صغيرة قبل أن تحل بنا المصيبة في حياتنا فنقول نؤمن بالله ونتقيه لكي يحفظنا الله ويفتح لنا أبواب الرزق وتحل علينا بركات السماء - وربنا العظيم يقول في كتابه الكريم { وَلَوْ أَن أَهْلَ

الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السمَاءِ وَالأَرْضِ} الأعراف:٩٦ .. إذاً وطالما وعدنا المولىٰ عز وجل بالمخرج من المصائب بالتقوىٰ - فالمطلوب منا أثناء معايشتنا لزمن المحنة ووقوع المصيبة أن نرفع ونزيد من درجة التقوىٰ تعالىٰ لكي نفوز بوعد ا للمتقين - والتقوىٰ هاهنا تتمثل كما أسلفنا: أولاً بالصبر ، وثانياً بالمحافظة علىٰ صلوات الفرائض جماعة في أوقاتها ، وثالثاً بزيادة أعمال الطاعات تعالىٰ وتجنب المعاصي - فيتحقق لنا وعد ا وليس أصدق من ا قيلا .

ثم نتساءل فيما بيننا ، ولكي نطبق شروط هذه التقوىٰ كاملة أثناء معايشتنا للمصيبة نتساءل : هل تدخين السجائر من الطاعات ؟ .. وقد حَرمهُ ا لأنه من الخبائث، وقد أحل لنا الطيبات وحرّم علينا الخبائث بنص القرآن الكريم .. : هل لعب الورق (الكوتشينـة) من الطاعات ؟ .. وهي تشغل المرء عن الانتباه إلىٰ حضور أوقات الصلاة - وإلىٰ السهر الطويل وفوات وقت صلاة الفجر - ومن ثم تقوده بالتدريج إلىٰ استحسان لعب الميسر : هل مشاهدة النساء الكاسيات العاريات علىٰ شاشة (التلفزيون) وسماع الأغاني الفاسقة من الطاعات ؟ .. وا تعالىٰ أمرنا من أن نغض من أبصارنا .. وقال تعالىٰ : {إِن السمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُل أُوْلئِكَ كَانَ عَنه مَسْؤُولاً } الإسراء: ٣٦ : هل التلفظ بالسباب الفاحشة والكلمات القبيحة حتىٰ أثناء المزاح من الطاعات ؟ .. والرسول محمد صلىٰ ا عليه وسلم يقول فيما معناه : (إن أحدكم لينطق بالكلمة لا يُلقِي لها بالاً وهي تهوي به سبعين خريفاً في نار جهنم) .. : هل اغتياب بعضنا البعض ونتجسس علىٰ بعضنا البعض من الطاعات ؟ ..

فلنكن صادقين مع ا ثم مع أنفسنا ولا نُغالط أنفسنا ونجيب فنقول بكل صراحة أن كل ذلك مما أسلفنا هو ليس من الطاعات بل هو من المعاصي - إذاً فكيف نمارسها ثم نريد أن نكون من المتقين أثناء المصيبة ونتطلع إلىٰ أن نفوز بوعد ا لنا بالمخرج وبالرزق الوفير .

وا سبحانه وتعالىٰ لا يَخفىٰ عليه شيء في الأرض ولا في السماء ولا يخدعه مخلوق خلقه وهو أعلم بنا إذ أنشأنا من الأرض وإذ نحن أجنة في بطون

أمهاتنا - وفي ذلك يقول المولىٰ عز وجل : { يُخَادِعُونَ اللهَ وَالذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ } البقرة: ٩.. ويقول سبحانه أيضاً { إِن المُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ } النساء : ١٤٢ .

وقد يقول بعضنا : كيف نرىٰ أحدنا لا يُصلي ولا يتق ا وربما يرتكب المعاصي حتىٰ أثناء وجوده ومعايشته للابتلاء - فيجعل ا له مخرجاً قريباً عاجلا - فلا نغتر بهؤلاء ولا نتخذهم أسوة وعبرة وإنما مثل هؤلاء فا يُملي لهم ويُمهلهم حتىٰ إذا لم يتوبوا من قريب وأخذهم ا - أخذهم أخذ عزيز مقتدر - وقد قال ا تعالىٰ فيهم { فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ إِنمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُعَذبهم بها فِي الحَيَاةِ الدنيا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ } التوبة : ٥٥ وقوله تعالىٰ : { وَلاَ يَحْسَبَن الذِينَ كَفَرُوا أَنمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأَنفُسِهِمْ إِنمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْماً وَلَهُمْ عَذَابٌ مهينٌ } آل عمران : ١٧٨ .

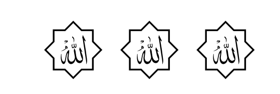
وقال صلىٰ ا عليه وسلم : (إذا رأيت ا عز وجل يُعطي العبد من الدنيا علىٰ معاصيه ما يحب - فإنما هو استدراج - ثم تلا قوله تعالىٰ : { فَلَما نَسُوا مَا ذُكرُوا به فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُل شَيْءٍ حَتىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مبْلِسُونَ } الأنعام : ٤٤.. أخرجه أحمد والطبراني وابن أبي الدنيا ، وقال الألباني في المشكاة (إسناده جيد) .. فليست كثرة المال دليلاً علىٰ بركته .. بل قد يكون شقاءً علىٰ صاحبه ، وكم سمعنا عَمنْ مَلَكَ المال والقصور ولكنه يعيش في تعاسة وكآبة وأمراض وهموم .

غاية القول إخواني وأحبائي في ا أن ما يصيبنا به ا من ابتلاء ليس كله دليل غضب علينا من رب العالمين بل هو خير لنا إذا صبرنا واتقينا ، إنما هي الزلزلة والتمحيص والتطهير .

فيجب علينا أن تطمئن به قلوبنا عندما يبتلينا ربنا برحمته ومحبته لنا - فلا نجزع ولا نفزع ولا تضطرب أنفسنا هلعاً ونكتئب - فإن ما يصيبنا به ا من شتىٰ أنواع الإبتلاءات - وما نلقاه من عناء فيها فنصبر عليها - إنما هو خير لنا

عند ربنا يزيد به من حسناتنا في الآخرة - وتزداد أرصدتنا عنده - أرصدة الخير عند من هو بيده خزائن الخير في السمٰوات والأرض - وهي أهم ثروة يجب أن نحرص علىٰ زيادتها وتمتلئ بها خزائننا وتفيض في الآخرة بالصبر والحمد والشكر والاحتساب عند رب كريم .

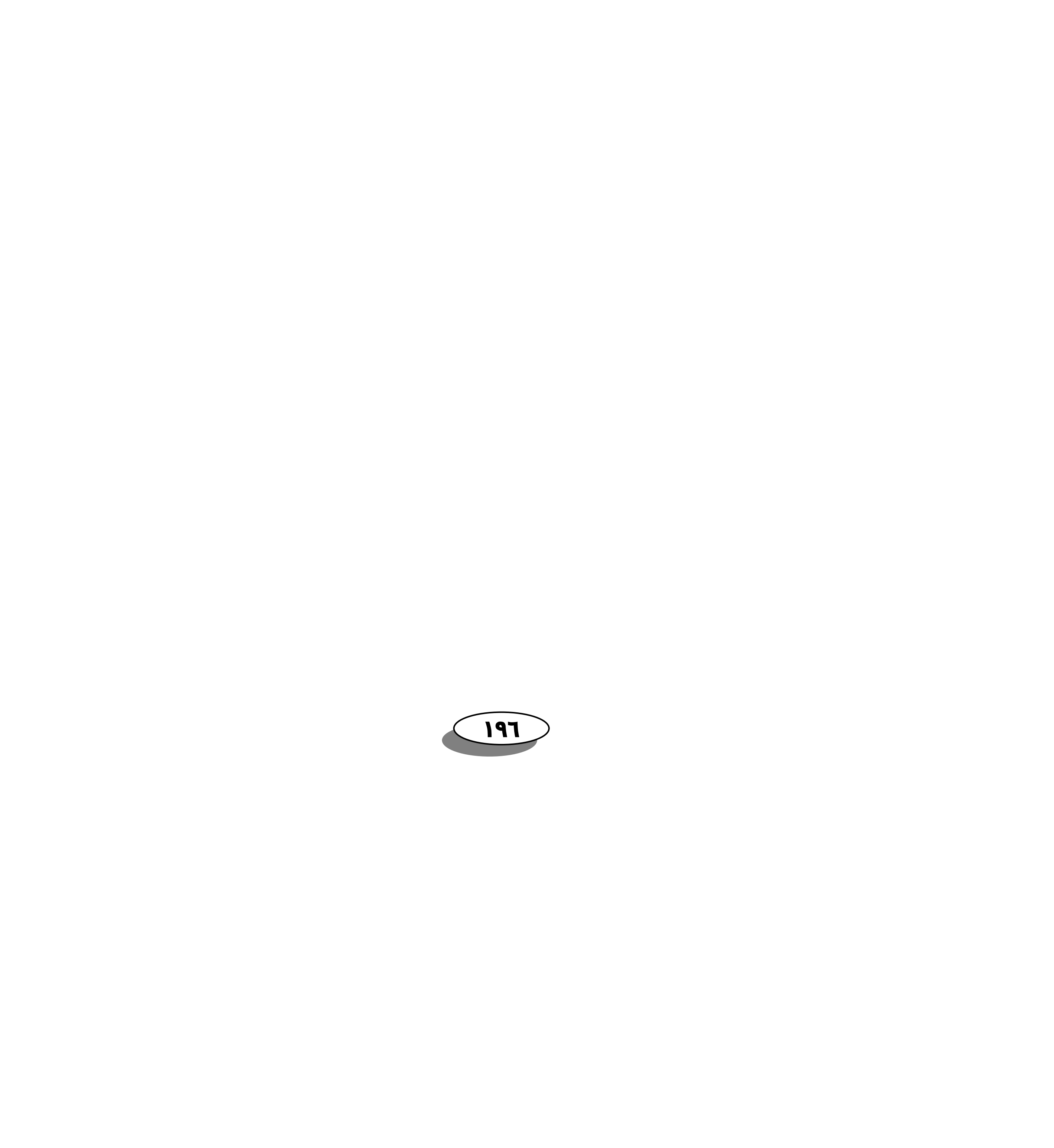
ونحن يا ربنا بعون منك في ثبات - وبقوة منك في صبر بفضلك العظيم علينا فطهرنا بها تطهيراً - واغسلنا بها ونقنا من ذنوبنا كما يُنَقَىٰ الثوب الأبيض من الدنس - واللهم اجعلنا ممن إذا إبْتُلِيَ صبر - وإذا أنعمت عليه شكر - وإذا أذنبنا استغفرنا فغفرت لنا وعفوت عنا برحمتك يا أرحم الراحمين .

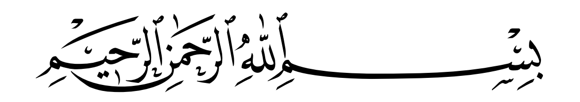


الزهـد

وكيف كانت الدنيا في نفس محمد صلىٰ ا عليه وسلم







الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير الورى محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

(الزهد) .. وكيف كانت الدنيا في نفس محمد صلى الله عليه وسلم

الحمد الذي هدانا - وما كنا لنهتديَ لولا أن هدانا ا - ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا - وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب - ونشهد أن لا إلهٰ إلا ا وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله البشير النذير - والسراج المنير - وإمام المتقين الذي جاء بالهدىٰ ودين الحق من عند ربنا - صلىٰ ا عليه وعلىٰ آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد: نبدأ بهذه القصة المُعَبرة تعبيراً دقيقاً عن موضوع رسالتنا اليوم:

قال هارون الرشيد لابن السماك : عظني .. وكان في يد الرشيد شربة من ماء .. فقال ابن السماك : يا أمير المؤمنين : أرأيت لو حُبِسَتْ عنك هذه الشربة وأنت ظمآن تكاد تموت من العطش .. أكنت تفديها بملكك ؟ .. قال الرشيد : نعم ! قال : فلو حبس عنك خروجها وكدت تموت من الحصرة .. أكنت تفديها بملكك ؟ .. قال الرشيد : نعم !.. قال ابن السماك : إذاً لا خير في مُلْكٍ لا يساوي شربة ماء ولا حصرة ماء .. فبكىٰ الرشيد بكاءً شديداً .

وهكذا نبدأ رسالتنا اليوم بهذا السؤال : كيف كانت الدنيا في نفس الحبيب محمد صلىٰ ا عليه وسلم ؟ .. محمد الذي قال : (إن ربي عرض عليّ أن يَجعل لي بطحاء مكة ذهباً - فقلت : لا يارب - ولكن أجوع يوما وأشبع يوما - فأما اليوم الذي أجوع فيه فأتضرع إليك وأدعوك - وأما اليوم الذي أشبع فيه فأحمدك وأثني عليك) .

وقد عرض عليه ربه أن يُصيّر له جبال تهامة زمرداً وياقوتاً وذهباً وفضة

وأن يكون مَلِكاً نبياً - فاختار أن يكون عبداً رسولا .. هذا هو محمد رسول ا خير الأنام وسيد بني آدم أجمعين الذي كان لو طلب من ربه أن يجعل له مُلك الدنيا كلها من شرقها إلىٰ غربها وأن يُحولَ له جبال الأرض ذهباً والأنهار تجري من تحته لأعطاه رب العالمين وهو صفوة خلقه أجمعين .. محمد هذا الذي زَهِدَ في كل ذلك المُلْكْ والسلطان كان في حياته يظل يلتوي من الجوع ما يجد مـن الدقـل ما يملأ به بطنه (والدقل هو التمر الرديء) .. محمد هذا الذي زَهِدَ في كل ذلك الملك والسلطان كان ينام علىٰ الحصير فيقوم وقد أثّر في جنبه .. وقالوا له صحابته رضوان ا عليهم: يا رسول ا .. لو اتخذنا لك وطاءً (أي الفراش اللين الوثير) .. فقال صلىٰ ا عليه وسلم : (مالي وللدنيا - ما أنا في هذه الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها).. وعن عروة عن عائشة أم المؤمنين رضي ا عنها أنها كانت تقول : وا يا ابن أختي إنّا كنا ننظر إلىٰ الهلال ثم الهلال - ثلاثة أهلة في شهرين وما أُوقِدَ في أبيات رسول ا صلىٰ ا عليه وسلم نار - قال قلت : يا خالة فما كان يعيشكم ؟ .. قالت : (الأسودان التمر والماء) .. وعن ابن عباس رضي ا عنهما قال : كان رسول ا صلىٰ ا عليه وسلم يبيت الليالي المتتابعة طاوياً وأهله لا يجدون عشاء .

وعن أبي هريرة رضي ا عنه قال : خرج رسول ا صلىٰ ا عليه وسلم ذات يوم أو ليلة فإذا هو بأبي بكر وعمر رضي ا عنهما فقال : (ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة ؟ .. قالا : الجوع يا رسول ا ! .. قال : والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما) .

وعن عائشة رضي ا عنها قالت : ما شَبِعَ آل محمد صلىٰ ا عليه وسلم من خبز وشعير يومين متتابعين حتىٰ قُبِضْ .

ومات محمداً صلىٰ ا عليه وسلم ولم يخلف لأهله ديناراً ولا درهماً ولا شاةً ولا بعيرا - وما خلف إلا سلاحه وبغلته ، ودرعه مرهونة عند يهودي بشعير

ابتاعه منه لإطعام أهله منه - وكان يرقع ثوبه ويخصف نعله بنفسه .

هذه هي مدرسة محمد صلىٰ ا عليه وسلم في معرفة قدر الدنيا وهوانها والزهد فيها والتي تربىٰ عليها أهله وأصحابه رضوان ا عليهم جميعاً - محمد صلىٰ ا عليه وسلم الذي قال: (لو كانت الدنيا تعدل عند ا جناح بعوضة ما سقىٰ كافراً منها شربة ماء) .

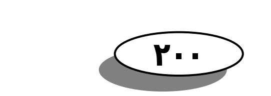
وعلم محمد صلىٰ ا عليه وسلم حجم المقارنة بين متاع الدنيا ونعيم الآخرة فقال : (ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم اصبعه في اليَمْ فلينظر بِمَ يرجع) . أي أن المتعة التي نحظاها في حياتنا الدنيا مهما عَظُمَتْ إذا قارّنا حجمها بالنسبة إلىٰ نعيم الآخرة فيكون مقدارها هو مقدار البلل الذي يُصيب إصبع الواحد منا إذا ما غمسه في ماء البحر المحيط بالكرة الأرضية ثم أخرجه منه .. هذه هي مدرسة محمد صلىٰ ا عليه وسلم في التبصر في قيمة الدنيا أدركها وتعلمها من مخاطبة ربه له في القرآن - وأنه إذا أراد سبحانه بعبده خيراً أقام في قلبه شاهداً من القرآن يُعاين به وهم الدنيا ويتيقن به حقيقة الآخرة ، ولو تبصر العاقل فيها أقل تَبصر لعرف قدرها وهوانها علىٰ النفس .. وفي ذلك يقول المولىٰ عز وجل في عدة مواضع من القرآن - أعوذ با من الشيطان الرجيم - بسم ا الرحمن الرحيم : { يَا أَيهَا الذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ اثاقَلْتُمْ إِلىٰ الأَرْض أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدنيا مِنَ الآخِرَةِ فَمـَا مَتَاعُ الحَيَاةِ الدنيَا فِي الآخِرَةِ إِلا قَلِيلٌ }التوبة : ٣٨.. وقولـه تعالـىٰ : { وَاضْرِبْ لَهُم مثَلَ الحَيَاةِ الدنيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السمَاءِ فَاخْتَلَطَ به نَبَاتُ الأَرْض فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الريَاحُ وَكَانَ اللهُ عَلَىٰ كُل شَيْءٍ مقْتَدِراً } الكهف : ٤٥ .. وقولـه تعالىٰ : { اعْلَمُوا أَنمَا الحَيَاةُ الدنيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَال وَالأَوْلادِ كَمَثَل غَيْثٍ أَعْجَبَ الكُفارَ نَبَاته ثُم يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُم يَكُونُ حُطَاماً وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ منَ اللهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الحَيَاةُ الدنيَا إِلا مَتَاعُ الغُرُور - سَابِقُوا إِلىٰ مَغْفِرَةٍ من ربكُمْ وَجَنةٍ عَرْضُهَا كَعَرْض السمَاءِ وَالأَرْض

أُعِدتْ لِلذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ } الحديد : ٢٠ - ٢١ .

هذه هي مدرسة محمد صلىٰ ا عليه وسلم وأصحابه في معرفة قدر الدنيا وهوانها وكيفية التعامل معها بالقدر الذي تستحقه .

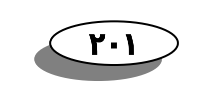
هذا أبو بكر الصديق رضي ا عنه وأرضاه نسوق هذه القصة التي تكشف لنا الزوايا المضيئة في زهده وتواضعه بعد أن تولىٰ الخلافة بعد وفاة الرسول صلىٰ ا عليه وسلم .. وتجده في النهار مشغولاً بأحوال المسلمين وبإعداد الجيوش لمحاربة الردة ومَانِعي الزكاة .. فيصل الخبر إلىٰ الفاروق عمر بن الخطاب رضي ا عنه وأرضاه بأن هذا الرجل (يعني الصديق رضي ا عنه) يخرج من داره كل ليلة ويذهب وحده إلىٰ ناحية فقيرة من نواحي المدينة ويغيب ساعة ثم يعود .. فأحب الفاروق أن يعلم أين يذهب وماذا يفعل أبا بكر في ذهابه كل ليلة من باب الاطمئنان عليه وسلامته وهو خليفة المسلمين .. فانتظره قرب داره ليلة .. فلما خرج أبا بكر كعادته تتبعه الفاروق وهو لا يشعر به ، فلما أمسىٰ الصدّيق في ناحية نائية من المدينة توجه صوب خَرِبَة قُرب حائط تسكنها امرأة عجوز طاعنة في السن وحيدة ليس لديها من يقوم علىٰ خدمتها أو نظافة مكان جلوسها ونومها .. فيقوم الصديق رضي ا عنه بكنس أرضية الخَرِبَة ويُصلح للعجوز فراشها ثم يُعد لها طعامها ويملأ إنائها بالماء ويقربه منها ثم يستأذن منها وَيُسَلم ويمضي عائداً .. وبعد ذهاب الصديق رضي ا عنه يتوجه الفاروق إلىٰ العجوز فيسألها : ما بال هذا الرجل الذي يقوم علىٰ خدمتك وهل تعرفينه ؟ . أجابت العجوز : وا يا ولدي ما عرفته من هو لأنه لم يفصح لي عن اسمه وإنما يأتي هكذا كما رأيت كل ليلة فيقوم بتنظيف المكان ويعد لي طعامي ويذهب دون أن أعرف من هو؟.. عندها خرج الفاروق من عند العجوز وقال : وا لقد أتعبت من سيأتي بعدك يا أبا بكر .

وهذا عمر بن الخطاب ثاني الخلفاء الراشدين رضي ا عنه وعنهم أجمعين... نريد أن نستعرض مشاهد من زهده وتواضعه وهوان الدنيا في نظره رغم أنه بلغ قبل موته رضي ا عنه بلغ أنه كان يحكم مشارق الأرض ومغاربها وكل ملوكها وأُمرائها كانوا يدينون له بالطاعة وهو الخليفة وأمير المؤمنين كان



يخرج بالليل يتفقد الرعية فيجد امرأة فقيرة في عشة لها بِحَرَةٍ من حَرات المدينة تُقَلِبُ الماء في قدر علىٰ النار لتوهم أطفالها الجوعىٰ بأن في القدر طعام ينضج لينامو - فيهرول هو وغلام له إلىٰ مخزن الدقيق في بيت مال المسلمين ويحمل فوق ظهره عِدْلٌ من الطحين وكبة من الشحم ويحاول غلامه أن يحمله عنه فيأبىٰ ويذهب إلىٰ المرأة وأطفالها ويفرغ الطحين والشحم في القدر وينفخ بنفسه في النار ويتعفر وجهه ولحيته بالخَبْثِ والدخان المتطاير من النار ويُقلِبُ في القدر حتىٰ ينضج الطعام فيغرف منه في صُحْفَةٍ لهم ويطعم الأطفال حتىٰ شبعوا .

واجتمع في عهده كبار الصحابة فقالوا : ما ترون يا معشر المهاجرين والأنصار إلىٰ زهد هذا الرجل وإلىٰ حِلْيَته ؟ .. لقد تقاصرت إلينا أنفسنا منذ فتح ا علىٰ يديه ديار كسرىٰ وقيصر وطرفي المشرق والمغرب .. ووفود العرب والعجم يأتونه فيرون عليه هذه الجُبة قد رقعها اثنتي عشرة رقعة ، فقرروا أن يُكلّموه في ذلك ولكنهم يخشون غضبته .. فعرضوا علىٰ عليّ بن أبي طالب رضي ا عنه فأبىٰ أن يُكلمهُ .. فعرضوا علىٰ عائشة وحفصة رضي ا عنهما - فدخلتا علىٰ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فقرّبهما وأدناهما .. فقالت عائشة : يا أمير المؤمنين أتأذن أكلمك ؟ قال : تكلمي يا أم المؤمنين - قالت : إن رسول ا صلىٰ ا عليه وسلم مضىٰ إلىٰ سبيله إلىٰ جنته ورضوانه لم يُرِدْ الدنيا ولا تُرِدْهُ ، وكذلك مضىٰ أبو بكر رضي ا عنه علىٰ إثره لم يرد الدنيا ولم ترده .. أمّا أنت وقد فتح ا علىٰ يديك كنوز كسرىٰ وقيصر وديارهما، وحُوِلَ إليك أموالهما ، ودانت لك أطراف المشرق والمغرب ، ونرجوا من ا المزيد ، وفي الإسلام التأييد ، ورسل العجم يأتونك ووفود العرب يَرِدُونَ عليك وعليك هذه الجبة قد رقعتها اثنتي عشرة رقعة .. فلو غيرّتها بثوب ليّن يُهاب فيه منظرك ، ويُغدىٰ عليك بجفنة من الطعام ، ويُرَاحُ عليك بجفنة تأكل أنت ومن حضرك من المهاجرين والأنصار.. فبكىٰ عمر عند ذلك بكاءً شديداً ثم قال : سألتك با يا أم المؤمنين هل تعلمين أن رسول ا صلىٰ ا عليه وآله وسلم قُربَ إليه طعام علىٰ مائدة في ارتفاع شبر من الأرض ؟ كان يأمر بالطعام فيوضع علىٰ الأرض ويأمر بالمائدة فتُرفع ؟ .. قالت : اللهم نعم .. قال لهما : أنتما زوجتا رسول ا صلىٰ ا عليه وآله وسلم وأمهات المؤمنين ، ولكما علىٰ المؤمنين حق ، وعلي خاصة ، ولكن أتيتما تُرَغِبّاني في الدنيا، وأني لأعلم أن



رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم لَبِسَ جُبةً من الصوف فربما حك جلده من خشونتها .. أتعلمان ذلك ؟ .. قالتا : اللهم نعم .. فقال : هل تعلمين أن رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم كان يرقد علىٰ عباءة علىٰ طاقة واحدة ، وكان مسحاً في بيتك يا عائشة تكون بالنهار بساطاً وبالليل فراشاً فندخل عليه فنرىٰ أثر الحصير علىٰ جنبه ؟ .. ثم قال: يا حفصة أما تعلمين أن رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم كان مغفوراً له ما تقدم له من ذنبه وما تأخر ؟ .. أمسىٰ جائعاً ورقد ساجداً .. ولم يزل راكعاً وساجداً وباكياً متضرعاً في أناء الليل والنهار إلىٰ أن قبضه الله برحمته ورضوانه ؟ لا أكل عُمَرَ طيباً - ولا لبس ليناً - فله أسوة بصاحبيه - ولا جمع بين أُدَمَّيْن إلا الملح والزيت - ولا أكل لحماً إلا في كل شهر ينقضي ما انقضىٰ من القوم .

يقول عز من قائل يخاطبنا نحن معشر الناس : { يَا أَيهَا الناسُ إِن وَعْدَ اللهِ حَق فَلا تَغُرنكُمُ الحَيَاةُ الدنيَا وَلاَ يَغُرنكُم بِاللهِ الغَرُورُ } لقمان : ٣٣ .. أي نعم إن وعد الله حق - أي والله حق .. فإذا كنا نؤمن بأن وعد الله حق .. وكل ما أخبرنا به ربنا في كتابه الكريم حق - وكل ما أخبرنا به رسولنا صلىٰ الله عليه وسلم حق فلا تَغُرنا الحياة الدنيا ولا يَغُرنا بالله الغَرُور وتَعِسَ منا من باع نعيم آخرته الخالد بساعة متعة من متاع الدنيا الزائف الزائل .. أي والله ساعة زمن واحدة - ساعة واحدة لا غير مصداق قوله تعالىٰ : { وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لمْ يَلْبَثُوا إِلا سَاعَةً منَ النهارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنهمْ قَدْ خَسِرَ الذِينَ كَذبُوا بِلِقَاءِ اللهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ } يونس : ٤٥ .. فيا سبحان ربنا العظيم حين نرىٰ أن حياتنا الدنيا جميعها ما هي إلا كساعة من النهار مقدار أن نتعارف خلالها علىٰ بعضنا البعض ثم نفترق بالموت - بل نفترق إلىٰ بداية الحياة الحقيقية لكي نلتقي كلنا مرة أخرىٰ بين يدي الله عز وجل في الآخرة .. فيسأل ربنا تبارك وتعالىٰ ، يسأل الأشقياء من الخلق في ذلك اليوم الطويل الصعيب الذي تذهل فيه كل مُرْضِعَةٍ عَما أرضعت وتضع كُلُّ ذات حَمْلٍ حملها وترىٰ الناس سُكارىٰ وما هم بِسُكارىٰ ولكن عذاب الله شديد ... يسألهم المولىٰ عز وجل: { كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ - قَالُوا لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ العَادينَ } المؤمنون ١١٢- ١١٣.

(فيقول لهم رب العالمين) :

{إِن لَّبِثْتُمْ إِلا قَلِيلاً لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ} المؤمنون : ١١٤ .

ويعود إلينا السؤال بارزاً مرة أخرىٰ : هل تستحق هذه الساعة من النهار التي نتعارف فيها في الدنيا - فنستمتع خلالها بمعصية ربنا ويكون مصيرنا جهنم والعياذ با ؟ .. هل تستحق أن نبيع بها آخرتنا ؟؟؟ .

هل من عاقل مُتَبصرٍ يقبل علىٰ نفسه ويرتَضي أن يأخذ حظه ونصيبه خلال ساعة واحدة في الدنيا وَيُضيعُ بها علىٰ نفسه حظه ونصيبه في نعيم الجنات الأبدية الخالدة في الآخرة عند رب كريم ؟ ! .

هل نراجع أعمارنا فنحس إحساس ذلك الشيخ الطاعن في السن الذي بلغ من العمر تسعين عاماً - وجلس يوماً وهو في مرض الموت يعود بذاكرته إلىٰ الوراء .. ويتذكر كم من أيام وشهور وسنين عاشها في هذه الدنيا مرت سريعاً فلم يشعر ولم يحس بمرور سنوات عمره المديد في الدنيا .. وتداعت أمام ناظريه الحوادث والوقائع فتذكر حادثة وقعت له وهو في طفولته وكان يلعب بالعِصِي مع أقرانه الأطفال فأصابت رأسه ضربة عصىٰ غير مقصودة من رفيقه فشجته وسالت الدماء علىٰ وجهه ، ومع مرور الأيام اندمل الجرح .. فرفع الشيخ يده إلىٰ رأسه الذي خلا من الشعر وقام يتحسس بأصابعه مكان الشجة ويتذكر أحداثها وكأنها وقعت له بالأمس أو أول أمس . فتعجب من غرور الدنيا به - وحدث نفسه يتساءل : أين وكيف ومتىٰ مرت سنوات عمره التسعون التي مرت وكأنها أيام قلائل ؟ .. وعاد وسأل نفسه : كيف تمتع في هذه الدنيا وكأنه لم يستشعر بلذة متاعها الذي مر سريعاً وكأنه لم يكن .. فاسترجع حديث رسول ا صلىٰ ا عليه وسلم الذي قال فيه : (يُؤتىٰ بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيُصبَغُ في النار صبغة (أي يُغْمسُ فيها غَمْسَة) ثم يقال : يا ابن آدم هل رأيت خيراً قط ؟ .. هل مر بك نعيم قط ؟.. فيقول : لا وا يارب - ويُؤتىٰ بأشد الناس بؤساً في الدنيا من أهل الجنة فيُصبغُ في الجنة صبغة .. فيقال له : يا ابن آدم هل رأيت بؤساً قط ؟ .. هل مر بك شدة قط ؟ .. فيقول : لا وا ما مر بي بؤس قط ولا رأيت شدة قط ..) .

فما أحرىٰ بنا نحن المسلمين اليوم ومن أراد السعادة والنجاة وخاصة في

هذا العصر الذي نحن فيه والذي طغت فيه القيم المادية على القيم الروحية أن يَتبِعَ مدرسة محمد صلى ا عليه وسلم بِغِنَىٰ النفس والعفة عن الدنيا - فإن غَنِى النفس تراه دائماً مطمئن القلب - هادئ البال - لا يُلْحِفُ في سؤال - ولا يحرص على مال - أما من كثر ماله - وتَشَعَبتْ آماله - وزاد حرصه على حطام الدنيا ومتاعها فهو الفقير - وهو المحروم حقاً - ولقد أرشدنا رسولنا صلى ا عليه وسلم وعلمنا الطريق الذي يورثنا القناعة والذي يملأ نفوسنا بالرضا بأقل القليل في أيدينا وقال صلى ا عليه وسلم : (إن الغَنىٰ ليس بسعة الثروة ووفرة المال وكثرة المتاع - ولكن الغِنىٰ غِنَىٰ النفس) ... وقال صلى ا عليه وسلم أيضاً : (انظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فهو أَجْدَرُ ألاّ تزدروا نعمة ا عليكم) .. ومصداق قوله صلى ا عليه وسلم (إن الغِنَىٰ ليس بسعة الثروة ووفرة المال وكثرة المتاع) ذلك ما نسمعه وما نقرأ عنه ونشاهده في عصرنا هذا عن الذين امتلكوا القصور والأموال وأقبلت عليهم الدنيا من أوسع أبوابها ولكنهم يعيشون في تعاسة وهموم وكآبة - وبعضهم تنتهي حياته بالانتحار والعياذ با .

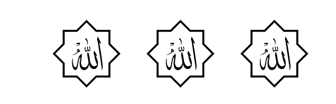
كما نرى الناس في أيامنا هذه يتزاحمون على أبواب الدنيا ويتهافتون عليها تهافت الفراشات على النار - وما أكثر ما يجمعونه من الأموال من الحلال ومن الحرام بطرق مشروعة وغير مشروعة - ولكن ما أقل سعادتهم وما أكثر شقاؤهم بها في الدنيا والآخرة - ونراهم دائماً يطلبون المزيد ويلهثون وراء سراب وغرور الدنيا وبريقها الكاذب - فيعودون بلا شيء سوى الآلام النفسية والسخط على الدنيا والتذمر من الحياة كلها ونسوا الحياة الآخرة ونسوا نصيبهم فيها وهي دار القرار وهي الحيوان (أي هي الحياة الدائمة الخالدة) .. وهي دار النعيم - وكان صلى ا عليه وسلم إذا رأى شيئاً جميلاً من متاع الدنيا وزينتها كان دائماً يردد قائلاً : (اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة) .. ويقول المولى عز وجل:{ بَلْ تُؤْثِرُونَ الحَيَاةَ الدنُيَا - وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ } الأعلى : ١٦-١٧ .. كما يقول عز من قائل : { وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدنُيَا وَمَا الحَيَاةُ الدنُيَا فِي الآخِرَةِ إِلا مَتَاعٌ } الرعد : ٢٦. ويقول تعالى أيضاً : { وَمَا هَذِهِ الحَيَاةُ الدنُيَا إِلا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِن الدارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} العنكبوت:٦٤.

إخواني وأحبائي في الله .. هل آن لنا أن نتعظ ونتبع محمد صلىٰ الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم ونّدخِر لأنفُسِنَا للآخرة ولا نكون كالذين اشتروا الرخيص بالغالي والثمين - كما أن الآخرة هي دار الخلود والبقاء والسرور والحبور ، وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وهي دار السلام ، سالمة من كل نقص ومن كل بلاء - فليس فيها مرض ولا نصب ولا عناء ولا عَنَتْ ولا بؤس ولا شقاء ولا موت - ومن يشاهد حقائقها يوم القيامة من المحرومين يقول : يا ليتني قدمت لحياتي .. فماذا قدمنا نحن لحياتنا الحقيقية - حياة الآخرة حيث يقول لنا المولىٰ عز وجل في كتابه الكريم : { وَأَطِيعُوا اللهَ وَالرسُولَ لَعَلكُمْ تُرْحَمُونَ - وَسَارِعُوا إِلىٰ مَغْفِرَةٍ من ربكُمْ وَجَنةٍ عَرْضُهَا السمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدتْ لِلْمُتقِينَ } آل عمران : ١٣٢- ١٣٣ .. تلك الجنة التي بناؤها لَبِنَةٌ من ذهب ولَبِنَةٌ من فضة - بلاطها المسك - وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وترابها الزعفران - فيها غرف يُرىٰ ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها - وللمؤمن فيها خيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلاً - يَدْعَوَن فيها بكل فاكهة آمنين - آمنين من الموت - آمنين من الهَرَمْ - آمنين من المرض - آمنين من الخوف - فيها أنهارٌ من ماءٍ غير آسن - وأنهارٌ من خمَرٍ لذةٍ للشاربين - وأنهارٌ من عسلٍ مُصفىٰ - ويطوف عليهم ولدان مخلدون إذا رأيتهم حَسِبْتهم من جمالهم ورونقهم وانتشارهم كأنهم لؤلـؤاً منثـوراً { وَإِذَا رَأَيْتَ ثَم رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً - عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلوا أَسَاوِرَ مِن فِضةٍ وَسَقَاهُمْ رَبهمْ شَرَاباً طَهُوراً - إِن هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مشْكُوراً } الإنسان : ٢٠ - ٢٢ .

إخواني وأحبائي في الله .. الكثير منا يحرص علىٰ زيادة رصيده في الدنيا - رصيده في البنك - رصيده من الأراضي - رصيده من العقارات والعمارات - رصيده من السيارات - رصيده من أمتعة الدنيا ، وكأنه سَيُعَمرُ في الأرض ويعيش عليها آلاف السنين - وحتىٰ وإن كانت آلاف السنين ، فإنها بمقياس الآخرة ساعةً أو يوماً أو بعض يوم .. فهل حرصنا علىٰ أن يزداد رصيدنا في الآخرة في الحياة الأبدية الخالدة في النعيم؟ .. ويزيدنا ربنا من عنده ومن كرمه رصيداً فوق رصيدنا مصداق قوله تعالىٰ :

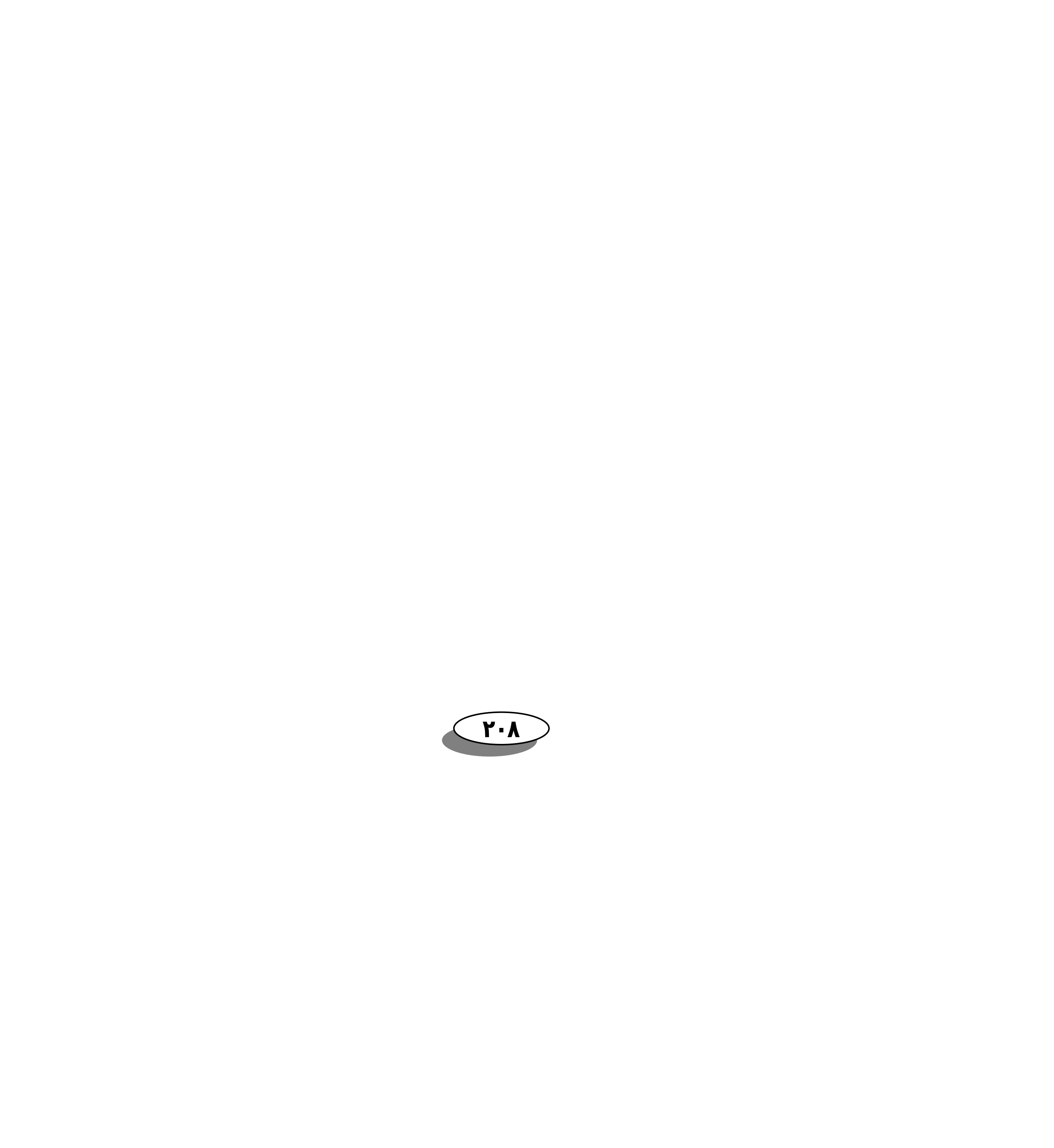
{ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ } الشورىٰ : ٢٠ .

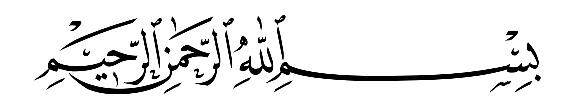
اللهم اجعلنا ممن يخشونك بالغيب وممن هم من الساعة مشفقون - ولا تجعلنا ممن خاب وحمل ظلماً - ولا تجعلنا ممن تغرهم الحياة الدنيا أو ممن يغرهم بك الغرور .. وآخر دعوانا أن الحمد رب العالمين والصلاة والسلام علىٰ الهادي إلىٰ صراط مستقيم الحبيب محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين ...





بما تميّزت به هذه الأمة





الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير الورى محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

(بما تميّزت به هذه الأمة)

نقول الحمد الذي شرّفنا وجعلنا من خير أُمّةٍ أُخْرِجَتْ للناس .. وعندما وصفنا ربنا جل وعلا بأننا خير أمة أخرجت للناس - كان ذلك وصف تكليف قبل أن يكون وصف تشريف حيث يقول عز من قائل - أعوذ با من الشيطان الرجيم ... بسم ا الرحمن الرحيم { **كُنتُمْ خَيْرَ أُمةٍ أُخْرِجَتْ لِلناسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنهوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ**} آل عمران : ١١٠.. فكان وصف التشريف لأننا نتبع أشرف الأنبياء والمرسلين وصفوة خلق ا أجمعين النبي صاحب الخلق العظيم محمد بن عبد ا صلىٰ ا عليه وسلم .. هذا النبي الذي يأتي يوم القيامة يدافع عن أمته يخاف عليهم كما تخاف الأم علىٰ وليدها أن ينزلق أحد منهم بمعاصيه إلىٰ النار - ثم بعد أن يُعْطىٰ الشفاعة دون سائر الأنبياء فيتشفع لأمته ويدافع ويحاجج عنهم ويقول : يارب .. أمتي .. أمتي ....

أما وصف التكليف فهو لأننا أُمةً تأمر بالمعروف وتنهىٰ عن المنكر وتؤمن با وتجاهد في ا حق جهاده ، ولم نفعل كما فعلت الأمم السابقة التي قالت لأنبيائهم : { **فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبكَ فَقَاتِلا إِنا هَاهُنَا قَاعِدُونَ**} المائدة : ٢٤ .

وقال تعالىٰ : { **لُعِنَ الذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ - كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ** } المائدة : ٧٨ - ٧٩ .. فكيف نتصور حال أُمة ملعونة يلعنها ا علىٰ لسان أنبيائه - ثم نتصور سبب هذه

اللعنة والعياذ بالله ؟ .. وذلك ما بَينه لنا ربنا جل وعلا في هذه الآيات السابقات : لماذا لعن الله بني إسرائيل؟.. فنجد أنهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه - كان الواحد منهم يمر علىٰ أخيه وهو يفعل الفاحشة فلا ينكر عليه - بل قد يشاركه فعلها - فهل نتخيل أنفسنا نحن أمة الإسلام أن تتفشىٰ فينا هذه الظاهرة الخطيرة المدمرة للأخلاق وللسلوكيات السليمة ثم نسكت عليها ؟ .. لا .. لا .. وألف لا .. وإن شاء الله ربنا بنا خيراً .. لأننا وكما قال ربنا عز وجل ووصفنا بأننا خير أمة أخرجت للناس - ونحن أيضاً أتباع نبينا خير الأنام وأشرف خلق الله قاطبة حبيبنا محمد صلىٰ الله عليه وسلم - وبعدما أنزل الله تعالىٰ عليه القرآن قلنا سمعنا وأطعنا - ولم نقل مثلما قالت بنو إسرائيل عندما أُنزلتْ إليهم التوراة والإنجيل قالوا : سمعنا وعصينا ، وكما بَينَ لنا ربنا عز وجل أنه سبحانه إذا أراد أن يهلك قرية أَمّرَ مترفيها ففسقوا فيها فدمرها تدميرا - بين لنا سبحانه الوجه الإيجابي المقابل لأهل المعاصي والسفهاء والمترفين إذ قال تعالىٰ : { **وَلَوْ أَن أَهْلَ القُرَىٰ آمَنُوا وَاتقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهم بَرَكَاتٍ منَ السمَاءِ وَالأَرْض** } الأعراف : ٩٦ .

وأيضاً قوله تعالىٰ : { **فَلَوْلا كَانَ مِنَ القُرُون مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُوا بَقِيةٍ يَنهوْنَ عَن الفَسَادِ فِي الأَرْض إلا قَلِيلاً ممنْ أَنجَيْنَا مِنهمْ وَاتبَعَ الذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ - وَمَا كَانَ رَبكَ لِيُهْلِكَ القُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ** } هود : ١١٦ - ١١٧ .. وهكذا قد جعلها الله سُنَةً في خلقه .. إذا اجتهدنا في الدعوة إلىٰ الله وإلىٰ الإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإن الله لا يهلكنا ولا يُسَلِطُ علينا عذابه ، بل يفتح علينا بركات من السماء والأرض - وإن نحن تهاوناّ في هذا الأمر ورأينا المعروف يشمر ويتضاءل - ورأينا المنكر يزيد ويكبر كما هو للأسف حاصل في زماننا هذا - ثم اكتفينا بأن نظرنا بأعيننا - وصميّنا آذاننا وسكتنا ، وكل واحد منا مضىٰ في حال سبيله ونأىٰ بجانبه - وأعتبر وكأن الأمر لا يعنيه - فذلك هو مؤشر هلاك الأمة وَهَوَانها علىٰ الله الذي قال سبحانه : { **وَمَا كُنا مُهْلِكِي القُرَىٰ إلا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ** } القصص : ٥٩ .

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس مجرد عمل نؤديه اجتهاداً وقتما نشاء ونتوقف عنه وقتما نريد .. بل هو أمر تكليف من ربنا جل وعلا واجب الأداء علىٰ كل مسلم ومسلمة في هذه الأمة كلٌ علىٰ قدر استطاعته ومن ينكر ذلك أو يتجاهله أو يُقصر فيه فقد خالف أمر ا تعالىٰ وأمر رسوله الكريم صلىٰ ا عليه وسلم .. ومن الآيات التي تؤكد وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر علىٰ كل مسلم ومسلمة من هذه الأمة مع تفاوت درجات إيمانهم قوله تعالىٰ : { **وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَىٰ الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** } آل عمران: ١٠٤ .. وقوله تعالىٰ : { **وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**} التوبة : ٧١ .

ومن الأحاديث النبوية التي وردت في الصحاح وتحذرنا نحن أفراد هذه الأمة من أن نقف مكتوفي الأيدي ونرىٰ المنكر بأعيننا ثم يمضي كل واحد منا إلىٰ حاله .. ونقول : ما لنا وما لهم .. قوله صلىٰ ا عليه وسلم : (والذي نفسي بيده لتأْمُرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن علىٰ يد السفيه ولتأطرنه علىٰ الحق أطرا - أو ليوشكن ا أن يَعُمكُمْ بعقاب - ثم يدعوا خياركم فلا يستجاب لكم) .. وقوله صلىٰ ا عليه وسلم : (لتأْمُرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو لَيُسَلِطَن ا عليكم شراركم ثم يدعوا خياركم فلا يستجاب لهم) .

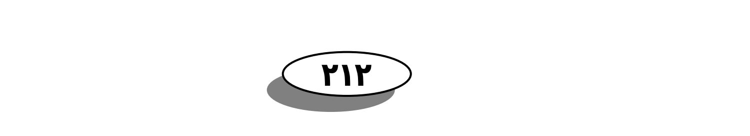
وليس هناك أقبح من الذين يُثَبطُون من عزائم أهل الدعوة والآمرين بالمعروف والناهون عن المنكر - فنرىٰ الرجل من أهل الدعوة يمشي بالسوق فيشاهد الكثير من المنكرات من معاكسات الشباب للنساء - وتبادل الكلمات والعبارات التي تخدش الحياء - فإذا تكلم يريد الوعظ والإصلاح والنهي عن المنكر - وجد من يتصدىٰ له وَيُرد عليه : يا أخي أيش دخلك ؟.. روح خليك في حالك - ولا تحشر نفسك فيما لا يعنيك - لا يضرك من ضل إذا اهتديت !!؟.

وهكذا يُؤَولونَ الكلِمَ عن مواضعه وعن معانيه حسب مفهومهم القاصر

ويقولون علىٰ ا ما لا يعلمون - ويجادلون في ا بغير علم ولا هُدىٰ ولا كتابٍ مُنير - وقد ورد عن أبي بكر رضي ا عنه أنه قال في خطبة خطبها : (أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية .. وتُؤوِلونَ علىٰ خلاف تأويلها : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم من ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ } المائدة : ١٠٥ .. وإني سمعت رسول ا صلىٰ ا عليه وسلم يقول : (ما من قوم عملوا بالمعاصي وفيهم من يقدر أن ينكر عليهم فلم يفعل إلا يوشك أن يَعُمهُم ا بعذاب من عنده) .

وهكذا يكون هلاك الأمم بمعاصي المترفين والسفهاء فيها أو كما قال المولىٰ عز وجل : { وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نهلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَ عَلَيْهَا القَوْلُ فَدَمرْنَاهَا تَدْمِيراً } الإسراء : ١٦ .. فنعوذ با من أن نجد أنفسنا في يوم من الأيام مثل أولئك القوم الذين وصفهم المولىٰ عز وجل في الآية السابقة .. وقد قرأنا في كتاب ا الكريم - وشاهدنا بأعيننا آثار أقوام وأمم سبقت بدهور حلّت عليهم لعنة ا وباؤا بسخط وغضب منه كيف أنزل ا عليهم عقابه وعذابه - فتركوا ديارهم وزروعهم خاوية علىٰ عروشها وبئر مُعَطَلَةٍ وقصر مَشِيْد - وشاهدنا ديار عادٍ وثمود قوم صالح - وقد تبين لنا ونحن نمشي في مساكنهم - كما نشاهد في زماننا الحاضر بين كل فترة وأخرىٰ ماذا فعل ا بأقوام وبلاد لم يُنكِرُ أهلها مُنْكَرٍ فعلوه وفسقوا فيها فأذاقهم ا لباس الخوف والجوع - وأذاقهم من العذاب الأدنىٰ دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون- ولكننا لم نتعظ ولم نعتبر حتىٰ نذوق مثلما أذاقهم ا لا قدر ا علينا .

وهذا الذي يحصل من البعض منا في زماننا الحاضر بالسكوت علىٰ المنكر وتثبيط عزائم الداعين إلىٰ ا وإلىٰ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر غير صحيح .. ذلك لأننا خير أمة أخرجت للناس خصنا ربنا جل وعلا بأن كلّفنا أن نأمر بالمعروف وننهىٰ عن المنكر ، ونُصْلِحُ مجتمعاتنا ابتداءً من عائلاتنا الصغيرة داخل بيوتنا وانتهاءً بمجتمعاتنا الكبيرة خارجها وفي كل مكان علىٰ وجه المعمورة .. ندعوهم إلىٰ ا وإلىٰ التمسك بأخلاق ومبادئ القرآن الكريم والدين الإسلامي الحنيف - ونتعاون علىٰ البر والتقوىٰ ولا نتعاون علىٰ الإثم والعدوان .



أما أُمّةَ الترف والبذخ والسكوت علىٰ المنكر والتغاضي والتواكل - وأُمة (الدشات) والفضائيات ، واللهو والأغاني والمجلات وحب الدنيا وكراهية الآخرة - فهذه ليست أمة الإسلام حقا .. وكما قال الرسول الكريم صلىٰ ا عليه وسلم : (يوشك أن تتداعىٰ عليكم الأمم من كل أفق - تَدَاعِي الأكلة إلىٰ قصعتها - قيل يا رسول ا : أفمن قلة نحن يومئذ ؟ .. قال : لا .. ولكنكم غثاء كغثاء السيل - يجعل الوهن في قلوبكم - وينزع الرعب من قلوب عدوكم لحبكم الدنيا وكراهيتكم الموت).

وتحليل هذا الحديث هو أن الرسول الكريم صلىٰ ا عليه وسلم يُحَذرُ أُمته أُمة الإسلام أنه سيأتي عليهم زمان (يصف كما هو حالنا اليوم) فيقول لهم : كيف بكم إذا تداعت وتكالبت عليكم الأمم (اليهود والنصارىٰ والمجوس) كما تَدَاعَىٰ الأَكَلَةُ إلىٰ قصعتها ؟ .. فنتصور الأمة الإسلامية عبارة عن إناء فيه طعام وكل الأيدي الجائعة النهمة تمتد إليه وتغرف منه وتنهش بشراسة وتأكل من كل جانب - فقال الصحابة رضوان ا عليهم : أمن قِلةٍ في العدد نحن في ذلك الوقت يا رسول ا ؟ قال صلىٰ ا عليه وسلم : لا .. بل أنتم يومذاك كثير (مليار مسلم) .. ولكنكم تكونون للأسف غثاء كغثاء السيل (أي مثل الرغوة التي تتخاف علىٰ حافتي مجرىٰ الوادي من جراء السيل لا تضر ولا تنفع) .. يصيبكم الوهن وينزع ا مهابتكم من صدور أعدائكم .. قالوا : وما الوهن يا رسول ا ؟ .. قال : الوهن هو حب الدنيا وكراهية الموت . والذي نفسي بيده ، وكما كنت تُقْسِمُ يا محمد يا حبيب ا إننا الآن نعيش في ذاته الزمان الذي ذكرت في حديثك وأنت الصادق الصدوق الذي لا ينطق عن الهوىٰ - قد تداعت علينا أمم الكفر والشرك والطغيان - وتداعت علينا اليهود وهم قلة ونحن كثرة كثيرة .. ونزع ا مهابتنا من صدورهم فاحتّلوا مقدساتنا واحتلوا بلادنا وأراضينا وصاروا يتجرءون علينا ويتهددوننا ويتوعدوننا بالويل والثبور .. ونحن أَذِلةً لا نُحَركُ ساكناً .. لماذا ؟ .. لأننا أصابنا الوهن في ديننا وأحببنا الدنيا وأقبلنا عليها إقبال المتلهف الولهان ، فانتشرت المعاصي في مجتمعاتنا - وأشكلت علينا من كثرتها - فبتنا أو بات الكثير منا لا يستطيع أن يُفَرقَ ولا يعلم ما هو الحلال منها وما هوا لحرام - وما هو المنكر منها - وما هو غير المنكر -أضعنا الصلوات - واتبعنا الشهوات - وتعاملنا مع البنوك الربوية بالربا ولا نظنه رباً فحاربنا ا ورسوله - ومنعنا الزكاة - وتخلينا عن حيائنا -

وانتهكنا الحرمات في البيوت وفي الشوارع وفي (الفضائيات بالتلفزيونات) وفي المعاكسات .. وأسمينا كل ذلك تحرراً وتقدماً وتطوراً بينما هو عبودية للشيطان وتردياً في الأخلاق وتخلياً عن المبادئ الإسلامية السامية وتدهوراً إلىٰ الهاوية وتَخلفاً إلىٰ الجاهلية الأولىٰ والعياذ با وبئس المصير.

وإن من أخبث الأمراض التي تُصيب الأمة وتكون سبباً في انتكاستها حب الدنيا وإيثار الراحة والاسترخاء والانصراف إلىٰ الملاهي المحرمة والترف والركون إلىٰ الهوان ، ونبذ الدعوة إلىٰ ا والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتصدي والتنكيد والتنكيل بالقائمين بها من خيار هذه الأمة وهم ورثة الأنبياء - مما يورث الأجيال التالية والمتتابعة الذل والمسكنة والهوان وَتُفْقِدُ ذكور الأمة رجولتها وشهامتها ونخوتها - وإذا جاءنا في خضم هذه الكبوة من يوقظنا من غفوتنا ويُذَكِّرُنَا ويدعونا إلىٰ ا ورسوله والتمسك بكتاب ا وسنة رسوله صلىٰ ا عليه وسلم ويأمرنا بالمعروف وينهانا عن المنكر ويدلنا علىٰ سبيل الصلاح والفلاح والرفعة في الدنيا والآخرة - تصدينا له وشتمناه وقلنا له امض في حالك ولا تُدْخِل نفسك فيما لا يعنيك - فأي خير نرجوه عند ا بعد هذا الصنيع ؟ .. ونسينا أو تناسينا أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو تكليف مباشر اختص ا تعالىٰ به أُمتَّنا دون سائر الأمم السابقة ولذا وصفنا جل وعلا بأننا خير أمة أخرجت للناس - وشهداء علىٰ الناس يوم القيامة .

إخواني وأحبائي في ا .. دعوة محبة .. دعوة خالصة مخلصة أوجهها إلىٰ كل أخ وكل أخت لنا في ا أن نمارس دورنا كاملاً الذي اختصنا به خالقنا العظيم محبة ورحمة منه لنا - ومن أجل إصلاح مجتمعاتنا الإسلامية - ولكي نرفع رؤوسنا عالية شامخة بين الأمم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كل منا علىٰ قدر استطاعته ، وكما علّمنا رسولنا الحبيب محمد صلىٰ ا عليه وسلم حين قال : (من رأىٰ منكم مُنْكَرَاً فَلْيُغَيِّرُهُ بيده - فإن لم يستطع فبلسانه- فإن لم يستطع فبقلبه - وذلك أضعف الإيمان) .

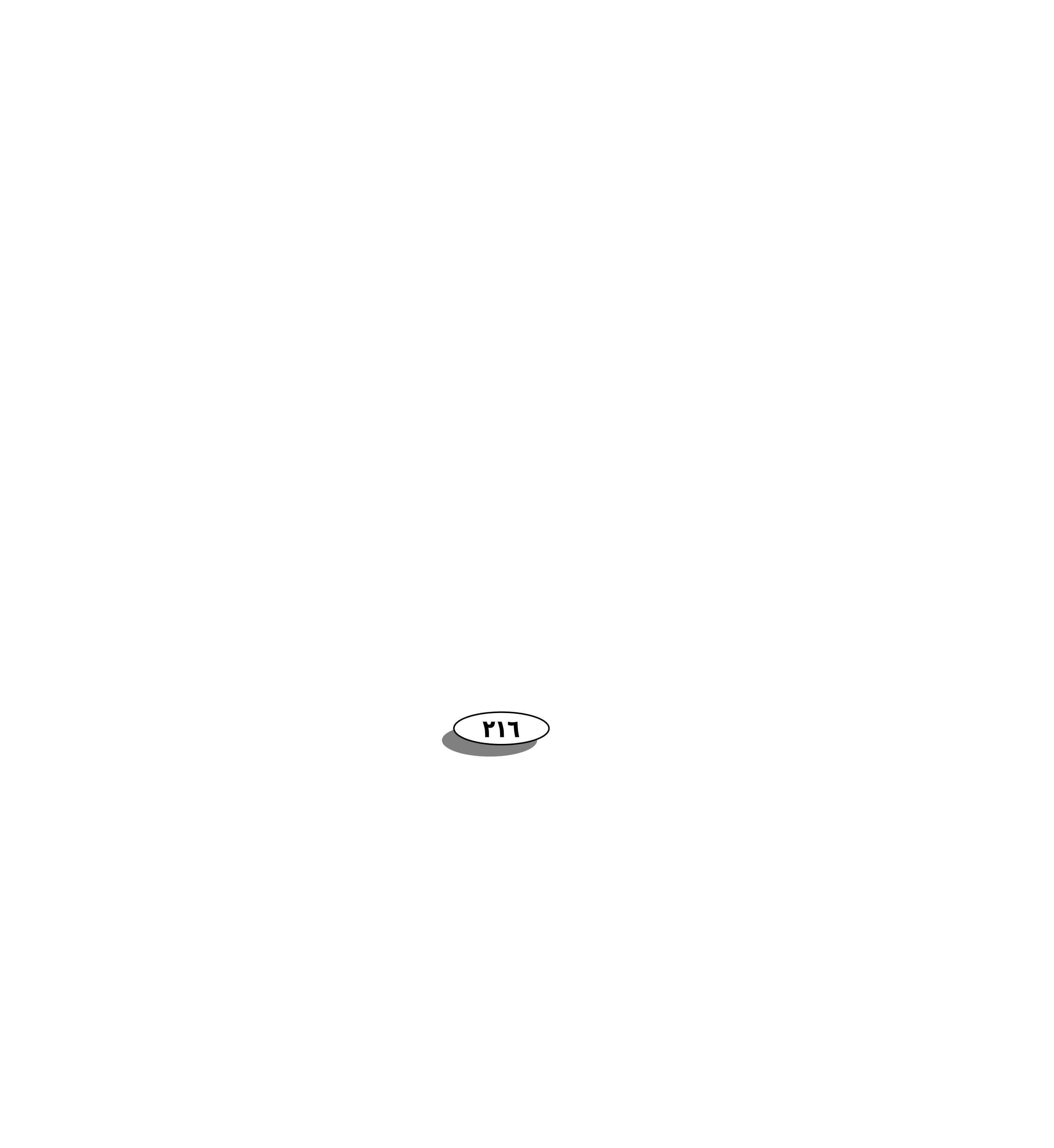
وأيضاً نمارس دورنا بالدعوة إلىٰ ا ورسوله في كل مكان .. ولا ننسىٰ أن الدعاة هم ورثة الأنبياء لأن الرسل والأنبياء ما جاءوا إلىٰ هذه الدنيا إلا من أجل

الدعوة إلىٰ ا .. وقال تعالىٰ : { ادْعُ إِلىٰ سَبِيلِ رَبِكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالتِي هِيَ أَحْسَنُ إِن رَبكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ } النحل: ١٢٥ .. كما قال عز وجل أيضاً : { إِن الَذِينَ قَالُوا رَبنَا اللهُ ثُم اسْتَقَامُوا تَتَنَزلُ عَلَيْهِمُ المَلائِكَةُ أَلا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالجَنةِ الَتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ - نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الحَيَاةِ الدنيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدعُونَ - نُزُلاً مِنْ غَفُورٍ رحِيمٍ - وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً ممن دَعَا إِلىٰ اللهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَنِي مِنَ المُسْلِمِينَ - وَلا تَسْتَوِي الحَسَنَةُ وَلا السيئَةُ ادْفَعْ بِالتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَذِي بَيْنَكَ وَبَيْنه عَدَاوَةٌ كَأَنه وَلِي حَمِيمٌ - وَمَا يُلَقاهَا إِلا الَذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقاهَا إِلا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ- وَإِما يَنزَغَنكَ مِنَ الشَيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنه هُوَ السمِيعُ العَلِيمُ} فصلت : ٣٠ - ٣٦ .

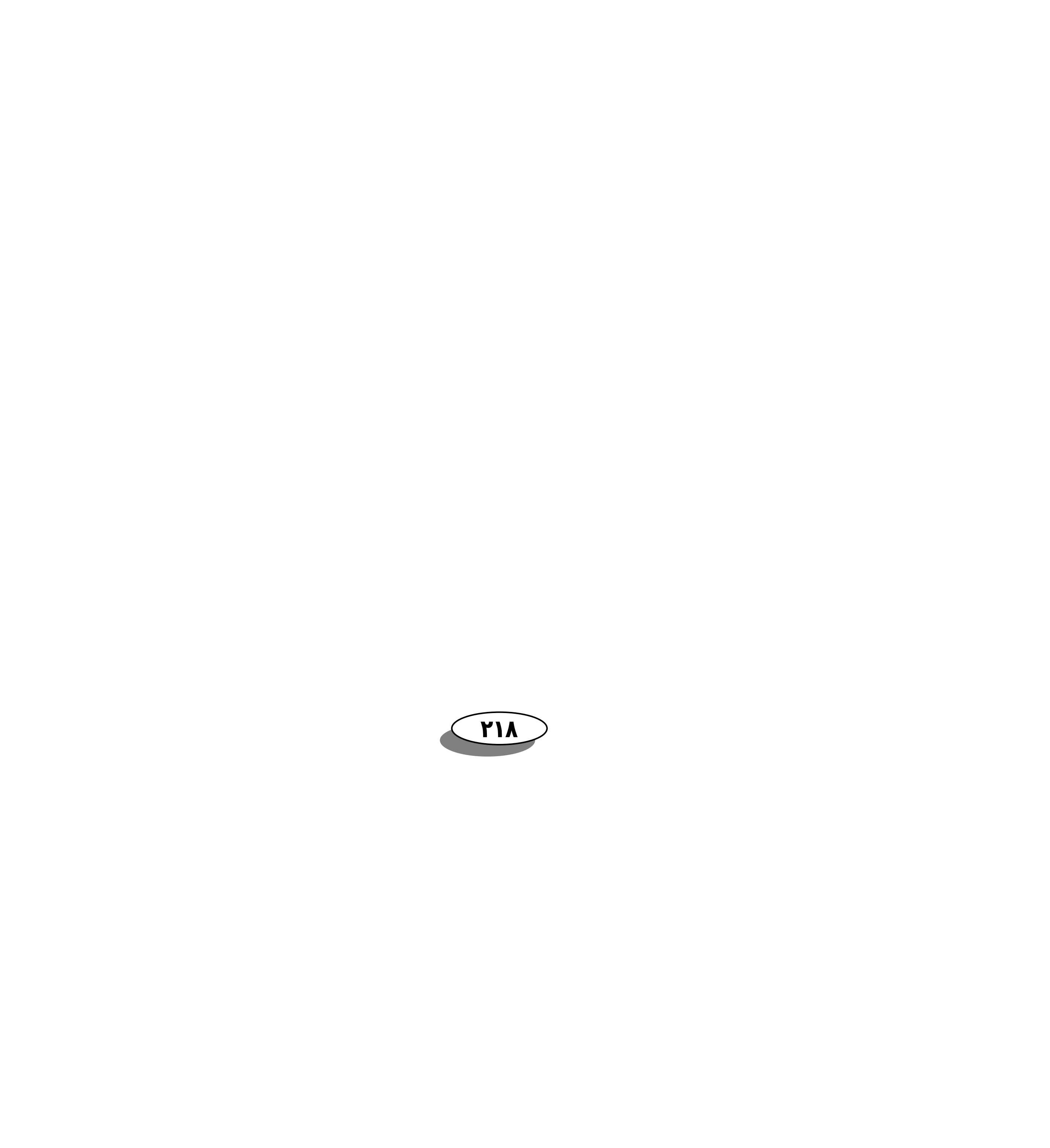
وهكذا نكون بذلك من الذين قال ا تعالىٰ فيهم في كتابه الكريم: { الَذِينَ إِن مكناهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصلاةَ وَآتَوُا الزكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنهوْا عَنِ المُنكَرِ وَلِلهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ } الحج : ٤١ .

ونصلي ونسلم ونبارك علىٰ خير البرية نبينا وحبيبنا محمد وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين- ونقول : ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين - اللهم أغفر لنا وارحمنا وَسَخرْ لنا ما تبقىٰ من أعمارنا في هذه الدنيا إلىٰ الجهاد والدعوة في سبيلك وأعفوا عنا وتقبل منا وارحمنا برحمتك يا أرحم الراحمين .

والحمد رب العالمين والصلاة والسلام علىٰ الحبيب محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين .



(السحر .. ما هو ؟)



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير الورى محمد

وعلى آله وصحبه أجمعين

(السحر .. ما هو ؟)

يقول مولانا عز وجل في كتابه الكريم : أعوذ بالله من الشيطان الرجيـم

{ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِن الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} البقرة:١٠٢.

هذا سليمان بن داوود عليهما الصلاة والسلام ، وهبه الله مُلكاً لا ينبغي لأحد من بعده.. لذلك اختصه الله تعالىٰ ببعض القدرات الخارقة للعادة ..وسخر له الريح تحمل الأمطار وتجري بأمره حيث يشاء - وعلمه منطق الطير - وجند له شياطين الجن يغوصون له في البحار يستخرجون له كنوزها - ومن الجن من يعمل بين يديه بتسخير من الله تعالىٰ لقوله تعالىٰ : **{ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ - وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ - وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ }** ص:٣٦-٣٨ .. ومن يعص أو يزغ منهم عن العمل تحت إمرة النبي سليمان .. فإن الله يذيقه عذاب السعير كما يقول المولىٰ عز وجل : **{ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ }** سبأ : ١٢ .. وكل تلك المواهب والقدرات الخارقة للعادة التي تمتع بها النبي سليمان عليه الصلاة والسلام كانت

مواهب وقدرات وسلطات حقيقية من رب الأرباب الذي إذا أراد شيئاً فإنما يقول له كن فيكون .. ولم تكن من أبواب السحر والوهم والدجل والشعوذة .. وسليمان عليه السلام لم يكن ساحراً ولم يمارس أي نوع من أنواع السحر فيكفر بها .. ولم يكن يكتب الطلاسم ويستحضر الجن كما يفعل السحرة الكفرة الفجرة إنما كان ذلك له ملكاً وهبه إياه مالك الملك سبحانه.. وسليمان كان يأمر مردة شياطين الجن فيفعلون ما يأمرهم به طائعين مسخرين رغماً عنهم بتسخير من رب العالمين ولذلك تقول الآية : { وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِن الشَيَاطِينَ كَفَرُوا } .. وهذه لها قصة أوردتها بعض كتب التفاسير تقول : أن الشياطين والكفار من الجن الذين كانوا خدماً مُسخّرين بين يدي سليمان عليه السلام اشتد وطال عليهم الشقاء والتعب من كثرة ما يكلفهم به سليمان من الأعمال في البر والبحر .. فكانوا مغتاظين حانقين عليه ، ولكنهم لا يقدرون علىٰ عصيانه أو مخالفة أمره لما كان سيواجههم به من العذاب والعنت إذا خالف أحدهم أمره .. فلما مات سليمان عليه الصلاة والسلام قامت مردة شياطين الجن بوضع بعض الكتب والطلاسم التي تُعلم السحر تحت رخامة المرمر التي تغطي كرسيه الذي كان يجلس عليه واستدعوا الناس من كل مكان وقالوا لهم : هل كنتم تظنون أن سليمان كان نبيا أو أنه كانت تجري علىٰ يديه المعجزات كالأنبياء؟.. كلا .. بل هو لم يكن سوىٰ مُجَرد ساحر استطاع بسحره أن يُسخرنا لخدمته .. والدليل علىٰ ذلك أن كتب السحر التي كان يعمل بها ويحتفظ بقراطيسها لا تزال مخبأة تحت رخامة كرسيه .. وإذا لم تُصدقونا تعالوا معنا ندخل غرفة عرشه ونرفع رخامة الكرسي وترون بأعينكم صدق كلامنا .. وهكذا فعلوا .. فقال رب العالمين:{ وَاتبَعُوا مَا تَتْلُو الشيَاطِينُ عَلىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِن الشيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلمُونَ الناسَ السحْرَ } ..

ومن هذه القصة ننطلق إلىٰ تعريف ماهية السحر : فالسحر هو الوهم - كذب الساحر والمشعوذ الذي يدّعي أنه بسحره يستطيع أن يستخرج الكنوز من الأرض - وكذب الساحر والمشعوذ الذي يدعي أنه بسحره يستطيع أن يحول الورق الأبيض إلىٰ نقود حقيقية - وكذب الساحر والمشعوذ الذي يدعي بسحره أنه يستطيع

أن يسحب لك الأموال والمبالغ النقدية من خزائن البنوك ليضعها بين يديك - وَمَنْ صَدّقَ ادعاءاتهم وأقوالهم فقد كفر با كفرا بواحا لأنه اعتقد أن هذه الأشياء يستطيع أن يقوم بها الساحر والمشعوذ .. وأنه أي الساحر ينفع أو يضر من دون ا تعالىٰ ، ولذلك قال الملكانَ اللذان أنزلهما ا ببابل : { وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتىٰ يَقُولا إِنمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ }.

السحر حقيقة ذكرها القرآن الكريم .. ونقول كيف السحر حقيقة وفي نفس الوقت نقول أنه وهم ! . نعم السحر حقيقة ذكرها ا تعالىٰ في كتابه الكريم في عدة مواضع ، وهي حقيقة حاصلة بين الجن والإنس .. ولكنها من حيث التأثير والمفعول فهي وهم في وهم .. ونقول كيف يكون وهماً : فنأخذها من قصة موسىٰ عليه الصلاة والسلام مع سحرة فرعون .. ففي أثناء عودة موسىٰ بأهله إلىٰ مصر وكلمه ربه عز وجل في طور سيناء ، قال رب العالمين : { وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ - قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُش بها عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ - قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَىٰ - فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيةٌ تَسْعَىٰ - قَالَ خُذْهَا وَلا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتها الأُولَىٰ } طه : ١٧ - ٢١ .. ا عز وجل لا يسحر الشيء إنما قوله إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون سبحانه وتعالىٰ عما يظنون به وعلا علواً كبيرا - فعندما حول رب العالمين عصىٰ موسىٰ إلىٰ حية .. فكانت هي حية حقيقية تسعىٰ وليست وهماً.. أما سحرة فرعون فعندما ألقوا عصيهم سحروا أعين الناس واسترهبوهم (يعني أن السحرة عندما ألقوا حبالهم وعصيهم كانوا يرونها هم أنفسهم أنها لا تزال كما هي عصي وحبال ملقاة علىٰ الأرض لا تتحرك من مكانها .. أما الجمع من الناس الواقفين يشاهدون العرض بما فيهم موسىٰ عليه السلام فقد توهموا وَخُيلَ لأعينهم أنها تحولت إلىٰ حيات تسعىٰ) .. وتلك خاصية السحر ولهذا قال تعالىٰ يصف حال موسىٰ عندما شاهد ذلك العرض الرهيب قال : { فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً موسَىٰ } طه : ٦٧ .. ولكن عندما ألقىٰ موسىٰ عصاه فلو كانت سحراً مثل سحرهم لرآها السحرة عصاة كما هي .. ولكنهم ذُهِلُوا عندما رأوا بأعينهم التي لم يؤثر فيها السحر رأوها حية عظيمة الحجم والمنظر تسعىٰ أمامهم .. بل الأكثر من ذلك أنها قامت تبتلع كل العِصِىٰ

والحبال التي ألقوها .. لحظتها أيقنوا حقيقة أنهم إنما أمام آية من آيات ا البينات فأخذ المنظر بمشاعرهم ووجدانهم .. فلم يسعفهم الكلام للتعبير عنها .. ولم يكفيهم النطق للامتثال لها أول وهلة .. فوجدوا أنفسهم خارين للأرض سُجّداً بغير إرادة منهم وهم يهتفون من أعماقهم غير عابئين بفرعون وسلطانه وأعوانـه قائليـن : { قَالُوا آمَنا بِرَب الْعَالَمِينَ - رَب مُوسَىٰ وَهَارُونَ } الشعراء : ٤٧-٤٨ .. وهكذا جاءت القصة في قوله تعالىٰ : { قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِما أَن تُلْقِيَ وَإِما أَن نكُونَ أَولَ مَنْ أَلْقَىٰ - قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيهُمْ يُخَيلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنها تَسْعَىٰ } انظروا إلىٰ كلمة يُخّيلُ إليه - أي مجرد تخيل يوهم العين فقط { فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً موسَىٰ - قُلْنَا لا تَخَفْ إِنكَ أَنْتَ الأَعْلَىٰ - وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلا يُفْلِحُ الساحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ } طه ٦٥-٦٩ .

هذه هي أعمال السحرة الكفرة الفجرة كلها وهم وخيال .. أما ما وهبه ا تعالىٰ لأنبيائه صلوات ا وسلامه عليهم جميعاً من قدرات وتسخيرات فإنها حقيقة سواء معهم بالأمر المباشر من ا تعالىٰ (كن فيكون) مثلما حدث مع إبراهيم عليه الصلاة والسلام عندما ألقوه في النار فتحولت النار برداً وسلاماً عليه بأمر من ا (كن فيكون).. وهكذا قال تعالىٰ : { قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ } الأنبياء : ٦٩ . أو بتسخير الجن لهم للقيام بها من معجزات خارقة مثلما حدث مع سليمان عندما قـال : { قَالَ يَا أَيهَا الْمَلأُ أَيكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ - قَالَ عِفْرِيتٌ منَ الْجِن أَنَا آتِيكَ بِه قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مقَامِكَ وَإِني عَلَيْهِ لَقَوِي أَمِينٌ} النمل ٣٨-٣٩ .. وما حدث مع موسىٰ كما شرحنا آنفاً .. وما حدث مع عيسىٰ بإحيائه الموتىٰ بإذن ا ، ويبرئ الأكمه والأبرص ، ويعيد البصر إلىٰ المكفوفين وأمور أخرىٰ بـإذن ا .

كل تلك كانت حقائق ومعجزات تمت بعلم من ا الخالق العظيم .. ولم تكن سحر يؤثر.. حتىٰ أن الكافرين من شياطين الجن الذين يعملون الأوهام للسحرة

من الإنس عندما يَدّعون أنهم يعلمون الغيب ويتنبأون بأن فلانا من الناس سيعيش كذا وكذا سنة مثلاً أو أن فلاناً من الإنس سيموت في الوقت الفلاني فإنهم كاذبون وخاصة بعد نزول القرآن الكريم وبدء رسالة سيدنا محمد صلىٰ ا عليه وسلم وقبل ذلك كان الجن يصعدون إلىٰ السماء (سماء الدنيا) وكانت لهم مقاعد يجلسون عليها يسترقون السمع لما يدور في الفلك الأعلىٰ عن أنباء وتصريفات أمور الخلق فيلتقطون الخبر ثم يزيدون عليه من عندهم أخباراً أخرىٰ وينزلوا بها إلىٰ أوليائهم من الكهنة من الإنس أو كما جاء في الحديث الشريف عن عائشة أم المؤمنين رضي ا عنها قالت : (سأل رسول ا صلىٰ ا عليه وسلم ناس عن الكهان - فقال : (ليس بشيء) .. فقالوا : يا رسول ا إنهم يحدثوننا أحياناً بشيء فيكون حقاً ! .. فقال رسول ا صلىٰ ا عليه وسلم : (تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقرها في أذن وليه فيخلطون معها مائة كذبة) .. وهكذا قيل: كذب المنجمون ولو صدقوا .. أما مع ابتداء نزول الوحي والقرآن علىٰ سيدنا محمد صلىٰ ا عليه وسلم ولكي يحمي ربنا نصوص آيات القرآن الكريم أثناء نزولها علىٰ الرسول عليه الصلاة والسلام يحميها من الخلط فيها من الجن عندما يسترقون السمع وينزلوا بالأخبار إلىٰ الكهنة فقد أغلق جل وعلا السبيل أمام الجن والشياطين من محاولات الصعود إلىٰ سقف السماء الدنيا واستراق السمع مثل السابق فكان كل جني يحاول الصعود ليلتمس سقف السماء ويبحث لنفسه عن مقعد للسمع كان ا تعالىٰ يسلط عليه شهاب حارق يحرقه ويرده إلىٰ الأرض خاسئاً.

وفي هذا يذكر لنا ربنا جل وعلا قول الجن وعلىٰ لسانهم في القرآن الكريم : { **وَأَنه كَانَ رِجَالٌ منَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ منَ الجِن فَزَادُوهُمْ رَهَقاً - وَأَنهمْ ظَنوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لن يَبْعَثَ اللهُ أَحَداً - وَأَنا لَمَسْنَا السمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَشُهُباً - وَأَنا كُنا نَقْعُدُ مِنها مَقَاعِدَ لِلسمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رصَداً- وَأَنا لا نَدْرِي أَشَر أُرِيدَ بِمَن فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبهِمْ رَشَداً** } الجن ٦ - ١٠ .

كما أن الجن لا يعلمون الغيب .. ولو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين .. ولهذه قصة أوردها ربنا جل وعلا في القرآن الكريم يستهزأ بها

الله تعالىٰ من شياطين الجن ويفضح ادعاءاتهم الكاذبة بأنهم يعلمون الغيب .. فكما أسلفنا كان ربنا سبحانه وتعالىٰ قد سَخَّر لسليمان شياطين الجن يعملون بين يديه في كافة الأعمال والأشغال من البناء ونقل الصخور الضخمة من الجبال وفي الزراعة والغوص في أعماق البحار وأشياء أخرىٰ .. وكان ذلك التسخير مفروض عليهم من الله تعالىٰ طوال مدة حياة سليمان عليه السلام .. فلما جاء ملك الموت ليقبض روح النبي سليمان قبضها وسليمان واقف علىٰ شرفة صرحه الممرد بالقوارير وهو متكئ علىٰ عصاه .. وظل هكذا قرابة عاما كاملا ميتا واقفا متكئا علىٰ عصاه .. وشياطين الجن مستمرة في العمل الشاق الذي كان مكلفهم به لا يستطيعون التوقف لأنهم كلما رأوه واقفاً متكئاً علىٰ عصاه ظنوه حيا يراقبهم .. وذلك لأن جسده عليه السلام كما هي أجساد الأنبياء لا تَبْلىٰ ولا تَفْنىٰ وتظل كما هي إلىٰ يوم البعث بعد موتهم .. فلم تتبين الجن أن سليمان قد مات إلا بعد أن جاءت القرضة (دودة الأرض) وأخذت تنخر في عصاه حتىٰ أصبحت العصا هشة فسقطت فوقع جسد سليمان علىٰ الأرض .. ساعتها فقط وبعد مرور عام علىٰ موته علمت الجن أنه كان ميتاً .. ولو كانوا يعلمون الغيب وأنه مات منذ عام مضىٰ لكانوا توقفوا عن العمل الشاق والعذاب المهين .. وهكذا يَسْخَرُ منهم رب العالمين تكذيباً لادعاءاتهم بأنهم يعلمون الغيب .. وفي هذا الصدد قال عز وجل : { **فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ**} سبأ : ١٤.

نعود مرة أخرىٰ لتأكيد أن مفعول السحر ما هو إلا وهم وخيال .. ونشرح فيما يلي الجانب الآخر من تأثير السحر الذي يعتمد أيضاً علىٰ الإيهام والإيحاء والتخيّل وبأنه في كل الأحوال لا يضر أحداً ولا ينفعه إلا بإذن الله تعالىٰ ، وكما جاء في قوله جل وعلا : { **فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ** } .. فكيف يؤثر السحر في عملية التفريق بين الرجل وزوجه.. فكما أسلفنا أن تأثير السحر علىٰ الإنسان ما هو إلا تأثير وهمي يعتمد علىٰ التخيل والإيحاء .. لأنه لا تأثير مادي للسحر مطلقا علىٰ الأشخاص والأشياء .. وقلنا أنه كما حدث مع سحرة فرعون عندما ألقوا عصيهم

وحبالهم فإنها لم تتحول فعليا إلىٰ حيات بل بقيت عصي وحبال ملقاة علىٰ الأرض لا تتحرك .. لذا كان تأثير سحر سحرة فرعون هو إيهام أعين الناس أن العصي والحبال التي ألقوها علىٰ الأرض يرونها وكأنها حيات تتراقص وتتحرك .. فكذلك الأمر في عملية التفريق بين الرجل وزوجته فإن تأثير السحر يجعل الرجل يرىٰ زوجته الجميلة الشكل والحسناء المنظر في الواقع يراها قبيحة الشكل سيئة المنظر .. ويرىٰ نظافة بدنها وثيابها قذارة مُقززة للنفس ، وإذا تعطرت له بأحسن العطور فإنه لا يشم منها سوىٰ الروائح الكريهة .. فتكون النتيجة هي كره شديد يغشىٰ الرجل تجاه زوجته فلا يطيق رؤيتها ولا يتحمل شم رائحتها فيطلقها - فيحدث هكذا التفريق بين المرء وزوجه - كما أنه العكس بالعكس صحيح بحيث إذا أراد الساحر أن يؤثر بسحره علىٰ رجل شاب لكي يحب امرأة عجوز في سن جدته ، وقد تكون قبيحة المنظر فإنه وبالإيحاء يراها في عينيه شابة جميلة عذبة الصوت والمنظر فيتزوجها .. ثم لا يكتشف حقيقة المصيبة التي وقع فيها إلا بعد مدة حين يذهب عنه تأثير السحر الذي وقع عليه فتكون الطامة .

وأيضاً من تأثير السحر (المس) .. وفي ذلك يقول الرسول صلىٰ ا عليه وسلم : (إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم) .

فإذا سلط ساحر بسحره أحد شياطين الجن بأذية أحد من بني آدم ليحوله في تصرفاته وسلوكه من رجل عاقل إلىٰ رجل مجنون أو مخبول ، توجه الشيطان ودخل في دم المسحور له من ابن آدم ووصل عبر شرايين الدم إلىٰ خلايا مخ الإنسان فيسيطر علىٰ سلوكه ويجعله يتصرف تصرفات غير سليمة ، وينطق بكلمات غير مفهومة ، ويفعل أفعالاً غير سوية ، فنقول نحن علىٰ الرجل أنه (مجنون) أي مسه الجن .. وذلك ما يُعرف علميا بالتأثير السلبي الإيحائي .. وفي هذه يقول المولىٰ عز وجل : { **الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ** } البقرة : **٢٧٥** .

ولكن في كل الأحوال فإن من استعان بساحر أو كاهن أو عرّاف أو مُنَجِّمْ فقد خرج من ملة الإسلام ودخل في ملة الكفر والعياذ با .. ذلك لأنه اعتقد أن هذا الساحر أو ذاك الكاهن إنما ينفع أو يضر من دون ا .. كذلك من تعلم السحر سواء

عمل به أم لم يعمل به فقد كفر با تعالىٰ مصداق قوله عز وجل : { وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتىٰ يَقُولا إِنمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ } .. فلا تكفر .. فلا تكفر .. فلا تكفر .. نقولها لكل واحد منا يلجأ إلىٰ السحر والسحرة والمشعوذون والدجالون ، أو من يعمل بعملهم ، وكما قال عز من قائل : { إِنمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلا يُفْلِحُ الساحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ } طه : ٦٩ .

وفي هذه أيضاً يقول نبي هذه الأمة صلىٰ ا عليه وسلم يريد لأمته الخير والفلاح يقول : (ليس منا من تَطَيّر أو تُطيرَ له - أو تَكَهَن أو تُكِهنَ له - أو سَحَر أو سُحِرَ له) .. كما قال صلىٰ ا عليه وسلم في حديث آخر : (من أتىٰ كاهنا فسأله عن شيء حُجِبَتْ عنه التوبة أربعين ليلة ، فإن صَدّقَهُ بما قال كفر) .. وقال أيضاً : (ومن أتاه غير مُصَدّق له لم تقبل له صلاة أربعين ليلة) .

وقبل الختام نقول هذا هو الداء كما شرحناه .. فما هو الدواء ؟

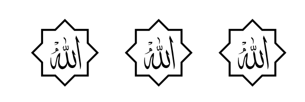
: الدواء والعلاج الناجع لأي واحد منا يقع عليه تأثير السحر لا سمح ا ، أو من يريد الوقاية منه .. فليس العلاج أن نذهب إلىٰ السحرة والمشعوذين أنفسهم لكي يعملوا لنا احجبة وتعاويذ سحرية .. وبذلك نعالج الخطأ بخطأٍ أبشع منه ونمحوا الذنب بذنبٍ أقبح منه ومن ثم نكفر ونخرج من ملة محمد صلىٰ ا عليه وسلم ، لا سمح ا علينا .

إنما العلاج كما علمنا ربنا ورسوله صلىٰ ا عليه وسلم فقال المولىٰ عز وجـل : { إِن الذِينَ اتقَوْا إِذَا مَسهُمْ طَائِفٌ منَ الشيْطَانِ تَذَكرُوا فَإِذَا هُم مبْصِرُونَ } الأعراف : ٢٠١ .

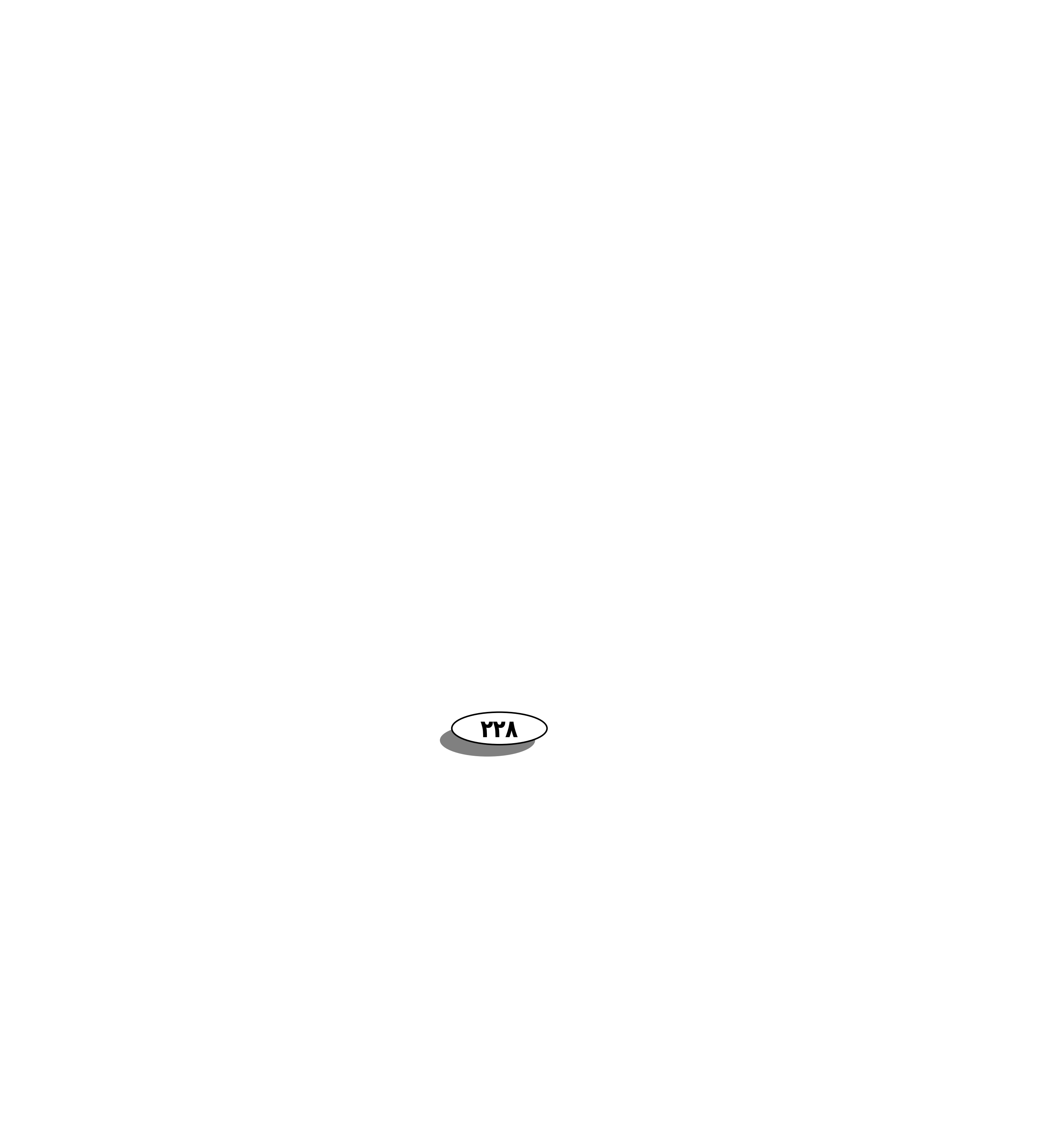
وكما نرىٰ أول شروط العلاج بالقرآن التقوىٰ والإيمان با تعالىٰ بأنه هو سبحانه النافع الضار ولا يحصل شيء إلا بإذنه تعالىٰ .. وعلينا بالقرآن والسنة النبوية ونطهر أنفسنا من الذنوب التي تفتح لإبليس الأبواب علينا - ونواظب علىٰ أداء الفرائض في أوقاتها ونتلوا القرآن - فيكون ذلك كله حافظاً لنا من المس ومن السحر ومن الحسد ومن الشيطان بعامة : مثل قراءة آية الكرسي بعد كل صلاة

وعند النوم وفي الصباح .. ومثل قراءة قل هو ا أحد والمعوذتين ثلاث مرات كما علمنا رسولنا صلىٰ ا عليه وسلم ويمكننا الرجوع في تفاصيل هذا العلاج القرآني إلىٰ الكتب والكتيبات المتوفرة والمتداولة بين أيدينا وفي كافة المكتبات ، ولكن نراعي الصحيح منها وا تعالىٰ هو الشافي المعافي الحافظ لنا من كل سوء .

والحمد رب العالمين وبه نستعين والصلاة والسلام علىٰ أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين ..

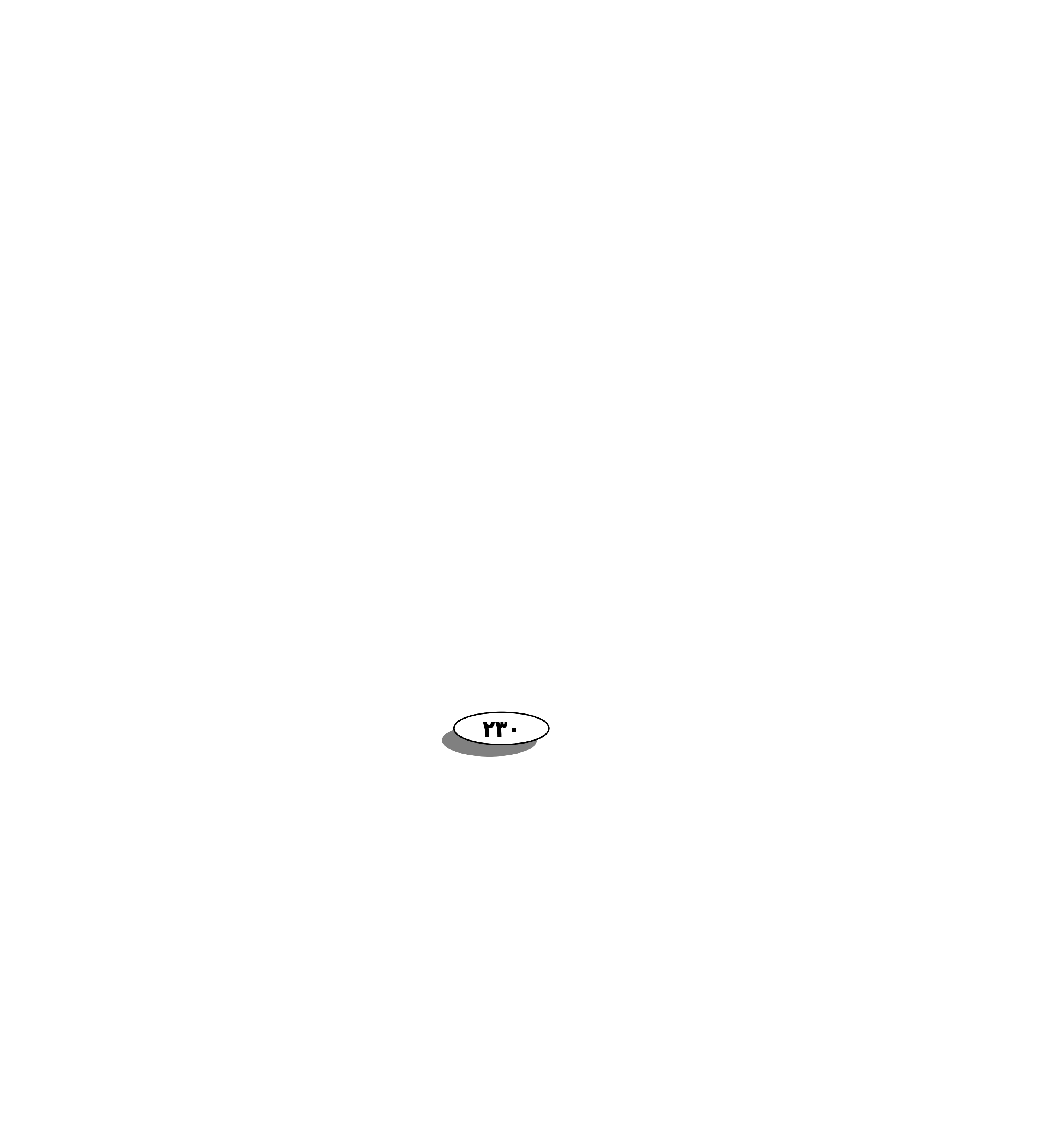


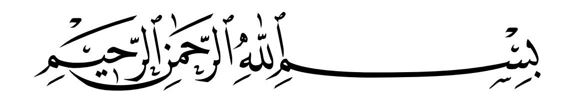




التدخيـ ـن

(حلال أم حرام؟)





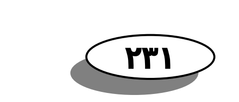
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير الورى محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

التدخين (حلال أم حرام ؟)

لو جاءت شركة تنتج علب (البسكويت) وكتبت علىٰ ظهر كل علبة عبارة تقول : (انتبه إن تناولك لهذا البسكويت يسبب مرض الزكام) .. هل كنت ستأكله وتغامر بالإصابة بنوبة زكام حادة تزلزل كيانك لعدة أيام ؟ .. بالتأكيد فإن إجابتك ستكون بـ (لا) .. بل أن الناس وبسبب هذا التنبيه كانوا سينبذون ذلك النوع من البسكويت ولا يشترونه ولا يأكلونه .

فكيف بشركة تصنع الدخان وتكتب رغم أنوف أصحابها تكتب علىٰ كل علبة (إن هذا الدخان سبب رئيسي لأمراض السرطان وتصلب الشرايين وتليف الكبد) .. يعني هذه السجائر هي سم زعاف يسري في الجسم ثم يؤدي بعد فترة إلىٰ الموت المفاجئ .. ورغم ذلك نجد المدخنين يتهافتون علىٰ شرائه وتعاطيه تهافت الفراش علىٰ النار .. وذلك إن دل علىٰ شيء إنما يدل علىٰ أنهم فعلاً مسلوبي الإرادة - تسلط عليهم إبليس وأعوانه .. ويدل أيضاً علىٰ أن هذا الدخان هو من عمل الشيطان لا ريب في ذلك مطلقاً.

فهل أنت يا أخي مسلوب الإرادة ؟ .. مسيطر عليك إبليس ؟! .. تقرأ بعينيك ذلك التحذير علىٰ علبة السجائر تحذرك بكل وضوح وصراحة وبواقعية علمية ملموسة النتائج وتقول لك : بأن هذه السيجارة ستقضي علىٰ حياتك بالتدريج، وستسيئ إلىٰ خاتمتك ، ثم نراك رغم ذلك تتعاطاها ..! مما يدل علىٰ أنك فعلاً مخطوف اللب ، مسلوب الإرادة بتأثير شيطان رجيم يريد هلاكك ودمارك في الدنيا ، ويريد لك العذاب في الآخرة .. وتلك هي وظيفة إبليس اللعين الذي خلقه ا تعالىٰ وقدّر عليه ذلك الدور منذ أن أخرج أبوينا من الجنة .. حين طلب إبليس من ربنا

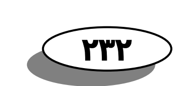


عز وجل أن يؤخره إلىٰ يوم القيامة ليحتنكن ذرية آدم ويأتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم ولا يجعل أكثرهم شاكرين .. أو كما قال تعالىٰ في القرآن الكريم : { قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلاً } الإسراء : ٦٢ .. وأيضاً في قوله تعالىٰ : { قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ - ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ }الأعراف : ١٦-١٧.

نقول الحمد الذي أنعم علينا ورزقنا منه رزقاً حسنا ، وأحل لنا الطيبات من الرزق وحرم علينا الخبائث التي تضرنا بأنواعها وما زينته لنا الشياطين - شياطين الإنس والجن .

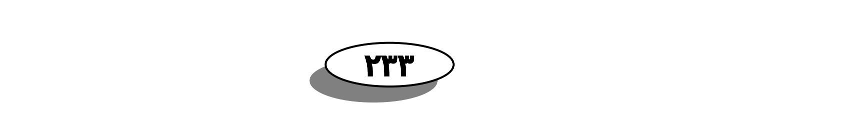
نتحدث في هذه الرسالة عن داء خبيث أصاب العديد من الأمة واستشرىٰ في دمائها .. أمة محمد صلىٰ ا عليه وسلم الذين هم خير أمةٍ أخرجت للناس .. داء استشرىٰ بها وتغلغل في عروقها حتىٰ بات معظم الذين أصابهم ذلك الداء اللعين لا يشعرون بخطورته علىٰ دينهم وعلىٰ دنياهم .. ويظنونه حلالاً ، ويقولون عنه مكروه وهو في الحقيقة حرام .. حرام .. حرام . بنص القرآن الكريم .

إننا نتحدث هنا عن داء التدخين .. وهل هو حلال أم حرام ؟ .. فعندما تواجه أحد المدخنين المغلوب علىٰ أمرهم والذين تسلط عليهم الشيطان بِحِيَلِهِ وتقول له : يا أخي بطل التدخين لأنه حرام وفيه معصية رب العالمين .. أجابك قائلاً : روح يا شيخ خليك في حالك .. وخليك من الحكي .. ولا تقول علىٰ الشيء حرام من غير دليل .. وإذا كان الدخان حرام فهات لي دليل واحد من القرآن ، نص صريح يقول أنه حرام !! .. يعني الأخ المدخن يطلب منك أن تأتي له بآية صريحة من القرآن كالتي نزلت في تحريم الخمر.. كأن تقول له الآية مثلاً : إنما الدخان والجراك والشيشة رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه .. فيا سبحان ا ! .. ما أقل فهمنا وإدراكنا لمعاني آيات ا تعالىٰ التي أوردها في القرآن الكريم تبين لنا الحلال وتنهانا عن الحرام .. وتُفصل لنا ما أحله ا لنا من الطيبات من الرزق ، وما حرمه علينا من الخبائث بكافة أنواعها رحمة بنا .. ذلك لأن ا تعالىٰ من رحمته



ورأفته بنا يريد لنا الخير كله .. ونحن نقول للأخ الذي يجادل في مسألة تحريم الدخان ويدعي أنه مكروه فقط .. نقول له : إن تحريمه الذي جاء بنص القرآن جاء بشكل مختلف وغير مباشر وبصيغة يتفهمها العقل وأولي الألباب .. ونقول له أيضاً أن المولىٰ عز وجل يعجب من البعض من خلقه إذ كيف تكون آياته ظاهرة وواضحة في القرآن ومفسرة نفسها بنفسها أمام أعينهم يقرأونها وتتلىٰ علىٰ أسماعهم ، وميسرة فهمها لهم .. ولكنهم رغم ذلك لا يعقلونها .. ولهذا السبب اختتم سبحانه وتعالىٰ بضع وعشرون آية من كتابه الكريم بأفلا تعقلون ؟ .. ولعلكم تعقلون ؟ .. وإن كنتم تعقلون .. فعندما يقول لنا المولىٰ عز وجل في كتابه الكريم : { الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ }الأعراف : ١٥٧ .. فإن ذلك يعني أن الطيبات من الرزق حلال علينا ، وأن الخبائث بكل أنواعها محرمة علينا بنص كتاب ا الكريم .. جفت الأقلام وطويت الصحف بعد هذا الدليل الواضح من كتاب ا تعالىٰ .. فماذا تريد من دليل آخر بعد هذا أيها الأخ المدخن ؟ .. إلا إذا أردت أن تجادل بغير علم فتقول بأن الدخان والجراك والشيشة ليست من الخبائث وأنها من الطيبات .. بينما يقول ا عز وجل : { قُل لاَّ يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُواْ اللّهَ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } المائدة:١٠٠ .. أي نعم اتقوا ا يا أولي الألباب لعلكم تفلحون ..

فهل من عاقل من ذوي الألباب لا يعرف ما هي الطيبات من الرزق من الفواكه ولحوم الأنعام والطيور والأسماك والخضراوات وغيرها الكثير من نعم ا ؟ .. والتي تفيد الجسم والعقل سواء وتزيدهما صحة ونضارة .. ثم يأتي من يقول بأن الدخان ليس من الخبائث وهو الذي ثبت ضرره الفادح بالعقل والجسم سويا ، كما أنه يسبب الأمراض الخبيثة التي تنتهي غالباً بموت الفجأة من ذبحة صدرية أو سكتة قلبية لا تجعل المرء يدرك حتىٰ النطق بالشهادتين قبل طلوع روحه من بين أضلعه .



هذا وكان صحابة رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم رضوان الله عليهم جميعاً .. وأثناء نزول الوحي ومن كثرة الأصناف من الأطعمة التي كانوا يتناولونها اليهود في عصرهم وهم يشاركونهم طعامهم .. كانوا يسألون الرسول صلىٰ الله عليه وسلم : ماذا يحل وما لا يحل لهم من الطعام والشراب ؟ ، فأنزل المولىٰ عز وجل قوله لنبينا محمد صلىٰ الله عليه وسلم يقول تعالى: { يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ } المائدة : ٤ .

فكيف لنا بعد كل الذي قلنا نتصور أن الله سبحانه وتعالىٰ الذي أحل لنا الطيبات من الرزق نأكلها ونشرب ماءها وعصائرها شراباً لذيذاً تستفيد منه أجسامنا، ونستمتع بأكله وشربه وتطيب به معيشتنا .. كيف نتصور أن الرحمن جل وعلا قد جعل لنا من ضمن الطيبات أوراق شجر مجفف نحرقه ثم نستنشق دخانه ليؤذي أجسامنا وينتن رائحة أفواهنا ويؤثر في عقولنا فنتمسك بتدخينه ونصر ولا نستطيع أن نفارقه ولا يفارقنا في كل مكان نذهب إليه لأنه يصبح كَيْفُ يُكَيِّف مزاجنا .. فإذا دَخناهُ إنبسطنا .. وإذا تركناه تضايقنا وتعكر مزاجنا .. وندمن عليه فلا نقدر علىٰ تركه .. فسبحان الله ربنا منزه عن أن يجعل ذلك لخلقه وعباده .. إنما هي من عمل الشيطان وإغوائه .

قيل أن بعض السائرين بسياراتهم في أحد الطرق السريعة توقفوا ليسعفوا سائق سيارة كانت مسرعة فتمزق أحد إطاراتها فانقلبت عدة مرات .. فلما أقبلوا لإخراج سائقها الذي كان محشوراً داخل حطامها وجدوه في حالة ميئوس منها وهو ينازع الروح، ولكنه كان يشير بإحدىٰ يديه إلىٰ فمه .. فظن أحدهم أنه يطلب ماء فأسرع إلىٰ سيارته وأحضر قارورة ماء ، وعندما قربها من فمه رفض وعاد يشير بيده كأنه يريد شيء آخر يوضع له في فمه .. فتنبه أحد الحاضرين وعرف ما يطلب ، فأخرج من جيبه علبة السجائر وأراه إياها .. فما أن راءها المصاب إلا وتسارعت يده إلىٰ فمه وكأنه يشير إليهم بأن أشعلوا واحدة بسرعة وضعوها بين شفتي .. وطبعاً تردد الحاضرون في تلبية ذلك المطلب له وهو ينازع الروح ويصارع الموت.. وقبل أن يُقرر أحدهم إعطاؤه سيجارة كان المصاب قد أسلم الروح إلىٰ بارئها .

فتباً لسخرية إبليس من بني آدم .. ذاك المصاب بدا وكأنه وعندما كانت روحه تتنازعه الخروج من جسده .. كأنه كان يقول لها أرجوكي انتظري قليلا حتىٰ أشرب سيجارة واحدة ثم اخرجي .

فوا يا إخواني وأحبائي في ا .. إن هذه الشجرة .. شجرة الدخان هي من أسوأ الخبائث التي نهانا ربنا عنها .. ودلنا عليها الشيطان لنعصي بها ربنا ويخرجنا بسببها من طاعته ومن رضوانه ومن الجنة .. تماماً كما فعل الشيطان مع أبوينا ودلاهما علىٰ شجرة الخلد وملك لا يبلىٰ .. فلما أكلا منها بدت لهما سوءاتهما وعصىٰ آدم ربه فغوى .. فقال لهما ربنا: اهبطا منها بعضكم لبعض عدو .. وهكذا يقول لنا عز وجل في كتابه الكريم كلاما واضحاً وصريحاً يحذرنا من الشيطان وإغواءاته لنا ومن مكائده ضدنا فيقول سبحانه : { يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِنَ الجَنةِ يَنزِعُ عَنهمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتهِمَا إِنه يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنهمْ إِنا جَعَلْنَا الشيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلذِينَ لا يُؤْمِنُونَ } الأعراف : ٢٧.

سيقول لنا بعض الأخوة المدخنين :نحن مقتنعون تماماً بكل ما ذكرتموه عن الدخان .. ولكن هذا الداء صار لنا كيفاً وإدماناً وعادة يصعب علينا التخلي عنها .. فكيف نتخلـص منها؟.. ونجيبهم نعم صدقتم أنه صعب عليكم التخلي عنها كما قال شيخنا ابن القيم يرحمه ا : (إن فطم النفوس عن مألوفاتها وشهواتها هو من أشق الأمور وأصعبها) .. ويقول لنا أخ كريم في هذا الصدد عن العادة ما يلي : (أنه مما لا شك فيه أن الإنسان لا يخضع لسلطان الغريزة وحدها .. إنما يؤثر فيه شيء آخر له سلطان قاهر عليه .. وذلك الشيء .. هو العادة !! .. والدخان قبل أن يكون تأثيره بسبب مادة النيكوتين التي يتشبع بها الدم فتؤثر علىٰ خلايا المخ .. الدخان قبل كل شيء هو عادة مكتسبة .. فإذا مارس الإنسان فعلٌ ما ثم كرر استعماله مرات عديدة تحولت عنده إلىٰ عادة يصعب عليه بعد ذلك التوقف عنها أو تبديلها بشيء آخر ..) .

والإنسان خُلِقَ بالفطرة السليمة ثم يمارس مجموعة من العادات المكتسبة

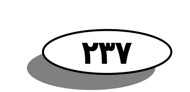
يعيش بها علىٰ الأرض بما فيها الأكل والشرب .. هذا غير ما فطر عليه الإنسان بالغريزة .. وتكون تلك العادات لها قوتها وسلطانها عليه بشكل ملحوظ لا يستطيع أن يخفيه .. ولكن ما يدخله الإنسان علىٰ سلوكه من تصرفات وتتكرر منه حتىٰ تصبح لديه عادة سواء كانت سلبية أو إيجابية ، نافعة له أو ضارة عليه.. فقد ثبت أنها يكون لها سلطان أقوىٰ من سلطان العادات الغريزية ، فإذا كانت العادات التي يكتسبها الإنسان أثناء حياته هي عادة حسنة صالحة فإنه يسعد بها لأنها ترتفع به عن المستوىٰ البهيمي إلىٰ المستوىٰ الإنساني الراقي .. أما إذا كانت تلك العادة قبيحة وضارة فما أتعسه بها وما أشقاه بسلطانها وخضوعه بذلة تحت سيطرتها .. حتىٰ أنه ليأكل الشيء الذي يضر جسمه ، ويشرب الشيء الذي يضر عقله ويسقم بدنه وهو يعلم بذلك ومتأكد منه ولكنه لا يملك التخلص منها لضعف إرادته ووهن عزيمته .. ومن ذلك تلك العادة الضارة مثل التدخين ، تجد الرجل من المدخنين تنفر زوجته من رائحة فمه ولكنه يدخن السيجارة وهو ذليل لها .. وتجد الرجل المدخن يشاهد ابنه المراهق الصغير يدخن خلسة فلا يقدر أن ينصح ابنه بالكف عن التدخين لأنه هو نفسه يدخن أو كما يقول المثل : (كيف يستقيم الظل والعود أعوج) ، ولأنه هو السبب في تعويد أبنائه علىٰ تلك العادة السيئة حتىٰ وهم أجنة في بطن أمهم بعدما أثبتت البحوث الطبية مؤخراً أن الطفل الذي يولد من أم وأب مدخنين فإنه يولد ودمه مشبع بمادة النيكوتين فيولد وهو لديه الاستعداد الغريزي لأن يتناول الدخان وهو لا يزال طفل صغير.. حتىٰ ولو كان الأب هو فقط الذي يدخن وحده والأم لا تدخن فإن نفس النتيجة تكون محتملة علىٰ الطفل ولكن بنسبة أقل ذلك لأن الأم وإن كانت لا تدخن بشكل مباشر فإنها تستنشق تلقائياً الدخان الناتج عن تدخين زوجها داخل البيت .

أضف إلىٰ ذلك إحساس المدخن بالذل والهوان كلما أراد الدخول إلىٰ بعض الأماكن العامة مثل المطاعم والفنادق والمعارض فيجد اللوحات منتشرة معلقة علىٰ الحوائط تقول (ممنوع التدخين) فتجعل المدخن يشعر أنه منبوذاً أو مكروهاً من أفراد مجتمعه .

ولذلك وللتخلص من أي عادة سيئة تعودنا عليها لابد لنا من أن نستعد لها استعداداً قوياً ثم نعلن عليها الحرب بلا هوادة .. حرباً حقيقية .. لا ينتصر فيها إلا

من قد تسلح لها بقوة الإيمان با وبالتقوىٰ والاستعانة به تعالىٰ لكي يقوي إرادته ويقوي من عزيمته بتصميم صادق علىٰ الانتصار عليها .

إنني أتوسم الخير في إخوان وأخوات لنا ابتلاهم ا بهذا الداء اللعين ليمتحن إيمانهم .. إنني أتوسم فيهم العقل والفهم والإدراك والحس السليم الجيد الذي يميزوا به بين الخبيث والطيب، ويعلمون أن الدخان من الخبائث التي حرمها ا علينا بنص القرآن كما أسلفنا . وأتوسم فيهم أيضاً أن يكونوا من أولي الألباب لعلهم يفلحون .. ونعيد ذكر قول ا تعالىٰ : { قُل لا يَسْتَوِي الخَبِيثُ وَالطيبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الخَبِيثِ فَاتقُوا اللهَ يَا أُوْلِي الألْبَابِ لَعَلكُمْ تُفْلِحُونَ } المائدة : ١٠٠ .. وبعد كل الذي شرحناه نسأل أنفسنا هذا السؤال : هل يجرؤ أحد منا أن يقول بأن الدخان من الطيبات ؟ .. بعد أن تأكدنا أنه يضر الجسم والعقل والمال ويسبب الأمراض الخطيرة للإنسان والرائحة النتنة في الفم التي تجعل الملائكة تنفر منا في صلاتنا وفي غير صلواتنا .. وليست الملائكة فقط هم الذين ينفرون منا .. بل ينفر منا الناس أيضاً ويشمئزون منا ويتحاشون الاقتراب منا أثناء تحادثنا معهم .. وبعد كل ذلك هل يكون الدخان من الطيبات ؟! إن لسان حال ضميركم يقول : لا با ما هو من الطيبات .. فنقول : إذاً وطالما اعترفتم أنه ليس من الطيبات فمما إذاً سيكون ؟ .. طبعاً يكون من الخبائث .. وهذه المعادلة سهلة علىٰ الفهم والإدراك لكل واحد منا .. فطالما أننا انتهينا إلىٰ أنه من الخبائث إذاً فهو من المحرمات علينا بنص كتاب ا تعالىٰ .. نقولها بكل ثقة وبكل تأكيد أن الدخان حرام .. حرام . ومستعمله عاص لا ريب في ذلك لأنه استعمل شيئاً محرماً علينا .. ولذا يجب عليه أن يسارع إلىٰ الإقلاع عنه والتوبة منه إلىٰ ا تعالىٰ توبة نصوحا .. لكي يرضىٰ ا عنا ويكتب لنا حسن الختام فلا يأتي يوم هو حق علينا جميعاً وتخرج فيه أرواحنا والدخان ورائحته النتنة في أفواهنا .. ونقـول يا أخي الكريم أدرك الفرصة وتوقف عن التدخين طاعة لربك وإغاظة للشيطان وأعوانه فتنال رضا رب العالمين ويدخلك برحمته جنة نعيم .. أدرك يا أخي الفرصة قبل فوات الأوان .. فأنت لا تعرف متىٰ تموت .. ولا تضمن أن تنام من ليلتك فتصبح وقد غادرت هذه الدنيا وسكنت القبور .



إن هذا الداء اللعين التدخين حتىٰ من يتاجر به ويبيعه ويتكسب منه .. فكسبه حرام .. فإن أنفقه وتصدق به لم يتقبل منه لأن الله طيب ولا يقبل إلا طيبا .. وإن أنفق منه علىٰ عياله لم يصل إليهم منه بركة بل يحصل من ورائه مصائب وكوارث للأهل والأولاد - وإن تركه بعد موته لورثته كانت تلك التركة زاداً لهم إلىٰ النار والعياذ بالله .. وقد أثبتت هيئة الصحة العالمية بالأمم المتحدة والتي يرأسها وفي عضويتها أشهر أطباء وعلماء العالم بالأمس واليوم ، أثبتت أن التدخين ليس عادة ضارة فحسب بل أنه عادة قاتلة .. ولهذا السبب أرغموا شركات تصنيع الدخان أن يكتبوا علىٰ ظهر كل علبة من علب الدخان عبارة تقول : (التدخين سبب رئيس لسرطان وأمراض الرئة وأمراض القلب والشرايين) وعبارة أخرىٰ أيضاً تقول : (إن التدخين يضر بصحتك) .. ذلك لأنهم أي هيئة الصحة العالمية لا يستطيعوا أن يجاملوا شركات تصنيع الدخان وَيغشوا الناس في كل مكان لتحذيرهم وتنبيههم إلىٰ خطورة التدخين علىٰ صحتهم وعلىٰ حياتهم .. فيكون ذلك التنبيه هو من يقظة الضمير العالمي .. وقالوا : إن كل سيجارة تحتوي علىٰ (٨%) من وزنها من مادة النيكوتين السامة القاتلة .. وأن عشرة ملي غرام منها فقط كفيلة بقتل كلب إذا وضعناها له في طعامه .. وقالوا وأكدوا أن التدخين هو سبب رئيسي للأمراض الخطيرة التالية :

سرطان الرئة - سرطان المريء والمعدة - نخر الكبد وتشمعه - تضخم الكبد وتليفه - تخرش أغشية الحنجرة والقصبات الهوائية والشعب الرئوية - وهن الإرادة والكسل والخمول وضعف الذاكرة - اضطراب الأعصاب الذي ينتج عنه الأرق للمدخن والقلق والتحسس والكآبـة - ومن نتيجة تضخم الكبد يصاب المدخن بالإمساك الدائم الذي ينتج عنه مرض البواسير - كما أن مادة النيكوتين تساعد علىٰ حدوث التخمرات في الفم وعلىٰ سطح ميناء الأسنان فتنخرها وتدفع اللعاب الملوث بها إلىٰ المعدة فيسبب للمصاب بهذا الداء عسر الهضم وفقر الدم - ثم أخطر وآخر القائمة في هذه الأمراض والذي أكدته هيئة الصحة العالمية هو ارتفاع ضغط الدم الذي يسبب تصلب الشرايين فتكثر بين المدخنين الذبحات الصدرية والنوبات القلبية والموت يطل عليهم برعب مع كل نوبة ثم يقضي عليهم في واحدة منها بالسكتة علىٰ غير توبة من التدخين والعياذ بالله .

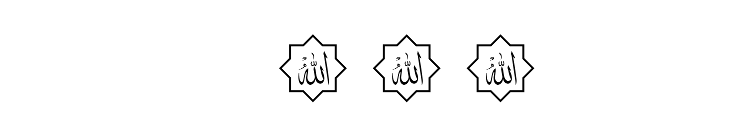
لذا نسأل ا تعالىٰ لنا ولكم حسن الخاتمة والعفو والعافية في أجسامنا وفي عقولنا وأن يهدينا إلىٰ سواء السبيل .

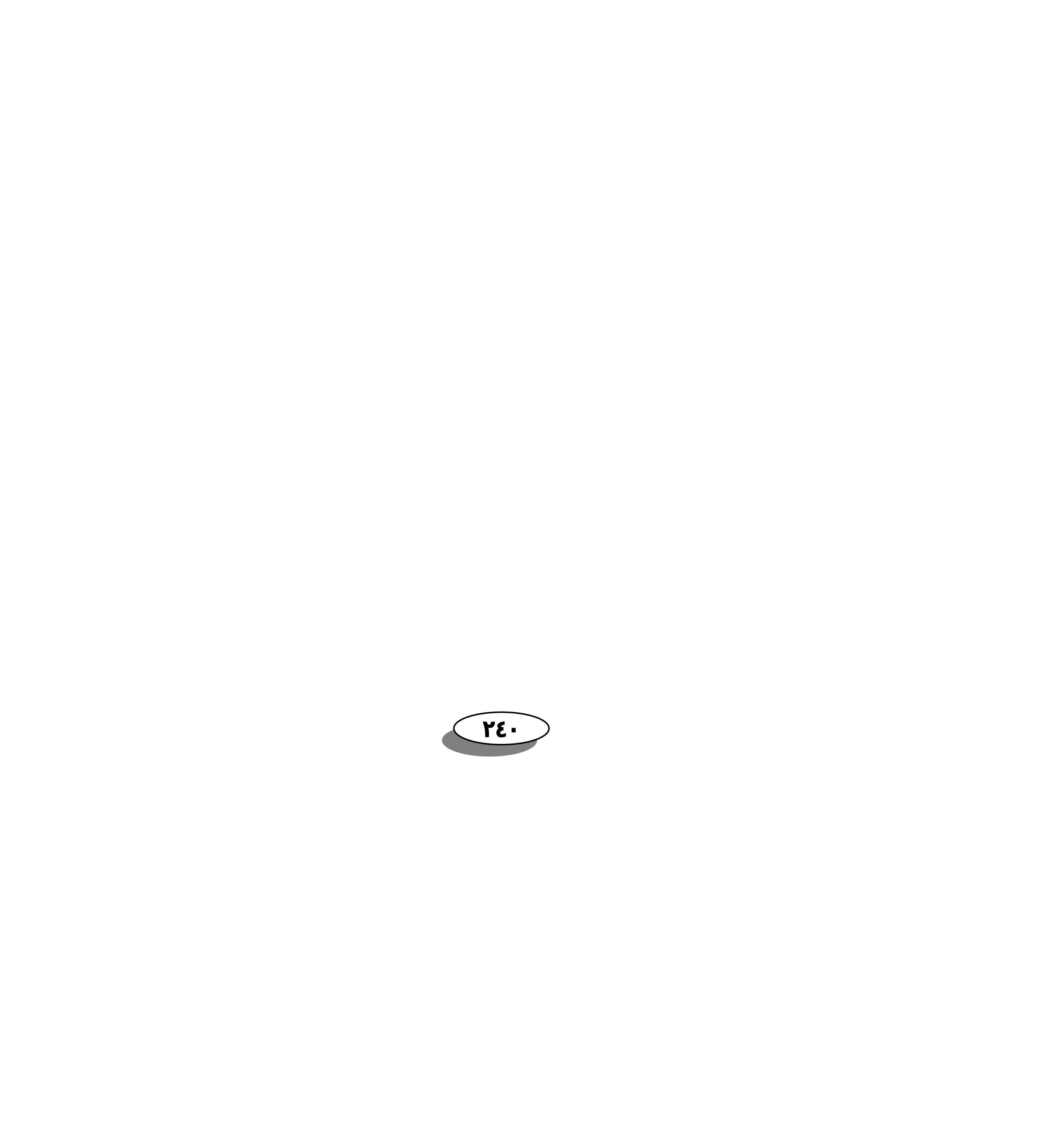
ونؤكد أخيراً بأن إصرارنا واستمرارنا علىٰ شرب الدخان هو استمرار في معصية ا تعالىٰ وانتصاراً لإبليس اللعين .. وانتصار إبليس علىٰ بني آدم هو انتصار مؤقت في الدنيا وينتهي به وبمن نصروه إلىٰ النار وبئس المصير .

فهل يا أخي في ا الذي يدخن .. هل يرضيك ضميرك وإيمانك أن تُغضب رب العالمين بالمعصية وتنتصر لإبليس ؟ .. طبعاً لا يرضيك .. فنحن المسلمون مهما أزاغ بنا الشيطان تذكّرنا وذكّرنا بعضنا البعض بالنصيحة وبالموعظة الحسنة فإذا نحن مبصرون مصداق قوله تعالىٰ : { إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ } الأعراف : ٢٠١ .

أخي في ا الذي ابتليت بهذا الداء اللعين اقلع عنه وتوقف قبل أن تسؤ الخاتمة والعياذ با وأنت علىٰ هذه المعصية .. فا تعالىٰ لا يريد بنا إلا الخير في حياتنا الدنيا وفي الآخرة .. إن كل قرش رزقك ا به ثم تضعه في هذا الداء الخبيث سيسألك ا عنه وسيحاسبك عليه حساباً عسيراً يوم القيامة - فيما أنفقته ؟ - وكيف أنفقته ؟ - وكيف منعته عن أن تطعم به أهلك وعيالك ؟ .. وكيف أنفقته سنوات طويلة علىٰ شراء داء نتن تضر به عقلك وجسمك وتعصي به ربك وتكون بذلك من المبذرين الذين هم إخوان الشياطين أجارنا ا وإياكم .

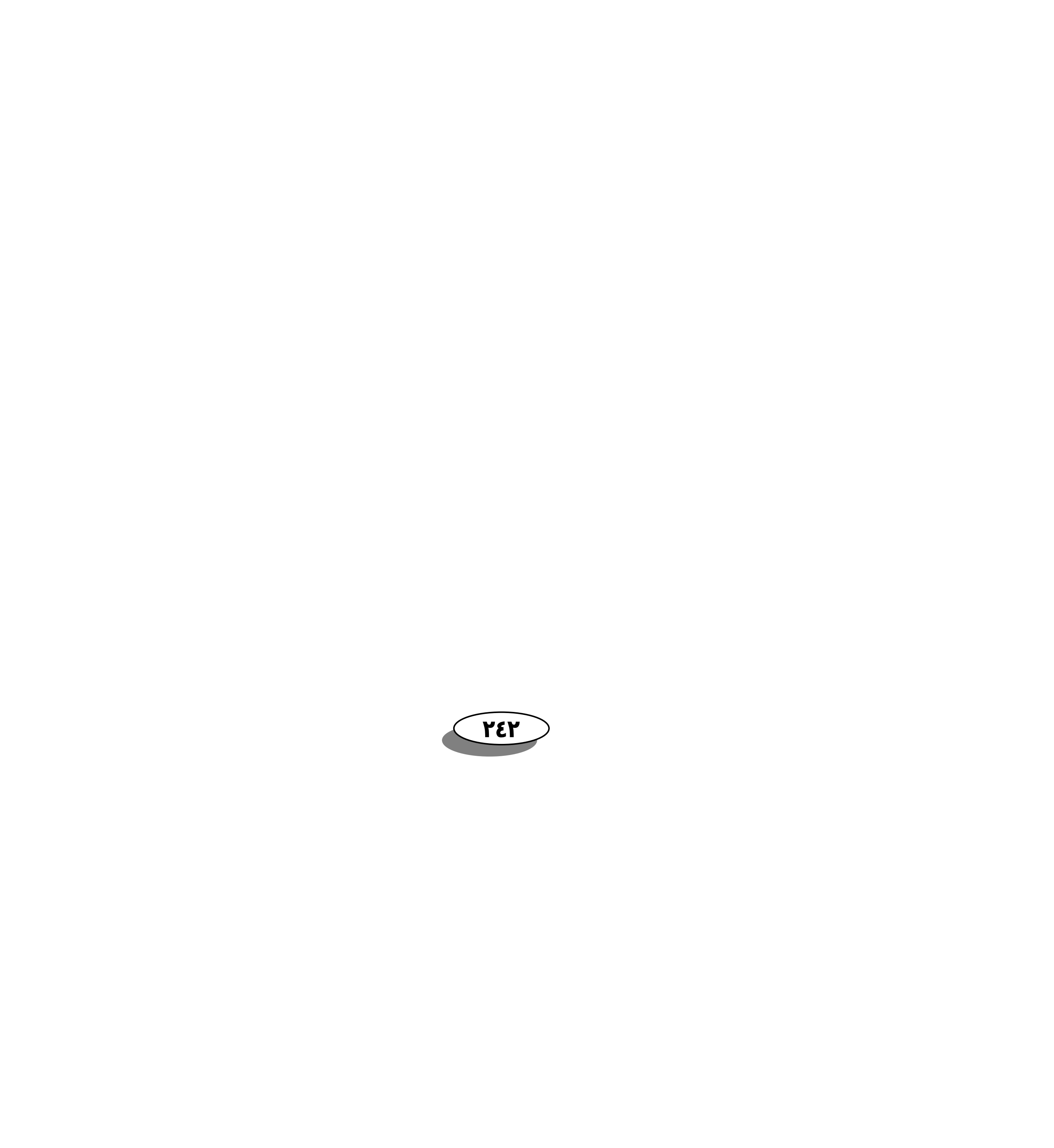
عسىٰ ا أن ينفعنا بما قلنا وأن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه .. والحمد والصلاة والسلام علىٰ الهادي محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين...

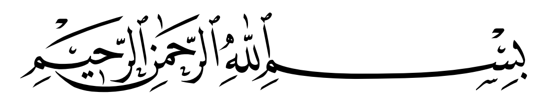






الابتداع في الدين
والطرق الصوفية الضالة





الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير الورى محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

(الابتداع في الدين والطرق الصوفية الضالة)

روى أحمد عن أبي موسى الأشعري أن رسول ا صلى ا عليه وسلم خطبهم ذات يوم فقال : (يا أيها الناس اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من دبيب النمل) .. ومعنى الحديث أننا قد نمارس بعض الشعائر الدينية والدعاء والذكر فنجد أنفسنا قد أشركنا با ونحن لا ندري ولا نشعر .. ولذلك علمنا رسولنا الكريم صلى ا عليه وسلم أن يقول الواحد منا في دعائـه كل يوم : (اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم) .

ثم يقول صلى ا عليه وسلم : (ألا إن من كان قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة ، وأن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين .. ثنتان وسبعون في النار ، وواحدة في الجنة وهي الجماعة) .. وفي رواية أخرى : (هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي) . ويقول صلى ا عليه وسلم: (إن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن عز وجل يقلبهما) .. فكان عليه الصلاة والسلام يكثر من الدعاء ويقول: (اللهم ثبت قلبي على دينك) .. ونحن نردد وراءه وأسوة به صلى ا عليه وسلم ونقول : اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك ربنا ولا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب .

ونقول : يا خفي الألطاف الطف بنا يا أرحم الراحمين .

وا يا إخواني وأخواتي في ا .. إننا عندما نقرأ تلك الأحاديث السابقة نستشعرها كناقوس إنذار بخطر عظيم أصاب أمة الإسلام في زماننا الحاضر .. ناقوس إنذار يصلصل في الآذان وتهز ضرباته وجدان كل واحد منا حريص على

سلامة آخرته .. فيتلفت الواحد منا حوله يُمنةً ويساراً يحاول أن يرى موقعه ويتساءل : هل أكون في معتقداتي واتجاهاتي وفي طريقة ممارستي للشعائر والعبادات ، هل أكون من الفرقة الناجية مع محمد صلى الله عليه وسلم وصحبه رضوان الله عليهم ؟ .. أم أكون من غير أن أدري من إحدى الفرق الضالة الاثنتين والسبعين الذين هم في النار ؟ .

إنه والله لأمر جلل .. تعس من يستهين به ولا يلقي إليه بالاً .. تعس والله من يقرأ تلك الأحاديث النبوية عن هذا الرسول الكريم الذي لا ينطق عن الهوى .. ثم لا يتوقف عندها يراجع أحواله كلها في العبادات والمعتقدات وفي كل أمور الدين ، ماذا يعتقد؟ .. وماذا يقول ؟ .. وكيف يفعل؟ .. ثم يوازن ذلك كله مع الكتاب والسنة .. ويتساءل بعد ذلك : هل أنا مع الفرقة الناجية أم مع إحدى الفرق الضالة في النار ؟ .. فإذا وجد نفسه متورطاً دون أن يعلم في شيء من ممارساته لأمور الدين ومخالفاً بها ما كان عليه محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه أسرع وصحح مساره لينجو مع الفرقة الناجية.

وعندما نبدأ في تصحيح المسار لابد لنا من أن نقرأ التالي من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ندرسها ونتدبرها بدقة ثم نعمل بها :

أولاً : أخبرنـا ربنـا عز وجل في كتابه الكريم بعد فتح مكة .. يخاطبنـا بقوله تعالى : { **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً** } سورة المائدة : ٣ .

ثانياً : ويقول عز من قائل: { **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا** } سورة الحشر : ٧٧ .

ثالثاً : ثم يخاطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الـوداع ليؤكد لنا أنه ما تركنا إلا على المحجة البيضاء - ليلها كنهارها - لا يزيغ عنها إلا هالك .. وقال صلى الله عليه وسلم : (أنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً - فعليكم بسنتي

وسنة الخلفاء الراشدين المهديين - عضوا عليها بالنواجذ - وإياكم ومحدثات الأمور - فإن كل محدثة بدعة - وكل بدعة ضلالة ، (وفي رواية) - وكل ضلالة في النار) .

يعني أنه لم يبق منذ زمن حياة الرسول صلىٰ الله عليه وسلم شيء في الدين إلا وقد اكتمل، وكل أمر قد تبين لم ينقصه شيء لنزد عليه ، ولم يزد فيه شيء لننقصه منه ، وهذا قوله صلىٰ الله عليه وسلم واضحاً ومُؤَكداً علىٰ ذلك إذ يقول : (وما تركت شيئاً يقربكم إلىٰ الله تبارك وتعالىٰ إلا وأمرتكم به ، وما تركت شيئاً يبعدكم عن الله تعالىٰ ويقربكم إلىٰ النار إلا ونهيتكم عنه) .

فمن أتىٰ بعد ذلك ببدعة ونشرها فقد أتىٰ بشرع زائد وصار كمن اتهم الشريعة الإسلامية بالنقص وكأنه يريد أن يُكْمِل النقص علىٰ الله ورسوله معاذ الله تعالىٰ .

كل ما علينا هو أن نتبع سنة رسولنا الكريم صلىٰ الله عليه وسلم وما كان عليه أصحابه رضوان الله عليهم ، نتبعهم خطوة بخطوة ليكون لنا ذلك بمثابة الميزان الذي نقيس به أعمالنا وأقوالنا ومعتقداتنا .. فإذا اعترضنا أثناء ذلك أي قول أو فعل مستحدث وجديد علينا نسارع فنزنه بميزان السنة الصحيحة فنرىٰ إذا كان الرسول صلىٰ الله عليه وسلم قاله أو عمله أو صحابته رضوان الله عليهم قالوه أو عملوه فعلناه .. وإذا لم نر له أي أثر في عبادة وشعائر وسنة الرسول صلىٰ الله عليه وسلم وأصحابه تركناه وتوقفنا عنه فوراً .. وقد يقول البعض منا لسنا متفقهين في الدين بالشكل الكافي لكي نقيس ونميّز ونوازن فنعرف الخطأ من الصواب .. فنقول لهم : عليكم بسؤال العلماء الثقات المعروفين بإخلاصهم لدين الله وهم يدلونكم إلىٰ ما فيه خيركم. فما أحرىٰ بكل إنسان مسلم منا أن يلزم الكتاب والسنة المطهرة ، وأن ينفض عن نفسه الشوائب ، ويُطهرَ عقيدته من البدع والشرك كما يُطهرَ جسده بالاغتسال من الأدران والطفيليات التي علقت به .

نطرق الموضوع برفق :

أتحدث عن هذا الموضوع الخطير بشكل مباشر ومبسط لكي أعود فأقول أن أمة محمد صلىٰ الله عليه وسلم التي وصفها رب العزة والجلال بأنها خير أمة

أخرجت للناس .. هذه الأمة تواجه خطراً عظيماً بسبب فتنة سادت واستشرت وتغلغلت في عقيدة الكثير منهم لتركهم وابتعادهم عن الكتاب والسنة وإتباعهم للمبتدعين في الدين وللمشركين من أصحاب الطرق الصوفية الضالة الذين شوّهوا وأساءوا إلىٰ سمعة الإسلام والمسلمين .. ونتج عن إضلالاتهم بالبدع والشركيات إلىٰ أن انقسموا وتفرقوا إلىٰ فرق مختلفة تُكفر بعضها البعض ، وكثروا حتىٰ بلغوا اليوم قريباً مما ذكره الصادق الأمين باثنتين وسبعين فرقة ضالة في النار والعياذ با .

وهؤلاء المبدعون والمتصوفة المشركون الذين ضلوا وأضلوا عباد ا ، والإسلام براء منهم قد أفسدوا علىٰ أهل السنة صفاء الدين ونقاوته وروحانيته ويقول عز وجل : { وَأَن هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمـاً فَاتبِعـُوهُ وَلاَ تَتبِعُوا السبُلَ فَتَفَرقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصاكُم بِه لَعَلكُمْ تَتقُونَ} سورة الأنعام : ١٥٣. وقولـه تعالىٰ : { فَمَنْ أَظْلَمُ مِمن افْتَرَىٰ عَلَىٰ اللهِ كَذِباً لِيُضِل الناسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ } سورة الأنعام : ١٤٤ .

ضريح الشيخ(الضياف):

منذ سنوات قرأت في إحدىٰ الصحف هذه الرواية العجيبة :

حدث في إحدىٰ دول المغرب العربي زمن كان المستعمر الفرنسي يحكمها أن كان فيها أحد الأثرياء الفرنسيين اختار لنفسه ربوة بين القرىٰ والأرياف المخضرة ، وبنىٰ لنفسه عليها منزلاً محاطاً بحديقة كبيرة .. وكان لذاك الفرنسي كلب ضخم يعيش معه في المنزل ويحرس له الحديقة.. وكانت محبة الفرنسي لكلبه تفوق الوصف .. فجاء يوم ومات الكلب فحزن عليه حزناً شديداً وأبىٰ إلا أن يدفنه بجواره في حديقة المنزل لعل ذلك يعوض بعض حزنه عليه .. ولكن الفرنسي بالغ في احتفائه بمراسم دفن الكلب ، فبنىٰ فوق مقبرته ضريحاً من الرخام المرمر الغالي الثمن ، وألّف قصيدة شعرية يرثي فيها صديقه المخلص الكلب ، وطلب من أحد النحاتين أن ينحت أبيات القصيدة باللغة الفرنسية علىٰ أحد ألواح المرمر التي يتشكل منها الضريح ، وصار يضع علىٰ قائم الضريح الزهور والورود صباح كل يوم

ليرضي به روح صديقه الفقيد (الكلب).

واستمر الحال هكذا ، وتمر السنين والأيام وينسحب الاستعمار الفرنسي من دول المغرب العربي ، ففكر الفرنسي أن يعود إلىٰ فرنسا مسقط رأسه يعيش بقية أيامه هناك .. فباع المنزل لأحـد الوطنيين في ذلك البلد من المغرب العربي وأوصاه برعاية ضريح الكلب صديقه .. وسافر الفرنسي إلىٰ بلده ، وأهمل المواطن الذي اشترىٰ المنزل ولم يسكن فيه وأهمل الحديقة أيضاً حتىٰ مرت عليها السنين الطويلة فجفت أشجارها وتساقطت أحجار أسوارها وصارت مفتوحة علىٰ الطريق دون أبوابها.. وصادف يوماً أن كان أحد القرويين مسافراً علىٰ قدميه من قريته إلىٰ قرية أخرىٰ ، والطريق يمر بذلك المنزل وتلك الحديقـة .. وكان القروي جائعاً يتمنىٰ أن يصل إلىٰ أقرب عمران ليجد طعاما يسد به جوعه .. وأثناء مروره من أمام حديقة المنزل ووجد أسوار الحديقة متداعية ومن خلالها فتحة كبيرة تـؤدي إلىٰ داخلها ، ولاحظ القروي أن الحديقة مهجورة وكان متعباً من طول المشي وشدة الجوع.. فحدثته نفسه أن يدخل إلىٰ الحديقة ويستظل بأي جدار داخلها ويرتاح قليلاً، فلما صار بداخلها أول ما صادف ذلك النصب المرمري القائم مثل الضريح في وسط الحديقة .. فذهب يجلس في ظله وشاهد علىٰ أحد جوانبه كتابة باللغة الفرنسية ، وأكثر القرويين في ذلك البلد يتكلمون الفرنسية ولكن لا يقرأونها مكتوبة .. وكان قد دار بخلده أن يكون هذا الضريح لأحد الأولياء الصالحين فجلس بجواره وجعل ظهره لأحد جوانب الضريح وقام يتحسس بيديه الأرض من حوله ليزيح أي حصوات أو حجارة قد تعيق رقوده في ذلك الموضع .. فإذا بيده تعثر علىٰ صرة في منديل .. ففتحها فوجد بداخلها خبزاً وجبناً وقليل من الطماطم ، فأكل منها حتىٰ شبع ثم نظر إلىٰ مقدمة الضريح وقال : والله هذه بركاتك يا سيدنا يا مولانا الضياف (يقصد الذي يستضيف المسافرين) وأسترسل القروي في كلامه يوجهه لمولاه الضياف قائلاً : من بركاتك وكراماتك ما هان عليك أن أمر بجوار ضريحك وأنا جائع متعب فآويتني وأطعمتني .. (وفي الحقيقة أن الصرة التي وجدها وبداخلها الخبز والجبن ربما يكون قد نسيها أحد الفلاحين المزارعين في المنطقة) .. وبعد أن أكل القروي ونام قليلاً بجوار مولاه الضياف وقام ليرحل وقبل أن يواصل سيره توجه إلىٰ ضريح شيخه يدعوه قائلاً : يا سيدنا يا مولانا الضياف طالما أنك قبلتني ضيفاً عندك اليوم

وعلمت أنني أمر بجوار ضريحك وأنا متعب فآويتني وعلمت أنني جائع فأطعمتني، فإنني أتوجه إليك أن تشفع لي عند ربنا لكي يغفر لي ويدخلني الجنة وأن يرزقني مالاً في الدنيا وفوزاً في الآخرة ..!! وهكذا من الاستغاثات والاستعانات بغير ا التي تجعل المرء مشركاً برب العالمين .

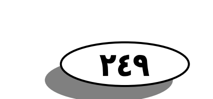
ومضىٰ القروي إلىٰ البلدة التي يقصدها ، وهناك بدأ بروج الدعاية لمولاه الشيخ الضياف ولي من أولياء ا الصالحين ويذكر كراماته وبركاته عليه .. وشاع الخبر بين القرىٰ الأخرىٰ وتوافد الناس نساء ورجال أفواجاً يتبركون بقبر السيد الضياف ويتوسلون به ليقضي لهم حاجاتهم ، فأستغل تلك الظاهرة بعضاً من الدجالين النصابين وجعلوا من أنفسهم سدنة وخدم لقبر وضريح سيدهم ومولاهم الضياف ليجمعوا الأموال من السذج باسم الشيخ .. فجمعوا مالاً كثيراً مكنهم من البحث عن المواطن مالك المنزل والحديقة ، فعلموا أنه قد مات فاشتروهما من ورثته الذين لم يكونوا يعلمون شيئاً عن قبر الضياف .. ثم بنوا عليه قبة وزينوها وألبسوا النصب الرخامي بالحراير الملونة فغطوا القصيدة الشعرية التي كتبها الفرنسي ، وجعلوا علىٰ رأس النصب لذاك الضريح الرخامي جعلوا خشبة مستديرة وألبسوها الطربوش والعمامة ، وكل ذلك لزوم الشغل والنصب علىٰ هؤلاء الخلق السذج .

ولكن الأمر كان قد توسع وانتقلت الأخبار من القرويين السذج إلىٰ المثقفين وأصحاب المراكز في المدن الذين يصعب أن تصفهم بالسذاجة فصاروا يسافرون لزيارة ضريح سيدهم الضياف والإنفاق علىٰ تحسين قبره فبنوا حوله السرادقات لذبح الخراف والأبقار عند ضريحه وأخترع النصابون الذين ادعوا أنهم سدنة وخدم مزار الشيخ الضياف اخترعوا له تاريخ ميلاد من لدنهم ليقيموا له المولد السنوي الذي تأتيه الألوف من الخلق كل عام إرضاءً لسيدهم الضياف الذي ظهرت كراماته وبركاته علىٰ الجميع وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون .. فإذا صادف أن امرأة كانت عقيم وذهبت لزيارة الضياف وذبحت عنده وسألته الأولاد فحملت وولدت .. ظنوا أن ذلك كله من فعل وبركة وكرامة شيخهم الضياف .

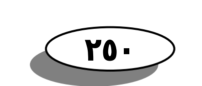
واستمر الحال هكذا سنيناً عديدة والاعتقاد لدىٰ الناس يزداد في كرامة (الكلب) حتىٰ جاء اليوم الذي فكر فيه الفرنسي إلىٰ زيارة ذلك البلد العربي الذي

عاش فيه شطراً من عمره ، وساقه الحنين إلىٰ زيارة المنزل الذي قضىٰ فيه أحلىٰ سنوات عمره وترك فيه رفات صديقه الكلب.. وكان الفرنسي قد بلغ السبعين من عمره فقرر القيام بتلك الزيارة السياحية ليشاهد آثاراً من ماضيه .. وحال أن حطت الطائرة القادمة من باريس في مطار عاصمة تلك الدولة المغربية لم ينتظر يوم راحة في العاصمة وأستقل سيارة أجرة أقلته مباشرة إلىٰ المنطقة القروية التي كان منزله مقاماً فيها علىٰ ربوة معروفة ، ولكن منذ إن اقترب من تلك المنطقة التي يعرفها ولا يتوه عنها شاهد تغييرات كثيرة قد حدثت علىٰ مدىٰ الثلاثين عاماً التي مكثها في فرنسا.. فلما أصبح علىٰ شَرْفٍ من الربوة التي كان عليها المنزل لم يره من كثرة المباني والعمائر والفنادق القائمة في تلك المنطقة دوناً عن باقي المناطق القروية الأخرىٰ التي مر بها وبقيت علىٰ حالها ، ثم شاهـد ازدحاماً كثيراً من المواطنين فظن لأول وهلة أنهم قد عثروا علىٰ معلماً أثرياً سياحياً في هذه المنطقة النائية البعيدة عن العمران في وسط قرىٰ مغمورة .. فترجل من السيارة وتقدم ماشياً في الطريق الذي لا يخطئه أبداً والمؤدي إلىٰ المنزل والحديقة فوق الربوة .. فلما صار في نفس الموقع لم ير أثراً للمنزل ولا للحديقة ، بل وجد مكانهما قبة ضخمة وبجوارها بعض السرادقات والمباني الصغيرة .. فتعجب وأندهش كيف حصل كل ذلك التغيير وما هي أسبابه ؟ .. ولولا أنه كان متأكداً من سلامة ذاكرته بأن ذلك الموقع الذي عليه القبة والمباني حولها هو نفس موقع منزله السابق لظن أنه أخطأ الطريق إلىٰ قرية أخرىٰ .. فما كان منه إلا أن تقدم من باب القبة ليستفسر من أحد الجالسين بجوار بابها .. فلاحظه أحد الدجالين الذين يعملون كخدم وسدنة لمقام الشيخ.. فجاء إليه وسأله ماذا يريد ؟ .. فأخبره الفرنسي بغرضه من القدوم أنه يبحث عن منزله القديم الذي كان في هذا الموقع بالذات ، فقال له الخادم الصوفي : صحيح كان هنا منذ سنوات وفي هذا المكان منزلاً ويحيط به حديقة كبيرة ولكن كل ذلك قد تم هدمه لبناء ضريح وقبة سيدنا الولي الضياف الذي تم اكتشاف مقبرته في هذا المكان من الحديقة القديمة .. أما المنزل فقد تم هدمه لبناء بيوت لِسُكْنىٰ خدم وسدنة ضريح الشيخ وعائلاتهم كما ترىٰ .

وبما أن الفرنسي كان يعلم ومتأكد من نفسه أن هذه القبة الضخمة مقامة تماماً فوق مقبرة كلبه فلم يحب أن يفاتح هذا الخادم بما يعتمل في نفسه ولكنه طلب



منه إذا كان ممكنا أن يسمح له بأن يدخل في بطن القبة وينظر بنفسه مشهد ضريح الضياف ؟.. فرفض السادن بأن ذلك غير ممكن لغير المسلمين .. فأخرج الفرنسي بضع فرنكات وأسقطها في جيبه .. فسمح له بدخـول القبة .. وفي الداخل شاهد الفرنسي غرفة عبارة عن قفص من شبك حديد مطعم بالفضة مقامة في وسط أرضية القبة .. وعندما لمس قضبان الحديد شم رائحة العطور التي تفوح في أرجاء المكان ، وشاهد بعض القرويين يتمسحون بهذا الشبك الحديد ويرفعون أيديهم بالدعاء أمامها وبعضهم يبكي وينوح ، ولم يفهم ما يقولونه في نواحهم ودعائهم .. ثم شاهد داخل القفص الحديدي بناءً مكعباً أقرب إلىٰ المستطيل مغطىٰ بقماش السندس والإستبرق الملون والغالب عليه اللونين الأخضر والأسود ، ثم عند رأس المكعب من الأعلىٰ مثل رقبة ممتدة مغطاة أيضاً بالحرير وعلىٰ قمتها طربوش ملفوف بعمامة خضراء ضخمة ، فرجع الفرنسي بذاكرته إلىٰ الوراء يقارن حجم ذلك المكعب المغطىٰ بالحرير إلىٰ حجم بناء الضريح الذي بناه بالمرمر فوق مقبرة كلبه الفقيد.. فتأكد لنفسه أنه هو نفس الحجم .. وهنا اقترب من الخادم الذي أدخله تحت القبة وقال له : إن لدي حب فضول لمعرفة الأشياء المغلقة ما بداخلها .. وأتمنىٰ لو أنك تمكنني من مشاهدة البناء الذي تحت هذه الأغطية الحريرية ومستعد أن أدفع لك ما تريد .. فغمغم الخادم بكلمات لم يفهمها ثم أجابه بالفرنسية : إنك تطلب شيئاً مستحيلاً وكأنك تطلب مني أن أُعرّي الشيخ وأكشف عورته فينزعج ويغضب علينا كلنا .. وقد تصاب منه بلعنة تلحقك حتىٰ بلدك فرنسا .. ورغم ذلك لم ييأس الفرنسي وعرض علىٰ الخادم مبلغاً كبيراً من المال يأخذه لوحده إذا مكنه من دخول القفص وكشف الأغطية عن الضريح .. فلما شاهد الخادم رزمة المال الكبيرة في يد الفرنسي أسرع وأخذه بيده إلىٰ خارج القبة حتىٰ لا يسمعهما أحد من الحاضرين .. وقال له : إنني قبلت منك هذا المبلغ ولكي نجعله في صندوق صدقات سيدنا الولي لمساعدة الفقراء والمساكين .. وسوف أُمكّنك من طلبك .. ولكن تذهب الآن وتأتي إلىٰ عند منتصف الليل حيث يكون الكل نائمون ، وزوار الشيخ قد غادروا المكان فأدخلك القفص وأجعلك ترىٰ ما تحت الأغطية .. فقبل الفرنسي بالاتفاق .. وعند منتصف الليل عاد الفرنسي فوجد الخادم في انتظاره قرب باب القبة الذي كان مغلقاً .. وعلىٰ أضواء الشموع والقناديل التي تُشعل بالزيت ، وبعد أن تلفت الخادم يمناً



ويساراً ليتأكد من أن أحداً لم يرهما ، فتح باب القبة وأدخل معه الفرنسي، ثم أغلق الباب عليهما من الداخل ، ثم أخرج من جيبه مفتاحاً آخر فتح به باب القفص الحديدي، وأدخل الفرنسي وكشف له الأغطية كلها من جميع جوانب الضريح ، فوجد الفرنسي نفسه وجها لوجه أمام الضريح المرمري الذي بناه لكلبه الفقيد ، وشاهد أحد ألواحه الجانبية ولا يزال محفوراً عليه قصيدة الشعر التي كتبها رثاءً لكلبه .. وهنا اكتفىٰ الفرنسي من المهمة إلىٰ هذا الحد ولم يُحدث الخادم بأي شيء وذهب من فوره وعاد إلىٰ عاصمة تلك الدولة المغربية .

وفي صباح أحد الأيام بعد تلك الحادثة بقليل خرجت إحدىٰ الصحف التي تصدر في العاصمة ولا تزال باللغة الفرنسية .. وعلىٰ صفحتها الأولىٰ وبالخط العريض العناوين التالية :

(بعد ثلاثين سنة عاد الفرنسي ليزور قبر كلبه فوجده تحول إلى ضريح الولي سيدنا الضياف) .

(الفرنسي يصر على نبش المقبرة ويطالب برفات الكلب يأخذه معه إلى فرنسا).

(الفرنسي يطالب الجهات المختصة بنبش المقبرة ويتحمل المسئولية كاملة إذا لم يكن بداخلها رفات الكلب) .

وتفجّرت الفضيحة في عموم ذلك البلد من المغرب العربي ، وتشكلت لجنة من جهات حكومية عديدة وذهبوا مع الفرنسي ونبشوا المقبرة المقام فوقها ضريح الولي الضياف فوجدوها فعلا رفات كلب ولا يوجد معها أي رفات لإنسان .. وكانت الصدمة عنيفة لمئات الآلاف من الناس الذين اعتقدوا زمناً طويلاً في بركات وكرامات السيد الولي الضياف فإذا اعتقاداتهم وأوهامهم وتضرعاتهم كانت كلها علىٰ ضريح (كلب) .. وقامت السلطات بالتحقيقات الموسعة عمن تسبب في هذه المغالطة وهذه الخديعة وعلى الذين بنوا قبة وضريح فوق مقبرة الكلب .. وكانت انتكاسة نفسية ومعنوية تفاعلات لدى شعب ذلك البلد الذين بدأوا يصححون مفهومهم تجاه كل الأضرحة ولما يسمونهم الأولياء الصالحين .

ولكن النتائج الضارة على الدين الإسلامي من هذه الحادثة لم تتوقف عند هذا الحد ، إذ بعدما عاد الفرنسي برفات كلبه إلى بلاده وقص القصة على الصحافة الفرنسية فنشرت تلك الصحف مقالات استهزاء وسخرية بالإسلام والمسلمين وسلوكهم الذي أوصلهم إلى التضرع والتوسل إلى ا بضريح كلب .. وكانت فرصة لهم لينفثوا سموم أحقادهم الدفينة والقديمة ضد الإسلام والمسلمين .. ولا يُلاموا .. لأننا نحن المسلمون الذين تسببنا في كل تلك الفضائح بسذاجة ومعتقدات البعض منا .. تلك المعتقدات الفاسدة .. لقوله تعالى : { **أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ** } سورة البقرة : ١٦ .

(انتهت القصة)

وفي أثناء كتابتي لهذه القصة من رسالتي وكنا في أوائل أيام شهر محرم من عام ١٤٢٢هـ الموافق لأبريل من عام ٢٠٠١ عندما استمعت إلى خبر صغير ضمن نشرة الأخبار من إذاعة B.B.C من لندن .. يقول الخبر : (قتل وجرح ٣٦ شخصاً أثناء التزاحم والتدافع على أحد الأضرحة في باكستان) .. ولا تعليق لنا على هذا الخبر سوى أننا نرفع أيدينا بالدعاء إلى ا العلي القدير بأن يهدي أمة محمد صلى ا عليه وسلم وأن يرشدهم إلى طريق الصواب .

وهكذا وكما سنرى فيما يلي أن الصوفية هي وليدة فاسدة خرجت من رحم البدعة ، وكما قال أحد علماءنا السلف:(إن البدع تستدرج فاعلها من صغيرها إلى كبيرها حتى ينسلخ صاحبها من الدين كما تنسل الشعرة من العجين) .. ومفاسد البدع لا يقف عليها إلا أرباب البصائر - وأما العميان فإنهم ضالون في ظلمة العمى { **وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ** } سورة النور : ٤٠ .

والبداية في البدعة والخروج عن السنة نشأت منذ عهد رسول ا صلى ا عليه وسلم، ففي الحديث عن أنس رضي ا عنه قال : (جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى ا عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى ا عليه وسلم ، فلما أُخبروا كأنهم تقالوها وقالوا : أين نحن من النبي صلى ا عليه وسلم

قد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، قال أحدهم : أما أنا فإني أصلي الليل أبداً ، وقال الآخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال الآخر : وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً ، فجاء رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، فقال : أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟.. أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني) رواه مسلم .

وكان هذا الحديث مدخلاً للتحذير من الذين يغالون في الدين ، فيتمادوا في مغالاتهم حتىٰ يقعوا في شَرَكِ الابتداع ويعتقدون في أقوال وأفعال من العبادات زائدة ومخالفة عن سنة نبينا محمد صلىٰ الله عليه وسلم الذي أكد لنا أنه ما تركنا إلا علىٰ المحجة البيضاء ليلها كنهارها.

وتعريف البدعة شرعاً : هي التي أُحدثت بعد الرسول صلىٰ الله عليه وسلم علىٰ سبيل التقرب إلىٰ الله .. ولم يكن قد فعلها الرسول ولا أمر بها ولا أقرّها ولا فعلتها الصحابة رضوان الله عليهم .

أما من قالوا خطأً : أن هناك بدعة حسنة وبدعة سيئة ، فالرد عليهم : أن قولهم باطل فليس في الدين بدعة حسنة وبدعة سيئة فأي إحداث في الدين هو بدعة بدليل قوله صلىٰ الله عليه وسلم : (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) .. واعتقد أنه قد اختلط الأمر علىٰ البعض بقولهم بدعة حسنة وبدعة سيئة لعدم فهمهم لمعنىٰ حديث رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم الذي قال فيه : (من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء .. ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شيء) رواه مسلم .. فالحديث يقول سنة حسنة وليس بدعة حسنة وبدعة سيئة .. وشرح معنىٰ هذا الحديث كان بسبب قدوم وفد من مُضر إلىٰ المدينة ، فتمعّر وجه رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم لما رأىٰ بهم من الفاقة .. فقال : من يتصدق عليهم ؟ .. من ديناره .. من درهمه .. من ثوبه .. من صاع بره .. من صاع تمره .. حتىٰ قال : ولو بشق تمرة .. فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها ، ثم تتابع الناس حتىٰ صارت كومتين من طعام وثياب فتهلل وجهه صلىٰ الله عليه وسلم وقال : من سن في الإسلام سنة حسنة..

(الحديث) .

من هنا نعلم الفارق بين السنة الحسنة والسنة السيئة ، وبين البدعة سواء كانت حسنة أو سيئة ، فالسنة الحسنة هي الدلالة علىٰ فعل الخير في حدود ما أنزل ا وما أمرنا به رسول ا صلىٰ ا عليه وسلم كقوله : (من دعا إلىٰ هُدْى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقـص ذلك من أجورهم شيئاً .. ومن دعا إلىٰ ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً) رواه مسلم .. وقوله صلىٰ ا عليه وسلم : (من دل علىٰ خير فله مثل أجر فاعله) رواه مسلم .

والدعوة إلىٰ الضلالة هنا في الحديث كمن يدعو صاحبه أو أصحابه إلىٰ شرب الخمر أو لعب الميسر أو إلىٰ ارتكاب الفواحش والعياذ با .. وهذه كلها معاصي ليست لها علاقة بالبدعة.. لأن البدعة في الدين هي الإتيان في أمور العبادات بغير ما أمرنا ا به ورسوله ، هي البدعة سواء كانت حسنة أو سيئة .. البدعة هي البدعة .. وهي مخالفة لظاهر شرع ا تعالىٰ وسنة رسوله صلىٰ ا عليه وسلم في العبادات سواء كانت تلك المخالفة صغيرة أو كبيرة ، ويقول المولىٰ عز وجل في ذلك:{ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبونَ اللهَ فَاتبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ }آل عمران: ٣١ .

ثم يؤكد علينا ربنا جل وعلا ويحذرنا عدم مخالفة رسوله محمد صلىٰ ا عليه وسلم لا في صغيرة ولا في كبيـرة بقولـه تعالىٰ : { لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لمَن كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ }الأحزاب: ٢١. ثم قوله تعالىٰ: { فَلْيَحْذَرِ الذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } النور : ٦٣ . وقوله تعالىٰ : { وَإِن كَثِيراً لَيُضِلونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِن رَبكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ } الأنعام : ١١٩. وقوله تعالىٰ : { وَمِنَ الناسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدًىٰ وَلا كِتَابٍ منِيرٍ - ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِل عَن سَبِيلِ اللهِ لَهُ فِي الدنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ

يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ - ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ } الحج : ٨ - ١٠ .

وفي سياق الترغيب والترهيب من مخالفة السنة واتباع البدع نستعرض بعضاً من أحاديث الرسول صلىٰ ا عليه وسلم ، وأقوال بعض العلماء والسلف في ذلك :

★ عن ابن عباس رضي ا عنهما قال : قال رسول ا صلىٰ ا عليه وسلم : (من تمسك بسنتي عند فساد أمتي فله أجر مائة شهيد) .

★ عن أنس بن مالك رضي ا عنه قال : قال رسول ا صلىٰ ا عليه وسلم : (إن ا حجب التوبة عن كل صاحب بدعة حتىٰ يدع بدعته) رواه الطبراني بإسناد حسن .

★ وعنه صلىٰ ا عليه وسلم قال : (لا يقبل ا لصاحب بدعة صوماً ولا صلاة ولا حجـاً ولا عمرةً ولا جهاداً ولا صرفاً ولا عدلاً - يخرج من الإسلام كما تخرج الشعرة من العجين) .

★ ومنها قوله صلىٰ ا عليه وسلم : (إنما أهلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم واختلافهم علىٰ أنبيائهم - فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه - وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم) متفق عليه .

★ عن أبي وائل عن عبد ا بن مسعود رضي ا عنه قال : خط لنا رسول ا صلىٰ ا عليه وسلم يوماً خطاً ثم قال : هذا سبيل ا - ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن شماله ثم قال : هذه سُبُلٌ علىٰ كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم تلا : { وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } الحج : ٨ - ١٠ .

★ وقول بعض الصحابة رضوان ا عليهم : كنا نجلس علىٰ باب عبد ا بن مسعود قبل صلاة الغداة فإذا خرج مشينا معه إلىٰ المسجد ، فجاءنا أبو موسىٰ الأشعري ، فقال : أَخَرَجَ إليكم أبو عبد الرحمن بعد ؟ .. قلنا: لا ، فجلس معنا

حتىٰ خرج ، فلما خرج قمنا إليه جميعاً ، فقال له أبو موسىٰ : يا أبا عبد الرحمن إني رأيت في المسجد آنفاً أمراً أنكرته ، ولم أر والحمد إلا خيراً ، قال : فما هو ؟ .. قال إن عشت فستراه .. قال .. رأيت في المسجد قوماً حُلَقاً جلوساً ينتظرون الصلاة، في كل حَلْقة رجل وفي أيديهم حصىٰ فيقول : كبروا مائة ، فيكبرون مائة ، فيقول : هللوا مائة ، فيهللون مائة ، ويقول: سبحوا مائة ، فيسبحون مائة ، قال : فماذا قلت لهم؟.. قال : ما قلت لهم شيئاً انتظار رأيك أو انتظار أمرك ، قال : أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم ، وضمنت لهم أن لا يضيع من حسناتهم شيء ، ثم مضىٰ ومضينا معه ، حتىٰ أتىٰ حلقة من تلك الحِلَقْ فوقف عليهم ، فقال : ما هذا الذي أراكم تصنعون ؟ .. قالوا .. يا أبا عبد الرحمن حِصي نَعُدُ به التكبير والتهليل والتسبيح ، قال : فعدوا سيئاتكم فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء .. وَيْحكُم يا أمة محمد ما أسرع هلكتكم ، هؤلاء صحابة نبيكم صلىٰ ا عليه وسلم متوافرون ، وهذه ثيابه لم تبْل ، وآنيته لم تُكْسر ، والذي نفسي بيده إنكم لعلىٰ ملة أهدىٰ من ملة محمد أو مفتتحوا باب ضلالة ، قالوا : فوا يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير ، قال : وكم من مُريد للخير أن يصيبه ، إن رسول ا صلىٰ ا عليه وسلم حدثنا: (أن قوماً يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم) .. وأيم ا ما أدري لعل أكثرهم منكم، ثم تولىٰ عنهم ، فقال عمرو بن سلمة : رأينا عامة أولئك الحِلَق يطاعنوننا يوم النهروان مع الخوارج .

★ ذكر الشاطبي في كتاب (الاعتصام) ما رواه ابن حبيـب عن ابن الماجشون قال: سمعت مالكاً يقول : من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمداً صلىٰ ا عليه وسلم خان الرسالة ، لأن ا تعالىٰ يقول : { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ } فما لم يكن يومئذٍ ديناً فلا يكون اليوم ديناً .

★ وقول ابن تيمية يرحمه ا : (أن العبادات مبناها علىٰ الشرع والاتباع، وليس علىٰ الهوىٰ والابتداع ، لأن الإسلام بنُيَ علىٰ هذين الأصلين) .

وبرغم كل ما أسلفنا من توضيح وتبيان فإنه مما يؤسف له ويحز في أنفسنا ما قام به بعض المسلمين خلال قرون سابقة من إحداث للبدع والدعوة إلىٰ

نشرها بين الخلق ليتعبد بها الجهلة والمغفلين السذج بحسن قصد ، بينما من يروجها ويدعو لها فإنه يعمل ذلك بسوء نية بهدف إفساد الدين ، والتشويش علىٰ المسلمين في صحيح أمور عقيدتهم وإن من يتابع منا في كتب التاريخ الإسلامي فإنه يشاهد أنه كلما مر قرن وتلاه آخر فإن تلك البدع تتطور إلىٰ الأسوأ ، وتزداد خطورة علىٰ العقيدة السليمة ، فتنزلق بمن يؤمن بتلك البدع ويُصدقها ويتبعها .. تنزلق به دون أن يشعر إلىٰ مهاوي الكفر والشرك أعاذنا الله .. ونتيجة تطورها وانتشارها أفرزت بينهم تلك المذاهب الكفرية الهدامة ابتداءً من الخوارج والتشيع والسبأية والمُتكلمة والإسماعيلية وهذه الأخيرة خرج من أكمامها الكثير من الفرق الباطنية مثل القرامطة والحشاشون والفاطمية والبهرة والأغاخانية ، ثم النصيرية والدرزية ، وما تلاها مؤخراً من فرق ضالة معاصرة مثل القاديانية والبابية والبهائية والكاميلية والرفاعية والخطابية والقادرية والجيلانية والتجانية والشاذلية والدسوقية .

وقد تأكد الأمر لكل متتبع لمراحل نمو وتطور هذه الفرق وانتشارها العجيب في أرجاء العالم الإسلامي عامة ، وبين الأقليات المسلمة في دول الغرب وجنوب شرقي آسيا خاصة ، أن من يُغذيها وينفخ فيها ويشجعها ويتبناها هم الصليبية والصهيونية والماسونية العالمية ، فنجدهم مثلاً في أوروبا إذا طلبت جمعية إسلامية غير منحرفة الحصول علىٰ ترخيص لبناء مسجد في إحـدىٰ المدن لإقامة الصلاة والتعبد فيه كما جاء في الكتاب والسنة الصحيحة ، وضعوا أمامهم كل العراقيل لإقامة مثل ذلك المسجد ، أما إذا طلب ذلك المطلب أحد من الفرق الضالة مثل البهائية أو البابية أو القاديانية فإنهم لم يصرحوا لهم بالبناء فحسب بل يساعدونهم علىٰ تكاليف الإنشاء ، ويوفروا لهم الحماية اللازمة ضد بعض الصليبيين العنصريين ، وضد بعض المسلمين المتعصبين .. وهذا ما شاهدت بعضه بعيني في بعض الدول الأوروبية .. وإذا ظهر كاتب مسلم منحرف وألف كتاباً شتم فيه الإسلام والمسلمين وتطاول فيه علىٰ الذات الإلهية وعلىٰ شخص الرسول صلىٰ الله عليه وسلم قاموا وتبنوا طبع كتابه بكل اللغات ونشروه ووزعوه بالملايين علىٰ دول العالم ، وقاموا بإعداد المحافل لتكريم ذلك الكاتب وطوقوا عنقه بالأوشحة وعلقوا علىٰ صدره الأوسمة ودفعوا له الجوائز النقدية .. تماماً مثلما فعلوا مع

الخنزير البشري الزنديق سلمان رشدي وغيره للأسف بعض الكتاب والأدباء العرب دون ذكر أسمائهم .

ثم يأتي السؤال الذي يطرح نفسه هنا وهو : لماذا تدعم الصليبية والصهيونية والماسونية تدعم كل تلك الفرق الضالة والمنحرفة من المسلمين ؟ .

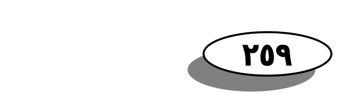
بعد ما تمت الفتوحات الإسلامية والتي بدأت منذ عهد الرسول صلىٰ ا عليه وسلم ، ثم من بعده علىٰ يدي أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي ا عنهما ، ثم توالت وتوسعت إبان حكم الدولتين الأموية والعباسية ، حتىٰ بلغت أطراف سواحل أوروبا الشمالية ، وروسيا والصين شرقاً ، وشبه القارة الهندية وجزر إندونيسيا جنوباً، ثم العديد من دول غرب وشمال ووسط أفريقيا .. قضت تلك الفتوحات في وقت وجيز علىٰ أمجاد دول وإمبراطوريات الأكاسرة والقياصرة من الفرس والروم اللتي كانتا في تلكم العهود القوتين العظميين اللتين تحكمـان العالم .

فأدرك الصليبيون بأنهم لا طاقة لهم بحرب المسلمين وإضعاف سلطانهم بكثرة العسكر والعتاد بعدما تأكد لهم أن سبب قوة وعظمة المسلمين الذي مكنهم من الانتصارات في كل تلك الفتوحات رغم قلة عددهم وكثرة عدد أعدائهم يكمن في قوة إيمانهم بدينهم وتمسكهم بكتابهم (القرآن) واتباعهم لتعاليم نبيهم محمد صلىٰ ا عليه وسلم .، فقاموا يفكروا ويخططوا بطرق أخرىٰ غير الحرب .. طرق خفية وغير مباشرة تكون أهدافها إفساد المسلمين عليهم دينهم .. دينهم الذي هو مصدر قوتهم ومنعتهم .. وهكذا فعلوا ونجحوا ، وبدأوا بذلك منذ القرون الأولىٰ للإسلام .. وذلك ما نجده مفصلاً في كتب التاريخ الإسلامي .. نجحوا أولاً في تنفيذ فكرة (فَرِقْ تَسُدْ) في القضاء علىٰ استمرار حكم المسلمين في الأندلس (جنوبي غربي أسبانيا حالياً).. دولة الأندلس المسلمة في ذلك الوقت الذين انطبقت عليهم وصف الآية القرآنية وصدق عز من قائل: { **ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم** } الأنفال : ٤٦ .. وذلك عين ما حدث لدولة الأندلس التي حكمت أسبانيا والبرتغال (٨٠٠) عام ، ثم نجح الصليبيون في بث الخلافات بين أمراء أقاليمها، فانشقوا

بعضهم علىٰ بعض ، وكل أمير منهم استولىٰ علىٰ جزء من الأرض والمدن واستقل بها ، بل ونجح الصليبيون أيضاً في زرع الفتن بينهم فجعلوهم يقاتلون بعضهم البعض .. وعندما وصل الخلاف بينهم أشده ، وأصبح كل حاكم من المسلمين ضعيفاً في موطنه بقلة عدد جنده وعتاده، تجمع الصليبيون وانقضوا علىٰ تلك الإمارات والممالك المتفرقة والمتشاحنة وذبحوا الرجال والنساء والأطفال، وفر البقية الباقية الذين نجوا من الذبح فروا إلىٰ السواحل المقابلة من الطرف الشمالي الغربي الأفريقي الذي يعرف اليوم بدول المغرب العربي .

وأحس العرب والمسلمون بعد ذلك بالندم علىٰ تفرقهم واختلافهم وذهاب ريحهم من الأندلس ، وأطلقوا علىٰ تلك البلاد التي كانت توصف بأنها جنة ا في الأرض ، أطلقوا عليها اسم (الفردوس المفقود) .. وللأسف لا يزال مفقوداً إلىٰ اليوم ولم نتعظ أو نعتبر ، ونحن اليوم الدول العربية والإسلامية ، في أشد حالات تفرقنا واختلافنا وتشتتنا مما أفقدنا الهيبة أمام أحقر شعوب العالم .. وصدق فينا قول المصطفىٰ صلىٰ ا عليه وسلم في حديثه المشهور الذي قال فيه: (يوشك أن تتداعىٰ عليكم الأمم من كل أفق - تداعي الأكلة إلىٰ قصعتها - قيل يا رسول ا : أفمن قلة نحن يومئذ ؟ .. قال : لا .. ولكنكم غثاء كغثاء السيل - يجعل الوهن في قلوبكم- وينزع الرعب من قلوب عدوكم - قالوا وما الوهن يا رسول ا ؟ .. قال : حب الدنيا وكراهية الموت) .

نعم وللأسف ذلك هو واقعنا اليوم بسبب تفرقنا وحبنا للدنيا وركوننا إلىٰ الراحة.. قد تداعت علينا أمم الكفر والشرك والطغيان - وتداعت علينا اليهود وهم قلة ونحن كثرة كثيرة - ونزع ا مهابتنا من صدورهم ، فدنسوا مقدساتنا واحتلوا بلادنا وأراضينا - وصاروا يتجرأون علينا ويتهددوننا ويتوعدوننا بالويل والثبور .. ونحن أذلة لا نحرك ساكناً .. لماذا؟ .. لأننا أصابنا الوهن في ديننا وأحببنا الدنيا وأقبلنا عليها إقبال المتلهف الولهان ، فانتشرت المعاصي في مجتمعاتنا- وأشكلت علينا من كثرتها وتنوعها - فبتنا أو بات الكثير منا لا يستطيع أن يُفرق ولا يعلم ما هو الحلال منها وما هو الحرام ؟ .. وما هو المنكر منها - وما هو غير المنكر؟ .. وما هو علىٰ الشرع والسنة - وما هو علىٰ الشرك والبدعة ؟ .. أضعنا الصلوات ، واتبعنا الشهوات ، وتعاملنا مع البنوك الربوية بالربا ولا ندرك أنه ربا ، فحاربنا ا



ورسوله ، ومنعنا الزكاة ، وتخلينا عن حيائنا ، وانتهكنا الحرمات في البيوت وفي الشوارع ومن خلال (الفضائيات والإنترنت) .. وأسمينا كل ذلك تحرراً وتقدماً وتطوراً ، بينما هو في الحقيقة عبودية للشيطان ، وتردياً في الأخلاق وفي المبادئ الإسلامية السامية ، وتدهوراً إلىٰ الهاوية ، وتخلفاً إلىٰ الجاهلية الأولىٰ والعياذ با وبئس المصير .

وإذا نظرنا إلىٰ أسباب تفرقنا الحالي واختلافنا ، وإلىٰ انقسامنا إلىٰ دول ودويلات عديدة وصغيرة ، بعد أن كنا أمة واحدة زمن الخلافتين الأموية والعباسية وقبل سقوط الخلافة العثمانية .. تماماً (كما حدث في الأندلس سابقاً) .. سنجد أن وراء ذلك كله ابتداءً من مؤامرة تفتيت وإسقاط الدولة العثمانية ، وانتهاءً إلىٰ تفريقنا وتشتيتنا إلىٰ دول ودويلات عديدة دائمة الشقاق والخلاف ، ولا نتفق علىٰ رأي واحد في شيء، وبعضنا ترك الحكم بكتاب ا ويتحاكمون إلىٰ القوانين الوضعية التي مصادرها القانون الفرنسي والقانون الإنجليزي وإلىٰ اليوم .. مَنْ وراء ذلك كله ؟ .. سنجده هو نفس العدو التقليدي الأول منذ ظهور الإسلام هم : (الصليبية والصهيونية والماسونية) .

فهل آن لنا أن نتعظ ونعتبر ونستيقظ من سباتنا قبل فوات الأوان؟.. ونعتصم بحبل ا ونعمل بقوله تعالىٰ لنا : { وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا} آل عمران : ١٠٣ .. ونعود إلىٰ التمسك بكتاب ربنا جل وعلا وبسنة نبينا محمد صلىٰ ا عليه وسلم ، أو كما قال الإمام الشافعي يرحمه ا : (لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها) .

بعد هذه النبذة الموجزة عن أسباب تفرق المسلمين وعجزهم وهوانهم علىٰ الناس .. أعتقد أننا خرجنا عن موضوع رسالتنا هذه عن البدع والتصوف والشرك با .. رغم وجود ارتباط وثيق وعلاقة مباشرة بين موضوع رسالتنا وبين ما ذكرناه آنفاً من محاولات الصليبيين تفريق هذه الأمة وإضعافها (أمة محمد صلىٰ ا عليه وسلم) ، إذ ما فتئوا يواصلوا خططهم ومؤامراتهم لإفساد دين المسلمين

.. ففي خلال القرنين التاسع عشر والعشرون الميلادي نشط الصليبيون إلىٰ إرسال المستشرقين الواحد تلو الآخر إلىٰ كافة البلاد العربية وبخاصة الجزيرة العربية ضمن خطة مدروسة ومنظمة .، وكانت المهام الموكلة لهؤلاء المستشرقين هي أن يلبسوا لباس الإسلام ، ويتوغلوا في أعماق مجتمعات وفئات وطوائف المسلمين في كل البلاد التي ينتشرون فيها ، يدرسون الدين الإسلامي عن كثب ، ويتابعون كيفية الالتزام وتطبيق تعاليم هذا الدين لدىٰ المجتمع المسلم علىٰ كافة عناصره وأجناسه ، وليلتمسوا فيه ما يتخيلونه بعقولهم المريضة أنها أبواب لأمور متناقضة مع الفطرة ومع الرسالات السماوية التي حرّفوها ، وما يعتقدونه أنها أخطاء في النص القرآني بتتبعهم للآيات المتشابهة وبعض الأحكام المنسوخة فيه ، وقد فضحهم المولىٰ عز وجل في وصفه لهم في سورة آل عمران بقوله تعالىٰ : { هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنه آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُن أُم الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهاتٌ فَأَما الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتبِعُونَ مَا تَشَابَه مِنه ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ } آل عمران:٧ .. كما وليشككوا المسلمين في أحاديث الرسول صلىٰ الله عليه وسلم ويفتحوا باب الجدال فيها للآحاد والمتواتر ولندب الخلافات بين علمائهم في المذاهب والمعتقدات .

والشيء المؤسف حقاً أن بعض أولئك المستشرقين قد نجحوا وحققوا أهدافهم إلىٰ حد كبير .. فمنهم من توغل بين العرب الحاضرة والبادية ، وتظاهر بعضهم باعتناقه الإسلام ليطمئن من يبث إليهم رسالته الهدامة وكأنه صار واحداً منهم وأن ما يقوله أو ما يفعله إنما هو من باب الغيرة علىٰ الدين ، ثم إذا انتهت مهمته وعاد إلىٰ بلاده ارتد عن الإسلام وترك ما كان يدعو إليه.

ومنهم من درس الإسلام واللغة العربية وقرأ القرآن جيداً ويريد الله هدايته فأسلم عن صدق وحسن إسلامه .. وانقلب بإذن الله تعالىٰ بدلاً من أن جاء لينفث سموم الصليبية بين المسلمين إذا به يعمل العكس من ذلك تماماً ، ويتحول إلىٰ داعية للإسلام مدافعاً عن دين الله - الدين الحق لقوله تعالـىٰ : { إن الدين عند الله الإسلام } .

والقائمة بأسماء هؤلاء المستشرقين تطول ولكن من أشهرهم إثنين هما :

١- (سانت جون فيلبي) .. مستشرق إنجليزي ، أسلم بصدق وتسمىٰ بعبد ا فيلبي - وتوغل في رحلاته في الجزيرة العربية إلىٰ أن قطع الربع الخالي - وكان أول من أكتشف كتابات ثمود الحجرية في مدائن صالح - وله مؤلفات جيدة عن أدب الرحلات تصف مشاهداته كلها في أرجاء الجزيرة العربية .

٢- والثاني هو (توماس لورانس) .. كان ضابطاً في الجيش البريطاني ، وبعد إرساله إلىٰ الجزيرة العربية من قبل المخابرات البريطانية كمستشرق إنجليزي ، تظاهر بالإسلام ولبس العقال والكوفية ، وقام بعدة أدوار سياسية خطيرة في تشجيع الأشراف الذين كانوا يحكمون الشام والحجاز ، شجعهم علىٰ الثورة ضد الأتراك في الأستانة التي كانت رمزاً للخلافة العثمانية المنهارة، وكان مشهوراً بلقب (لورانس العرب) .

إن كافة محاولات الصليبية والصهيونية لهدم الإسلام منذ ظهوره وحتىٰ اليوم مع تعدد أشكالها وألوانها وأساليبها علىٰ مر العصور أفرزت شخصيات مسلمة سلبية ومنحرفة تَبَنتْ مذاهب ومعتقدات فاسدة ومستحدثة من الطرق الصوفية الضالة .. وكما أسلفنا خرجت جميعها من عباءة البدعة، مارسوا من خلالها من المنكرات والكفريات والإلحاد ما زينه لهم الشيطان، وكان الشيطان لهم قريناً فساء قرينا . ومن أخطر البدع التي استحدثوها بسوء نية مبيتة بدءً .. معتقدات القول : (١) بالاتحاد .. و(٢) بوحدة الوجود :

(١) وَيعْنُونَ بالاتحاد : أي أن ا سبحانه وتعالىٰ يَتَّحِدْ بمخلوق يختاره ويصطفيه من خلقه ، فيحل بذاته العلية في جسم ذلك المخلوق ويتحد معه (اتحاد الخالق بالمخلوق).. فتتحول تلك الأجسام البشرية إلىٰ آلهة تسير علىٰ الأرض وتعيش بين الناس (ولا يفوتنا أن نقول بأنهم باعتقادهم ذلك الإلحادي الفاسد يعني بأن ذلك المخلوق الذي حل ا تعالىٰ في جسمه أنه يذهب إلىٰ الخلاء ويتبول ويتبـرز ؟!) ألا ساء ما يصفون .. سبحانك ربنا تباركت وتعاليت وتنزهت عما يصفون إثماً عظيماً ، وما قدروك حق قدرك ، والأرض جميعاً قبضتك يوم القيامة والسموات مطويات بيمينك .

وكان أول وأشهر مخترع لقول الاتحاد والحلولية من المتصوفة هو الحلاج

لعنه ا .. وهو الذي قال : (من هّذب نفسه في الطاعة ، وصبر عن اللذات والمتع والشهوات ارتقىٰ إلىٰ مقام المقربين ، ولا يزال يصفو ويرتقي في درجات المصافاة حتىٰ يصفو عن درجة البشرية ، فتحل فيه روح الإلهٰ الذي حل في عيسىٰ ومريم، ولم يرد شيئاً حينئذٍ إلا كما أراد ، وكان جميع فعله هو فعل ا تعالىٰ) ..سبحان ا وتعالىٰ عما يزعمونه إفكاً وبهتاناً عظيماً .

كما جاء في رسائل اتباع الحلاج يصفون الحلاج بالقول : (ياذا اللذات ومنتهىٰ غاية الشهوات .. نشهد أنك المتصور في كل زمان بصورة .. وفي زماننا هذا بصورة الحسين بن منصور ، ونحن نستجير ونرجو رحمتك يا علام الغيوب).

وقد بلغ الكفر والإلحاد بهم حداً فاق كفر الوجوديين والشيوعيين وزندقة المجوس وعُباد البقر ، وسنرىٰ ذلك عندما نقرأ هذا الجزء التالي من قصيدة نسبوا كتابتها لشيخهم عبد القادر الجيلاني يقول فيها :

ضريحي بيت ا من جاء زاره ... يهرول له يحظىٰ بعزٍ ورفعةٍ
وأمري أمر ا إن قلت كن يكن ... وكل بأمر ا فاحكم بقدرتي
وشاهدت ما فوق السمٰوات كلها ... كذا العرش والكرسي في طي قبضتي
ومطلع شمس الأفق ثم مغيبها ... وأقطار أرض ا في حال خطوتي
أُقلّبها في راحتي كلعبةٍ ... أطوف بها جمعاً علىٰ طول لمحتي
توسل بنا في كل هول وشدةٍ ... أغيثك في الأشيـاء طـراً بهمتي أغثه
مُريدي إذا ما كان شرقاً ومغربا ... إذا مـا صـار في أي بلـدةٍ
ولو ألقيت سري في جبال ... لُدكّت واختفت بين الرمال
مريدي هم وطب واشطح وغن ... وافعل ما تشاء فالاسم عالٍ
ولو أنني ألقيت سري علىٰ لظىٰ ... لأخمدت النيران من عظم سلطاني

(٢) وَيَعْنُونَ بوحدة الوجود : من منطلق الأسئلة التي حذرنا منها الشارع الحكيم علىٰ لسان رسوله محمد صلىٰ ا عليه وسلم ، مثل : أين هو ا ؟ .. وكيف هو ا ؟ .. ورغم أنهم (أي الزنادقة الملحدين) يدّعون

إيمانهم بالقرآن وبكل آية فيه إلاّ أنهم يفسرون آياته بطريقتهم الخاصة.. فإن الله تعالىٰ أخبر في كتابه الكريم خبراً أغلق به باب الجدل والتخيّل والتشبيه في كُنه ذاته العلية .. أخبرنا سبحانه وتعالىٰ أنه لا مجال للخوض في ذلك الأمـر بقولـه تعالىٰ: { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } الشورىٰ : ١١ . إلاّ أن رؤساء الصوفية الزنادقة الهدامين للدين أمثال الحلاج وابن الفارض وابن سبعين وابن العربي وغيرهم ممن استمدوا تعاليمهم وطرقهم من بؤر التشيع أبوا إلاّ أن يخترعوا القول الذي يُضاهي (الوجودية) مذهب الملاحدة الوجوديين أمثال سارتر وفرويد .. وقالوا بوحدة الوجود يَعْنُونَ به أن الله تعالىٰ وتنزه عما يقولون موجود في كل ما في هذا الكون من جماد وماء وهواء وكافة المخلوقات من إنس وجن وحيوانات وطيور وأسماك وبحار وأنهار وجبال وأشجار ورمال ، يحتجون بقول الله تعالىٰ : { وَهُـوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ } الحديد : ٤ . وبقوله تعالىٰ : { وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ } الأنعام : ٥٩ .. وهكذا فسروا علم المولىٰ عز وجل بكل شيء عن خلقه أنه سبحانه متحد وموجود في كل ذرة من هذه المخلوقات بذاته .. وذلك قولٌ باطل مردود عليهم لعنهم الله لأن معنىٰ كلامهم أن الله تعالىٰ وتنزه موجود أيضاً في القاذورات والنجاسات !! .. بينما الواضح من الآيات التي أسلفنا تقول بأن الله تعالىٰ هو معنا أينما كنا بعلمه وسمعه وبصره ، وكل ذلك يقدر عليه سبحانه وهو مستوٍ فوق عرشه من فوق سبع سماوات ، سبحانه وتعالىٰ منزه عن كل ما خاضوا وألحدوا فيه بذاته العلية ، صاحب العرش العظيم الذي شرحنا بعضاً من قدراته وعظمته وصفاته الحميدة ضمن رسالتنا في هذا الكتاب بعنوان (من هو الله ؟) .

وقد قال أحدهم شعراً يصف مذهبهم في القول بوحدة الوجود .. وهو : عبدالكريم إبراهيم الجيلاني المشهور (بالجيلي) الذي توفي عام ٨٣٠هـ

يقول :

وما الخلق في التمثال إلا كثلجة　　　وأنت بها الماء الذي هو نابـــع

وبما أن هذا الزنديق كان مؤمناً بوحدة الوجود فإنه أيضاً كان يؤمن بوحدة الأديان كما في قوله :

وأسلمت نفسي حيث أسلمني الهوىٰ　　　ومالي عن حكم الحبيب تنازع

فطوراً تراني في المساجـــد راكعـــاً　　　وأني طوراً في الكنائـــس راتع

إذا كنت في حكم الشريعـــة عاصيـــاً　　　فإني في علـــم الحقيقـــة طائع

لعنهم ا ، ولعن مذاهبهم التي فاقت كفر الكافرين ، ولعن كل من اتبعهم علىٰ هذا الضلال إلىٰ يوم الدين .. آمين .

وهكذا دارت عجلة الزمن لنجد خلفاء أولئك الملحدين وأتباعهم المتصوفة المعاصرين ، الذين اُبتليت بهم هذه الأمة شر ابتلاء ، نجدهم قد طوّروا أفكارهم وأساليبهم الباطلة ، فتخلوا عن القول بالاتحاد والحلولية ، وتركوا القول بوحدة الوجود بعد أن انكشف زيغهم ، وأمست تلك الأقوال والمعتقدات مفضوحة في عصر كثر فيه علماء المسلمين المخلصين الذين ترصدّوهم وانتقدوهم وردوا علىٰ أقوالهم وفضحوهم بالحجة والبرهان وبما توفرت لديهم من وسائل حديثة ومتطورة للنشر والإعلام .

فقاموا يُحولوا أتباعهم السذج والجهلة إلىٰ إقامة الموالد ، والتوسل والتمسح بأضرحة الموتىٰ ممن يدّعون أنها قبور بعض الأولياء والصالحين .

فانتشرت بدعهم وضلالاتهم انتشاراً هائلاً ومخيفاً بين أرجاء العالم الإسلامي .. وفتكت أفكارهم بعقول الملايين فتكاً مريعاً .

وفي الحقيقة أن أئمة الصوفية الحديثة وأرباب السوء الذين روّجوا تلك

الأفكار الضالة بين العامة والسذج والجهلة من المسلمين ، كانت أهدافهم الغير مُعْلنة هي استغلال وابتزاز أولئك الملايين من السذج لمصالح مادية بحتة ، وسنورد في مكان آخر من هذه الرسالة صوراً ونماذجاً من بعض أساليبهم التي لا تعدو أن تكون أنواعاً من عمليات النصب والاحتيال علىٰ خلق ا .

في حديثه صلىٰ ا عليه وسلم الذي قال فيه : (بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبىٰ للغُرباء - فقيل من الغرباء ؟ .. فقال : الذين يُحيون ما أفسد الناس من سنتي) روىٰ الجزء الأول منه مسلم ثم الأخير الترمذي بلفظ قريب وقال حديث حسن صحيح.

وفي حديثه صلىٰ ا عليه وسلم الذي رواه البخاري قال : (من أحدث فيها أو آوىٰ مُحْدِثاً فعليه لعنة ا والملائكة والناس أجمعين) .

وهذا كلام واضح لا يحتاج إلىٰ تفسير ولا يحتمل التأويل ، لأن الإسلام في أول ظهوره لم يكن يعرف حتىٰ من مصدريه القرآن والسنة الصحيحة ، لم يكن يعرف كلمة التصوف ولا المتصوفة .. وحتىٰ هذا الاتجاه الصوفي علىٰ النحو الذي نراه اليوم لم يكن تعرفه البيئة العربية حتىٰ قبل الإسلام .. فلم يُعثر علىٰ شيء في لغة العرب مع ما أورثته من أدبها وشعرها ونثرها أي إشارة أو لمحة إلىٰ كلمة (التصوف) بنفس المعنىٰ الذي نراه علىٰ أعلام المتصوفة العرب منذ بدايتهم وحتىٰ اليوم .

ولكن ظهر التصوف بمقاييسه الفكرية والفلسفية في البيئة العربية في منتصف القرن الثاني الهجري ، ووجد المتتبعون في الثقافات الأخرىٰ غير العربية أنه كان معروفاً في بيئات وبلدان انتشرت فيها الديانات الوثنية مثل البوذية والبراهيمية ، وأيضاً الفكر الإغريقي كالأفلاطونية الحديثة ، ثم ظهر في المجتمعات الإسلامية في عصر الدولة العباسية ، وترسخ تماماً في عصر الدولة الفاطمية في مصر وحتىٰ اليوم (وللأسف الشديد لم يجد من علماء الإسلام الأفذاذ في مصر من يوقف انتشاره وترسيخه وممارسة طقوسه بشكل ملموس ، وهو يمارس بأشكاله المشينة في الموالد وأمام الأضرحة ملئ أسماعهم وتحت أعينهم وبين أيديهم) .

وفي العصور الأخيرة بعد انتشار المطابع وإلىٰ اليوم ظهرت في مصر

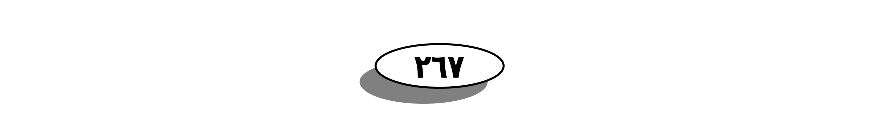
وفي لبنان كتب عديدة ألفها وطبعها أئمة السوء وعلماء التصوف يُحرضون من خلالها العامة علىٰ إهمال الفرائض الدينية ، ويحثوّنهم علىٰ التمسك بالبدع والأوراد الشركية ، ويدفعونهم بذلك إلىٰ ارتكاب المنكرات والموبقات .. وكما قال عز وجل : { أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِنَ الدين مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللهُ } الشورىٰ : ٢١ وقد وُجد في كتبهم التي روجوا لها الكثير من الأحاديث الضعيفة والموضوعة والأقوال السخيفة الساذجة والمرذولة ، ومن الأكاذيب الباطلة التي لا تنطلي علىٰ كل ذي لب وعقل سليم .

ولو أنهم لم يتدبروا عواقب ما كتبوه وما ألّفوه وما افتروه من كتب باطلة، وما دعوا إليه من بدع وشرك با تعالىٰ ، وما تسببوا فيه من أضرار بالغة وضلالة بأمة محمد صلىٰ ا عليه وسلم ما فاق ما أصاب هذه الأمة من أعدائها الأصليين اليهود والنصارىٰ .. ولكن كما قال ا تعالىٰ فيهم : { لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ } النحل : ٢٥ .

ومما يؤكد علىٰ رسوخ هذه المعتقدات الفاسدة في عقول كثير من العامة في مصر أحكي هذه القصة التي حدثت لي شخصياً هناك :

في السبعينات من القرن العشرين الميلادي كنت متعوداً أن أسافر من مكة المكرمة إلىٰ مصر عدة مرات في السنة لوجود أعمال تجارية تتطلب مني ذلك ، وكانت مدينة الإسكندرية هي مقر إقامتي لإنجاز تلك الأعمال في كل مرة أسافر فيها إلىٰ هناك .. وعادةً بعد وصولك إلىٰ مطار القاهرة ولكي تسافر منها إلىٰ الإسكندرية، فهناك ثلاثة طرق .. إما أن تستقل القطار من محطة مصر في ميدان رمسيس ، أو تستقل سيارة أجرة عبر الطريق الزراعي ، أو سيارة أيضاً عبر الطريق الصحراوي ، وفي الطريق الصحراوي تمل السفر بالسيارة والسائق قد يصاب بالنعاس لكونها امتداد رملي علىٰ طول الطريق ولعدم وجود مناظر متنوعة يتسلىٰ المسافر بالنظر إليها في ذلك الوقت .

أما الطريق الزراعي فبعكس من ذلك تماماً حيث علىٰ امتداد الطريق من



القاهرة إلىٰ أن تصل الإسكندرية تشاهد الحقول الزراعية علىٰ الجانبين والترع المتفرعة من نهر النيل ، وتعبر من خلاله عدة مدن وقرىٰ مصرية فلا تمل النظر إليها أبداً ، ومن أهم المعالم التي تمر بها في نظر الكثير من الأخوة المصريين هو ضريح ومسجد ما يسمونه بالسيد أحمد البدوي في مدينة طنطا، وهو ما يعتبرونه قبر أهم الأولياء الصوفيين الذي يتمسحون ويتوسلون به عند قبره ، ويتبركون بتراب أرض ضريحه ، ويذبحون عنده الذبائح ، ويقيمون عنده الموالد والخزعبلات التي يحج إليها مئات الآلاف من السذج من كافة المدن والقرىٰ رجاء رضاه وبركته، ويظنون أن الله لا يستجيب لدعائهم إلا من خلال جيفته المدفونة تحت قبة مسجده.

أما بالنسبة لي فإنني بحال كنت دائماً أُفضل السفر من القاهرة إلىٰ الإسكندرية وبالعكس بالقطار فأستمتع طوال الطريق بمشاهدة الحقول الخضراء وضفاف نهر النيل والفلاحين الذين يعملون في حقولهم ، فضلاً عن أنني أرىٰ القطار أكثر أماناً من السيارات وتهور سائقيها .

وفي مرة من هذه المرات هبطت بنا الطائرة في مطار القاهرة ، وخرجتُ من مبنىٰ المطار عند الساعة العاشرة صباحاً أحمل في يديّ الاثنتين حقيبتين كبيرتين ، وكعادتي استقليت إحدى سيارات الأجرة الواقفة في (الدور) وطلبت من السائق إيصالي إلىٰ محطة مصر .. فانطلق السائق بي ، ثم وأثناء سيرنا في الطريق الطويل الذي يبدأ من المطار وينتهي إلىٰ حي مصر الجديدة، وهو طريق خالٍ من المباني عدا فندق شيراتون المطار علىٰ يسارنا ، فبدأ السائق يتجاذب معي أطراف الحديث وذلك دأب سائقي سيارات الأجرة ، فسألني أول ما سألني : أن لماذا أريد بمحطة مصر (يعني القطارات) ؟ .. فقلت له : لأنني أرغب السفر بالقطار إلىٰ الإسكندرية .. فسألني : هل أنت ضامن أنك تلاقي مقعد شاغر علىٰ قطـار الساعـة (١٢) أو الواحدة وأردف بسؤاله (حيث الضغط الشديد علىٰ القطارات هذه الأيام) وأضاف : (أنا خايف عليك أن تجلس عدة ساعات في بوفيه المحطة تنتظر مقعد شاغر ويفوت عليك قطار وراء قطار طالما ليس معك حجز مسبق ؟) .. فأجبته : ولكني متعود أنني أُدبر نفسي بشكل أو بآخر حال وصولي المحطة فلا تخشىٰ عليّ فعاجلني بقوله : (متخلينا يا بيه ناخدها شده ونسحب مرة واحدة علىٰ الإسكندرية ؟ .. وسيبك من دوشة المحطة والحجوزات) .. فأحسست أن الرجل متعشم في

الاستفادة مني في أجرة توصيلي رأساً إلىٰ الإسكندرية ، فلم أرد أن أُخيِّب عشمه ، فوافقت معه علىٰ اقتراحه رغم تفضيلي كما أسلفت السفر بالقطار ، فما أن أعلنت له موافقتي حتىٰ بادرني بالسؤال : (تحب نطلع علىٰ الزراعي وإلا علىٰ الصحراوي؟) .. فأجبته : الأفضل علىٰ الزراعي لنستمتع بمناظر الحقول والأشجار .. ففاجأني بقوله : (خير ما اخترت علشان نمر بجوار ضريح مولانا سيدنا البدوي وتحصل لنا منه البركة علىٰ الطريق) .. فأصابتني الوجلة من قوله لأنني إذا وافقته علىٰ كلامه فكأنني أؤيد معتقده الفاسد في مسألة البركة هذه ، ويُدْخِلُني معه في شيء من شبهة الشرك با ، فوجدتني أنتفض وأنا جالس بجواره علىٰ المقعد الأمامي وألتفت إليه قائلاً بحدة : وا إذا كان سيرنا بالطريق الزراعي رجاء أن تحل علينا بركة سيدك البدوي .. فلا نريد تلك البركة واذهب بنا عبر الصحراوي .. فما أن انتهيت من تلك العبارة إلا ورأسي كان يضرب في زجاج السيارة الأمامي لأن السائق الأحمق ما أن سمع مقالتي وكأنها نزلت عليه صاعقة من السماء أو كأنني خرجت من دين الإسلام ، فوضع قدمه علىٰ دواسة الفرامل بكل ما أوتي من قوة وسرعة، وحمدت ا أنه لم يكن وراءنا سيارات قريبة منا .. وما أن توقفت السيارة بضربة رأسي في الزجاج حتىٰ عاد وقادها إلىٰ الرصيف الأيمن من الطريق وتوقف بها ونزل منها وهو في غاية الغضب والانفعال ، وأخرج حقائبي الاثنتين من خلفية السيارة ووضعهما علىٰ الرصيف ، وكل ذلك وأنا أنظر إليه بهلع لأنني توهمت أن المجنون بعد أن أخرج حقائبي سيأتي وينتزعني نزعاً من المقعد الأمامي إلىٰ خارج السيارة ويضربني علقة ساخنة ، وسيجمع علينا سائقي السيارات المارة بالطريق ويعمل لنا فضيحة ، ولكن الحمد سرعان ما تبددت أوهامي ومخاوفي بعد أن فتح الباب الذي بجواري وطلب مني النزول من سيارته فوراً لئلا أسبب له نكبـة أو مصيبة في يومه هذا بكلامي الذي قلته في حق سيده البدوي ، طبعاً أدركت حالاً أن الشخص الذي أمامي لا جدوىٰ من مناقشته في تلك المسألة التي تسبب عنها كل ذلك وإلا فإن الأمر سوف يزداد سوءاً.. فقلت له : يا رجل كيف تطلب مني أن أنزل من السيارة أنا وحقائبي في هذا المكان الخالي من المباني والعمران وسيارات الأجرة ؟ . طيب علىٰ الأقل أوصلني إلىٰ بداية العمران عند ميدان (روكسي) حيث مضمون لي أن أجد سيارات أجرة خالية من الركاب .. فقال

لي : معنديش استعداد أن أمشي بك في سيارتي متراً واحداً بعد الكلام الذي سمعته منك في حق السيد البدوي، قلت له : سأدفع لك أجرة توصيلي إلىٰ محطة مصر كاملة بل مضاعفة لتوصلني فقط إلىٰ بداية العمران .. فأجابني فوراً : (وا لو تدفع لي ألف جنيه ما حركت بك سيارتي متراً واحداً .. انزل يا راجل هو أنا ناقص مصائب ، ربما بسببك يحصل لي حادث أدفع حياتي وسيارتي ثمناً له).. ثم أردف : (انزل يا أخينا بالطيب أحسن لك) .. فوجدت نفسي في موقف لا أملك فيه إلا أن أطيعه وأنزل من السيارة وأكتفي من الغنيمة بضربة رأسي في زجاج السيارة وأحمد ا أنها جاءت سليمة ولم ينكسر الزجاج في رأسي .. فنزلت ، وبعد أن ترجلت منها وذهب هو ليجلس علىٰ مقود سيارته من الناحية الأخرىٰ ، ورغم أن تصرفه معي كان غير عادل علىٰ الإطلاق أحببت أن أكون معه أكثر ذوقاً وعدلاً ، فأخرجت من جيبي ورقة نقدية فئة عشرة جنيهات ومددت يدي بها إليه من خلال النافذة وأنا أقول له : (طيب يا عم ا يسامحك خذ هذه مقابل خروجك معي وفقدانك دورك أمام مبنىٰ المطار وتوصيلك لي إلىٰ هذا المكان الخالي مشكوراً ، فلم يمد يده لتناولها مني فألقيت بها علىٰ مقعد السيارة بجواره ، فاختطف الورقة النقدية من علىٰ المقعد وألقىٰ بها في وجهي خارج السيارة ، وأدار محرك سيارته وانطلق بها وهو يسبني ويشتم حظه اليوم معي .

ومن هذه القصة نكاد نتبين إلىٰ أي مدىً خطير كان تأثير ضلالات المتصوفة في مصر علىٰ عقائد شريحة كبيرة من الشعب المصري .. ندعو ا لنا ولهم الهداية إلىٰ كتابه الكريم وسنة نبيه محمد صلىٰ ا عليه وسلم ، فهم ذوي الأرحام منذ عهد أبو الأنبياء خليل الرحمن إبراهيم عليه الصلاة والسلام وإلىٰ حياة حبيبنا محمد صلىٰ ا عليه وسلم ، وإلىٰ اليوم ودم الأرحام يجري بيننا وبينهم ، وعلىٰ حد قول المصريين أنفسهم : (عمر الدم ما يبقىٰ ميه) .. وحقيقة نرجو لهم كل خير فهم من أطيب شعوب الأرض قلباً وعاطفة .

وقصة الموالد والتوسل والاستغاثة بالأموات والتمسح بالأضرحة المنتشرة في أرجاء العالم الإسلامي عامة ، ومصر والسودان خاصة إلا من رحم ا من بعض الدول اليوم وأولهم (المملكة العربية السعودية) ، هي قصة طويلة لا يسعها إلا مجلدات ضخمة، .. وإنني سأحاول هنا إلقاء الضوء علىٰ خصائصها بشكل

مختصر لنرىٰ سوياً أي ضلالة مضلة يمارسها أولئك السُذّج من الناس، ظانين باعتقادهم الفاسد أنها خير وسيلة توصلهم إلىٰ الجنة ورضا رب العالمين ، وهي في الحقيقة شر وسيلة تهوي بهم في جهنم وتؤدي بهم إلىٰ سخط رب العباد ، إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً فأولئك يتوب ا   عليهم إنه هو التواب الرحيم .

فعندما ننظر إلىٰ أعمال الصوفيين وأهل البدع وأيضاً الشيعة بدعوىٰ حبهم للرسول صلىٰ ا   عليه وسلم ولآل بيته الكرام بالعكوف علىٰ هذه الأضرحة المفتراه لآل بيت رسول ا   .. وتلك القباب التي شيدوها والمساجد التي أقاموها فوقها (تلك المساجد التي لا تجوز الصلاة فيها طالما داخلها قبر) ليتمسحوا ويتضرعوا ويتوسلون بأصحاب تلك العظام النخرة والجيف النتنة التي لا تدري عما إذا كانت لحيوان أو لإنسان، وتلك المساجد علىٰ القبور التي شيدتها الدولة الفاطمية في مصر الذي كان هدفهم من وراء بنائها هو صرف الناس عن حج البيت - ثم سَمّتْ تلك المساجد بأسماء البعض من آل البيت .. وحسب كتب التاريخ فإنه ولا واحداً منها لآل البيت، فلا هي للحسين ولا لزينب ولا لنفيسة .. وهم بذلك قد خلطوا علىٰ أهل الملة عقائدهم وأفسدوا عليهم دينهم عندما زينوا لهم زيارة تلك الأضرحة ، ويدفعونهم دفعاً إلىٰ الكفر والشرك با   وليتمسحوا بتلك الأصنام والأوثان وإلىٰ تقبيل أحجارها وأستارها والاستشفاع بأعتابها ، ويتوسلون بتلك الجيف والرمم المدفونة تحتها ، يسألونهم حاجاتهم من دون ا   ، ويأملون من استجابتهم لهم ما لم يأملونه من ا   ، ويتضرعون إليهم بما لم يتضرعون به إلىٰ ا   ، ويذبحون عند اعتابهم الأضحيات ، ثم يدهنون أكفهم من دمائها ليبصموا بها علىٰ حوائط مساجد تلك الجيف، وكأنهم بذلك يقدموا برهان الطاعة لصاحب ذلك الضريح علىٰ أنهم قاموا نحوه بالواجب ليرضىٰ عنهم ، وتحصل تلك الممارسات الباطلة في مصر عند ما يُسّمونه بمقامات الحسين والبدوي والشافعي والرفاعي والدسوقي والجيلاني والعفيفي والزيلعي والعيدروس، والشاذلي ، والمرسي أبو العباس ، وما يسمونه بمقام (سيدهم بشر بالإسكندرية) .

ثم يخترعون لهم تواريخ ميلاد ويحجون إلىٰ أضرحتهم كل عام لحضور تلك الموالد ، ولا تسأل عما يحدث فيها من فسق وفجور ومجن وكفر با   وشرك به ومن اختلاط النساء بالرجال ، ويتمايلون علىٰ بعضهم البعض في صفوف علىٰ أنغام

الدفوف والمزامير ، فيحصل بينهم احتكاكات جسدية تثير الغريزة الجنسية لدىٰ الطرفين ، ثم يتغنون بتواشيح علىٰ أنها في حب الرسول وآل بيته ، بينما هي تواشيح يتغزلون فيها بالعيون الحوالم والشفاه الظوامئ والأهداب الـمُسْبَلاتَ .. ثم ينتقلون إلىٰ تعاطي الحشيش والأفيون في ما يسمونه بالغرز مخصصة لذلك وهي عبارة عن سراداقات صغيرة من القماش وأعواد الخشب ، يقيمونها ملاصقة لجدران مساجد أصحاب تلك الأضرحة ، وفي هذه الغرز يمارسون نساءً ورجالاً كل ما يمكن وصفه بالفسق والمجن والفسوق والعصيان ... (وقد شاهدت بنفسي بعضاً من تلك الممارسات الفاسدة لأولئك المعتوهين بجوار مسجد الحسين المجاور لمبنىٰ مشيخة الأزهر ودار الإفتاء بمصر .. مما يعني أن كل ذلك يحدث تحت سمع وبصر علماء الأزهر الأفاضل ولا يحركون ساكنا) .

ثم تعالوا ننظر فيما وصف به المؤرخ المصري (الجبرتي) في تاريخه المشهور بالصفحة (٢٢٥) من الجزء الأول منه عن تلك الخزعبلات في وصف مولد العفيفي يقول : (وينصبون خياماً كثيرة وصواوين ومطابخ وقهاوي - ويجتمع الجمع الكثير من أخلاط الناس وخواصهم وعوامهم ، وفلاحي الأرياف وأرباب الملاهي والملاعب والغوازي والبغايا والقوادين والحواه - فيملئون الصحراء والبستان ، فيطئون القبور ويبولون ويتغوطون عليها ، ويزنون ويلعبون ويرقصون ويضربون بالطبول والزمور ليلاً ونهاراً ، ويجتمع لذلك الفقهاء والعلماء، ويقتدي بهم الأكابر والأمراء والتجار والعامة من غير إنكار - بل يعتقدون أن ذلك قربة وعبادة) .

ثم لننظر أيضاً فيما كتبه الأستاذ / محمد بن عبد السلام الشقيري يرحمه الله في كتابه (السنن والمبتدعات) .. في صدد المولد النبوي حيث قال : (في شهر ربيع الأول وبدعة المولد فيه ، لا يختص هذا الشهر بصلاة ولا ذكر ولا عبادة ولا نفقة ولا صدقة ولا هو موسم من مواسم الإسلام كالجمع والأعياد التي رسمها لنا الشارع صلوات الله وتسليماته عليه وعلىٰ سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين - ففي هذا الشهر وُلِدَ صلىٰ الله عليه وسلم وفيه توفي فلما يفرحون بميلاده ولا يحزنون لوفاته - فاتخاذ مولده موسماً والاحتفال به بدعة منكرة وضلالة لم يَرِدْ بها شرع ولا عقل- ولو كان في هذا خير فكيف يغفل عنه أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ

وسائر الصحابة والتابعين وتابعيهم والأئمة وأتباعهم - لا شك أنه ما أحدثه إلا المتصوفون الأكالون البطالون أصحاب البدع - وتبع الناس بعضهم بعضاً فيه إلا من عصمه ا ووفقه لفهم حقائق دين الإسلام- ثم أي فائدة تعود وأي ثواب في هذه الأموال الباهظة التي تُعلقُ بها هذه التعاليق وتُنصب بها هذه السرادقات وتُضرب بها الصواريخ - وأي رضا في اجتماع الرقاصين والرقّاصات والمومسات والطبالين والزمارين واللصوص والنشالين والحاوي والقرداتي ، وأي خير في اجتماع ذوي العمائم الحمراء والخضراء والصفراء والسوداء أهل الإلحاد في أسماء ا ، والشخير والنخير والصفير بالغابة والدق بالبارات والكاسات والشهيق والنعيق بأح .. أح .. أح يا ابن المره أم أم أن أن سابينها يا رسول ا يا صاحب الفرج المدآآد ياعم ياعم - اللع اللع ، كالقرود) .. ثم أضاف الشقيري يرحمه ا يصف حال مشاركة بعض العلماء المعاصرين من ذوي العمائم لأولئك المفتونين ببدعة الموالد يقول : (ومشاركة علماء دين معاصرين لهؤلاء في احتفالاتهم يدعم ويرسخ ضلالة هذه البدعة في عقول وأذهان العامة .. فيظنونها سنة ورضا ورسوله ، وا ورسوله براء منهم وأمثالهم). (انتهىٰ كلام الشقيري يرحمه ا) .

ثم لننظر في مقدار الضرر الذي يصيب أمة محمد صلىٰ ا عليه وسلم من وراء هذه الممارسات الخاطئة والباطلة من سخرية الإفرنج بنا وبديننا، عندما يأتون إلىٰ مصر ويشاهدون مثل تلك المناظر ، وهذه الجماعات المخبولة في عقولهم وهم يقومون بكل تلك المهازل فيلتقطون لهم الصور والأفلام ثم بعدما يعودون لبلادهم يعرضونها علىٰ وسائل إعلامهم من إذاعات وتلفزيونات وصحف في أوروبا وأمريكا وباقي دول النصارىٰ ليقولوا لهم : انظروا هذا هو الإسلام ، وهؤلاء هم المسلمين ، وتلك شعائر دينهم ..

وفي هذا الصدد أود أن أقص عليكم هذه الحادثة التي وقعت لي شخصياً عندما كنت في أحد المنتجعات الأسبانية قبل عشرين عاماً من تاريخ كتابتي هذه الرسالة .. وكنت هناك أيضاً لأعمال تجارية تخصني ، .. وفي أحد الأيام دعاني أحد الألمان الذي يمتلك شركة للمقاولات المعمارية في أسبانيا - دعاني لتناول طعام الغذاء في (فيلته الفسيحة التي تشبه القصر) ، وكان يشاركنا الدعوة مهندس

معماري بريطاني ومقاول أسباني .. بما يعني أن الدعوة للغداء كانت مُرَتَبَةٌ علىٰ المصالح التجارية بيني وبينهم ، أو ما يسمونه (غداء عمل) .. قبل الغداء جلسنا نتبادل أطراف الحديث نحو أمور شتىٰ ، وكان الحديث يدور باللغة الإنجليزية ، فوجدتها فرصة مناسبة لأحدثهم قليلاً عن الإسلام .. ولأفند لهم الرد علىٰ التهم التي يوجهها النصارىٰ نحو الدين الإسلامي .. (قلت في نفسي لعل ا أن يجعل هدايتهم أو هداية أحد منهم علىٰ يديّ) .

وما أن بدأت في الكلام إلا وبادرني الألماني صاحب الدعوة قائلاً : هل سمحت لي أن أوفر عليك طول الشرح والتبيان عن الإسلام ؟ .. فلدي شريط فيديو مصور مدته ساعة باللغة الإنجليزية يتحدث بإسهاب عن التعريف بالدين الإسلامي ، كنت قد سجلته من محطة تليفزيون خاصة بالتبشير تبث برامجها من (مونت كارلو)، فهل تسمح لي بعرضه علىٰ الأصدقاء علىٰ شاشة التليفزيون ؟ .. فلم أملك إلا أن أوافق لأرىٰ ما نوعية هذا الفيلم الذي يتحدث عن الإسلام.

فقام الألماني وأخرج من أحد رفوف مكتبته شريط الفيديو وألقمه جهاز العرض وفتح شاشة التلفزيون ، فأخذت ومن معي من المشاهدين ننظر ونرقب ماذا يمكن أن يتحدث عنه فيلم فيديو يُعرفُ بالإسلام وهو مسجل من قناة تليفزيونية خاصة بالتبشير للدين المسيحي ؟ .

فكان أول ما ظهر في مقدمة العرض كتابة إنجليزية بالخط العريض تقول (هذا هو الإسلام) .. ثم توالت المشاهد بمنظر بانورامي لمآذن وقباب قلعة محمد علي باشا بالقاهرة - ثم قربوا وأبعدوا في صورة القلعة وانتقل المشهد إلىٰ الجامع الأزهر ومنه إلىٰ مسجد الحسين ، ثم توالت مشاهد تلك المعالم من القلعة والأزهر ومسجد الحسين كرموز لأماكن عبادة المسلمين في مصر ، ويتابع تحول المشاهد وشرحها صوت مذيع يتحدث بالإنجليزية ما يصف به كل مشهد يظهر علىٰ الشاشة. ثم إذا به يقول : نستعرض الآن مشاهد عن الكيفية التي يؤدي بها المسلمون صلواتهم داخل تلك المساجد .. فلم أر إلا والكاميرا مُسَلطَةٌ علىٰ بعض العامة السذج واقفين في صفين متقابلين داخل رواق مسجد الحسين من الجانب المواجه لسوق (خان الخليلي) وبين الصفين (أي في وسطهم) يقف واحداً من أصحاب العمائم

الخضراء والمسابح مدلاة علىٰ صدره وبطنه من حول رقبته ، وهم يميلون بأجسامهم ورؤوسهم يميناً ويساراً ومع كل حركة يصيحون بصوت واحد ويرددوا (إه إه حي حي حي .. ا حي .. ا حي .. حي حي) ويستمروا هكذا في تلك الحركات الهستيرية وتزداد سرعة تمايلهم بالتدريج ، وترتفع أصواتهم بهذه الكلمات أيضاً ، حتىٰ إذا فترت همتهم وبدأوا يتباطئون في حركاتهم ، فجأة تخرق أذنيك صيحة واحدة مريعة من الشخص الذي واقف بين الصفين وكأنه يُحَفِّزَهُم ويُلهِبُ فيهم الحماس والنشاط بقوله : (حي ي ي ي) وبمجرد أن يصرخ ذلك الرجل بتلك الكلمة حتىٰ تعود الصفوف إلىٰ التسريع من الميلان يميناً ويساراً وهم يرددون (إه إه حي حي إه إه حي .. إه إه حي) وأحسنهم أداءً من أولئك السذج من يسرع أكثر ويسيل الزبد من فمه علىٰ ثيابه ورغاوي لعابه تتجمع بين شدقيه.. ثم يسقط أرضاً منهاراً من الإجهاد الشديد حتىٰ يُظن للرائي أنه قد مات وهلك .

واستمر عرض الفيلم لفضح كافة تلك الممارسات التي تحدث داخل المساجد وفي الشوارع المحيطة بها وأثناء الموالد والخزعبلات التي تجعل الأوربيين يسخرون ويستهزئون بنا وبديننا ، وبقدر ما حاولت أن أصحح المفهوم للحاضرين معي في دعوة الغداء لكي أقول لهم أن ما تشاهدونه هنا في هذا الفيلم لا يمثل الإسلام الحقيقي ، ذهبت محاولاتي كلها هباءً بعد أن شاهدوا بأعينهم ما يحدث داخل أشهر مساجد المسلمين في مصر من حركات هيستيرية وممارسات ماجنة .

لذلك نعود ونقول انظروا إلىٰ أي مدى تسبب أولئك المبتدعة والمتصوفون من ضرر علىٰ الإسلام والمسلمين ، وعندما قال ما قاله الجبرتي قبل (٢٢٠) سنة وأتبعه الشقيري الذي أنهىٰ كتابته عن هؤلاء المتصوفة وأردف استغرابه وتعجبه من مشاركة علماء دين معاصرين لهؤلاء في احتفالاتهم الباطلة ، واستغرب عدم إنكارهم لهم، وإلىٰ اليوم وهم يشاهدونهم عن قرب ولا ينكرونهم ولا يصححوا لهم مفاهيمهم.. وقالوا : نحن في زمن صحوة .. ولم نعد ندري هل هي فعلاً صحوة أم أنها غفوة وغفلة ولا حول ولا قوة إلا با العلي العظيم .

ثم أننا نود أن نُعَرفُ شيئاً عن حقيقة هذه البدعة (بدعة الاحتفال بذكرىٰ المولد النبوي) .. لأنه لو كان في الاحتفال بهذا المولد حقيقة في سنته صلىٰ ا

عليه وسلم لوصل إلينا خبرها من خلال الأحاديث الصحاح أو من خلال أعمال الصحابة رضوان ا عليهم من بعده ، وهم أولىٰ ممن ابتدع هذه الاحتفالات لأنهم كانوا أسبق إلىٰ الخير ممن جاء بعدهم، وصحابة رسول ا صلىٰ ا عليه وسلم هم خيرة السلف وصفوتهم لم يكونوا يعرفون الاحتفال بالمولد النبوي ، كما لم يكن معروفاً في زمن التابعين ولا في زمن تابعي التابعين ، واستمر الأمر كذلك حتىٰ القرن السادس الهجري حين ابتدعه سلطان إربل.

وقال الشاطبي في أول كتابه (الاعتصام) : إن الشريعة جاءت كاملة لا تحتمل الزيادة ولا النقصان لأن ا تعالىٰ قال فيها :{ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً } سورة المائدة : ٣ .. فمن استحسن بدعة المولد والعمل بها كأنه يقول أن الدين ناقص وأن العمل بهذه البدعة هي من مكملات النقص في الدين الذي جاء به محمد صلىٰ ا عليه وسلم الذي قال: (ما تركتكم إلا علىٰ المحجة البيضاء .. الخ) .

وقد ثبت للمتتبعين أنه عند نشأة بدعة المولد أن مبتدعيه روّجوا له بأحاديث موضوعة ومكذوبة عن الرسول صلىٰ ا عليه وسلم .. ومن أدلة بطلانهم لمن درس أساليبهم في هذه البدعة هو قيام أصحاب المولد وقوفاً عند ذكر ولادة النبي صلىٰ ا عليه وسلم ظناً منهم أنه في تلك اللحظة عند ذكر مولده فإنه يدخل عليهم الرسول بظله أو بروحه فيقفوا له إجلالاً .. بينما نقرأ في حديث أبو أمامة الباهلي رضي ا عنه قال: خرج علينا رسول ا صلىٰ ا عليه وسلم متوكئاً علىٰ عصا فقمنا إليه ، فقال :(لا تقوموا كما يقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضاً) .

وبإسناد صحيح علىٰ شرط مسلم عن أنس رضي ا عنه قال : ما كان شخص أحب إليهم من النبي صلىٰ ا عليه وسلم ، وكانوا إذا رأوه (يعني الصحابة) لم يقوموا لما يعلمون من كراهيته لذلك .

وكذا قوله صلىٰ ا عليه وسلم علىٰ شرط البخاري ومسلم : (من أحب أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار) .

وإن من سوء الأدب مخالفة ما أمر به أو نهىٰ عنه الرسول صلىٰ ا

عليه وسلم ، ومن الأحاديث السابقة علمنا أنه ينهانا عن القيام له بحضرته في حياته ، فكيف بهؤلاء القوم يقومون له لمجرد ذكر ولادته بعد وفاته ؟! .

وبعض العوام المتبعون لتلك الخزعبلات نراهم يتعبدون ا بعبادات لم ترد عن ا ولا عن رسوله صلىٰ ا عليه وسلم ، فإذا نهاهم أحد المتفقهين في الدين قالوا : إن ما نعمله وإن كان بدعة ولكنها بدعة حسنة مثل بدعة المولد ، وكذا صلاتهم علىٰ الرسول جهراً بعد كل أذان وعلىٰ المنائر ، وأدعيتهم ومناجاتهم جهراً قبل كل أذان وإنشادهم القصائد الدينية في مدح النبي وآل البيت ، وكل ذلك يرونه جائز في محبة الرسول (ونقول لهم حب الرسول صلىٰ ا عليه وسلم يثبت عند إتباعكم سنته) .. أما المحتجين من متبعي المذاهب الفقهية فنقول لهم ما قاله ا تعالىٰ : { وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَىٰ اللهِ } الشورىٰ : ١٠.. وأيضاً قوله تعالىٰ : { فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدوهُ إِلَىٰ اللهِ وَالرسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً } النساء : ٥٩ .

فلا معارضة لأي قول بعد قول ا تعالىٰ وقول رسوله صلىٰ ا عليه وسلم .. ولمّا عارض بعض التابعين قول رسول ا صلىٰ ا عليه وسلم بقول أبي بكر وعمر رضي ا عنهما في مسألة متعة الحج .. رد عليهم ابن عباس رضي ا عنهما وقال لهم : (يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء ، أقول لكم قال رسول ا صلىٰ ا عليه وسلم ، وتقولون : قال أبو بكر وعمر) .. فكيف بمن أفتىٰ بجواز الاحتفال بالمولد بناءً علىٰ قول فلان وعلان ؟ .

ولكن رغم كل تلك الأدلة الصارخة في الرد عليهم نجد كثير منهم لا يزالون يحتجون بأئمة المذاهب الأربعة ، وإلىٰ بعض الاختلافات التي حدثت بينهم ، وكل منهم (أعني المبتدعة) يتعصب تعصب الجاهلية لمذهبه ويرفض ما دونه حتىٰ ولو كان صريح القول من الكتاب والسنة الصحيحة .. فنرىٰ مثلاً كثير من متعصبي الحنفية يجهلون أحكام السنة والأحاديث الصحاح رغم لباسهم لباس العلماء ، وزعموا بجهالتهم أنه لا تصح صلاتهم خلف من يعتنق غير مذهبهم ، كما أنهم ينكرون أشد الإنكار علىٰ من يرفع يديه عند الركوع وعند الرفع منه وعند القيام من التشهد الأول ، وممن يرفع سبابته في التحيات عند قول المصلىٰ (أشهد أن لا إلهٰ

إلا الله) .. ونفس الشيء نجده لدى المتعصبين من أتباع المذاهب الثلاثة الأخرى ، كل واحد منهم يتعصب لمذهبه ويرى أن كل الحق فيه ، وأنه لا يصح غيره من المذاهب ، وكأن المذهب صار عند كل واحد منهم بمثابة قرآناً نزل به جبريل يخص مذهبه فقط ، حتى بلغ ببعضهم أن كان يمنع زواج ابنته ممن يتبع مذهباً آخر غير مذهبه .

ولكن العجب كل العجب أن تصدر هذه الأفعال وتلك الأقوال من أناس يلبسون لباس العلماء والفقهاء ، بل ويدّعون أمام الآخرين أنهم من أهل السنة والجماعة وهم ينتسبون إلى الأئمة الأربعة .. والأئمة الأربعة براء مما يعملون ومما يقولون ، وثبت أن بعض هؤلاء الأئمة قال : إذا صح الحديث فلا عبرة بالمذهب ، وأنهم يرحمهم الله لم يأمروا أحداً باتبّاعهم ، بل أمروا باتباع ما جاء بالقرآن وما جاء عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

ومن أقوال أولئك الأئمة يرحمهم الله نقرأ ما يلي :

- ★ قول الإمام الشافعي : إذا صح الحديث فهو مذهبي ، واضربوا بقولي الحائط .
- ★ وقال الإمام مالك : (كلٌ يؤخذ من قوله ويُترك إلا صاحب هذا القبر ، وأشار إلى قبر الرسول صلى الله عليه وسلم) .
- ★ وقال الإمام أحمد بن حنبل : لا تقلدوني ولا تقلدوا مالكاً ولا الأوزاعي ، وخذوا من حيث أخذنا .. قال : لا نتعد القرآن والحديث الصحيح .
- ★ وقال الإمام أبو حنيفة : إذا جاء القول عن الله تعالى أو عن رسوله أو عن الصحابة فعلى الرأس والعين ، وأما إذا جاء عن التابعين فنحن رجال وهم رجال .

إذاً فتكون مصيبة هؤلاء القوم إن كانت عن حسن نية هي في جهلهم لصحيح السنة ، وإلى أنهم لم يدرسوا علم الحديث جيداً ، ولم يُميزوا بين الصحيح والحسن والضعيف والموضوع ، . فأخذوا كل ما نسب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم واحتجوا به وتعبدوا به وشرعوه لغيرهم.. لأن الحديث الضعيف قد أُجمع على عدم الأخذ والعمل به في الأحكام .. كما أنه لا يُعمل به في الفضائل إذا كان شديد

الضعف، كأن يكون انفرد به أحد المتهمين بالكذب منهم وفَحُشَ غلطه.

وهكذا جَهْل أولئك المبتدعون بعلوم الحديث الضعيف قد جر علىٰ هذه الأمة كثير من الويلات وإفساد في العقائد وضلالة في الدين ، كما زادوا في الدين ما ليس منه.

فإذا احتجوا بالشبهة بين الأحاديث الضعيفة والموضوعة والمكذوبة فنقول لهم وكما هو واضح وضوح الشمس في كبد السماء أنه كما تعهد الله تعالىٰ بحفظ كتابه الكريم فقد قيض لحفظ أحاديث رسوله صلىٰ الله عليه وسلم رجالٌ ثقات من أهل العلم وسخّرهم لكي يُكَرِسُوا حياتهم كلها في متابعة وتدقيق وتحري وتمييز الصحيح والحسن من أحاديثه صلىٰ الله عليه وسلم، وإلىٰ كشف الضعيف منها والموضوع والمكذوب ، وتبيين أسباب ذلك كله ، وتعريف وتفنيد الرواة بتثبيت الصادق وكشف وفضح الكاذب منهم ، وقيّمُوا جيد الحفظ وسيئه منهم ، واليقظ من المغفل أو كثير التوهان ، وكتبوا في ذلك مؤلفات عديدة وغزيرة وقوية السند ، فميزوها ونقحوها ونخلوها جيداً حتىٰ أصبح العلماء يحتجون بصحيح الحديث منهم وهم مطمئنون .

فلماذا يزعمون بعد ذلك شبهتهم في الأحاديث النبوية بقولهم أنه قد دخلها الكذب واحتجوا علىٰ ذلك بترك السنة .. والله أمرنا بقوله تعالىٰ : { **وَمَا آتَاكُمُ الرَسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نهاكُمْ عَنه فَانتهوا** } الحشر : ٧ .

وهذا حديثه صلىٰ الله عليه وسلم في سنن أبي داوود الذي اعتمده الذهبي وحسنه الترمذي عن أبي رافع أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال والناس من حوله : (لألفين أحدكم يأتيه أمر من أمري قد أمرت به أو نهيت عنه فهو يتكئ علىٰ أريكته فيقول :ما وجدنا في كتاب الله عملنا به وإلاّ فلا) .. وَيَتْبَعُ ذلك تأييداً لرسوله صلىٰ الله عليه وسلم قوله تعالىٰ : { **وَمَا يَنطِقُ عَن الهَوَىٰ - إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَىٰ** } النجم : ٣-٤ .. وقوله تعالىٰ : { **فَلْيَحْذَرِ الذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبهمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبهمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** } النور : ٦٣ .

وفي هذا الصدد يقول شيخنا أبو الأعلىٰ المودودي يرحمه الله في العـدد

(٦٠٩) من صحيفة البلاغ الصادرة في ذي القعدة ١٤٠١هـ : [ما أن حل القرن الثالث عشر الهجري حتىٰ دبت الحياة في هذه الفتنة (فتنة إنكار حجية السنة) من جديد ، فكانت ولادتها في العراق وترعرعت في الهند ، وأن بدايتها في الهند تعود إلىٰ / أحمد خان مولوي و / الشيخ جراغ علي ، ثم كان فارسها المقدام / مولوي عبد ا جكر ألوي ، ثم استلم الراية / مولوي أحمد الدين الآمرتسري ، ثم تقدم بها/ أسلم جراجبوري ، وأخيراً تولىٰ رئاستها / غلام أحمد برويز الذي وصل بها إلىٰ ساحل الضلال] .

وهذا غلام أحمد برويز معاصر وموجود في باكستان وله نشاط واسع في نشر ضلاله وأفكه وكفره ، ينشر رأيه بالخطب وتسجل وتذاع وتنشر .. وله كتب وأتباع ، وله تفسير للقرآن علىٰ حسب رأيه وفكره ، وقد أخبرني بعض الأصحاب من طلبة العلم أنه ضل به كثيرون آخذين رأيه .. ولأهل الحديث معه صولات وجولات وبعض الأحناف، ولكن يظهر أنه تصل إليه إمدادات من الخارج ممن يعادون الإسلام ويُغذّون هذا الضال بالمادة حتىٰ يقوىٰ ويتمكن من نشر ما يريد .. أما أهل الحق فحيث كانت المادة لديهم ضعيفة فإن كتبهم ومقالاتهم تقتصر في الغالب علىٰ أَتْباعِهم وعلىٰ الحاضرين في مجالسهم ، وهذه الفرقة أخطر علىٰ المسلمين من اليهود ومن النصارىٰ لأنهم باسم الإسلام وباسم القرآن ينشرون كفرهم ، ومن الثابت شرعاً وعقلاً أن من أنكر سنة رسول ا صلىٰ ا عليه وسلم فقد كفر با العظيم .. وقد اتخذ له مذهباً خاصاً مخالفاً لإجماع المسلمين في الأصل وفي الفروع الأخرىٰ ، كمثل أنه لا يُصلّي إلا ثلاث مرات في اليوم وله تفاصيل كثيرة في عبادته حسبما سمعت .. ولكن لم أقف علىٰ ذلك .

فيجب علىٰ الحكام والعلماء المسلمين أن يجاهدوا هذه الفرقة في تنشيط العلماء في مواجهة هؤلاء الكفرة ، وطبع كتب السنة والردود وإرسال المرشدين باللغة العربية واللغات الأجنبية المتعددة لصد تيار هذا الكاذب الضال .. فوا إن جهادهم لا يقل عن جهاد الكفار كالمحاربين والمبشرين ، لأن أولئك قد أعلنوا كفرهم لا يغتر بهم إلا القليل، أما هؤلاء فيغتر بهم كثيرون ممن يدرس الكتاب والسنة ولم يتعمق .. وقد تكفل العلماء قديماً وحديثاً برد ضلالتهم.

هذا وإن القول برد حديث أخبار الآحاد كما سبق ذكره في العقائد وإن قال به كثيرون فهو قول باطل ويترتب عليه هدم كثير من العقائد ومن الفروع .. بالإضافة إلىٰ أنه باب إلىٰ الدخول إلىٰ القول بإنكار السنة مطلقاً لأن الآحاد قسم من السنة بل أكثر السنة آحاداً ، فإذا أنكروا أحاديث الآحاد فإنهم وصلوا إلىٰ المتواتر وبهذا قضوا علىٰ السنة الغراء ، كالذي ألّف كتاباً سماه (تيسير الوحيين في الاكتفاء بالصحيحين) ظاهره الرحمة وباطنه العذاب ، فإن نفي بقية السنة والمسانيد قد يتوصل به أيضاً إلىٰ إنكار الأحاديث جملة وتفصيلاً).. (انتهىٰ كلام المودودي يرحمه ا) .

ثم نعود لنستعرض صوراً من شطحات الصوفية والصوفيين ، وننظر في تنوع أساليب شيوخ طُرقُهم في النصب والاحتيال علىٰ السذج الجاهلين من أتباعهم بهدف التكسب والاغتناء من وراء ظهورهم في عمليات ابتزازية لأقوات الفقراء الضعفاء منهم، ولكي يعطوا لهم الولائم ويعطوهم أموالهم ويؤثرونهم علىٰ أنفسهم بغير حساب طالما أنهم سيضمنون لهم الشفاعة ويدخلونهم الجنة بغير حساب ولا عقاب .. وهذا هو دَيْدنهم جميعاً أولياء الصوفية الذين أضلوا عباد ا في الأصل ليستغلونهم مادياً وهم (أي الأتباع) من الأرجح كلهم أو معظمهم فقراء معدمين .

★ هذا أحدهم الدسوقي وكما ورد في (طبقات الشعراني) يقول : (أنا بيدي أبواب النار أغلقها ، وبيدي جنة الفردوس أفتحها .. من زارني أسكنته جنة الفردوس) .. ونحن نقول له طالما يا دسوقي بيدك جنة الفردوس تفتحها فلماذا لا تذهب وتسكن فيها وتستمتع بنعيمها وتترك الناس في حالهم ؟! .

★ صدفة عجيبة تحدث لي أثناء كتابتي هذه الرسالة ، وأثناء معالجتي لشطحات أئمة وشيوخ الصوفية في ابتزازهم واستغلالهم أتباعهم مادياً ، وكان ذلك في مساء يوم السبت السادس من جمادى الآخرة عام ١٤٢٢هـ الموافق ٢٥ أغسطس من عام ٢٠٠١ ميلادية، كنت أكتب وأنا أستمع بعد صلاة العشاء إلىٰ برنامج (نور علىٰ الدرب) من إذاعة القرآن الكريم من الرياض ، وفي هذا البرنامج يتم توجيه أسئلة من المستمعين عبر مذيع الحلقة إلىٰ أحد علماء

المملكة العربية السعودية الثقات ليفتوهم في الإجابة علىٰ تلك الأسئلة ... وكان ضيف تلك الحلقة هو فضيلة الشيخ / عبد الله بن عبد الرحمن الغديان، والسائل من السودان يقول : أنه يتبع إحدىٰ طرق الصوفية في السودان ولكن علم من زملائه المتبعين أن شيخ طريقتهم يشترط علىٰ كل فرد منهم يذهب إلىٰ الحج أن يعطيه قبل سفره إلىٰ مكة خُمس ماله ، وحال عودته من الحج وقبل أن يطأ بقدميه عتبة داره أن يهديه كبشاً ؟!! ، وقد أجابه فضيلة الشيخ الغديان الإجابة الوافية الكافية بإذن الله تعالىٰ التي تبين له خطأ معتقده في طريقته الصوفية ، وحذره من شيخ الطريقة الذي يخالف شرع الله وسنة رسوله صلىٰ الله عليه وسلم ، والذي يحاول استغلالهم مادياً ويشاركهم أموالهم بغير ما شرع الله ورسوله .

فانظروا إلىٰ ما يؤكد جدية وصدق اتهاماتنا لهؤلاء المتصوفة المبتدعين هدانا وهداهم الله . وقد بلغ ببعضهم من الشطح إلىٰ النطح لكي يجعلوا من أنفسهم أنبيـاء يُوحىٰ إليهم أو أن يجعلوا لأنفسهم قدرات تضاهي قدرات رب العزة والجلال كفراً وإلحاداً .. فمنهم من ادعىٰ أنه نبي مرسل ، ومنهم من ادعىٰ أنه وصل إلىٰ الدرجة التي يأخذ منها عن الله مباشرة دون جبريل عليه السلام، وأنه بذلك قد سقطت عنه التكاليف فلا يُصلي ولا يصوم ولا يؤدي أي نوع من العبادات ، بينما هذا محمد صلىٰ الله عليه وسلم وهو بالإجماع أفضل خلق الله بُدأ ، ومع هذه الدرجة العليا والنبوة العظمىٰ ، والفضائل التي خصه الله بها دون سائر الأنبياء والمرسلين ، محمدٌ هذا لم يقل يوماً أنه يأخذ من اللوح المحفوظ أو أنه يأخذ مباشرة عن الله دون جبريل عليه السلام ، كما لم يفتر عن عبادة ربه طرفة عين ، بل كان يقوم الليل حتىٰ تتفطر قدماه ، وعندما قالت له السيدة عائشة رضي الله عنها : لما تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، قال : (أفلا أحب أن أكون عبداً شكوراً) ، ولم يقل أنه وصل إلىٰ الدرجة التي سقطت عنه فيها التكاليف من صلاة وصيام وغيرها .

وهكذا إذا بقي ذلك الباب مفتوحاً لكل كافر كذاب من الصوفيين بادعاء أنه نبي مرسل أو مكشوف عنه الحجاب فسيدخل منه كل أفاك أثيم ، وذلك عين ما فعلوه

وزعموه كبار الطواغيت أرباب الصوفية في القرن الماضي أمثال : مرزا غلام أحمد القادياني ، ومحمد علي الباب، ومرزا حسن علي الملقب بالبهاء، ودجال السودان الأخير / محمد محمود ، وغيرهم الذين أدعوا أنهم تلقوا قرآناً أُنزل عليهم .

ومن شطحات رموز طواغيتهم المشهورين نورد بعضاً من أقوالهم وشطحاتهم فيما يلي :

★ فقد ورد في طبقات الشعراني وهو يتحدث عن كرامة سيده الشريف المجذوب فيقـول: (ولما طعن أصحاب النوبة سيدي علياً الخواص جاءه الشريف المجذوب من قبره ورد عنه الطعنة) .

★ ويقول عن أحمد البدوي (بالرغم من موته وهو الآن رمة عفنة) يقول : فإنه ينعم بالحياة الزاخرة القادرة في الدنيا ، ويهب الحياة لمن يشاء من الموتىٰ ، ويقضي حوائج الخلق ، ويعطي العهود ، ويكلم الطائفين حول صنمه (أي حول ضريحه) .. وهذا محمد صلىٰ الله عليه وسلم لم يُرْوَىٰ عنه بعد وفاته أنه أمد أحداً من الخلق بشيء .. فلو أن الله تعالىٰ أعطىٰ خصائص الحياة في الدنيا لشخص ميت في قبره ليعين بها أحبابه وأصحابه أو يمدهم بقدرة منه بعد موته لأعطاها سبحانه لمحمد صلىٰ الله عليه وسلم ، أما البدوي فبرغم موته فإنه ينعم بالحياة الزاخرة في الدنيا، بل ويهديها لمن يشاء من الموتىٰ !! .. ولا يزال الشعراني في طبقاته في ترجمة سيده البدوي يقول: إن شيخي أخذ علي العهد في القبة تجاه وجه سيدي أحمد البدوي ، وسلمني إليه بيده ، فخرجت اليد الشريفة من القبر وقبضت علىٰ يدي .. قال : سيدي الشناوي يكون خاطرك عليه وأجعله تحت نظرك ، قال : فسمعت سيدي أحمد يقول من القبر (نعم) .

ويقول الشعراني أيضاً : تخلفت مرة عن حضوري المولد ، وكان هناك بعض الأولياء ، فأخبرني أن سيدي أحمد البدوي كان ذلك اليوم يكشف الستر عن الضريح ويقول : أبطأ عبد الوهاب ما جاء .

ويقول الشعراني أيضاً أنه رأىٰ كثيراً من الأحياء والأموات من الشيوخ يأتون

بأكفانهم يمشون ويزحفون ليحضرون المولد البدوي .

ويقول عن الحرثي : قصدته في حاجة وأنا فوق سطوح مدرسة أم خوند بمصر ، فرأيته خرج من قبره يمشي من دمياط إلىٰ أن صار بيني وبينه خمسة أذرع فقال : عليك بالصبر.. ثم اختفىٰ .

★ أما أحمد بن محمد أبو العباس التيجاني الذي ولد عام (١١٥٠هـ) فيقول عن نفسه :

روحي روحه صلىٰ الله عليه وسلم تمد الرسل والأنبياء ، وروحي تمد الأقطاب والعارفين من الأزل إلىٰ الأبد ، وإذا جمع الله تعالىٰ خلقه في الموقف ينادي منادٍ بأعلىٰ صوته يسمعه كل من في الموقف : يا أهل الحشر .. هذا إمامكم الذي كان مددكم منه !!؟ .

★ وورد في عجائب الآثار للجبرتي بالجزء الأول صفحة (٣٢٠) ما يلي : أن الصوفي المدعو/ علي بن حجازي بن محمد البيومي المتوفىٰ سنة(١١٨٣هـ) .. يزعم أنه رأىٰ الشيخ الدمرداش في السماء - وأنه أي الدمرداش قال له : لا تخف في الدنيا ولا في الآخرة - وأن البيومي كان يرىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم في الخلوة وأنه سمعه يقول لأبي بكر : اسع بنا نطل علىٰ زاوية دمرداش - وأنه أي البيومي دخل علىٰ السيد البدوي فرأىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم عنده وعندما خشي أن يكون واهماً في رؤيته للنبي ، فرأىٰ فوراً الدمرداش عند ضريحه يقول له : مد يدك إلىٰ النبي فهو حاضر عندي!؟ .

★ وورد في (جواهر المعاني في فيض التيجاني) لعلي حرازم بالجـزء الأول صفحة (٩٧) : أن طاغوت التيجانية الأكبر أنه قال : أخبرني سيد الوجود (يعني الرسول صلىٰ الله عليه وسلم)[٢] يقظة لا مناماً قال له : كل من أحسن إليك بخدمة أو غيرها ، وكل من أطعمك يدخلـون الجنة بغير حساب ولا عقاب، يقول فسألته : أهذا لكل من أحبني ولكل من أحسن لي بشيء مثقال ذرة ؟ ومن أطعمني طعامه أكلهم يدخلون الجنة بغير حساب ولا عقاب ، وكلام آخر كثير يقول : أن النبي قال له : ضمنت لهم كل ذلك لا ينقطع عنهم حتىٰ

(٢) " هكذا جاء في النص رغم أن لقب سيد الوجود لا تصح في شخص الرسول صلىٰ الله عليه وسلم فهو سيد ولد آدم ولا فخر أما سيد الوجود فهو الله سبحانه وتعالىٰ " .

تجاورني أنت وهم في عليين .

★ وورد في كتاب قوت القلوب لأبي طالب المكي بالصفحة (١٠٣) : أن صوفي يخاطب ربه قائلاً : (إن قوماً طلبوك فأعطيتهم علىٰ الأرض ، والمشي علىٰ الهواء ، وكنوز الأرض ، فانقلبت لهم الأعيان) ثم يتحدث عما أنعم عليه ربه بعد هذه المسألة السابقة فيقول : (أدخلني ربي في الفلك الأسفل ، فدوّرني في الملكوت السفلي ، فأراني الأرضين وما تحتها إلىٰ الثرىٰ ، ثم أدخلني في الفلك العلوي فطوف بي في السمٰوات ، وأراني ما فيها من الجنان إلىٰ العرش، ثم أوقفني ربي بين يديه فقال لي : سلني أي شيء رأيت حتىٰ أهبه لك ، قال فقلت : يا سيدي ما رأيت شيئاً استحسنه لأسألك إياه) .

سبحان الله العظيم المنزه عن مثل هذا القول الباطل .. رأيتم كيف هذا الطاغوت الأكبر يتجرأ علىٰ الله ويدعي كل هذه الصلة معه سبحانه والتي لم ينل مثلها مخلوق قبله ولا حتىٰ سيد الخلق محمد صلىٰ الله عليه وسلم .. والعجيب قوله الكاذب أنه عُرض عليه رؤية عرش الرحمن ثم يسأله ربه أن يطلب منه أي شيء مما رآه ليهبه له .. فيجيب بكل وقاحة: ما رأيت شيئاً أستحسنه لأسألك إياه .. ، ثم يضيف ذلك الفاجر في نهاية قوله في كتاب قوت القلوب يقول : أنه بعد أن أجاب ربه بهذه الإجابة (أي لم يستحسن شيء مما رآه ليهبه له) فإن الله تعالىٰ المنزه عن ذلك قال له : هكذا أنت عبدي حقاً .

★ واستمراراً في ذكر شطحاتهم وكفرهم قال الصاوي في حاشيته على الشرح الخريدة للدردير أن الرفاعي وقف تجاه قبر الرسول وناجاه بهذين البيتين :

في حالة البعد روحي كنت أرسلها	تُقبلُ الأرض عني وهي نائبتي
وهذه دولة الأشباح قد حضرت	فامدد يمينك كي تحظي بها شفتي

قالوا فخرجت اليد من القبر ليُقبلها!؟.

★ ويقول الدباغ في مؤلفه للترويج لهذه الشركيات والشطحات : (رأيت ولياً من أولياء الله بلغ مقاماً عظيماً ، وهو أنه يشاهد المخلوقات الناطقة والصامتة - والوحوش والحشرات ، والسمٰوات ونجومها - والأرضين - وكرة العالم بأسرها تستمد منه - ويسمع أصواتها وكلامها في لحظة واحدة - ويمد كل

واحد بما يحتاجه ويعطيه ما يصلحه من غير أن يشغله هذا عن ذاك).. ونحن نستغفرك ربنا ونتوب إليك مما يتجرأ به عليك بعض خلقك الذين ضلوا وأضلوا عبادك.. فماذا أبقىٰ هذا الزنديق تعالىٰ من قدرات لم يأت بها ؟ .. سبحانه وتعالىٰ وتنزه عما يقولون ويفترون إفكاً عظيماً .. ونعوذ با من كل مخلوق يُصدّق مثل هذا الكلام فتصيبه لعنة من ا إلىٰ يوم يُبعثون ، ولا حول ولا قوة إلا با العلي العظيم .

* وهذه رابعة العدوية التي سحرت الصوفيين في زمانها بصوفيتها الفاتنة، واستشرفت بأشعارها عزة الألوهية ، وهتفوا عند ذكر اسمها في مجالس ذكرهم ولقبوها (بشهيدة العشق الإلهي) وهي التي تقول : (ما عبدتك خوفاً من نارك - ولا طمعاً في جنتك - وإنما عبدتك لذاتك) .. وهي بهذا القول تكون قد بوأت لنفسها منهاجاً ومكاناً تسمو بهما عن مقام ومكانة الأنبياء والرسل عليهم صلوات ا وسلامه .. لأنها تعلن به عن تجردها الكامل من كل رغبة ورهبة أو طمع وخوف من ا تعالىٰ .. وهؤلاء رسل ا تعالىٰ الذين جعل ا من صفاتهم الحميدة أنهم يدعونه رغباً ورهباً وخوفاً وطمعاً كما جاء في قوله تعالىٰ : { إِنهمْ كَانُوا يُسَارِعُونُ فِي الخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ} الأنبياء:٩٠ .. وأيضاً قوله تعالىٰ: {وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً إِن رَحْمَةَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ المُحْسِنِينَ} الأعراف: ٥٦ وقوله تعالىٰ : { تَتَجَافَىٰ جُنُوبهمْ عَنِ المَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبهمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِما رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ } السجدة : ١٦ .. وكانت رابعة تهبط في شطحاتها حتىٰ تمكن منها قرينها (شيطانها) فجعلها تصف الكعبة بيت ا الحرام بقولها : (هذا هو الصنم المعبود في الأرض) .

وهكذا تتعدد شطحاتهم وخروجهم عن المعقول ، ولو أردنا إحصاء ذكر أخطائهم وكفرهم وفسقهم وافتراءاتهم أولئك المتصوفة لما وسعنا ملئ مجلدات ضخمة ، ولكن بشكل مجمل وعلىٰ سبيل الكيف لا الكم يقولون في بعض مؤلفاتهم الباطلة مثل ترويجهم لصلاة الحاجة لألف حاجة ، وذكرهم أبو الحسن الشاذلي بعبارة (رضي ا عنه) ، والتوسل والاستغاثة برسول ا صلىٰ ا عليه وسلم

بقولهم : أدركنا يا رسول ا ، وأغثنا يا رسول ا ، ومدد مدد يا رسول ا ، وذكر صلاة الأنوار لصنمهم الأكبر (أبي فراج) أحمد البدوي ، وقالوا أيضاً (رضي ا عنه) ، وهذه الصلاة ، صلاة النور الذاتي والسر الساري هي أصلاً من اختراع سيده الشاذلي وهي كما قالوا : تعدل مائة ألف صلاة ، وقولهم أن الرسول صلىٰ ا عليه وسلم لا ينقطع من هذا الوجود لحظة واحدة فهو أصل الوجود وقطب دائرته ، والسبب في كل موجود لأنه أول الخلق ومن نوره خلق ا السمٰوات والأرض والعرش والكرسي والخلق أجمع فكيف يغيب عن الأكوان لحظة واحدة، وكلام كثير عن رؤيتهم له في المنام وزيارته لهم في اليقظة وتصير لهم بذلك معه صحبة، ولذلك يُرَضّوُن عن أنفسهم .. وقولهم عن دعاء اخترعه سيدهم المرسي أبو العباس وأن من قرأ تلك الصيغة من الدعاء (٥٠٠) مرة فإنه لا يموت حتىٰ يجتمع بالنبي صلىٰ ا عليه وسلم يقظة ، وأوردوا في ذلك أحاديث كثيرة مكذوبة وموضوعة عن أبي هريرة تقول أن مـن صلىٰ علىٰ الرسول ألف مرة مع أوراد أخرىٰ فإنه يراه في المنام ومن زاد فإنه يصل إلىٰ مقام صحبته والاجتماع به يقظة فيصبح صحابياً من صحابته ، وأن من رآه في اليقظة ضمن له الرسول حسن الخاتمة والشفاعة والجنة والمغفرة له ولأبويه أيضاً ويهون عليه سكرات الموات (مع أننا نعلم أن الرسول صلىٰ ا عليه وسلم قد اشتكىٰ منها عند وفاته) .. وزادوا أن من رآه يقظة فإنه يرفع عنه عذاب القبر ويؤمنه أهوال يوم القيامة ويقضي جميع حوائجه في الدنيا والآخرة بلطفه وكرمه ، ثم أكدوا وهم كاذبون : ولكي تراه كما جاء في كتاب الأذكار لقطب الأقطاب (وكبير الأصنام) أن يصلي من ليلة الجمعة ركعتين ويقرأ في كل ركعة خمس مرات الفاتحة وآية الكرسي ويصلي علىٰ النبي ألف مرة ، كما قالوا في مجمع الحديث حديثاً مكذوباً وملفقاً عن الرسول صلىٰ ا عليه وسلم أنه قال : من أراد أن يراني يقظة يصلي ليلة الجمعة أربعة ركعات ويقرأ في كل ركعة الفاتحة والضحىٰ وألم نشرح وإنا أنزلناه والزلزلة ويسلم ثم يصلي عليّ سبعين مرة ويستغفر سبعين مرة ثم ينام فإنه يراني في اليقظة .. (وقد جرب بعض الجهلة السذج ذلك عدة مرات ولم يروه صلىٰ ا عليه وسلم ولا حتىٰ في المنام) .. وقالوا في كتاب (خزينة الأسرار) : قال بعض العلماء من يقرأ القدر ألف مرة يوم الجمعة لم يمت حتىٰ يراه.. وأيضاً زادوا من شطحاتهم بذكر صلاة الفاتح لسيدهم ومولاهم

محمد البكري وقالوا عنه أيضاً (رضي ا عنه) الذي قال: من صلىٰ أربعة ركعات في ليلة الجمعة ثم تلا ألف مرة (اللهم صلىٰ علىٰ سيدنا محمد الفاتح لما أُغلق والخاتم لما سبق ، ناصر الحق بالحق والهادي وعلىٰ آله حق قدره ومقداره العظيم) فإنه يجتمع بالنبي يقظة الوجه في الوجه .. (فما أقبح وأفضح كذبهم وتلفيقهم وضحكهم على ذقون العامة السذج ليبتزوا منهم أموالهم بالباطل) .

وهم يفسرون بأهوائهم الآية القرآنية التي تقول : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ } المائدة:٣٥ ، ورغم علمهم واعترافهم بأن التوسل إلىٰ ا هو بالصلاة وبأسمائه وصفاته عز وجل وبالأعمال الصالحة التي يُراد بها وجهه تعالىٰ خالصة ، كما توسل بها الثلاثة الذين أغلقت الصخرة عليهم الغار .. ولكنهم يميلون إلىٰ الضلالة ليُضلوا عباد ا ويعلّمونهم التوسل بالأموات من الرسل والأنبياء والأولياء الصالحين وبآل بيت رسول ا صلىٰ ا عليه وسلم ، وقالوا لهم كما يجوز التبرك بهم في حياتهم فإنه يجوز كذلك بقبورهم بعد موتهم لأن قبورهم كما ذكروا لهم أنها من رياض الجنة ، وهذا عين ما ذكره أبو حامد الغزالي في كتاب آداب السفر.. وقال الصنم الأكبر منهم أبو الحسن الشاذلي : (من عُرِضَتْ له حاجة إلىٰ ا فليقسم عليه بالإمام أبي حامد الغزالي).. وجاء في (المفاخر العلية) أن الشاذلي يقول عن سيده الغزالي أنه قال له : إذا عَرَضَتْ لك حاجة فاقسم عليه بي .. فكنت وا لا أذكره في حاجة إلا انفرجت ولا صعب إلا هان .، (ونحن نقول للشاذلي كذبت وا يا عدو ا وكل منكم أعمدة الصوفية إنما يُطبل للآخر، وحسابكم علىٰ ا يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتىٰ ا بقلب سليم) .

والتوسل والاستغاثة في الدعاء بالأنبياء والأولياء والصالحين لا يجوز سواءً كانوا أحياء أم أموات لأن ا سبحانه وتعالىٰ أخبر رسوله محمد صلىٰ ا عليه وسلم في القرآن بقوله عز وجل: { وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِي فَإِني قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الداعِ إِذَا دَعَان } البقرة : ١٨٦ .. وما رواه الطبراني عن عبادة بن الصامت رضي ا عنه ، قال : كان في زمن النبي صلىٰ ا عليه وسلم منافق يؤذي المؤمنين .. فقال بعضهم قوموا بنا نستغيث برسول ا صلىٰ ا عليه وسلم

من هذا المنافق .. فقال النبي صلىٰ ا عليه وسلم : (إنه لا يُستغاث بي وإنما يُستغاث با) .. هذا وهو صلىٰ ا عليه وسلم حي ، فكيف يُستغاث ويُتوسل به وهو ميت ؟ .. وكيف الاستغاثة بمن هم أدنىٰ منه منزلة كالأولياء والصالحين ، وما عداك من الدجالين والأفافين مثل الذين تجرءوا علىٰ رسل ا وقالوا : (إن الأولياء يعبرون بحراً وقف الأنبياء علىٰ ساحله!!؟) .. ويعنون الفسقة أنهم بلغوا درجة من الكشف ومنزلة عند ا بكرامتهم لم يبلغها الأنبياء صلوات ا عليهم وسلامه .. فهل بعد هذا الفُجر والكفر كفراً ؟ .

كما أن بعض أوليائهم الدجالين يقصّون علىٰ العامة السذج روايات عن رؤىٰ في منامات يقولون كذباً أنهم شاهدوا فيها الرسول صلىٰ ا عليه وسلم وبعض الصحابة مدعين أنهم (أي الرسول والصحابة) طلبوا منهم الاجتهاد في تصحيح المفاهيم عن بعض السنن للناس وأمروهم بتبيانها لهم.. وقاموا بحشو تلك الخرافات التي يريدون بها تغيير السنة الصحيحة ، حشوها بين ثنايا الكتب وينشرونها بين الناس في مجلدات مشبوهة لا تحمل أسماء مؤلفيها .

فعلينا أيها الأخوة في ا أن نتبين طريقنا في الدين بنور من ا تعالىٰ الذي جاء في كتابه الكريم وعلىٰ الصحيح من سنته صلىٰ ا عليه وسلم .. ومن سقط منا بجهالة منه وعدم علمه بهذه الأمور في شِرَاكْ أولئك المبتدعون والصوفيون الضللة فليرجع إلىٰ ا ويتوب إليه لعلنا وإياكم أن يحسن ا خاتمتنا ونكون من الفرقة الناجية مع محمد وأصحابه .. ونتعظ بما نحن فيه اليوم من حال أمة محمد صلىٰ ا عليه وسلم ، وضرب ا رقاب بعضنا ببعض وألبسنا شيعاً وأذاق بعضنا بأس بعض ، وكتب علينا أن نعيش دهوراً وقروناً في القيود والأغلال .. وأننا ما صرنا أهلاً لكل ذلك إلا لأننا أهملنا كتاب ا وتركنا سنة نبينا محمد صلىٰ ا عليه وسلم ، وسمحنا للباطل أن تمتد جذوره في تراثنا الإسلامي وللشذوذ الديني أن ينعم بالنور والهواء بين ظهرانينا ، وأنه لولا فضل ا علينا ورحمته بنا لجعل منا القردة والخنازير ، ولولا كتاب من ا سبق لأنزل علينا حجارة من السماء .. ونتذكر قول ا تعالىٰ : { وَيَوْمَ يَعَضُ الظالِمُ عَلىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتخَذْتُ مَعَ الرسُول سَبِيلاً - يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لمْ أَتخِذْ فُلاناً خَلِيلاً - لقَدْ أَضَلنِي عَن الذكْر بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشيْطَانُ لِلإِنسَان خَذُولاً }

الفرقان : ٢٧-٢٩.. ونقرأ ما قاله ابن عباس رضي الله عنهما في تفسيره لقول الله تعالى { وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ - يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ..} آل عمران : ١٠٥ .. قال ابن عباس : تبيض وجوه أهل السنة والائتلاف - وتسود وجوه أهل البدع والاختلاف.. ثم يصف الله تعالى حال الفريقين ، وأين تُوصل أهلها كل من الطريقين فقال تعالى : { فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ - وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } آل عمران :١٠٦- ١٠٧ .

وفي الخاتمة

إن كل ما سبق وشرحنا وأوضحناه من ضلالات المضلين من المبتدعة والمتصوفين منذ قرون عديدة وحتى اليوم وآثارهم باقية يمارسها ويتبعهم فيها مئات الملايين من المسلمين في كل بقاع الأرض نسأل الله تعالى لناولهم الهداية وأن يرجعوا إلى الله ويتوبوا إليه وينفضوا عن عقيدتهم كل تلك الأدران لعلنا نكون وإياهم من الفرقة الناجية الذين هم على ما كان عليه محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه .

ولقد تَخَلَّفَتْ عن أولئك المضلين بعض الممارسات التي يتناولها جُل المسلمين اليوم إلا من رحم الله ، ويظنونها عادية ومن السنة وهي من البدع، وكما قلنا نراها صغيرة وهي قد تؤدي بعضها إلى الشرك والعياذ بالله وهم لا يشعرون ، أو كما قال المصطفى صلى الله عليه وسلم : (الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل) .. وسنورد فيما يلي توضيحاً لعدد من هذه الممارسات الخاطئة مع ذكر أدلة بطلانها قدر المستطاع والله تعالى أعلم :

(١) أولها (الاحتفال بالإسراء والمعراج وبليلة النصف من شعبان ويوم عاشوراء عند الشيعة ومن تبعهم من أهل السنة) .. كل ذلك بدع لم يأت بها دليل لا من

القرآن ولا من السنة.. ولا مِنْ فعل صحابة رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم .. وبدعة الاحتفال بليلة النصف من شعبان لم يَرِدْ عنها شيء في كتب السنة النبوية وآثار السلف الصالح أو أي سند ديني .. فلم يَرِدْ عن الرسول صلىٰ الله عليه وسلم أنه أحتفل بالنصف من شهر شعبان كما لم يثبت أن أحتفل به أحد من الخلفاء الراشدين الذين أمرنا صلىٰ الله عليه وسلم بإتباعهم ، فلم يقيم أحد منهم احتفالاً خاصاً بهذه الليلة .

ولكن لشهر شعبان بعامة فضائل كثيرة فيه كان الرسول صلىٰ الله عليه وسلم يكثر من الصوم والدعاء وعمل الخير ، وإكثاره للصوم فيه كان منه تدريباً للنفس وإعدادها لاستقبال شهر رمضان ، ولذلك فإن الأحاديث الصحيحة الواردة في فضل شهر شعبان كثيرة ومنها الحديث الوارد عن عائشة رضي الله عنها الذي قالت فيه : (لم يكن النبي صلىٰ الله عليه وسلم يصوم من شهر أكثر من شعبان ، فإنه كان يصوم شعبان إلا قليلاً) رواه مسلم .

والاجتماع ليلة النصف من شعبان في المساجد بعد غروب الشمس وإقامة صلاة خاصة تُعرف بصلاة النصف من شعبان وقراءة أدعية خاصة بها تعرف بدعاء ليلة النصف من شعبان ، هي بدعة مُستحدثة تفشت في العصور المتأخرة ولم تكن في عهد الصحابة رضوان الله عليهم ولا في عهد التابعين .

(٢) والتسييد للرسول صلىٰ الله عليه وسلم في التشهد في الصلوات بعامة الفريضة منها والراتبة والسنن بدعة .. أي قول المتشهد : (اللهم صلىٰ علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آل سيدنا محمد كما صليت علىٰ سيدنا إبراهيم وعلىٰ آل سيدنا إبراهيم) .. أي نعم أن سيدنا محمد هو سيد ابني آدم أجمعين ، ولكن ورد عنه صلىٰ الله عليه وسلم نص صريح في الصلاة عليه أثناء التشهد فقال: (قولوا اللهم صلىٰ علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد كما صليت علىٰ إبراهيم وعلىٰ آل إبراهيم ، وبارك علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد كما باركت علىٰ إبراهيم وعلىٰ آل إبراهيم إنك حميد مجيد) .

(٣) ومن الشرك القسم بغير الله تعالىٰ كقول بعضهم : (والنبي يا فلان أن تفعل كذا وكذا).. أو (وحياتك ، أو وحياتي عندك ، أو وحياة أولادي ، أو وحياة

أولادك، أو بمعزة فلان عندك أن تفعل لي كذا وكذا) .. وقول الرسول صلىٰ ا عليه وسلم : (فمن كان حالفاً فليحلف با أو ليصمت) ، ولكن يجوز الحلف بقولك: (ورب الكعبة ، ورب السمٰوات والأرض ، والذي نفسي بيده ، كما كان يقسم بذلك غالباً الرسول صلىٰ ا عليه وسلم) .

(٤) ومن الشرك أيضاً قول المرء : (ما شاء ا وفلان ، أو قال ا وفلان ، أو هذا من فضل ا وفضلك ، أو هذا من خير ا وخيرك) إنما يجوز أن تقول: (ما شاء ا ثم فلان ، وهذا من فضل ا ثم من فضلك ...الخ) .. وقد ورد لأبي داوود بسند صحيح عن حذيفة رضي ا عنه عن النبي صلىٰ ا عليه وسلم قال : (لا تقولوا ما شاء ا وشاء فلان ، ولكن قولوا ما شاء ا ثم شاء فلان) .. وهذا أيضاً قوله تعالى : { وَمَا تَشَاءُونَ إِلا أَن يَشَـاءَ اللهُ ... } الإنسان:٣٠.

(٥) وأيضاً لا يصح أن يقول المرء : (لولا الحارس علىٰ الباب لسطا علينا اللصوص الليلة ، ولولا سقف البيت متين لأغرقنا المطر ، ولولا وقفتك يا فلان معنا لكنا رحنا في خبر كان، ولولا السائق كان ماهراً لانقلبت بنا السيارة .. الخ ، وعلىٰ ما شاكل ذلك من العبارات) .. ولكن يصح أن يقول الإنسان عند ذلك وبدلاً من الذي سبق : (لـولا أن ا لطف بنا وسخر لنا ذلك الحارس علىٰ الباب لسرقنا اللصوص الليلة ، ولولا أن ا من رحمته بنا وجعل سقف البيت متين لأغرقنا المطر ، ولولا فضل ا علينا وسخـرّك لنا يا فلان لتقف معنا في محنتنا لكنا رحنا في خبر كان ، ولولا لطف ا تعالىٰ بنا وجعل السائق ماهراً لأنقلبت بنا السيارة والحمد) .. كل ذلك من أمور الشرك الخفي ولا نشعر بها غالباً ، فيجب أن نُعود ألسنتنا علىٰ ترديد الصحيح منها عند الحاجة لقول هذا الكلام ونرجع الفضل كله تعالىٰ ، ونعلم أن ذلك كله من فضل ا علينا وعلىٰ الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون .. اللهم لك الحمد والشكر حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه .

(٦) إقامة الحفلات بأعياد الميلاد لأنفسنا أو لأولادنا وبناتنا وازوجاتنا (بدعة كبرىٰ مَنْهي عنها لما فيها من تشبه بالنصارىٰ وإضاعة الوقت والمال في غير ما

شرع الله ورسوله) وبهذه المناسبة فإني أعرف شخصاً في الخمسينات من عمره ، ولكنه حريص علىٰ الاحتفال بيوم مولده كل سنة ليهتفوا له المحتفلين به (HAPPY BIRTH DAY TO YOU) (وسنة حلوه يا جميل).. ونعلم نحن وكل من هم حوله من أصحابه وبتصريحه بلسانه أن أمه ماتت وهي تلده فلم يخرج إلىٰ الحياة إلا بعد أن كان سبباً في موتها .. فكان يوم مولده يوم مأتم ومصيبة وحزن علىٰ أهله ، ورغم ذلك فإن الأحمق مستمر يحتفل كل سنة بيوم مولده السعيد (أقصد التعيس) فسبحان الهادي يهدي من يشاء إلىٰ صراط مستقيم.. ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور .

(٧) إقامة السرادقات بعد وفاة الشخص لتقبل العزاء فيها وجلب من يقرأ القرآن فيها، أو قراءة القرآن علىٰ الميت بعد دفنه في المقابر ، ثم إقامة الولائم في ذكراه الأربعينية أو السنوية ، جميع ذلك من البدع المنهي عنها نصاً وعملاً في زمن الرسول صلىٰ الله عليه وسلم والصحابة رضوان الله عليهم والتابعين ومن تبعهم .

(٨) الندب علىٰ الميت والنواح والصراخ وشق النساء لثيابهن ، جميع ذلك منهي عنه ويتعذب بها الميت في قبره .

(٩) إقامة حفلات الزواج باستئجار المغنيين والمغنيات والراقصات العاريات لإحياء هذه الحفلات ، ويتغنوا بالكلام الفاحش الذي يدعو إلىٰ الفسق والفجور ، واختلاط النساء بالرجال يرقصون سوياً وتتلاحم أجسامهم ، كل ذلك منهي عنه وليس من الدين الإسلامي في شيء ، ويأثم فاعله سواء كان رب الحفل أو الزوج أو الزوجة الذين يرتضون ذلك الذي ينتج عنه فتن عظيمة لم يشرّعها الله ولا رسوله ، وما سمح به الرسول صلىٰ الله عليه وسلم في حفلات الزواج لا يتعدىٰ الضرب بالدف للفرحة وإعلان الزواج .

(١٠) ومنها قول البعض عندما يريد أن يتلفظ بالحوقلة ، يعني بدلاً من أن يقولها صحيحة كاملة (لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم) فإن البعض يقولها علىٰ عُجالة : (لا حول الله) وهو بذلك يرتكب جُرماً عظيماً في حق الله تعالىٰ لا يدفع عنه الإثم عدم انتباهه لما يقول لأنه بذلك القول إنما ينفي الحول والقوة

عن الله جل وعلا القوي العزيز بقوله (لا حول الله).. فنقول لكل من تعوّدَ لسانه علىٰ نطق الحوقلة بهذه الصفة أن يتوقف فوراً ويُعودُ لسانه علىٰ نطقها كاملة (لا حول ولا قوة إلا بالله) ويضيف إليها (العلي العظيم) لمن أراد أن يتلفظ بها.

(١١) وأمر مهم أود أن أنبه إليه في معنىٰ كلمة (لواط) .. إن إطلاق لفظ (اللواط) علىٰ عمل قوم لوط فيه تجني علىٰ اسم نبي الله لوط عليه السلام ، فما ذنب سيدنا لوط أن نجعل من اسمه وصفاً لتلك الفعلة الخبيثة والجريمة النكرة مِنْ فِعْل قومه الذين تبرأ منهم.

ولا أدري من أين أتوا بهذا التعريف المنكر والتجني الظالم علىٰ اسم نبي الله لوط ، حتىٰ أن جعل البعض من اسمه عليه السلام وكأنه فعلاً له تصريف الأفعال كما في قواعد اللغة العربية فقالوا: (لاط - يلوط - لوطاً - ولائط - لواطاً) وسموه (اللواط) .

بينما إذا رجع أي واحد منا إلىٰ معاجم اللغة العربية لن يجد في أي منهم أن فعل (لاط) يعني وصف فعل فاحشة قوم لوط .. ونذكر منها ما جاء في (المنجد) حيث ذكر ما يلي :

لَوْطٌ: لاط - يلوط - لوطاً الحوض ، أي مدره لكيلا ينشف الماء منه .

لاطَ : الشيء بالشيء ألصقه به - لاط الشيء بقلبي (أي أحببته) .

لاطَ : فلان بعين أو بسهم أصابه به ، لوطه بالطيب : أي لطخّه به .

لاطَ : يلوط لوطاً : الإنسان ضربه أو طرده .

اللِّواطُ : الربا : أصله اللواط .

هذا كله ما ورد عن معنىٰ أو معاني كلمة اللواط في المعجم (المنجد) وهو من أشهر المعاجم في هذا المجال ، ومما جاء من حديث رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه مؤكداً المعنىٰ الذي جاء في المعاجم : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : (تقوم الساعة والرجل

يحلب اللقحة فما يصل الإناء إلىٰ فيه حتىٰ تقوم، والرجلان يتبايعان الثوب فما يتبايعانه حتىٰ تقوم ، والرجل يَلِطُ في حوضه فما يصدر حتىٰ تقوم) من صحيح مسلم .

كما إذا رجعنا إلىٰ القرآن الكريم وإلىٰ أحاديث الرسول صلىٰ ا عليه وسلم لن نجد في أي منهما وصف لذلك الفعل الفاحش باللواط .. بل قال ا تعالىٰ في الآيات التي تذكر فعل قوم لوط، قال عز وجل : { إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً من دُونِ النِّسَاءِ } الأعراف: ٨١ ، وقال صلىٰ ا عليه وسلم : (من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به) . والغريب أنه وقع بعض كبار علماء السلف ومن تبعهم بعد ذلك يرحمهم ا جميعاً وقعوا في نفس الخطأ في وصف هذا الفعل المنكر بكلمة (اللواط) تيمناً باسم النبي لوط.. وذلك لا يجوز مطلقاً وفيه تجني كما أسلفنا علىٰ اسم نبي من أنبياء ا عليهم الصلاة والسلام .. غفر ا لنا ولكم وللسابقين واللاحقين إنه تعالىٰ غفور رحيم.

(١٢) ونرىٰ في كثير من المساجد أن بعض المصلين وراء الإمام يطيل السجدة الأخيرة في الصلاة بعد جلوس الإمام وباقي المصلين للتشهد الأخير ، ويستمر في سجوده حتىٰ يوشك الإمام أن يُسَلم من الصلاة فيجلس من سجدته ولا يدرك قراءة التحيات والتشهد ، وهذا فيه مخالفة في اتباع الإمام ، فلا يجوز مسابقة الإمام ولا حتىٰ التخلف عنه ، .. إن كبر وركع ركعنا خلفه رأساً وإن كبر وسجد سجدنا فوراً وإن كبر وقام من سجدته سواء كانت الأولىٰ أم الأخيرة قمنا رأساً.. وإذا سألت بعض هؤلاء الذين يطيلون السجود الأخير بعد جلوس الإمام للتشهد أجابك : لأن الرسول صلىٰ ا عليه وسلم يقول : (أقرب ما يكون العبد إلىٰ ربه وهو ساجد) .. فقلنا لهم : نعم صدق رسول ا صلىٰ ا عليه وسلم وصدقتم ولكن ذلك نفعله في صلاة النافلة والتطوع وخاصة في قيام الليل والتهجد فنطيل السجود وإن ساعة كاملة ساجدين نناجي ربنا جل وعلا وندعوه ونتوسل إليه ، أما في صلاة الفريضة وجب علينا اتباع الإمام في كل حركة وتكبيرة لا نسبقه ولا نتخلف عنه وا أعلم والحمد رب

العالمين .

(١٣) ومن مخلفات البدعيين والمتصوفة من آثار مدمرة علىٰ هذه الأمة إيهام العامة والسذج أنه إذا طرأت له حاجة ويريد أن الله تعالىٰ يقضيها له أن يقرأ مثلاً (سورة الإخلاص) ألف وخمسمائة مرة ، أو أن يسبح ويحمد ويكبر مائة ألف مرة، أو أن يقرأ سورة ياسين مائة أو ألف مرة وهكذا ، وهذا لا يجوز لأنه من البدع المنكرة لأن الرسول صلىٰ الله عليه وسلم عَلَّمَ صحابته رضوان الله عليهم من الأذكار المعدودة ما لا يزيد عن مائة مرة مثل التسبيح والحمد والتكبير (٣٣) مرة بعد كل صلاة مكتوبة ، أو قول (لا إلهٰ إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو علىٰ كل شيء قدير) مائة مرة ، ومن أراد الزيادة فلا يكون بعدد محدد .. وكان صلىٰ الله عليه وسلم يستغفر ربه في اليوم والليلة سبعين مرة .. وزيادة عن ذلك العدد في الأذكار كما قلنا بدعة منكرة لأن الحكمة من ذلك والله تعالىٰ أعلم هو عدم إشغال القلب بتتبع الأعداد أثناء الذكر فلا يستحضر القلب الخشوع لمعاني ما يقوله المرء من الذكر .. والأصل استحباب وفضل الإكثار من الذكر ولكن بدون عدد ، وكما أخبرنا عز من قائل : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً - وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً } الأحزاب : ٤١-٤٢ ، والحمد لله رب العالمين .

(١٤) ومن الأشياء التي يجب التنبيه عليها بشكل مجمل وهي مخالفة للسنة ويمارسها الكثير من المسلمين دون دراية بأصلها وصحتها نجمل فيما يلي :

★ تعليق التمائم والأحجبة والخرز والودع (الأصداف البحرية) والقباقيب والحداوي بدعة منكرة ، ويقول صلىٰ الله عليه وسلم : (من علق تميمة فلا أتم الله له) .

★ قول البعض عند صلاة الشفع : (الشفاعة يا رسول الله) .

★ وقولهم عند صلاة الوتر : (سبحان الواحد الأحد) .

★ والاستغفار جماعة بصوت جهري بعد كل فريضة في بعض المساجد .

★ البعض من المصلين في المساجد وبعد تسليم الإمام والمصلين من الفريضة ، قام يصافح ويسلم علىٰ من هو علىٰ يمينه وأيضاً كذلك علىٰ من هو علىٰ

يساره (وهذه بدعة منكرة) .

★ بعض الجالسين في المساجد ويتابعون المؤذن فعندما يقول المؤذن (أشهد أن محمد رسول ا) قام المستمع يُقَبِلُ إبهاميه ويمسح بهما علىٰ عينيه (بشبهة أنها لا ترمد أبداً) وهذه بدعة في غاية الإنكار .

★ وقول بعض المؤذنين علىٰ المنائر جهراً بعد الأذان (يا رب عفواً بجاه المصطفىٰ كرماً) وهذه بدعة تؤدي إلىٰ الشرك والعياذ با ، وهي من التوسل الجاهلي الذي تحدثنا عنه آنفاً .

★ وأيضاً الصلاة والسلام علىٰ الرسول بعد انتهاء الآذان من علىٰ المنائر جهراً من قبل بعض المؤذنين (بدعة) .

★ الجهر بنية الوضوء أو بنية الصلاة أو الصيام التطوعي أو باقي النوافل (بدعة نهىٰ عنها الرسول صلىٰ ا عليه وسلم) .. مثل قول البعض جهراً : (نويت أن أصلي كذا وكذا ركعة ، أو نويت أن أصوم كذا يوم تطوعاً) وذلك كما عَلَمَنَا الرسول صلىٰ ا عليه وسلم (بأن النية محلها القلب) أي لا نتلفظ بها .

★ وقول بعض الناس بعد أن يروا شخصاً انتهىٰ من صلاته وبعد أن يسلم قالوا له : (تقبل ا منا ومنكم ، أو حرماً وجمعاً) .. هي بدعة لم تكن في زمن الرسول ولا الصحابة .

★ وطقطقة الرأس عند التسليم من الصلاة بدعة منكرة وليست من السنة ولا أصل لها مثل أن يقوم البعض عند التسليم بثني رقبته ورأسه إلىٰ الأمام مرة قبل الالتفات للتسليم يميناً ، ثم عند توجهه برأسه للتسليم إلىٰ اليسار فإنه يعود ويتوقف بوجهه إلىٰ الأمام ويطق رقبته ورأسه إلىٰ الأسفل ثم يرفع وبعدها يواصل الالتفات إلىٰ تسليمة اليسار .

★ ومسح الوجه بالكفين بعد الدعاء أيضاً بدعة لم تكن في زمن الرسول صلىٰ ا عليه وسلم ولا صحابته رضوان ا عليهم .

★ وبعض الناس يصلي نافلة غير سببية في أوقات النهي الثلاثة المعروفة وهي : الأولىٰ : بعد صلاة الفجر وحتىٰ تشرق الشمس وترتفع قدر رمح في السماء، والثانية : عندما تبدأ الشمس تميل إلىٰ الزوال قبل آذان الظهر وحتىٰ يؤذن للصلاة، والثالثة : عندما تميل الشمس إلىٰ الغروب قبل صلاة المغرب وحتىٰ يؤذن للصلاة.

★ في مسألة وضع اليدين علىٰ الصدر أثناء القيام في الصلاة ، فمن السنة الثابتة أن تكون اليد اليمنىٰ فوق اليسرىٰ وفي أصح الأقوال علىٰ الصدر فوق السرة .. ولكن بعض الناس يقول تختلف المذاهب ويحتجون بمذهب الإمام أبو حنيفة يرحمه ا الذي أجاز وضع اليدين تحت السرة، فيبالغ البعض عند وضعهما تحت السرة ونجده واقف في الصلاة بين يدي ا ويديه الاثنتين معقودتين فوق عورته وكأنه يغطيها بهما ، وهذا فعل منكر لا يجيزه أحد من العلماء ولا حتىٰ أبو حنيفة نفسه وا أعلم .

★ وأخيراً فإن بعض الناس يتشبه بالكفار عندما يريد أن يحييك صباحاً أو مساءً فأول أن يلقاك لا يبادرك بالسلام الشرعي ، بل يبادرك بقوله : صباح الخير أو مساء الخير أو أسعدتم صباحاً أو ليلة سعيدة .. الخ .. ونحن نقول لمثل هؤلاء اتقوا ا إذا كنتم مسلمين إذ كيف افترضتم من لدنكم الخير والسعادة لمن تحبونه من عندكم بقولكم صباح الخير وأسعدتم مساءً .. ولم تربطوا الخير أصلاً با تعالىٰ مسبب هذا الخير .. فنصيحتي لمثل هؤلاء أن يرجعوا إلىٰ ا ويبادروا إخوانهم في الدين أولاً بتحية الإسلام (السلام عليكم ورحمة ا وبركاته) .. كما أمرنا بذلك ربنا عز وجل وعَلَمَنَا كيفيته في كتابه الكريم بقوله تعالىٰ: { ... فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِندِ اللهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً... } النور: ٦١ .. وأيضاً قوله تعالىٰ: { دَعْوَاهُمْ

فِيهَا سُبْحَانَكَ اللهُم وَتَحِيتهمْ فِيهَا سَلامٌ ... } يونس:١٠ .. وقوله تعالىٰ : { وَإِذَا حُيِيتُم بِتَحِيةٍ فَحَيوا بِأَحْسَنَ مِنها أَوْ رُدوهَا...} النساء:٨٦. وقد أوصانا صلىٰ ا عليه وسلم بإفشاء السلام وحثنا عليه في كـل حال نكون فيه ما عدا (الخلاء) .. ثم بعد أن تُسلّم علىٰ أخيك المسلم بتحية الإسلام يمكنك أن تقول له بعد ذلك (صبحك ا بالخير) أو (مساك ا بالخيـر) أو (أسعد ا أيامك) فتربط الخير كله با هو سبحانه المسبب والمقّدر له فتصير تحيتك له عبارة عن دعوة طيبة تدعو ا له بها .. والحمد رب العالمين .

وكلمة أخيرة.......

هي العبرة التي قد نستفيدها من هذه الرسالة والأسلوب الذي يجب أن نسلكه لكي نأمن علىٰ ديننا ونحافظ علىٰ عقيدتنا نقية طاهرة في زحمة هذه البدع والضلالات والشركيات التي انتشرت وتفشت في هذه الأمة الطيبة الزكية ، أمة محمد صلىٰ ا عليه وسلم خير الأنبياء والمرسلين ، التي زكاها رب العزة والجلال بأنها خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهىٰ عن المنكر .. وهي كما هو واضح هي أمة مرصودة من أعدائها وأخصامها من المتعصبين من اليهود والنصارىٰ منذ فجر الإسلام، بهدف أساسي يتمثل في تفتيت هذه الأمة وزرع الخلافات والاختلافات بينهم حتىٰ لا يجتمعوا مرة أخرىٰ علىٰ كلمة واحدة وقيادة واحدة فيكون ذلك مصدر خطر عظيم عليهم وعلىٰ سعيهم الحثيث للسيطرة علىٰ مقدرات دول العالم بأسره بشكل أو بآخر ، وليكون في يدهم مفاتيح الاقتصاد العالمي يحركونه كيف يشاءوا .. فلم يجدوا من سلاح قوي يحاربون به هذه الأمة (أمة الإسلام) أقوىٰ من تشكيك المسلمين في قرآنهم وسنة نبيهم صلىٰ ا عليه وسلم لأنهم علىٰ يقين تام بأن سر قوة هذه الأمة يكمن في هذين المصدرين كتاب ا وسنة رسوله ، ودراستهم لتاريخ الإسلام منذ ظهوره وحتىٰ اليوم يؤيد ويؤكد

هذه النظرية .

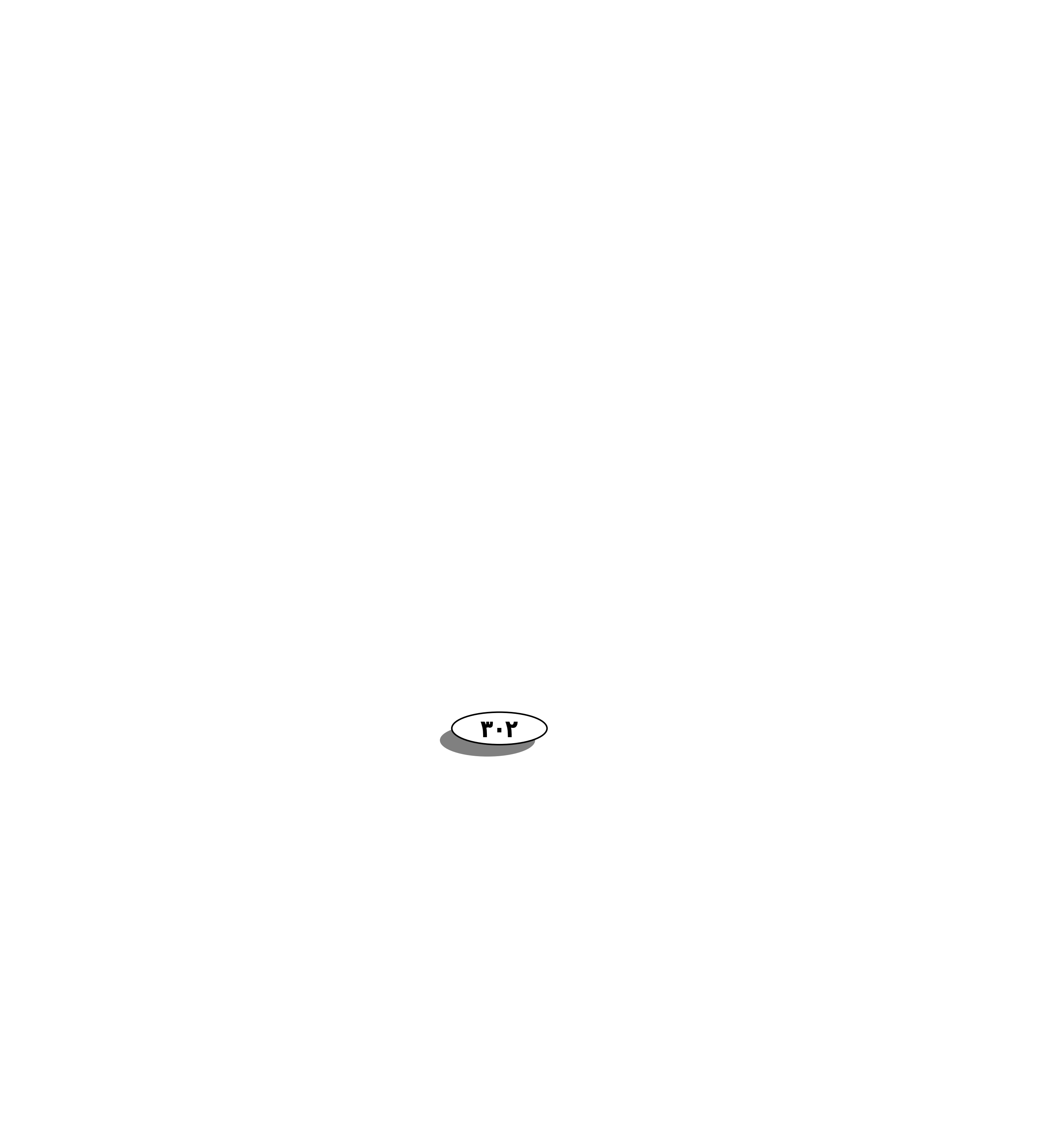
لذا وجب علينا الانتباه وإعلان حالة الطوارئ لتصحيح مسارنا قبل أن ينطبق علينا حديث نبينا محمد صلىٰ ا عليه وسلم ، وهو الحديث الذي أوردناه في بداية هذه الرسالة حيث يقول صلىٰ ا عليه وسلم :(يوشك أن تتداعىٰ عليكم الأمم من كل أفق تداعي الأكلة إلىٰ قصعتها .. قيل يا رسول ا : أفمن قلة نحن يومئذ ؟ .. قال : لا .. ولكنكم غثاء كغثاء السيل.. إلىٰ آخر الحديث) .

لذا وجب علينا أن نرجع إلىٰ كتاب ربنا جل وعلا وإلىٰ سنة نبينا محمد صلىٰ ا عليه وسلم ، وما كان عليه أصحابه رضوان ا عليهم نتبعهم خطوة بخطوة وكلمة بكلمة ليكون لنا بمثابة الميزان الذي نقيس به أعمالنا وأقوالنا في معتقداتنا .. فإذا اعترضنا أمر نراه مستحدث في ديننا وجب علينا أن نسارع فنزنه بميزان السنة الصحيحة ، فإذا وجدناه من السنة عملنا به ، وإذا لم نجده من السنة تركناه .. وبعد ذلك وقبله يبقى الرجاء في ا تعالىٰ أن يجعلنا من الفرقة الناجية علىٰ ما كان عليه محمد صلىٰ ا عليه وسلم وأصحابه رضوان ا عليهم .

واستميح عذراً عدداً من علمائنا الأفاضل الأحياء منهم والأموات الذين ألَّفُوا كُتُباً مفصلة عن البدع والصوفية وفي كل المواضيع التي وردت في هذا الكتاب، والذين استفدت من بعض المعلومات والأفكار التي طرحوها في كتبهم في هذه المجالات ، وقمت بسلامة قصد باستخدام بعض أفكارهم ونصوص وردت في كتبهم بعد أن اختصرتها وأعدت صياغتها بطريقتي الخاصة التي اتبعها في تلخيص موجز لتلك الأفكار والنصوص .. وأدعو ا أن يحفظ لهم أجرهم كاملاً علىٰ ما أفادوننا به في إنجاز هذه الرسائل التي أرجو ا العلي القدير أن يتقبلها مني خالصة لوجهه الكريم لا أتطلع من ورائها كسباً دنيوياً ولا شهرة أو وجاهة بين الناس فما أكثر أخطائي وذنوبي ، ولكن ظني با أن يغفر لي ويتقبل مني وألقاه

سبحانه وتعالىٰ وهو راضٍ عني وعن كل من ساعدني وآزرني في إنجاز هذا الكتاب الذي أرجو ا تعالىٰ أن يُيَسر لي ويُقَدِرَني علىٰ ترجمته إلىٰ كل اللغات الحية ليستفيد منه كل مسلم ومسلمة علىٰ وجه البسيطة .. والحمد والفضل أولاً وأخيراً رب العالمين الذي وفقنا لهذا ، ونصلي ونسلم علىٰ خير الورىٰ الهادي محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين ... والسلام عليكم ورحمة ا وبركاته.

فؤاد هاشم الأجهوري



متفرقات مختارة

★ حديث.. قال صلىٰ ا عليه وسلم لعبد ا بن عباس رضي ا عنهما: (إني أعلمك كلمات : احفظ ا يحفظك .. احفظ ا تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل ا .. وإذا استعنت فاستعن با .. واعلم أن الأمة لو اجتمعت علىٰ أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه ا لك .. ولو اجتمعوا علىٰ أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه ا عليك .. رفعت الأقلام وجفت الصحف..) .

★ حديث .. أشرف رسول ا صلىٰ ا عليه وسلم يوماً علىٰ أُطُمٍ من آطام المدينة ثم قال: (هل ترون ما أرىٰ ؟ !) قالوا : لا .. قال : (فإني لأرىٰ الفتن تقع خلال بيوتكم كوقع القطرْ) .. صدقت يا محمد يا رسول ا صلىٰ ا عليك وسلم .. أصحابك لم يروا الفتن تقع خلال البيوت كوقع القطر .. ولكننا نراها اليوم رأي العين علىٰ شاشات (التلفزيون) داخل بيوتنا وهي تنزل علينا كقطرات المطر تتساقط علينا من السماء إلىٰ داخل بيوتنا من القنوات الفضائية والبث المباشر وعبر (الإنترنت) لتفتننا ولتفسد أخلاق أبنائنا وبناتنا .. فهل منا من يتق ويتعظ؟.

★ سُئل بعضهم : هل من علامة تدل علىٰ أن ا قد قبلك ؟.. فقال : إذا رأيت ا عز وجل قد عصمك من المعاصي كلها وكرّهَهَا إليك ، ووفقك لطاعته علمت أنه قد قبلك.. قلت : تمنيت لو قال قوي ظنك ورجاؤك با لكان أولىٰ ، إن للسيئة ظلمة في القلب ، وشيناً في الوجه، ووهناً في البدن ، ونقصاً في الرزق، وبُغضة في قلوب الخلق ، ونقصاً في العقل والدين .. أما الحسنة فإن لها نوراً في الوجه ، ونشاطاً في البدن، وزيادة في الرزق، ومحبة في قلوب الخلق ، وزيادة في العقل والدين .

★ وقال حكيم : خلص رقبتك في الدنيا ما استطعت من أسر الآخرة .. فإن أسير الآخرة لافكاك له .

★ عظة .. قال سليمان بن عبد الملك لحميد الطويل : عظني .. قال : يا أمير

المؤمنين إن كنت إذا عصيت الله تعالىٰ ظننت أنه يراك فقد اجترأت علىٰ رب عظيم ، وإن كنت تظن أنه لا يراك فقد كفرت برب كريم .

★ تنبيه. ادع ربك ولا تضجر ولا تمل من الدعاء فإنه في حد ذاته عباده، بل الدعاء هـو مخ العبادة ، فإذا خطر لك الشيطان فقال لك : إلىٰ متىٰ تدعو فلا تُجاب ؟ .. فقل: أنا أتعبد بالدعاء ، وواثق وموقن بالإجابة لأن الله أصدق القائلين : { **وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان** } .. وقال تعالىٰ : { **وقال ربكم ادعوني استجب لكم** } .. وربما كانت المصلحة لك في تأخير الإجابة .. وربما لم تكن المصلحـة أصـلاً في الإجابة ، ولكن يعوضك الله عنها بخير منها وذلك حسب قوله تعالىٰ : { **وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبوا شَيْئاً وَهُوَ شَر لَكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ** } .. فأنت تُثاب وتُجاب إلىٰ منافعك ، وقد يكون من منافعك ألا تُعطىٰ ما طلبت بل تُعوض غيره .. واعلم أنه ربما كان التأخير لبعض المصالح ، فهو يجئ في وقت مناسب لك .. وإذا سألت شيئاً فأقرنه بسؤال الخيرة مثل أن تقول : اللهم أحيني إذا كانت الحياة خيرٌ لي، وأمتني إذا كان الموت خيرٌ لي .

★ تحذير .. يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه ، لا تغتابوا المسلمين .. ولا تتبعوا عوراتهم .. فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته ، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف بيته .

وإن الله ليُملي للظالم حتىٰ إذا أمسكه لم يُفلته .

★ تزكية .. إن الله يحب الأبرار الأتقياء الأخفياء الذين لا يُراؤون ، الذين إذا غابوا لم يُفْتَقَدُوا .. وإن حضروا لم يُعْرَفُوا ، قلوبهم مصابيح الهدىٰ .. يخرجون من كل غبراء مُظلمة .

★ نفائس لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم :

١- غرس من غراس الجنة ، وكنز من كنوزها .

٢- دواء لـ (٩٩) داء أيسرها الهم .

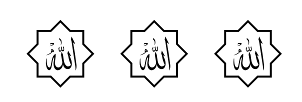
٣- تحفظ النعم (ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء ا لا قوة إلا با).

٤- تُطلق الأسير .. لحديث عوف بن مالك الأشجعي .. ونزل علىٰ أثره (ومن يتق ا يجعل له مخرجا) .

٥- هداية وكفاية ووقاية إذا قال الخارج من بيته : (بسم ا - توكلت علىٰ ا - لا حول ولا قوة إلا با) .

٦- حفظ المسلم مما يكره - يقول : اللهم لا يأت بالحسنات إلا أنت ، ولا يدفع السيئات إلا أنت ، ولا حول ولا قوة إلا بك .

٧- سلاح علىٰ الأعداء والأخصام أن تردد دائماً في يومك (لا حول ولا قوة إلا با العلي العظيم .. ثم تقول اللهم إني أجعلك في نحورهم) .



بسم الله الرحمن الرحيم

(أجمل آيات الشكر والحمد والثناء رب العالمين)

اللهم إن نعمك كثيرة علينا لا نحصيها ولا نحصي ثناءً عليك ولا نقدر وأنت سبحانك كما أثنيت علىٰ نفسك وأنت سبحانك غني عن العالمين .

سبحانك يا ربنا لك الحمد والشكر حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه .

اللهم لك الحمد والشكر كما ينبغي لجلال وجهك الكريم وعظيم سلطانك وعلو مكانك.

اللهم لك الحمد والشكر ملئ السمٰوات والأرض وما بينهما وملئ ما شئت من شيء بعد.

اللهم لك الحمد والشكر عدد ذرات الكون في السمٰوات والأرض وما بنيهما وما وراء ذلك .

وبعدد ما سبح الملائكة الحافين حول عرشك الكريم .

وبعدد ما سبح من شيء يسبح بحمدك ولا نفقه تسبيحهم .

سبحانك اللهم وبحمدك .. سبحانك رب العرش العظيم .. والحمد رب العالمين .

اللهم لك الحمد والشكر في السراء والضراء ، وعلىٰ أي حال تقدره لي الحمد رب العالمين.

اللهم لك الحمد والشكر في الأولىٰ .

ولك الحمد والشكر في الآخرة .

ولك الحمد والشكر من قبل .

ولك الحمد والشكر من بعد .

وأناء الليل وأطراف النهار وفي كل حين ودائماً وأبداً .

سبحانك اللهم وبحمدك .. سبحانك رب العرش العظيم ، والحمد رب العالمين .

اللهم صلي وسلم وبارك علىٰ سيدنا وحبيبنا عبدك ورسولك الذي جاء بالهدي ودين الحق من عندك سيد الأولين والآخرين وخير البرية المصطفىٰ محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين والحمد رب العالمين .



دعـــاء

يا حي يا قيوم - يا بديع السمٰوات والأرض - ياذا الجلال والإكرام - يارب السمٰوات السبع ورب الأرض ورب العرش العظيم - ورب كل شيء وخالقه ومليكه - يالطيف بعظمتك ويا عفو بقدرتك - ويا حليم بقوتك - ويا رحيم بجلالك - يا من خضع كل ذي شأن لشأنك- وكل ذي سلطان لسلطانك - وكل ذي مُلْكٍ لِمُلكِكَ - وصُير أمر السمٰوات والأرض بيدك - ومصير الدنيا والآخرة بأمرك - يا من علمت ما يجري تحت أرضك وأنت مستوٍ فوق عرشك - يا من دانت له رقاب الجبابرة في يوم عنت فيه الوجوه لجبروتك - وخشعت الأصوات فلا تسمع إلا همسا : لمن الملك اليوم ؟ .. الواحد القهار - يا من دُكتْ الجبال من سبحات وجهك الكريم- وهبطت الصخور من خشيتك-يا من يسبح الرعد بحمدك– والملائكة من خيفتك - يا من لا تراه العيون - ولا تُدركه الأبصار - ولا تُخالِطُه الظنون - ولا يصفه الواصفون - ولا تُغيِّرهُ الحوادث - ولا يخشىٰ الدوائر- ولا يُعجزه شيء في الأرض ولا في السماء - وما قدرناك حق قدرك - والأرض جميعاً قبضتك يوم القيامة - والسمٰوات مطويات بيمينك - يا رحمٰن الدنيا والآخرة - يا من وسعت رحمتك كل شيء - اللهم إنا عبيدك المساكين - جئناك بضعفنا ضارعين - وبقلة حيلتنا راجين - وبخطايانا حاملين - وبذنوبنا معترفين - وبتوبتنا معلنين - ومن عذابك مشفقين - ولإحسانك وَمَنك علينا طامعين - ولفضلك وعفوك عنا سائلين - وقفنا ببابك - باب كريم لا يرد السائلين- فلا تَرُدنا خائبين مكسورين - وأنت تعلم أنه لا ملجأ لنا إلا إياك - ولا رب لنا سواك - اللهم أقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك - ومن طاعتك ما تُبلغنا به جنتك - ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا- وأن تُرَضنا بقضائك وَقدَرِكْ - وأن تجعلنا في السراء والضراء لك من الشاكرين - اللهم إنا نستغفرك من كل ذنب يصرف عنا رحمتك - ومن كل ذنب يُنْزِلُ علينا غضبك وسخطك - ومن كل ذنب يحرمنا من نفحات عفوك وكرمك - اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا - اللهم ارحم موتانا وجميع موتىٰ المسلمين- وأشف مرضانا وجميع مرضىٰ المسلمين - اللهم انصرنا علىٰ من ظلمنا - ولا تجعل مصيبتنا في ديننا - ولا الدنيا أكبر هَمنا ولا مبلغ عِلْمِنَا - ولا تُسلط علينا من لا يخافك ولا يرحمنا - اللهم إجعل خير أعمارنا آخرها - وخير أعمالنا خواتيمها - وخير أيامنا هو يوم نلقاك يا كريم - يارب - يارب - يارب - يا مُجيب دعوة المضطرين أجب دعوتنا يا كريم برحمتك يا أرحم الراحمين - وصلىٰ ا علىٰ سيدنا

محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً والحمد   رب العالمين.

الفهرس



